لجنة نشر التراث الصوفي

اللُّمَع

لأبي نصر السَّرَّاج الطُّوسي

حققه ، وقدّم له ، وخرّج أحاديثه

الدكتور عبد الحليم محمود   طه عبد الباقي سرور

١٣٨٠ — ١٩٦٠

ملتزم الطبع والنشر

دار الكتب الحديثة بمصر

و

مكتبة المثنى ببغداد

http://abbassa.wordpress.com تحميل كتب

بسم الله الرحمن الرحيم

لجنة نشر التراث الصوفى

باسمك اللهم وبحمدك ، ولا إله إلا أنت ، ولا إلهَ غيرك ، لا نستطيع أن نحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك .

إليك سبحانك يصعد الكلم الطيب ، والعمل الصالح ترفعه وتباركه ، وليس أطيب من كلم يشرق بحبك ، ويتعطر بذكرك ، ويدور حولَ رضاك وهداك .

وليس أزكى من عمل ، يقصد به وجهك ، ويستهدف به عزة هذه الأمة التى ارتضيتها لدينك ، واخترتها لقرآنك ، وباركتها بنبيك ، ولا يصلح أمر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

ولهذا وضعنا المنهج العلمى ، لنشر الأصول الصوفية القديمة ، تلك الأصول التى أضاءت أفق الحياة الإسلامية فى أزهى عصورها ، وصنعت الأخلاق الإسلامية فى أنبل عهودها ، وصاغت لأمتنا فى وثبتها الأولى ، فلسفتها الروحية ، وآفاقها المثالية ، وخطوطها العريضة ، فى المعرفة والتربية ، ومناهجها فى السلوك والمجاهدة ، ومعارجها فى الحب والمناجاة ، وما إلى الحب والمناجاة ، من قربى إلى الله ، ووسيلة إلى هداه ورضاه .

وإننا لنستهدف من نشر هذه الأصول الصوفية ، أن تكون زاداً طيباً صالحاً مباركاً ، يتمثل فى نهضتنا عزماً أبيًّا ، وإيماناً قويًّا ، وخلقاً مثاليًّا ، وتوحيداً نقيًّا .

فإذا عاد إلى القلب الإسلامى ، نوره القرآنى ، وخلقه المحمدى ، وعزمه الإلهى ، عاد من جديد إلى الحياة ، ليقودها سعيدة مطمئنة إلى الله .

* * *

ولقد قدمنا من قبل لقرائنا ، كتاب « الرعاية لحقوق الله » للإمام الحارث المحاسبي ، وكتاب « التعرف لمذهب أهل التصوف » لتاج العلماء العارف الكلاباذى .

وإننا ليسعدنا اليوم أن نقدم لقرائنا فى العالمين العربى والإسلامى ، أكبر موسوعة صوفية عرفها التاريخ .

نقدم كتاب « اللمع » لأبى نصر السرّاج الطوسى ، أعظم مؤرخ صوفى ، فى تاريخنا قديمه وحديثه .

نقدمه محررا محققا ، بعد أن استكملنا النقص الكبير الذى كان فى طبعته الأوربية التى قام بها المستشرق « نيكلسون »[1] .

كما قمنا بضبط أعلامه ، وتخريج أحاديثه ، والتقديم له والتعقيب عليه .

* * *

وبعد ، فإننا نوجه الشكر خالصاً موفوراً للأساتذة الأصدقاء الذين سهموا بعلمهم فى إخراج هذا الكتاب .

---

(١) كان فى طبعة نيكلسون قسم مفقود ، ابتداء من (باب فى ذكر أبى الحسن النورى رحمه الله ، ثم أبواب : ذكر أبى حمزة الصوفى . ذكر جماعات المشايخ الذين رموهم بالكفر . ذكر أبى بكر على بن الحسن . ذكر محمد بن موسى الفرغانى . بيان ما قال الواسطى) وقد أثبتنا هذا القسم المفقود .

وبهذا ينشر كتاب اللمع كاملا لأول مرة فى التاريخ .

نشكر فضيلة الأستاذ العالم المحدّث السيد محمد الحافظ التيجانى ، فقد تولى فضيلته تخريج أحاديث « كتاب اللمع » بما عرف عنه من علم وأمانة ، فأضاف عملا صالحا نافعا مباركا بإذن الله .

ونشكر الأستاذ السيد محمد عيد الشافعى الذى بذل جهداً مشكوراً فى جمع المصادر الخاصة بتاريخ السراج الطوسى مؤلف « كتاب اللمع » .

ونشكر الصفوة المختارة من العلماء والأدباء ورجال الفكر ، الذين انهالت علينا كتبهم مشجعة ومقدرة لعملنا .

وإننا لنضرع إلى الله الكبير المتعال ، أن يتقبل عملنا ، وأن يباركه ، ويمن عليه بالتوفيق والسداد ، ويمدنا بعزم من لدنه لنواصل جهادنا فى نشر الأصول الصوفية الكبرى .

وما توفيقنا إلا بالله ، عليه توكلنا ، وإليه ما تخط أقلامنا ، وصلوات الله على المصطفى ، الذى أرسل هادياً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ؟

طه عبد الباقى سرور   دكتور عبد الحليم محمود

الجمعة { ٢٨ محرم عام ١٣٨٠ هـ
٢٢ يوليو عام ١٩٦٠ م

كتاب اللُّمَع

ومكانته من التصوف الاسلامي

مدرستان صوفيتان ، اعتصمتا بالكتاب والسنة ، واتخذتا من سيد المرسلين إماماً وقدوة ، وجعلتا من أشواق الحب الإلهي ، ومن إلهامات الروح القرآنى ، ومن مثاليات الخلق المحمدى ، منهجا فى المعرفة ، وطريقا فى السلوك ، ومعراجا للوصول ، فقدمتا للعالمين ، أروع وأقوى روحانية إيمانية معتصمة مهتدية ، قدمتا التصوف الإسلامى مشرقا مبينا ، فيه هدى ، وفيه نور ، يرسم الطريق المستقيم المضىء ، طريق المخبتين المتبتلين ، الذين أحالوا السكون ، محاريب المناجاة والطاعات ، وجعلوا من مشاهده صفحات ناطقات ملهمات ، الطريق المضىء الصاعد إلى رضوان الله وقربه ، وأنسه وحبه ، وهداه وعلمه وفيضه .

مدرستان هما قلب التصوف ولسانه وبيانه ، وإليهما الفتوى والفيصل فى مناهجه وقواعده ، وسلوكه ومعارجه .

مدرستان تميزتا بالمعرفة الكاملة الصادقة ، النابعة من الكتاب والسنة ، لم تتفرق بهما السبل ، ولم تجنح بهما الأذواق والأشواق ، فلما يعترفا أبدا ، بالسبحات الفلسفية ، والشطحات المترنحة ، والكلمات الغامضة ، التى تسربت إلى الأفق الصوفى ، وحاولت أن تنتسب إليه ، وأن تتستر بأشواقه وأذواقه .

أما المدرسة الأولى ، فهى مدرسة الإمام أبو القاسم الجنيد ببغداد ، وهى مدرسة اتخذت من المساجد منابر لدعوتها ، وجعلت من حلقاتها معاهد لتخريج الرجال . .

الرجال الذين تموج بهم كتب الأصول الصوفية ، كأعلام تضيء كلماتهم الطريق وترسمه وتحدده .

والمدرسة الثانيـة ، هى مدرسة الإمام أبو نصر السراج الطوسى بنيسابور ، وهى مدرسة اتخذت من الـكتب منابر لبيان دعوتها ، وشرح رسالتها ، ونشر علومها وأذواقها ومعارفها ومعارجها .

وجعلت من صفحات هذه الـكتب معاهد لتخريج الفحول من الرجال ، وخزائن خالدة ، تحفظ للأجيال ، هذا التراث المضيء العظيم .

وصاحب اللمع ، أبو نصر السراج الطوسى ، هو بحق ، أكبر المؤلفين الصوفيين وأستاذهم جميعا بلا استثناء .

اقتفى أثره الهجويرى فى كتابه « كشف المحجوب »[1] ، وتتلمذ عليه ، أبو عبد الرحمن السلمى ، صاحب الطبقات[2] ، وعلى السلمى ، تتلمذ عبد الـكريم ابن هوازن أبو القاسم القشيرى ، صاحب الرسالة القشيرية[3] .

فمؤلف اللمع إذن ، قد أنجبت مدرسته الأقلام الـكبيرة التى حفظت لنا ، ورسمت أمامنا ، مناهج الطريق وصانته وحمته من الدخيل والغريب .

كما احتضنت هذه المدرسة وحفظت لنا أيضاً ، تراث الجنيد وتلاميذه ورجاله .

فأصبحت مدرسة السراج وحدها عبر التاريخ الحجة التى يلوذ بها ، ويهتدى بنورها ، عباد الرحمن الذين استهدفوا وجهه سبحانه ، وصعدوا بقلوبهم وبعزماتهم إلى الأفق الأعلى ، مع الملأ الأعلى ، لا يستنكفون عن عبادة ربهم ، ولا يفترون عن ذكره وحمده .

---

(١) على بن عثمان الجلابى الهجويرى توفى عام ٤٦٥ هـ

(٢) توفى السلمى عام ٤١٢ هـ

(٣) توفى القشيرى عام ٤٦٥ هـ

قوتهم طاعة ، وحياتهم عبادة ، ومناجاتهم حب ، ووجودهم قرب ، وذوقهم علم ، و بساطهم أنس ، وخلقهم قرآن .

إنهم أمناء الله جل وعز فى أرضه ، وخزنة أسراره وعلمه ، وصفوته من خلقه ، كما يقول السراج الطوسى فى اللمع .

إنها مدرسة المعرفة الصوفية النقية ، حمل اللواء فيها السراج ، والقشيرى ، والهجويرى ، والسلمى ، والكلاباذى[1] .

المدرسة التى حاربت فى عنف وفى قسوة ، كل انحراف فلسفى ، أو شطح ذوقى ، تسرب إلى جوهر التصوف الإسلامى .

يقول المستشرق « نيكلسون »[2] :

« . . . ولهذا نجد أوائل المؤلفين فى التصوف يرددون الإنذار والتحذير من الوقوع فى وحدة الوجود ، ويكررون القول : بأن الله تعالى مخالف للحوادث مخالفة تامة ، وأن أى اتصال به يوصف بأنه اتحاد بذاته كفر وضلال » .

ولا جدال فى أن التصوف الإسلامى ، منذ فجره الأول ، قد ابتلى كما ابتليت المعارف الإسلامية كافة ، بالدخلاء الأدعياء سلوكا وقولا .

ولهذا نجد أئمة التصوف ، منذ القرن الثالث الهجرى ، وهم يحذرون وينذرون ، وكان أكبر المنذرين وأسبقهم الإمام السراج الطوسى .

يقول السراج فى مقدمته لكتاب اللمع[3] :

« . . . وأعلم أن فى زمننا هذا قد كثر الخائضون فى علوم هذه الطائفة ، وقد كثر أيضاً المتشبهون بأهل التصوف والمشيرون إليها ، والمجيبون عنها وعن

(١) صاحب التعرف لمذهب أهل التصوف

(٢) فى التصوف الإسلامى ص ١٠١

(٣) اللمع ص ١٩ طبع دار الكتب الحديثة

مسائلها ، وكل واحد منهم يضيف إلى نفسه كتاباً قد زخرفه ، وكلاماً ألفه ، وليس بمستحسن منهم ذلك ؛ لأن الأوائل والمشايخ الذين تكلموا فى هذه المسائل وأشاروا إلى هذه الإشارات ، ونطقوا بهذه الحكم ، إنما تكلموا بعد قطع العلائق ، وإماتة النفوس بالمجاهدات والرياضات والمنازلات والوجد والاحتراق ، والمبادرة والاشتياق إلى قطع كل علاقة قطعتهم عن الله عز وجل طرفة عين ، وقاموا بشرط العلم ، ثم عملوا به ، ثم تحققوا فى العمل فجمعوا بين العلم والحقيقة والعمل » .

وإذن فالخائضون فى علوم التصوف ومسائله ، والمتشبهون الدخلاء المحجبون ، قد كثروا فى الأفق الصوفى ، منذ القرون الأولى فى الإسلام .

والسراج يحذر منهم ويشير إليهم ، ثم يضع قاعدة ذهبية للتصوف والصوفية .

إنهم علماء قاموا بشرط العلم ، ثم عملوا به ، ثم تحققوا فى العمل ، فجمعوا بذلك بين العلم ، والحقيقة والعمل .

ولهذا كان الصوفية عبر التاريخ ، نماذج للجلال الخلقى والروحى ، ونماذج للكمال التعبدى والإيمانى ، ونماذج عالية سامقة ، فى أفق العلم والمعرفة .

وكما يقول « ماسنيون » :

« إن رجال المعرفة الصوفية فى الإسلام ، كانوا دائما النماذج التى تقدم لنا الصورة الحية المفكرين الكبار فى الإسلام » .

ويقول شاعر الإسلام « محمد إقبال » :

« إن الإسلام عند الصوفية يأخذ طابعا من الجمال والكمال ، والإنسانية العالية والأخوة العالمية ، لا تجده فى إسلام الفقهاء أو المتكلمين » .

* * *

وكتاب « اللمع » هو الكتاب الأم ، فى تاريخ التصوف الإسلامى ، وقد اجتمعت له خصائص ما نحسبها توافرت لغيره من كتب الحياة الروحية الإسلامية .

فهو أقدم مرجع صوفى إسلامى ، وهو فوق هذا أكبر هذه المراجع وأوثقها وأغزرها مادة ، وأنقاها جوهراً ولفظا .

ومن مادته الخصبة اقتبس كافة من أرخ للتصوف ، وعلى ضوء مناهجه وأبوابه وقواعده ، جرت الأقلام التى قدمت لنا عبر التاريخ علوم الطريق ورجاله .

وهو كتاب تاريخ ، ومدرسة علم ، وطريق ذوق ، وإشعاع يرشد السالكين ، ويعلم العلماء ، أو كما يقول « نيكلسون » : « هو مدرسة عليا لتخريج الفحول من المتصوفة الصادقين » .

وكتاب « اللمع » قد استهدف فى كل حرف فيه ، غاية قصد إليها ، وحرص عليها .

وهى رسم المبادىء الصوفية النقية ، تلك المبادىء التى تعبر عن روح القرآن ، وجوهر السنة .

المبادىء الخلقية والإيمانية التى تتلمذت لفضل الرسول صلوات الله وسلامه عليه وهديه .

المبادىء التى تحيط بكل شىء فى الحياة ، فتطلق فيه النور ، وتطلق فيه الروح ، وتطلق فيه الحب ، وتعمق فيه الأحساس المقدس ، الإحساس بالقرب من الله ، قرب ذوق ووجدان ، ومشاهدة ذوق ووجدان . . فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

المبادىء التى تتحقق فيها كلمات الله التى صورت الأمة الإسلامية بأنها خير أمة أخرجت للناس .

فإذا صور السراج فى « اللمع » تلك المبادىء فأحسن تصويرها ، وأبدع رسمها ، وأشاع الروح والحياة فى أفقها ، مدعما لها بالأدلة القرآنية والنبوية والعلمية والذوقية ، عمد إلى أدق وأنبل ما فى كتابه .

عمد إلى بيان كامل ، وحصر شامل ، للأخطاء التى وقع فيها السالكون للطريق ، إما عن سوء نية ، أو عن حسن قصد .

وهنا يتفوق السراج على نفسه ، فهو عالم نفسانى ، وهو حكيم ربانى ، وهو مبصر ببصيرة علوية يتسلل بها إلى خفايا الصدور ، وخفقات القلوب ، كما يتسلل إلى دقائق المعرفة ، ورقائق الذوق ، فيكشف عن أخطاء العابدين ، كما يكشف عن عقد الذاكرين ، وتلبيسات المحبين ، ووسوسة الزاهدين ، وهى أخطر عقبات الطريق ومزالقه .

فيجلو لنا بذلك كله وجه التصوف الإسلامى ، كما جاء به القرآن ، وكما صوره الرسول وهديه ، وكما عاشه رجاله وأعلامه ، وهم الصفوة من خلق الله ، والخيرة من عباده ، وخزائن العلم والمعرفة ، علم الشريعة ، وذوق الحقيقة ، وفيض العطاء الربانى ، الذى تتلمذ عليه من اصطفى الله من عباده .

* * *

ذلك هو « كتاب اللمع » أو بمعنى أدق ، ذلك بعض ما نومىء به ونشير ، ليدل على « اللمع » فكل تقديم « للمع » لا ينهض بحقه ، ولا يفى بقدره ، ولا يصور علمه وذوقه .

إنه جامعة لتخريج الفحول والأئمة الكبار ، جامعة لا يعرف قدرها ، إلا من تذوق منهجها وعاش فى صفحاتها ... وتلك رسالتك أيها القارىء الكريم .

التعريف بصاحب اللمع

أبو نصر عبـد الله بن على السرّاج الطوسى ، الملقب : بطاووس الفقراء . توفى سنة ٣٧٨ هـ .

يقول عنه صاحب النفحات :

« . . . هو عبد الله بن على بن محمد بن يحيى الصوفى الزاهد ، صاحب « كتاب اللمع » فى التصوف ، وقد تكون له مؤلفات أخرى لم تصل إلينا .

سمع جعفر الخلدى ، وأبا بكر محمد بن داود الدقى ، وأحمد بن محمد السايح » .

ويقول صاحب تذكرة الحفاظ :

« . . . أبو نصر السراج عبد الله بن على الطوسى الزاهد شيخ الصوفية ، وصاحب « كتاب اللمع » فى التصوف ، روى عنه جعفر الخلدى ، وأبى بكر محمد بن داود الدقى . . . قال « الذهبى » كان المنظور إليه فى ناحيته ، فى الفتوة ولسان القوم ، مع الاستظهار بعلوم الشريعة » .

ويقول العلامة السخاوى :

« . . . كان على طريقة أهل السنة . قال : خرجت مع أبى عبـد الله الروزبارى ، انلتى ـ انبليا ـ الراهب بصور ، فنفذ بنا إلى ديره ، وقلنـا له : ما الذى حبسك هاهنـا ؟ قال : أسرتنى حلاوة قول النـاس : يا راهب ، وتوفى فى رجب عام ٣٧٨ هـ[1] » .

(١) شذرات الذهب جـ ٣

ويقول العلامة المستشرق « نيكلسون » :

« ... ليس لدينا إلا القليل عن تاريخ حياة السراج ، فإن مؤلفى التصوف القديم مروا عليه فى سكوت ، وأول ما ورد ذكره حسب علمى ، فى ملحق لتذكرة الأولياء ، كما عرض لذكره عرضا قصيرا ، أبو المحاسن الذهبى فى تاريخ الإسلام ، وأبو الفلاح فى شذرات الذهب ، ولغيره من المؤلفين فى سفينة الأولياء » .

ثم يقول : « ومن العجيب أن يغفل مؤلفو التصوف القديم شأنه ، فلم يؤلفوا عنه أسفاراً تحوى لنا تاريخه وتراجمه وأحواله ، مع أنه كان فريد عصره ، راسخ القدم فى علوم القوم ، وشيخا لمذهبهم فى الزهادة والتصوف .

وكم كنت أتمنى لو سبق وجودى إلى عصره الذهبى أو الذى يليه لأترسم خطاه ، وأتتبع آثاره وأخباره وأحواله ، فأميط اللثام عن مستور لو كشف لعبق عبيره ، وطيب شذا عرفه الأنام .

على أنى لو أتيح لى أن أكون أحد معاصريه المؤلفين ما أظننى واقفا عند هذا الحد من النعت والتعريف ، ولعمرى ما كنت إلا جاهدا نفسى لكشف النقاب عن حياة وأعمال هذا الإمام الجليل ، عسانى أكون قد افتتحت مدرسة عليا لتخريج الفحول من الزهاد المتصوفة من أهل الرقعة الفقراء المخلصين » .

وتروى لنا كتب السير الفارسية ، أن السرّاج كان يلقب بطاووس الفقراء ، كما تروى كما يقول الهجويرى فى « كشف المحجوب » : « أن أبا نصر السراج وفد فى رمضان إلى بغداد ، فأفرد له غرفة خاصة فى جامع « الشونيزية » وأعطى رئاسة الدراويش ، وأنه كان فى صلاة التراويح يختم القرآن خمس مرات ، وكان الخادم يحضر له رغيفا كل ليلة ، فيضعه فى غرفته ، وفى يوم العيد ، وكان السراج قد رحل ، وجد الخادم الثلاثين رغيفا دون أن تمس .

وتروى لنا قصة أخرى ، أنه خلال محادثاته فى التصوف أخذه الحال فقذف بنفسه فى نار موقدة ، وهو يدعو الله ، فلم تلفح له وجها ، ولم تحرق له ثوبا .

وكتاب اللمع كما يقول « نيكلسون » يعطى صورة ناطقة عن السراج الرحالة ، الذى تجول فى أرجاء الإمبراطورية الإسلامية ، وتنقل بين القاهرة و بغداد ودمشق والرملة ودمياط والبصرة وتبريز ونيسابور ، سالكا طريق القوم ، ناشراً لعلومهم ومعارفهم مجدا فى الاجتماع بأعلام التصوف الإسلامى فى عصره الذهبى ، ضاربا المثل الأعلى لمنهجهم بنفسه سلوكا وذوقا وفتوة .

ويقول أبو عبد الرحمن السلمى فى طبقاته :

« . . . كان أبو نصر من أولاد الزهاد ، وكان المنظور إليه فى ناحية الفتوة ولسان القوم ، مع الاستظهار بعلم الشريعة ، وهو فقيه مشايخهم اليوم ، ومات أبوه ساجداً » .

توفى رضوان الله عليه فى رجب سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة هجرية « أكتوبر سنة ٩٨٨ م » .

كتاب اللمع

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

كتب إلينا أبو القاسم علىّ بن الإمام أبى الفرَج عبد الرحمن بن علىّ بن محمد ابن الجوْزى ، وأبو .... إسماعيل بن على بن باتكين الجوْهرى ، وأبو عبد الله محمد ابن عبد الواحد بن أحمد بن المتوكّل على الله ، وأبو المنجّى عبد الله بن عمر بن علىّ ابن زيد بن الليثى ، وغيرهم من بغداد . وكتبت إلينا أمُّ الفضل كريمة ابنة عبد الوهاب بن علىّ بن الخضر القُرَشِيَّة من دمشق . كلُّهم عن أبى الوَقْت عبد الأوّل بن عيسى بن شُعَيب بن إسحاق السّجزىّ الصوفىّ المروىّ المالينىّ ، قال : أنبأنا أبو نصر أحمد بن أبى نصر الكوفانى قراءةً عليه فى شهور سنة خمس وستِّين وأربعمائة ، قال : أنبأنا أبو محمد الحسن بن محمد الخنبُوشانى قراءة عليه ، قال : أنبأنا أبو نصر عبد الله بن علىّ الطوسى السرّاج ، قال :

الحمد لله الذى خلق الخلق بقدرته ، ودلَّهم على معرفته بآثار صنعته وشواهد ربوبيته ، واختار منهم صفوةً من عباده وخِيرَةً من خلقه ، خصَّ منهم من شاء بما شاء كيف شاء ، وقسم لهم من العلم به والفهم عنه بما قسم ، وحكم لهم فى ذلك بما حكم ، وجعلهم، فيما منح لهم من الهداية والتوفيق، متفاوتين كتفاوتهم فى الأخلاق والأرزاق والآجال والأعمال ، فلا علمْ معلوم ولا شىء مفهوم إلا وذلك موجود فى كتاب الله عزَّ وجلَّ ، أو مأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو فيما فُتح على قلوب أولياء الله ، ليهلك من هلك عن بيِّنة ويحيا من حيى عن بيِّنة ، وإن الله لسميع عليم .

والصلاة على المقدَّم المعظَّم المكرَّم من أنبيائه شمس الأولياء وقمر الأصفياء : محمد عبده ورسوله وعلى آله وسلم كثيراً .

أمّا بعد : فإنى قد استخرتُ الله تعالى وجمعت أبواباً فى معنى ما ذهب إليه أهل التصوُّف ، وتكلّم مشايخهم المتقدّمون فى معانى علومهم وعُمْدة أصُولهم وأساس مذهبهم وأخبارهم وأشعارهم ومسائلهم وأجوبتهم ومقاماتهم وأحوالهم ، وما انفردوا بها من الإشارات اللطيفة والعبارات الفصيحة ، والألفاظ المشكلة الصحيحة على أصولهم ، وحقائقهم ومواجيدهم وفصولهم .

وذكرتُ من كل فصل طَرَفاً ، ومن كل أصل طُرَفاً ونُتفاً ، ومن كلّ باب لُمَعاً ، على حسب ما سنح به الحالُ ، ومكّن منه الوقتُ ، وجاد به الحقُّ جلَّ ذكره ؛ مقتدياً بالأُسْوَة والقُدْوَة والبيان والحُجّة .

فينظر الناظر فيه عند تيقظ وتنبّه وحضور قلب وفراغ نفس ، بحسن التوقُّف والتفكّر والتأمُّل والتدبُّر ، بخلوص النيّة وطهارة القلب وصحة القصد ، متقرّباً إلى الله تعالى ذكره ، وشاكراً له على ما منحه من تسديده وتوفيقه وهدايته إلى موالاة هذه العصابة[1] ، ومناوأة من بسط لسانه فيها بالوقيعة فيهم والإنكار عليهم وعلى سلفهم الماضين ، رحمة الله ورضوانه عليهم أجمعين ؛ لأنهم العصابة القليل عَدَدُها ، العظيم عند الله قَدْرُها وخَطَرُها .

وينبغى للعاقل فى عصرنا هذا أن يعرف شيئاً من أصول هذه العصابة وقصودهم[2] ، وطريقة أهل الصحة والفضل منهم ، حتى يميّز بينهم وبين المتشبّهين بهم[3] ، والمتلبسين بلبسهم ، والمتسمّين باسمهم . حتى لا يغلط ولا يأثم ؛ لأن هذه

---

(١) يقصد أهل التصوف .

(٢) جمع قصد بمعنى الاتجاهات والنوايا

(٣) أن ادعاء التصوف قديم وها هو ذا المؤلف المتوفى فى القرن الرابع الهجرى يحذر من المهرجين باسم التصوف ، أما فى عصرنا الحاضر فقد أصبح ادعاء التصوف أمراً عادياً ولعلنا بنشر هذا الكتاب نساهم فى إعطاء الفكرة الصحيحة عنه حتى لايراه الناس طبلا وزمراً وبيارق وأساطير وجزى الله المؤلف خير الجزاء .

الصابة أعنى الصوفية ، هم أمناء الله ، جل وعز، فى أرضه، وخزنة أسراره وعلمه، وصفوتهُ من خلقه ؛ فهم عباده المُخلصون ، وأولياؤه المتقون ، وأحبّاؤه الصادقون الصالحون ؛ منهم الأخيار والسابقون ، والأبرار والمقرّبون ، والبدلاء والصديقون ؛ هم الذين أحيا الله بمعرفته قلوبهم ، (وزين) بخدمته جوارحهم ، وألهج بذكره ألسنتهم ، وطهر بمراقبته أسرارهم ؛ سبق لهم منه الحسنى بحسن الرعاية ودوام العناية، فتوجهم بتاج الولاية ، وألبسهم حُلَلَ الهداية ، وأقبل بقلوبهم عليه تعطفاً ، وجمعهم بين يديه تلطفاً ، فاستغنوا به عما سواه ، وآثروه على ما دونه ، وانقطعوا إليه ، وتوكّلوا عليه ، وعكفوا ببابه ، ورضوا بقضائه ، وصبروا على بلائه ، وفارقوا فيه الأوطان ، وهجروا له الإخوان ، وتركوا من أجله الأنساب ، وقطعوا فيه العلائق، وهربوا من الخلائق، مستأنسين به مستوحشين مما سواه: (ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)[١] الآية :(فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ)[٢] الآية : (قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى)[٣] الآية .

واعلم أنّ فى زماننا هذا قد كثر الخائضون فى علوم هذه الطائفة ، وقد كثر أيضاً المتشبهون بأهل التصوف والمشيرون إليها والمجيبون عنها وعن مسائلها ، وكل واحد منهم يضيف إلى نفسه كتاباً قد زخرفه ، وكلاماً ألفه ، وليس بمستحسَن منهم ذلك ، لأن الأوائل والمشايخ الذين تكلموا فى هذه المسائل وأشاروا إلى هذه الإشارات ونطقوا بهذه الحِكَمَ ، إنما تكلموا بعد قطع العلائق ، وإماتة النفوس بالمجاهدات والرياضات والمنازلات والوجد والاحتراق ، والمبادرة والاشتياق إلى قطع

---

(١) الجمعة : ٤

(٢) تكملة الآية : ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير . فاطر : ٣٢ .

(٣) تكملة الآية : آلله خير أما يشركون (النمل : ٥٩) .

كل علاقة قطعتهم عن الله عز وجل طرْفة عين ، وقاموا بشرط العلم ، ثم عملوا به، ثم تحققوا في العمل فجمعوا بين العلم والحقيقة والعمل .

قال أبو نصر رحمه الله : وقد حذفتُ الأسانيد عن كثيرٍ مما ذكرت فى هذا الكتاب ، واقتصرت على متون الأخبار والحكايات والآثار للاختصار ، فما أصَبْتُ من ذلك فبعناية الله عز وجل ، والحمدُ لله على ذلك ، وما أخطأتُ فى ذلك ووقع فيه شيء من الزيادة والنقصان فهو لازم لى ، وأنا أستغفر الله من ذلك ، وإنما ذكرتُ فى كتابى هذا أجوبة هؤلاء المتقدمين وألفاظهم لأن لى فيها غُنْية عن تكلفى كتكلف المتأخِّرين فى زماننا هذا إذا تكلموا فى هذه المعانى بكلام أو أجابوا عنها بجواب أو أضافوا ذلك إلى أنفسهم وهم متعرون عن حقائقهم وأحوالهم .

وكل من أخذ من كلام المتقدّمين الذين وصفناهم معنًى من معانيهم التى هى أحوالهم ووجدهم ومستنبطاتهم ، وحلاَّها من عنده بحلية غير ذلك ، أو كساها عبارة أخْرَى ، أو أضافها إلى نفسه حتى يشار إليه بذلك ، أو يطلب بذلك جَاهًا عند العامّة ، أو يريد أن يصرف بذلك وجوه الناس إليه لجرِّ منفعةٍ أو لدفع مضرّةٍ ؛ فإنه عزَّ وجلَّ خصْمُهُ فى ذلك وهو حسيبه ، لأنّه قد ترك الأمانة وعمل بالخيانة ، وهذه أعظم [وأكبر من] الخيانة التى فى أسباب الدنيا : (وأنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ)(١) ، وبالله التوفيق .

(١) من الآية ٥٢ من سورة يوسف .

باب البيان عن علم التصوف ، ومذهب الصوفية ، ومنزلتهم من أولى العلم القائمين بالقسط

قال الشيخ أبو نصر : سألنى سائلٌ عن البيان عن علم التصوّف ، ومذهب الصوفية ، وزعم أن الناس اختلفوا فى ذلك : فمنهم من يغلو فى تفضيله ورفعه فوق مرتبته ، ومنهم من يُخرجه عن حدّ المعقول والتحصيل ، ومنهم من يرى أن ذلك ضربٌ من اللهو واللعب وقلّة المبالاة بالجهل ، ومنهم من ينسب ذلك إلى التقوى والتقشّف ولبس الصوف والتكلب فى تنوق[1] الكلام واللباس وغير ذلك ، ومنهم من يُسرف فى الطعن وقُبْح المقال فيهم حتى ينسبهم إلى الزندقة والضلاله ؛ فسألنى أن أشرح له من ذلك ماصحّ عندى من أُصول مذهبهم المؤيّد المنوط بمتابعة كتاب الله عز وجل ، والاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتخلق بأخلاق الصحابة والتابعين ، والتأدّب بآداب عبـــاد الله الصالحين ، وأُقيِّدَ ذلك بالكتاب والأثر بالحُجة ، ليحق الحق و يبطل الباطل ، ويُعْرَف الجِدُّ من الهزل ، والصحيح من السقيم ، و يرتب كلّ نوع منه فى موضعه إذ كان ذلك علماً من علوم الدين ، فأقولُ و بالله التوفيق .

إن الله تبارك وتعالى ، أحكم أساسَ الدين ، وأزال الشبهة عن قلوب المؤمنين بما أمرهم به من الاعتصام بكتابه ، والتمسك بما وصل إليهم من خطابه ، إذ يقول جلّ جلاله : « وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا[2] » الآية وقال عز وجل : «وَتَعَاوَنُوا عَلَى ٱلبِرِ وَٱلتَّقْوَى » ثم ذكر الله تعالى أفضل المؤمنين درجةً وأعلام فى

(١) ترتيبه وتنسيقه

(٢) تكملة الآية : « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم ، منها كذلك بين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ، آل عمران : ١٠٥

الذين رتبة فذكرهم بعد ملائكته وشهد على شهادتهم له بالوحدانية بعد ما بدأ بنفسه وثنى بملائكته فقال عز وجل : «شهد اللهُ أنه لاَ إلهَ إلا هُو والملائكةُ وَأولوا العِلمِ قائمًا بالقِسطِ (١) » ورُوى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «العلماء ورثة الأنبياء» .

وعندى ، والله أعلم ، أن أولى العلم القائمين بالقسط الذين هم ورثة الأنبياء ، هم المعتصمون بكتاب الله تعالى ، المجتهدون فى متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، المقتدون بالصحابة والتابعين ، السالكون سبيل أوليائه المتقين وعباده الصالحين ، هم ثلاثة أصناف : أصحاب الحديث ، والفقهاء ، والصوفية ، فهؤلاء هم الأصناف الثلاثة من أولى العلم القائمين بالقسط الذين هم ورثة الأنبياء ، وكذلك أنواع العلوم كثيرة : فعلم الدين من ذلك ثلاثة علوم : علم القرآن ، وعلم السُّنن والبيان ، وعلم حقائق الإيمان ، وهى العلوم المتداولة بين هؤلاء الأصناف الثلاثة وجملة علوم الدين لا تخرج عن ثلاث : آيات من كتاب الله عز وجل ، أو خَبَر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو حِكمة مستنبطة خطرت على قلب ولى من أولياء الله تعالى .

وأصل ذلك حديث الإيمان حيث سأل جبريل عليه السلام النبيَّ صلى الله عليه وسلم عن أصول ثلاثة : عن الإسلام والإيمان ، والإحسان الظاهر والباطن ، والحقيقة ، فالإسلام ظاهر ، والايمان ظاهر و باطن ، والإحسان حقيقة الظاهر والباطن ، وهو قول النبى صلى الله عليه وسلم : الأحسان ، أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، وصدقه على ذلك جبريل ، والعلم مقرون بالعمل ، والعمل مقرون بالإخلاص ، والإخلاص أن يريد العبد بعلمه وعمله وَجْهَ الله تعالى ؛ وهؤلاء الأصناف الثلاثة فى العلم والعمل متفاوتون ، وفى مقاصدهم ودرجاتهم متفاضلون ، وقد ذكر الله تعالى تفاضلهم ودرجاتهم فقال عز وجل : « وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ (٢) » ، وقال : « وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا (٣) » . وقال : « انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ

(١) سورة آل عمران ١ : ١٨
(٢) سورة المجادلة : ١١
(٣) الأحقاف ، ١٩

عَلَى بَعْضٍ[١] » ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « الناس أكْفاء متساوون كأسْنان ٢
المشط[٢] ، لافضْل لأحد على أحد إلا بالعلم والتُّقَى » .

فكل من أشكل عليه أصلٌ من أصول الدين وفروعه وحقوقه وحقائقه وحدوده وأحكامه ظاهراً و باطناً فلا بد له من الرجوع إلى هؤلاء الأصناف الثلاثة : أصحاب الحديث ، والفقهاء ، والصوفية ؛ وكل صنف من هؤلاء مترسم بنوع من العلم والعمل والحقيقة والحال ، ولكل صنف منهم فى معناه علم ، وعمل ، ومقام ومقال ، وفهم ، ومكان ، وفقه ، وبيان عَلِمَهُ من عَلِمَهُ وجَهِلَهُ من جَهِلَهُ ، ولا يبلغ أحد إلى كمال يحوى جميع العلوم والأعمال والأحوال ، وكلٌّ واحد فمقامُهُ حيث وقفه الله تعالى ومحله حيث حبسه الله عز وجل ، وأنا أبيّن لك من ذلك إن شاء الله تعالى على حسب الطاقة أن كل صنف من هؤلاء بأى نوع من العلم والعمل ترسموا وبأى حال تفاضلوا ، وأيُّهم أعلى طبقة بما لايدفعه عقلك ويحيط به فهمك إن شاء الله تعالى .

---

(١) الإسراء : ٢١

باب فى نعت طبقات أصحاب الحديث ، ورسمهم فى النقل

ومعرفة الحديث ، وتخصيصهم بعلمه

قال الشيخ رحمه الله : فأما أصحاب الحديث فإنهم تعلقوا بظاهر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : هـذا أساس الدين لأن الله تعالى يقول : « وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا » فلمّا خوطبوا بذلك جوّلوا[1] البلاد ، وطلبوا رُوَاة الحديث ، فلزموهم حتى نقلوا عنهم أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجمعوا ما رُوى عن الصحابة والتابعين ، وضبطوا ماوصل إليهم من سِيَرهم وآثارهم ومذاهبهم واختلافهم فى أحكامهم وأقوالهم وأفعالهم وأخلاقهم وأحوالهم ، وصححوا رواياتهم بسماع الأذن وحفظ القلب والضبط من أُصول الثقات عن الثقات العدول عن العدول ، فأتقنوا ذلك ، وعرفوا أماكن الرُّواة فى النقل والضبط ، ودوّنوا أسماءهم وكناهم وموالدهم ووفاتهم ، وأرخوا ذلك حتى عرفوا أن كل رجل من هؤلاء كم من حديث رواه ؟ وعمّن رواه ؟ وعمن نقل إليه ؟ ومن أخطأ منهم فى النقل ؟ ومن غلط منهم فى زيادة حرف أو نقصان لفظة ، ومن تعمد منهم فى ذلك ، ومن سومح له بغلطة أو هفوة ، حتى عرفوا أسماء المتهمين منهم بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعرفوا من تصح عنه الرواية ومن لا تصح ، ومن انفرد منهم بحديث لا يرويه غيره ، أو انفرد بلفظة ليست عند غيره ، فحفظوا أن كل حديث من ذلك كم من نفس رواه ؟ وما العلة فى ناقله ؟ حتى جمعوا الأبواب ، وبوّبوا السنن ، وميزوا ما يدخل فى الصحيح وما يختلف فى صحته ، وما كان فى روايته رجل ضعيف ، ووقفوا على رواية المقلين والمُكثرين ، وفهموا أحاديث أئمة الأمصار ، وطبقات الرُّواة : التابع من المتبوع ، والكبير من الصغير ،

---

(١) طافوا بها

وأحاط عِلْمهم بعلل اختلاف الرواة ، وزياداتهم ونقصانهم ، وأما كنهم ، فى رواية السنن والآثار ، إذ كان ذلك أساس الدين .

وهم فى ذلك متفاضلون حتى يستحق أحدهم بزيادة علمه وإتقانه وحفظه قبول الشهادة على العلماء فى العدل والتجريح ، والردّ والقبول ؛ وتكون شهادته مقبولة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال وفعل وأمر ونهى وندب ودعا ؛ قال الله تعالى : « وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا » أى عدولا « لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ على الناس ويكون الرسولُ عليكم شهيداً »[1] ، يقال : إنهم أصحاب الحديث : يشهدون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى الصحابة والتابعين فيما قالوا وفعلوا ويكون الرسولُ عليكم شهيداً فيما شهدوا عليه من أفعاله وأقواله وأحواله وأخلاقه ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : من كذب علىّ متعمداً فليتبوأ مقعدَه من النار ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « نضر الله وجه امرىء سمع منى حديثاً فبلّغه » الحديث . يقال : إنه لا يكون ٣
واحد من أصحاب الحديث إلا وفى وجهه نضرة لموضع دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولأصحاب الحديث فى معانى علومهم ورسومهم مصنفات ولهم أئمة مشهورون [كل منهم] قد أجمع أهل عصره على إمامته ، لفضل علمه وزيادة عقله وفهمه ودينه وأمانته ؛ وشرح ذلك يطول ، وفيما ذكرت كفايةٌ لمن علم وبالله التوفيق .

(١) سورة البقرة ١٤٣

باب ذكر طبقات الفقهاء

وتخصيصهم بما ترسموا به من أنواع العلوم

قال الشيخ أبو نصر رحمه الله : وأما طبقات الفقهاء فإنهم فضلوا على أصحاب الحديث [بقبول علوم أصحاب الحديث] والاتفاق معهم فى معانى علومهم ورسومهم .

ثم خُصّوا بالفهم والاستنباط فى فقه الحديث والتعمق بدقيق النظر فى ترتيب الأحكام وحدود الدين وأصول الشرع ، فبينوا ذلك ، وميزوا الناسخ من المنسوخ ، والأصول من الفروع ، والخصوص من العموم ، بالكتاب والسنة والإجماع والقياس .

و بينوا للخلق فى أحكام دينهم من القرآن والأثر ما نسخ حكمه و بقى كتابته ، وما نسخ كتابته و بقى حكمه ؛ وما كان لفظه عامًّا والمراد به خاص ، أو كان لفظه خاصًّا والمراد به عامّ ، أو كان خطاب جماعة والمراد به واحد ، أو خطاب واحد والمراد به جماعةٌ ، وتكلموا بالاحتجاجات العقلية على المخالفين ، واستدلوا بالبراهين البينة على أهل الضلالة نصرة للدين، وتمسكوا بنص الكتاب ، أو نص السنة ، أو قياس على النص ، أو إجماع الأمة ، وناظروا من خالفهم برسم النظر ، وجادلوا من جادلهم بأدب الجدل ، وعارضوا خصمهم بالمعارضات ، واعترضوا عليهم برد الاعتراضات واطراد العلل فى المعلومات ، فوضعوا كل شىء فى مواضعه ، ورتبوا كل حدّ فى مراتبه ، وفرقوا بين المقايسة والمشاكلة والمجانسة والمقارنة، وميزوا فى الأوامر والنواهى ما كان منه حتما وما كان منه ندباً ، وما كان منه ترغيباً وترهيباً ، وما كان [منه] محثوثًا عليه ومدعوًّا إليه ، فبينوا المشكل ، وحلوا العُقد وأوضحوا الطرق ، وأزالوا الشبهات ، وفرعوا على الأصول ، وشرحوا المُجْمَل ، و بسطوا المجموع ، وأخذوا

حدود الدين بالاحتياط ، حتى لايقلد العالم عالماً ، ولا الجاهل جاهلا ، ولا الخاص خاصاً ، ولا العامّ عامًّا فى ظاهر الأحكام وحدود الشريعة .

بهم يحفظ على المسلمين حدودهم ، وقد ذكرهم الله تعالى فى كتابه فقال عز وجل : « فَلَوْلاَ نَفَرَ مِنْ كلِّ فِرْقَةٍ مِنهمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقهُوا فى الدِّين » الآية ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « من يُرِد الله به خيراً يفقهه فى الدين ». ٤

وللفقهاء فى معانى علومهم ورسومهم أيضا مصنفات ، ولهم أئمة مشهورون ، قد أجمع أهل عصرهم على إمامتهم ، لزيادة علمهم وفهمهم ودينهم وأماناتهم ، وشرح ذلك يطول ، والعاقل يستدل بالقليل على الكثير ، وبالله التوفيق .

باب ذكر الصوفية، وطبقاتهم

وما ترسموا به من العلم والعمل ، وما خصوا به من الفضائل، وحسن الشمائل

قال الشيخ أبو نصر رحمه الله : ثم إن طبقات الصوفية أيضاً اتفقوا مع الفقهاء وأصحاب الحديث فى معتقداتهم وقبلوا علومهم ، ولم يخالفوهم فى معانيهم ورسومهم ، إذا كان ذلك مجانباً للبِدَع واتباع الهوى ، ومنوطاً بالأسوة والاقتداء ، وشاركوهم بالقبول والموافقة فى جميع علومهم .

ومن لم يبلغ من الصوفية مراتب الفقهاء وأصحاب الحديث فى الدراية والفهم ، ولم يُحطْ بما أحاطوا به علماً فإنهم راجعون إليهم فى الوقت الذى يُشكل عليهم حكمٌ من الأحكام الشرعية أو حدٌّ من حدود الدين ، فإذا اجتمعوا فهم فى جملتهم فيما اجتمعوا عليه ، فإذا اختلفوا فاستحباب الصوفية فى مذهبهم الأخذُ بالأحسن والأولى والأتم احتياطاً للدين وتعظيما لما أمر الله به عباده واجتناباً لما نهاهم الله عنه .

وليس من مذهبهم النزول على الرُخَص وطلب التأويلات [والميل إلى] الترفُّه والسَّعات وركوب الشبهات ، لأن ذلك تهاونٌ بالدين ، [وتخلفٌ عن الاحتياط ؛ وإنما مذهبهم التمسك بالأولى والأتم فى أمر الدين] ؛ فهذا الذى عرفنا من مذاهب الصوفيـة ورسومهم فى استعمال العلوم الظاهرة المبذولة المتداولة بين طبقات الفقهاء وأصحاب الحديث .

ثم إنهم [من] بعد ذلك ارتقوا إلى درجات عالية ، وتعلقوا بأحوال شريفـة ومنازل رفيعة من أنواع العبادات وحقائق الطاعات والأخلاق الجميلة ، ولهم فى معانى ذلك تخصيص لغيرهم من العلماء والفقهاء وأصحاب الحديث وشرح ذلك يطول ، غير أنى أبين لك من كل شىء طَرَفاً حتى تستدل بما أذكرُهُ على ما لا أذكره إن شاء الله تعالى .

باب ذكر تخصيص الصوفية بالمعانى التى قد ترسموا بها

من الآداب والأحوال والعلوم التى تفرّدوا بها من جملة العلماء

قال الشيخ أبو نصر رحمه الله : فأول شيء من التخصيصات للصوفية وما تفردوا بها عن جملة هؤلاء الذين ذكرتهم من بعد أداء الفرائض واجتناب المحارم : تَرْكُ ما لا يعنيهم ، وقَطْعُ كل علاقة تحول بينهم و بين مطلوبهم ومقصودهم ؛ إذ ليس لهم مطلوب ولا مقصود غير الله تبارك تعالى ؛ ثم لهم آداب وأحوال شتى ، فمن ذلك:

القناعة بقليل الدنيا عن كثيرها ، والاكتفاء بالقوت الذى لا بُدَّ منه ، والاختصار على ما لا بدّ منه من مهنة الدنيا : من الملبوس ، والمفروش ، والمأكول ، وغير ذلك ؛ واختيار الفقر على الغنى اختياراً ، ومعانقة القلّة ، ومجانبة الكثيرة ، و إيثار الجوع على الشبع ، والقليل على الكثير ، وترك العلوّ والترفع ، و بذل الجاه ، والشفقة على الخلق ، والتواضع للصغير والكبير ، والإيثار فى وقت الحاجة إليه ، وأن لا يبالى من أكَلَ[1] الدنيا . وحُسْن[2] الظن بالله ، والإخلاص فى المسابقة إلى الطاعات ، والمسارعة إلى جميع الخيرات ، والتوجه إلى الله تعالى ، والانقطاع إليه ، والعكوف على بلائه والرضا عن قضائه ، والصبر على دوام المجاهدة ومخالفة الهوى ، ومجانبة حظوظ النفس ، والمخالفة لها ؛ إذ وصفها الله تعالى بأنها أمارةَ بالسوء ، والنظر إليهـا بأنهـا أعْدَى عدوِك التى بين جنبَيْك ، كما رُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) لايبالى بمن يستمتع بها من المترفين أو من يجرى وراءها من أصحاب الثراء ، أى لايغبطه ولا يحسده ولاينظر إليه نظره تقدير

(٢) أى ومن آدابهم حسن الظن إلخ .

فصل آخر

ثم إن من آدابهم وشمائلهم أيضاً مراعاة الأسرار ، ومراقبة الملك الجبار ، ومداومة المحافظة على القلوب بنفى الخواطر المذمومة ، ومساكنة الأفكار الشاغلة التى لا يَعْلَمها غير الله عز وجل ، حتى يعبدوا الله تعالى بقلوب حاضرة ، وهموم جامعة ، ونيات صادقة ، وقصود خالصة ؛ لأن الله عز وجل ، لا يقبل من عباده من أعمالهم إلا ما كان لوجهه خالصاً قال الله عز وجل : (أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ)(١) .

[فصل آخر]

ومن آدابهم وشمائلهم وتخصيصهم أيضاً الاعتراض لسلوك سُبُل أوليائه ، والنزول فى منازل أصفيائه ، ومباشرة حقيقة الحقوق ببذل الروح وتلف النفس ، واختيار الموت على الحياة ، وإيثار الذل على العز واستحباب الشدة على الرخاء ؛ طمعاً فى الوصول إلى المراد ، وأن لا يريد إلا ما يريد(٢) .

وهذا فى أول بادٍ من بوادى الحقائق وحقيقة الحقوق ، أما ترى أن النبى صلى الله عليه وسلم ، حيث سأل حارثة [فقال] : «لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك ؟ [بأى شيء أجابه] فقال : عزفت نفسى عن الدنيا ، فأسهرت ليلى ، وأظمأت نهارى ، وكأنى أنظر إلى عرش ربى بارزاً ، وكأنى أنظر إلى أهل الجنة : كيف يتزاورون ، وإلى أهل النار فى النار : كيف يتعاوون . فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : عرفت فالزم» . أو كما روى فى الحديث . والله أعلم

(١) الزمر : ٣

(٢) أى ما يريده الله .

باب فى تخصيص الصوفية من طبقات أهل العلم
فى معان أخر من العلم

قال الشيخ [أبو النصر] رحمه الله : وللصوفية أيضاً تخصيص من طبقات أهل العلم باستعمال آيات من كتاب الله تعالى متلوة ، وأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مروية ، ما نسختها آية ، وما رفع حكمها خبر ولا أثر ، يدعو ذلك إلى مكارم الأخلاق ، و يبحث عن معالى الأحوال وفضائل الأعمال ، وينبىء عن مقامات عالية فى الدين ، ومنازل رفيعة خص بذلك طائفة من المؤمنين ، وتعلق بذلك جماعة من الصحابة والتابعين ، وذلك آداب من آداب الرسول صلى الله عليه وسلم ، وخلق من أخلاقه إذ يقول صلى الله عليه وسلم : إن الله أدبنى فأحسن أدبى ، و إذ يقول الله عز وجل :(و إنك لعلى خلق عظيم) وذلك موجود فى دواوين العلماء والفقهاء . وليس ٦
لهم فى ذلك تفقه واستنباط كتفقههم فى سائر العلوم ، وليس لغير الصوفية من أولى العلم القائمين بالقسط فى ذلك نصيب غير الإقرار به والإيمان بأنه حق ، وذلك مثل حقائق التوبة وصفاتها ، ودرجات التائبين وحقائقهم ، ودقائق الورع وأحوال الورعين ، وطبقات المتوكلين ، ومقامات الراضين ، ودرجات الصابرين ، وكذلك فى باب الخشية والخضوع ، والمحبه والخوف ، والرجاء والشوق والمشاهدة ، [والإنابة] والطمأنينة : (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم)(١) . واليقين والقناعة . ومدة أحوال أكثر من أن يحصى عددها ؛ ولكل حال من ذلك أهل وطبقات ، ولهم فى ذلك حقائق [ومشاهدات ، وأحوال ومراقبات ، وأسرار واجتهادات ، ومقامات ودرجات متباينات] ، وإرادات متفاوتة ، وتفاضل فى قوة الإرادة ، واعتراض الفترة ، وغلبات الوجد ؛ ولكل واحد من ذلك حد ومقام ، وعلم وبيان ، على مقدار ما قسم له من الله عز وجل .

ومن أعظم النعم التى اختصوا بها دوام المراقبة وهى التحقق بمقام الإحسان .

---

(١) الأنفال : ٢

فصـــــل

وللصوفية أيضاً تخصيص فى معرفة الحرص والأمل ودقائقهما ، ومعرفة النفس وأماراتها وخواطرها ، ودقائق الرياء والشهوة الخفية والشرك الخفى، وكيف الخلاص من ذلك ، وكيف وجه الإنابة إلى الله عز وجل ، وصدق الالتجاء ، ودوام الافتقار والتسليم والتفويض ، والتبرى من الحول والقوة .

فصل آخر

وللصوفية أيضاً مستنبطات فى علوم مشكلة على فهوم الفقهاء والعلماء ، لأن ذلك لطائف مودعة فى إشارات لهم تخفى فى العبارة من دقتها ولطافتها ؛ وذلك فى معنى العوارض والعوائق والعلائق والحجب وخبايا السر ومقامات الإخلاص ، وأحوال المعارف وحقائق العبودية ، ومحو الكون بالأزل ، وتلاشى المحدث إذا قورن بالقديم وفناء رؤية الأعواض وبقاء رؤية المعطى [بفناء رؤية العطاء] ، وعبور الأحوال والمقامات ، وجمع المتفرقات ، وفناء رؤية القصد ببقاء رؤية المقصود [والإعراض عن عن رؤية الأعواض] ، وترك الاعتراض ، والهجوم على سلوك سبل منطمسة ، وعبور مفاوز مهلكة .

فالصوفية مخصوصون من أولى العلم القائمين بالقسط بحلّ هذه العُقد ، والوقوف على المُشْكل من ذلك ، والممارسة لها بالمنازلة والمباشرة ، والهجوم عليها ببذل المُهَج ، حتى يُخبروا عن طعمها وذوقها ونقصانها وزيادتها ، ويطالبوا من يدّعى حالا منها بدلائلها ، ويتكلموا فى صحيحها وسقيمها ، وهذا أكثرُ من أن يتهيّأ لأحدٍ أن يذكر قليلَهُ ؛ إذ لا سبيل إلى كثيره .

وجميع ذلك موجود عِلْمُهُ فى كتاب الله عزّ وجلّ ، وفى أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم مفهوم عند أهله ولا ينكره العلماء إذا استبحثوا عن ذلك .

وإنَّما أنكر علم التصوّف جماعةٌ من المترسّمين بعلم الظاهر ، لأنهم لم يعرفوا من كتاب الله تعالى ، ولا من أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا ما كان فى الأحكام الظاهرة وما يصلح للاحتجاج على المخالفين ، والناس فى زماننا هذا إلى مثل ذلك أمْيَلُ لأنَّه أقرَبُ إلى طلب الرياسة واتّخاذ الجاه عند العامة والوصول إلى الدنيا .

وقل من تراه يشتغل بهذا العلم الذى ذكرنا ، لأن هذا علم الخصوص ممزوج بالمرارة والغصص ، وسماعه يُضعف الركبتين ، ويُحزن القلب ويُدمع العين ، و يصغر العظيم و يعظم الصغير ، فكيف استعماله ومباشرته ، وذوقه ومنازلته ، وليس للنفس فى منازلته حظ ؛ لأنه منوط بأمانة النفوس ، وفقد المحسوس ، ومجانبة المراد ، فمن أجل ذلك ترك العلماء هذا العلم ، واشتغلوا باستعمال علم يُخف عليهم المؤن ، ويحثهم على التوسيع والرخص والتأويلات ، وقد يكون أقرب إلى حظوظ البشرية ، وأخف تحمّلاً على النفوس التى جُبلت على متابعة الحظوظ والمنافرة عن الحقوق ، والله تعالى أعلم .

باب الرد على من زعم أن الصوفية قوم جهلة ، وليس لعلم التصوف دلالة من الكتاب والأثر

قال الشيخ [الإمام أبو نصر] رحمه الله : لا خلاف بين الأئمـة فى أنّ الله تبارك وتعـالى ذكر فى كتابه الصادقين والصادقات ، والقانتين والقانتات ، والخاشعين ، والموقنين ، والمخلصين ، والمحسنين ، والخائفين ، والراجين ، والواجلين ، والعابدين ، والسائحين ، والصابرين ، والراضين ، والمتوكلين ، والمخبتين ، والأولياء ، والمتّقين ، والمصطفين ، [والمجتبين] ، والأبرار ، والمقرّبين .

وقد ذكر الله تعالى المشاهدين فقال : ([أو أَلْقَى السَّمْعَ] وَهُوَ شَهِيدٌ)(١) . وذكر الله المطمئنّين فقال : (أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)(٢). وذكر الله تعالى السابقين ، والمقتصدين ، والمسارعين إلى الخيرات

٦ وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « إنّ من أمّتى مكلَّمين ومحدَّثين ، وإنّ
٧ عُمَرَ منهم » . وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « رُبَّ أشْعَثَ أغبرَ ذى طِمْرَيْنِ
٨ لو أقسم على الله لأبره ، وإن البَرَاء منهم » . وقال لوابصة : « اسْتَفْتِ قَلْبَكَ »
ولم يقل لأحد غيره ذلك .

٩ وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « يدخل بشفاعة رجل من أُمّتى الجنّة مثلُ
١٠ ربيعة ومُضر ، يقال له أُوَيْس القَرَنى » وفى الحديث : إن فى أُمّتى من إذا قرأ
ريتَ أنه يخشى الله تعالى ، وإن طلق بن حبيب منهم ، وقول النبى صلى الله
١١ عليه وسلم : « يدخل من أمّتى الجنّـة سبعون ألفاً بلا حساب ، قيل : من هم
يا رسول الله ؟ قال : هم الذين لا يكتوون ولا يَسْتَرْقُون وعلى ربّهم يتوكلون »
والآثار والأخبار فى مثل هذا تكثر .

---

(١) سورة ق : ٣٧ (٢) سورة الرعد : ٢٨

ولا خلاف أن هؤلاء كلهم فى أمّة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولو لم يكونوا فى الأمة موجودين ، واستحال كونهم فى كل وقت ، لم يذكرهم الله تعالى فى كتابه ، ولم يصفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولمّا رأينا أن اسم الإيمان قد شمل جميع المؤمنين ، وأفرد هؤلاء بأسماء مختصة من ذلك ، دل ذلك على تخصيصهم من عامّة المؤمنين الذين شملهم اسم الإيمان ، ولا يختلف أحد من الأئمة فى أن الأنبياء عليهم السلام الذين هم أعلَى درجةً من هؤلاء ، وأقرَبُ منزلةً عند الله تعالى منهم ، أنهم كانوا بشراً يجرى عليهم ما يجرى على سائر البشر من الأكل والنوم والحوادث .

وإنما وقع التخصيص للأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ، ولسائر هؤلاء الذين ذكرتُهم لسِرّ بينهم وبين معبودهم ، ولزيادة يقينهم وإيمانهم بما خاطبهم الله تعالى به وندبهم إليه ، إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فإنهم ينفردون عن هؤلاء بتخصيص الوحى والرسالة ودلائل النبوّة ، فلا يجوز لأحد أن يزاحمهم فى ذلك ، والله أعلم .

باب فى ذكر اعتراض الصوفية على المتفقه ، وبيان الفقه فى الدين ، ووجه ذلك بالحجة

قال الشيخ [أبو نصر] رحمه الله : رُوى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين » و بلغنى عن الحسن البصرى رحمه الله : أنه قيل له : فلان فقيه ، فقال الحسن : وهل رأيتَ فقيهاً قطّ ؟ إنّما الفقيه الزاهد فى الدنيا ، الراغب فى الآخرة ، البصير بأمر دينه . وقول الله تعالى : « لِيَتَفَقَّهُوا فِى الدِينِ »(١) فالدين اسم يشتمل على جميع الأحكام ظاهراً و باطناً .

وليس التفقّه فى أحكام هذه الأحوال ومعانى هذه المقامات التى تقدّم ذِكْرُها بأقلّ فائدةً من التفقه فى أحكام الطلاق والعتاق والظهار والقصاص والقسامة والحدود ، لأنّ تلك أحكام ربّما لا تقع فى العمر حادثة تحتاج إلى علم ذلك ، فإذا وقعت تلك الحادثة فمن سأل عنها قلّدَ فى ذلك ، وأخَذَ بقول بعض الفقهاء ، فقد سقط عنه فرضُ ذلك إلى أن تقع به حادثة أُخْرَى ؛ وهـذه الأحوال والمقامات و المجاهدات التى يتفقه فيها الصوفية و يتكلّمون فى حقائقها . فالمؤمنون مفتقرون إلى ذلك ، ومعرفة ذلك واجبة عليهم ، وليس لذلك وقت مخصوص دون وقت ، وذلك مثل الصدق والإخلاص والذكر ومجانبة الغفلة وغير ذلك ليس لها وقت معلوم ، بل يجب على العبد فى كلّ لحظة وخطرة أن يعلم ايش قصدُهُ و إرادته وخاطره ، فإن كان حقا من الحقوق فواجبٌ عليه أن يلزمه ، و إن كان حظًّا من الحظوظ فواجبٌ عليه مجانبته ؛ قال الله تعالى لنبيه وصفيه محمد صلى الله عليه وسلم: « وَلاَ تُطِـعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا »(٢) فمن ترك حالا من هذه الأحوال ما تركها إلا من غلبة الغفلة على قلبه .

---

(١) التوبة : ١٢٢ (٢) الكهف : الآية ٢٨

واعلم أن مستنبطات الصوفية في معاني هذه العلوم ومعرفة دقائقها وحقائقها ينبغي أن تكون أكثر من مستنبطات الفقهاء في معاني أحكام الظاهر ، لأن هذا العلم ليس له نهاية ، لأنه إشارات وبوادٍ وخواطر وعطايا وهبات يغرفها أهلها من بحر العطاء ، وسائر العلوم لها حدٌّ محدود ، وجميع العلوم يؤدِّى إلى علم التصوف، [وعلم التصوّف لا يؤدِّى إلا إلى نوع من علم التصوف] وليس له نهاية ، لأن المقصود ليس له غاية ، وهو علم الفتوح يفتح الله تعالى على قلوب أوليائه في فهم كلامه ومستنبطات خطابه ما شاء كيف شاء ، قال الله عزَّ وجلَّ : (قُلْ لَوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَاداً)(١) . وقال : (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ)(٢) ، والزيادة من الله تعالى لا نهاية لها ، والشكر نعمة تستوجب شكراً مستوجباً لمزيدٍ لا نهاية له ، وبالله التوفيق .

---

(١) الكهف : ١٠٩ (٢) ابراهيم : ٧

باب ذكر التخصيص فى علوم الدين وتخصيص كل علم بأهله ، والرد على من أنكر علماً برأيه ولم يدفع ذلك إلى أهله وإلى من يكون ذلك من شأنه

قال الشيخ [الإمام أبو نصر] رحمه الله : أنكرت جماعة من العلماء أن يكون فى علم الشريعة تخصيص ، ولا خلاف بين [هذه] الأمّة فى أن الله تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بإبلاغ ما أُنزل عليه فقال : (يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ [مِنْ رَبِّكَ])(١) .

١٣ ورُوى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا وابكيتم كثيراً» فلو كان الذى علم مما لا يعلمون من العلوم التى أمره بالإبلاغ لأبلغ ولو جاز لأصحابه أن يسألوه عن ذلك العلم لسألوه .

ولا خلاف بين أهل العلم أن فى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان مخصوصاً بنوع من العلم ، كما كان حُذَيفة مخصوصاً بعلم أسماء المنافقين كان قد أسرّه إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى كان يسأله عُمَرُ رضى الله عنه فيقول : هل أنا منهم ؟

١٤ ورُوى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : « علّمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين باباً من العلم لم يعلم ذلك أحداً غيرى » .

وقد ذكر هذا الباب بتمامه فى آخر الكتاب والمراد من تكراره هاهنا أن العلم الثابت بين أصحاب الحديث ، والفقهاء ، والصوفية ، هو علم الدين .

ولكلّ صنف من أهل العلم فى علمه دواوين ومصنّفات [وكتُب] وأقاويل ، ولكلّ صنف منهم أئمة مشهورون قد أجمع أهل عصرهم على إمامتهم ، لزيادة علمهم وفهمهم .

---

(١) المائدة : ٦٧

ولا خلاف فى أن أصحاب الحديث إذا أشـكل عليهم علم من علوم الحديث وعِلَل الأخبار ومعـــرفة الرجال لا يرجعون فى ذلك إلى الفقهاء ، كما أن الفقهاء لو أشـكل عليهم مسألة فى الخَلْيَّة والبَرِّيَّة والدور والوصايا لا يرجعون فى ذلك إلى أصحاب الحديث ، وكذلك من أشـكل عليه علم من علوم هؤلاء الذين تكلموا فى مواجيد القلوب ومواريث الأسرار ومعاملات القلوب ، ووصفوا العلوم واستنبطوا فى ذلك بإشارات لطيفة ومعان جليلة فليس له أن يرجع فى ذلك إلا إلى عالم ممن يكون هذا شأنه ، ويكون ممن قد مارس هـذه الأحوال ونازلها واستبحث عن علومها ودقائقها ، فمن فعل غير ذلك فقد أخطأ ، وليس لأحد أن يبسط لســـانه بالوقيعة فى قوم لا يعرف حالهم ، ولم يعلم علمهم ولم يقف على مقاصدهم ومراتبهم فيهلك ويظن أنه من الناصحين ، أعاذنا الله تعالى وإياكم .

باب الكشف عن اسم الصوفية

ولِمَ سُمّوا بهذا الاسم ، ولِمَ نسبوا إلى [هذه] اللبسة

قال الشيخ رحمه الله : إن سأل سائلٌ فقال : قد نسبت أصحاب الحديث إلى الحديث ، ونسبت الفقهاء إلى الفقه فلِمَ قلت : الصوفية ولم تنسبهم إلى حال ولا إلى علم ، ولم تُضِف إليهم حالا كما أضفت الزهد إلى الزهّاد والتوكل إلى المتوكلين والصبر إلى الصابرين ؟ فيقال له : لأن الصوفية لم ينفردوا بنوع من العلم دون نوع ، ولم يترسموا برسم من الأحوال والمقامات دون رسم ، وذلك لأنهم معدن جميع العلوم ، ومحل جميع الأحوال المحمودة ، والأخلاق الشريفة ، سالفاً ومستأنفاً ، وهم مع الله تعالى فى الانتقال من حال إلى حال ، مستجلبين للزيادة ؛ فلما كانوا فى الحقيقة كذلك لم يكونوا مستحقين اسماً دون اسم ، فلأجل ذلك ما أضفتُ إليهم حالا دون حال ، ولا أضفتهم إلى علم دون علم ، لأنى لو أضفتُ إليهم فى كل وقت حالا [هو] ما وجدت الأغلب عليهم من الأحوال والأخلاق والعلوم والأعمال وسميتهم بذلك ، لكان يلزم أن أسميهم فى كل وقت باسم آخر ، وكنت أضيف إليهم فى كل وقت حالا دون حال على حسب ما يكون الأغلب عليهم ، فلمّا لم يكن ذلك نسبتهم إلى ظاهر[1] اللبسة ، لأن لبسة الصوف دأب الأنبياء عليهم السلام وشعار الأولياء والأصفياء ، ويكثر فى ذلك الروايات والأخبار ، فلمّا أضفتهم إلى ظاهر اللبسة كان ذلك اسماً

---

(١) هل الصوفية إلى الصوف ؟ ذلك ماختلف فيه مؤرخو التصوف فبعضهم ينسبها إلى الصوف وبعضهم يرجعها إلى « الصفة » وآخرون يرجعونها إلى الصفاء ويريد بعض المتأخر أن ينسبها إلى كلمة : « سيوزوفى » التى تعنى الإشراق وسيذكر المؤلف بعض هذه الآراء فيما بعد

مُجْملا عامًا مخبراً عن جميع العلوم والأعمال والأخلاق والأحوال الشريفة المحمودة ، ألا ترى أن الله تعالى ذكر طائفة من خواص أصحاب عيسى عليه السلام فنسبهم إلى ظاهر اللبسة فقال عز وجل : «وَإِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ» [الآية](١) وكانوا قوماً يلبسون البياض فنسبهم الله تعالى إلى ذلك ولم ينسبهم إلى نوع من العلوم والأعمال والأحوال التي كانوا بها مترسمين ؛ فكذلك الصوفية عندي والله أعلم .

نُسبوا إلى ظاهر اللباس ، ولم ينسبوا إلى نوع من أنواع العلوم والأحوال التي هم بها مترسمون ؛ لأن لبْس الصوف كان دأب الأنبياء عليهم السلام والصديقين وشعار [المساكين] المتنسكين .

(١) المائدة : ١١٢ .

باب الرد على من قال :

لم نسمع بذكر الصوفية فى القديم وهو اسم مُحْدَث

إن سأل سائلٌ فقال : لم نسمع بذكر الصوفية فى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم أجمعين، ولا فيمن كان بعدهم، ولا نعرف إلا العبّاد والزهّاد والسيّاحين والفقراء ؛ وما قيل لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: صوفىٌّ ، فنقول و بالله التوفيق :

الصُّحبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لها حرمة ، وتخصيص من شمله ذلك ، فلا يجوز أن يعلق عليه اسم على أنه أشرفُ من الصحبة ، وذلك اشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرمته ، ألا ترى أنهم أئمة الزهّاد والعبّاد والمتوكلين والفقراء والراضين والصابرين والمخبتين ، وغير ذلك ، وما نالوا جميع ما نالوا إلا ببركة الصحبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلمّا نُسبوا إلى الصحبة التى هى أجلُّ الأحوال استحال أن يفضلوا بفضيلة غير الصحبة التى هى أجلُّ الأحوال و بالله التوفيق.

وأما قول القائل : إنه اسم محدث أحدثه البغداديون ، فمحال ، لأن فى وقت الحسن البصرى رحمه الله كان يُعرف هذا الاسم ، وكان الحسن قد أدرك جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم ، وقد رُوى عنه أنه قال : رأيتُ صوفيًا فى الطواف فأعطيته شيئاً فلم يأخذه وقال : معى أربعة دوانيق فيكفينى ما معى .

ورُوى عن سفيان الثورى رحمه الله أنه قال : لولا أبو هاشم الصوفى ماعرفت دقيق الرياء ، وقد ذكر فى الكتاب الذى جُمع فيه أخبار مكة عن محمد ابن إسحاق بن يسار ، وعن غيره يذكر فيه حديثاً : أنه قبل الإسلام قد

خلت مكة فى وقت من الأوقات ، حتى كان لا يطوف بالبيت أحد ، وكان يجىء من بلد بعيد رجل صوفىّ فيطوف بالبيت و ينصرف ؛ فإن صح ذلك فإنه يدل على أنه قبل الإسلام كان يعرف هذا الاسم ، وكان يُنسب إليه أهل الفضل والصلاح ، والله أعلم .

باب إثبات علم الباطن
والبيان عن صحة ذلك بالحجــــة

قال الشيخ رحمه الله : أنـكرت طائفة من أهل الظاهر وقالوا : لا نعرف إلا علم الشريعة الظاهرة التى جاء بها الـكتاب والسنة ، وقالوا : لامعنى لقولـكم علم الباطن وعلم التصوف ، فنقول ، و بالله التوفيق .

إن علم الشريعة علم واحد ، وهو اسم واحد يجمع معنيَين : الرواية والدراية ؛ فإذا جمعتَهما فهو علم الشريعة الداعية إلى الأعمال : الظاهرة والباطنة ، ولا يجوز أن يجرّد القول فى العلم : أنه ظاهر أو باطن ؛ لأن العلم متى ما كان فى القلب فهو باطن فيه إلى أن يجرى و يظهر على اللســـان ؛ فإذا جرى على اللسان فهو ظاهر ، غير أنّا نقول :

إن العلم : ظاهر ، و باطن ، وهو عـلم الشريعة الذى يدل و يدعو إلى الأعمال الظاهرة والبـاطنة ، والأعمال الظاهرة كأعمال الجوارح الظاهرة ، وهى العبادات والأحكام ، مثل الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد وغير ذلك ؛ فهذه العبادات ، وأما الأحكام فالحدود والطـلاق والعتاق والبيوع والفرائض والقصاص وغيرها ، فهذا كله على الجوارح الظاهرة التى هى الأعضــاء ، وهى الجوارح ، وأما الأعمال الباطنة فـكأعمال القلوب وهى المقامات والأحوال ، مثل التصديق والإيمان واليقين والصــدق والإخلاص والمعرفة والتوكل والمحبة

والرضا ، والذكر ، والشكر ، والإنابة ، والخشية ، والتقوى ، والمراقبة ، والفكرة والاعتبار ، والخوف، والرجاء ، والصبر ، والقناعة ، والتسليم ، والتفويض، والقرب، والشوق ، والوجد ، والوجل ، والحزن ، والندم ، والحياء ، والخجل ، والتعظيم ، والإجلال، والهيبة ، ولكل عمل من هذه الأعمال الظاهرة والباطنة علمٌ وفقه وبيان وفهم وحقيقة ووجد ، ويدل على صحة كل عمل منها من الظاهر والباطن آيات من القرآن وأخبار عن الرسول صلى الله عليه وسلم علمه من علمه وجهله من جهله ؛ فإذا قلنا : علم الباطن أردنا بذلك علم أعمال الباطن التى هى على الجارحة الباطنة ، وهى القلب ، كما أنا إذا قلنا : علم الظاهر أشرنا إلى علم الأعمال الظاهرة التى هى على الجوارح الظاهرة،وهى الأعضاء، وقد قال الله تعالى: « وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً »[1] فالنعمة الظاهرة ما أنعم الله تعالى بها على الجوارح الظاهرة من فعل الطاعات ، والنعمة الباطنة ما أنعم الله تعالى بها على القلب من هذه الحالات، ولا يستغنى الظاهر عن الباطن ، ولا الباطن عن الظاهر ، وقد قال الله عز وجل : « وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ »[2] ؛ فالعلم المستنبط هو العلم الباطن ، وهو علم أهل التصوّف ، لأن لهم مستنبطات من القرآن والحديث وغير ذلك ، ونحن نذكر إن شاء الله طرفاً من ذلك ؛ فالعلم ظاهر وباطن ، والقرآن ظاهر وباطن ، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهر وباطن ، والإسلام ظاهر وباطن ، ولأصحابنا فى معنى ذلك استدلالات واحتجاجات من الكتاب والسنة والعقل ، وشرحه يطول ويخرج على حدّ الاختصار إلى حد الإكثار ، وفيما قلنا كفاية ، وبالله التوفيق .

---

(١) لقمان : ٢٠

(٢) النساء : ٨٣

باب التصوف : ماهو ونعته وماهيته ؟

قال الشيخ رحمه الله : فأمّا التصوف ونعته وماهيته فقد سُئِل محمد بن على القصّاب ، وهو أستاذ الُجنيْد رحمه الله عن التصوف : ما هو ؟ قال : أخلاق كريمة ظهرت فى زمان كريم من رجل كريم مع قوم كرام .

وسُئِل الجنيد رحمهُ الله عن التصوّف ، فقال : أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة .

وسُئل رُوَيْم بن أحمد رحمه الله عن التصوف ، فقال : استرسال النفس مع الله تعالى على مايريده .

وسئل سمنون رحمه الله عن التصوف ، فقال : أن لا تملك شيئاً ولا يملكك شيء

وسئل أبو محمد الجريرى رحمه الله عن التصوف ، فقال : الدخول فى كل خُلق سنى والخروج من كل خلق دنى .

وسئل عمرو بن عثمان المكى رحمه الله عن التصوف ، فقال : أن يكون العبد فى كل وقت بما هو أولى فى الوقت .

وسئل على بن عبد الرحيم القناد رحمه الله عن التصوف ، فقال : نشر مقام واتصال بدوام .

باب صفة الصوفية، ومن هم ؟

قال الشيخ رحمه الله : وأما صفة الصوفية ومن هم : فقد قيل لعبد الواحد بن زَيد ، كما بلغنى ، وكان ممن يصحب الحسن رحمه الله . وكان من أجلة أصحابه : مَنِ الصوفية عندك ؟ فقال : القائمون بعقولهم على همومهم والعاكفون عليها بقلوبهم ، المعتصمون بسيدهم من شر نفوسهم ، هم الصوفية .

وسئل ذو النون المصرى رحمه الله عن الصوفى ، فقال : هو الذى لايتعبه طلب

ولا يزعجه سلب ، وقال أيضاً : هم قوم آثروا الله تعالى على كل شيء فآثرهم الله على كل شيء .

وقيل لبعضهم : من أصحبُ ؟ فقال : اصحب الصوفية ، فإن للقبيح عندهم وجوهاً من المعاذير ، وليس للكثير عندهم موقع فيرفعوك به فتعجب نفسك .

وسئل الجنيد بن محمد رحمه الله عن الصوفية : من هم ؟ فقال : أثرة الله فى خلقه يخفيها إذا أحب و يظهرها إذا أحب .

وقيل لأبى الحسين أحمد بن محمد النورى رحمه الله : من الصوفى ؟ فقال : من سمع السماع وآثر بالأسباب .

وأهل الشام يسمون الصوفية فقراء ، و يقولون قد سماهم الله تعالى فقراء فقال : « للفُقَرَاءِ المهَاجِرِينَ الذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ[١] » وقوله تعالى : « لِلفُقَرَاءِ الّذِينَ أُحْصِرُوا فى سَبِيلِ اللهِ[٢] » .

وقيل لأبى عبد الله أحمد بن محمد بن يحيى الجلاء رحمه الله مامعنى الصوفى ؟ قال : ليس نعرفه فى شرط العلم ، ولكن نعرف فقيراً مجرداً من الأسباب كان مع الله عز وجل بلا مكان ولا يمنعه الحق من علم كل مكان سُمى صوفياً .

وقد قيل : كان فى الأصل صفوى فاستُثقل ذلك فقيل : صوفى .

وسئل أبو الحسن القناد رحمه الله عن معنى الصوفى فقال : مأخوذ من الصفاء وهو القيام لله عز وجل فى كل وقت بشرط الوفاء .

وقال بعضهم : من إذا استقبله حالان أو خُلقان حسنان فيكون مع الأحسن والأعلى .

---

(١) تكملة الآية: «وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولائك هم الصادقون» ٢٢ الحشر : ٨

(٢) تكملة الآية : «لايستطيعون ضربا فى الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من ~~التصرف~~ التعفف فتعرفهم بسيماهم لايسألون الناس إلحافا وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم » البقرة ~~٢٧٥~~ ٢٧٢

وسئل آخر عن معنى الصوفى فقال : معناه أن العبد إذا تحقق بالعبودية وصافاه الحق حتى صفا من كدر البشرية نزل منازل الحقيقة وقارن أحكام الشريعة ، فإذا فعل ذلك فهو صوفى[٢] ، لأنه قد صوفى .

قال الشيخ رحمه الله : فإذا قيل لك : الصوفية من هم فى الحقيقة ؟ صِفهم لنا فقل : هم العلماء بالله و بأحكام الله ، العاملون بمـــا علمهم الله تعالى ، المتحققون بما استعملهم الله عز وجل ، الواجدون بما تحققوا ، الفانون بما وجدوا ، لأن كل واجد قد فنى بما وجد .

وقال القناد رحمه الله : التصوف اسم قد وقع على ظاهر اللبسة ، وهم متفاوتون فى معانيهم وأحوالهم . .

وسئل الشبلى رحمه الله: لِمَ سُميت الصوفية بهذا الاسم ؟ فقال : لُبقيا بقيت عليهم من نفوسهم ، ولولا ذلك لما لافت بهم الأسماء ، ولا تعلقت بهم .

وقد قيل أيضاً : إن الصوفية هم بقية من بقايا أهل الصُّفّة .

وأما من قال : إنه اسم واقع على ظاهر اللبسة فقد رُوى فى ذلك أخبار فى ذكر من لبس الصوف ، واختار لبسه من الأنبياء والصالحين وذكره يطول .

وقد أجاب عن التصوف: ما هو؟ جماعة بأجوبة مختلفة ، منهم إبراهيم بن المولد الرقى ، قد أجاب عنها بأكثر من مائة جواب ، وفيما ذكرناه كفاية ؛ وقد قال على بن عبد الرحيم القناد رحمه الله فى التصوف واندراس أهله شعراً :

أَهْلُ التَّصَوُّفِ قد مَضَوْا صارَ التَّصَوُّفِ مَخْرَقَهْ
صارَ التَّصَوُّفِ صَيْحَـــةً وتَوَاجُداً ومُطَبَّقَهْ
مَضَتِ العُـــلومُ فلا عُلومَ ولا قُلوبٌ مُشْرِقَهْ
كَـذَبَتْكَ نفسُكَ ليسَ ذَا سَنَنَ الطَّرِيقِ المَخْلَقَهْ
حَتَّى تَكُونَ بِعَيْنِ مَنْ عَنْهُ العُيُونُ المُحْدِقَهْ
تَجْرِى عَلَيْكَ صُرُوفُهُ وهُمُومُ سِرِّكَ مُطْـــرِقَهْ

ولبعض المشايخ فى التصوف ثلاثة أجوبة : جواب بشرط العلم ، وهو تصفية القلوب من الأكدار ، واستعمال الخُلق مع الخليفة ، واتباع الرسول فى الشريعة ، وجواب بلسان الحقيقة ، وهو عدم الأملاك ، والخروج من رِق الصفات والاستغناء بخالق السموات ، وجواب بلسان الحق ، أصفاهم بالصفاء عن صفاتهم ، وصفاهم من صفاتهم ، فسموا صوفيةً .

وقلت للحصرى رحمه الله : من الصوفى عندك ؟ قال : الذى لا تقله الأرض ولا تظله السماء، معناه : أنه ، وإن كان على الأرض وتحت السماء فالله عز وجل الذى يقله بالأرض ويظله بالسماء ، لا السماء ولا الأرض .

وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه كان يقول أى أرض تقلنى ؛وأى سماء تظلنى؛ إذا قلت فى كتاب الله عز وجل برأيى

باب التوحيد ، وصفة الموحد ، وحقيقته ، وكلامهم فى معنى ذلك

قال الشيخ رحمه الله : بلغنى عن يوسف بن الحسين الرازى رحمه الله أنه قال : قام رجل بين يدى ذى النون المصرى رحمه الله فقال : خبرنى عن التوحيد :ماهو ؟ قال : هو أن تعلم أن قدرة الله تعالى فى الأشياء بلا مزاج، وصنعه للأشياء بلا علاج، وعلة كل شىء صُنعه ولا علة لصنعه ، وليس فى السموات العلى ولا فى الأرضين السفلى مدبر غير الله تعالى ، ومهما تصور وهمك فالله تعالى بخلاف ذلك ، أو قال غير ذلك .

وقال الجنيد رحمه الله ، وقد سئل عن التوحيد ، فقال : إفراد الموحد بتحقيق وحدانيته بكمال أحديته بأنه الواحد الذى لم يلد ولم يولد بنفى الأضداد والأنداد والأشباه وما عُبد من دونه ، بلا تشبيه ولا تكييف ولا تصوير ولا تمثيل ، إلٰهاً واحداً صمداً فرداً ليس كمثله شىء وهو السميع البصير .

وسئل جنيد رحمه عن التوحيد مرة أخرى ، فقال : معنى تضمحل فيه الرسوم وتندرج فيه العلوم ، ويكون الله تعالى كما لم يزل .

قال أبو نصر رحمه الله : فالجوابان اللذان لذى النون والجنيد رحمهما الله فى التوحيد هما ظاهران ، أجابا عن توحيد العام ، وهذا الجواب الذى ذكرناه أشار إلى توحيد الخاصة .

وقد سئل الجنيد رحمه الله عن توحيد الخاصة ، فقال : أن يكون العبد شبحاً بين يدى الله عز وجل تجرى عليه تصاريف تدبيره فى مجارى أحكام قدرته فى لُجَج بحار توحيده بالفناء عن نفسه وعن دعوة الخلق له وعن استجابته بحقائق وجود وحدانيته فى حقيقة قربه بذهاب حسه وحركته ، لقيام الحق له فيما أراد منه ، وهو أن يرجع آخر العبد إلى أوله ، فيكون كما كان قبل أن يكون ؛ وقال أيضاً . التوحيد هو الخروج من ضيق رسوم الزمانية إلى سعة فِناء السرمدية .

فإن قال قائلٌ : مامعنى قوله : يرجع آخر العبد إلى أوله فيكون كما كان قبل أن يكون ، فيقول : بيان ذلك فيما قال الله عز وجل : « وإذْ أخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ . الآية[1] »

قال الجنيد رحمه الله في معنى ذلك : فمن أين كان وكيف كان قبل أن يكون ؟ وهل أجابت إلاّ الأرواح الطاهرة بإقامة القدرة وإنفاذ المشيئة ؟ فهو الآن في الحقيقة كما كان قبل أن يكون ، وهذا غاية حقيقة التوحيد للواحد : أن يكون العبد كما لم يكن ، ويبقى الله تعالى كما لم يزل ؛ قال رجل للشبلي رحمه الله ، واسمه دُلَف بن جَحْدَر : ياأبا بكر أخبرني عن توحيد مجرد بلسان حق مفرد ، فقال : ويحك ! من أجاب عن التوحيد بالعبارة فهو مُلحد ، ومن أشار إليه فهو ثَنَوِي ، ومن سكت عنه فهو جاهل ، ومن وهم أنه واصلٌ فليس له حاصلٌ ، ومن أوما إليه فهو عابد وَثَنٍ ، ومن نطق فيه فهو غافل ، ومن ظن أنه قريب فهو بعيد ، ومن تواجد فهو فاقد ، وكلما ميزتموه بأوهامكم وأدركتموه بعقولكم في أتم معانيكم فهو مصروف مردود إليكم محدث مصنوع مثلكم.

وإن أخذنا في شرح ما قال الشبلي رحمه الله كما يجب فيطول ذلك ، ولكن على الإيجاز والاختصار كأنه يريد بما أجاب عن التوحيد : إفراد القديم عن المُحْدَث ، وأن ليس للخلق طريق إلا ذكره ووصفه ونعته ، على مقدار ما أبْدَى إليهم ورسم لهم .

قال الشيخ رحمه الله : ووجدت ليوسف بن الحسين في التوحيد ثلاث أجوبة :

جواب منها في توحيد العامة ؛ وهو الانفراد بالوحدانية بذهاب رؤية الأضداد والأنداد والأشباه الأشكال مع السكون إلى معارضة الرغبة والرهبة بذهاب حقيقة التصديق لأنه ببقاء حقيقة التصديق لا يسكن إلى معارضة الرغبة والرهبة .

---

(١) التكملة : وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين » : الأعراف : ١٧٢ .

والجواب الثانى : توحيد أهل الحقائق على الظاهر ، وهو الإقرار بالوحدانية بذهاب رؤية الأسباب والأشباه بإقامة الأمر والنهى فى الظاهر والباطن بإزالة معارضة الرهبة والرغبة مما سواه بقيام شواهد الحق مع قيام شواهد الدعوة والاستجابة ، فإن قيل : ما معنى قوله : إزالة معارضة الرهبة والرغبة وهما حقان ؟ فيقال : هما حقان ، هما فى موضعهما كما هما ، ولكن قهرَهما سلطان الوحدانية كما قهر سلطان ضوء الشمس ضوء الكواكب وهى فى مواضعها .

والجواب الثالث : توحيد الخاصة ، وهو أن يكون العبد بسره ووجده وقلبه كأنه قائم بين يدى الله عز وجل تجرى عليه تصاريف تدبيره ، وتجرى عليه أحكام قدرته فى بحار توحيده بالفناء عن نفسه وذهاب حسه بقيام الحق له فى مراده منه ، فيكون كما كان قبل أن يكون يعنى فى جريان أحكام الله عليه وإنفاذ مشيئته فيه .

وبيان ذلك كما قال الجُنَيْد رحمه الله فى قوله عز وجل : «وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ » الآية وقد ذكرناه .

قال الشيخ رحمه الله : ولهم فى حقيقة التوحيد لسان آخر ، وهو لسان الواجدين ؛ وإشاراتهم فى ذلك تبعد عن الفهم ونحن نذكر من ذلك طرَفاً كما يُمكن شرحه ، وهذا العلم أكثرُهُ إشارة لا تخفى على من يكون أهله ، فإذا صار إلى الشرح والعبارة يخفى ويذهب رَوْنقه ، وإنما دعانى إلى شرحه لأنى وضعته فى الكتاب ، والكتاب ربما ينظر فيه من يفهم ومن لا يفهم فيهلك ، وهو مثل قول رُوَيْم بن أحمد بن يزيد البغدادى رحمه الله ، حين سئل عن التوحيد ، فقال : محوُ آثار البشرية ، وتجرد الألوهية ، وإنما يريد بقوله : محو آثار البشرية تبديل أخلاق النفس ، لأنها تدعى الربوبية بنظرها إلى أفعالها ، كقول العبد : أنا وأنا ، لا يقول إلا الله ، إذ الإنية لله عز وجل ، فهذا معنى محو آثار البشرية ، ومعنى قوله تجرد الألوهية يعنى إفراد القديم عن المُحْدَثات .

وقال آخر التوحيد نسيان ما سوى التوحيد بالتوحيد ، يعنى فيما يوجب حُكمْ الحقيقة ؛ وقال : الوحدانية بقاء الحق بفناء كل مادون ، يعنى:فناء يوجب فناء،يوجب حُكمْ الحقيقة ، وقيل : الوحدانية بقاء الحق وفناء كل ما دونه ، يعنى: فناء العبد عن ذكر نفسه وقلبه بدوام ذكر الله تعالى وتعظيمه .

وقال آخر: ليس فى التوحيد خَلْقٌ ، وما وحد الله غيرُ الله ، والتوحيد للحق من الخلق طُفَيْلِىّ،قلنا:و بيان ذلك وما أشار إليه هؤلاء. والله أعلم فى قول الله تعالى:(شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لاَ إِلٰهَ إِلا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ[1]) فقد شهد لنفسه بالوحدانية قبل الخلق لحقيقة التوحيد من حيث الحق ما شهد الله لنفسه بالوحدانية قبل الخلق ، ومن حيث الخلق فقد وحدوه حقيقة ووجداً على مقدار ماقسم لهم وأرادهم بذلك ، وهوقوله تعالى: «وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ » وأما من طريق الإقرار فأهل القبلة متساوون فيها ، والمعول على ما فى القلب لا على ما فى اللسان ، وقد قال الشبلى رحمه الله : ما شم روائح التوحيد من تصور عنده التوحيد وشاهد المعانى وأثبت الأسامى وأضاف الصفات وألزم النعوت ، ومن أثبت هذا كله ونفى هذا كله فهو موحد حكما ورسماً لا حقيقة ووجداً .

قال الشيخ رحمه الله : معناه والله أعلم :أنه يثبت الصفات والنعوت على رسم ما رسم له من ذلك ، ولا يثبتها من حيث الإدراك والإحاطة[2] والتوهم .

وقال غيره من العارفين : أما التوحيد : فهو الذى يُعَمِّى البصير ، و يحير العاقل ، ويُدهش الثابت .

قلت : لأنه من تحقق بذلك وجد فى قلبه من عظمة الله تعالى وهيبته مايدهشه و يحير عقله إلا من يُثبته الله تعالى .

---

(١) آل عمران : ١٨

(٢) فى نسخة أخرى والتفهم

وقال أبو سعيد أحمد بن عيسى الخرّاز رحمه الله :

أول مقام لمن وَجَدَ علم التوحيد وحقّق بذلك : فناء ذكر الأشياء عن قلبه وانفراده بالله عز وجل .

وقال ، أيضاً: أول علامة التوحيد : خروج العبد عن كلّ شيء ، ورد جميع الأشياء إلى متوليها ، حتى يكون المتولّى بالمتولِي ناظراً إلى الأشياء قائماً بها مُتمكناً فيها ، ثم يُخفيهم فى أنفسهم من أنفسهم ، و يُميت أنفسهم فى أنفسهم و يصطنعهم لنفسه . فهذا أول دخول فى التوحيد من حيث ظهور التوحيد بالديمومية .

قال : و بيان ذلك، والله أعلم : فناء ذكر الأشياء بذكر الله تعالى ؛ ومعنى خروجه عن كل شيء يعنى لا يضيف إلى نفسه واستطاعته شيئاً ، و يرى قوام الأشياء بالله فى الحقيقة لا بهم ، ومعنى قوله : حتى يكون المتولى بالمتولى ناظراً إلى الأشياء قائماً بها يشير إلى تولية الحق له ومايستولى عليه من حقائق التوحيد ، حتى يرى قوام الأشياء بالله عز وجل لا بذواتها ، ألا ترى إلى قول القائل :

وفى كلّ شيء له شاهد يَدُلُّ عَلَى أنَّهُ واحِدُ

وأما قوله : « متمكناً فيها » يريد بذلك أن التلوين لايجرى عليه فى نظره إلى الأشياء ؛ فإن قوامها بالله عزوجل ، ثم قال : « يخفيهم فى أنفسهم من أنفسهم ، و يميت أنفسهم فى أنفسهم » ، يعنى لايحسون حساً ، ولايلاحظون حركة من حركاتهم الظاهرة والباطنة يوماً إليها فى الحقيقة إلا وهى منطمسة تحت سلطان القدرة و إنفاذ المشيئة ، و إن أضيفت إلى المضاف إليه .

وقال الشبلى ، رحمه الله لرجل : تدرى لم لايصح لك التوحيد ؟

قال : لا .

قال : لأنك تطلبه بإياك .

وقال ، أيضاً : لايصح التوحيد إلا لمن كان جحدُه إثباتَه ، فسئل عن الإثبات فقال : إسقاط الياءات .

معناه ، والله أعلم ، أن الموحد فى الحقيقة يجحد إثباته إياه : يعنى إثبات نفسه فى جميع الأشياء بسره كقوله : بى ولى ومنى و إلىّ وعلىّ وفىّ وعنى ، فيسقط هذه الياءات و يجحدها بسره ، و إن كانت جارية ، من حيث الرسم على لسانه .

وقال الشبلى رحمه الله ، الرجل ، أيضاً : توَحِدُ توحيدَ البشرية أوتوحيد الإلٰهية؟ فقال : فيهما فرقٌ ؟ فقال : نعم .

توحيد البشرية : خوف العقوبات . وتوحيد الألوهية توحيد التعظيم .

قال الشيخ رحمه الله : قلتُ : إن معناه أن من صفة البشرية طلب العوض ورؤية الفعل والطمع فى غير الله عزوجل ؛ وليس من وحد الله تعالى إجلالا لله كمن وحده خوفاً من عقوبته ، و إن كان الخوف من عذاب الله عزوجل حالة شريفة .

وقال الشبلى رحمه الله : من اطلع على ذرة من علم التوحيد ضعف عن حمل بقة لثقَلِ ماحمل .

وقال ، مرة أخرى : من اطلع على ذرة من علم التوحيد حمل السموات والأرض على شعرة من جفن عينيه .

وقال : معناه ، والله أعلم : أن السموات والأرض وجميع ماخلق الله عز وجل يتصاغر فى عينه ، عند مايشاهد بقلبه بأنوار التوحيد من عظمة الله عز وجل .

١٥ وقد روى : «أن لجبريل عليه السلام ستمائة جناح ، جناحان منها إذا نشرهما غطى بهما المشرق والمغرب» .

١٦ وقد روى ، أيضاً فى الحديث عن ابن عباس رضى الله عنه : «أن صورة جبريل عليه السلام فى قائمة الكرسى مثل الزردة فى الجوشن » .

ويقال : « إن جبريل عليه السلام والعرشَ والكرسى ، كل هذا مع الملكوت ١٧
الذى ظهر لأهل العلم بالله عز وجل ، فإنما هى كرَمْلة فيما وراء الملكوت بل أقل
من ذلك » .

وقال أبوالعباس أحمد بن عطاء البغدادى رحمه‌الله فى بعض كلامه : علامة حقيقة التوحيد نسيان التوحيد ، وصدق التوحيد أن يكون القائم بهواحداً يريد بذلك: أن ينسى العبد رؤية توحيده فى توحيده برؤية قيام الله عزوجل له بذلك قبل خلقه ؛ لإنه لولم يُرِدْهم بذلك ما أرادوه[1] ولا وحدوه .

ولمشايخنا فى التوحيد مصنفات . وقد قصدنا إلى القليل المشكل من ألفاظهم ليُستدرَك به ما ألم أذكره ، إن شاء الله .

---

(١) يناسب هذا قول الله تعالى : « وماتشاءون إلا أن يشاء الله »

باب ماقالوا فى المعرفة ، وصفة العارف

وحقيقة ذلك ببيانها

سئل أبو سعيد الخراز رحمه الله عن المعرفة فقال :

المعرفة تأتى من وجهين : من عين الجود ، و بذل[1] المجهود .

وسئل أبو تراب النخشبي ، رحمه الله ، عن صفة العارف فقال :

هو الذى لا يكدره شيء ، و يصفو به كل شيء .

وقال أحمد بن عطاء ، رحمه الله :

المعرفة : معرفتان : معرفة حق ، ومعرفة حقيقة فمعرفة الحق : معرفة وحدانيته ، على ما أبرز للخلق من الأسامى والصفات . ومعرفة الحقيقة على أن لاسبيل إليها ؛ لامتناع الصمدية وتحقيق الر بو بية ؛ لقوله ، عز وجل :

« وَلاَ يُحِيطونَ بِهِ عِلْماً[2] »

قال أبو نصر ، رحمه الله : معنى قوله : لاسبيل إليها يعنى إلى المعرفة على الحقيقة ؛ لأن الله تعالى أبرز لخلقه من أسمائه وصفاته ماعلم أنهم يطيقونه ؛ ذلك لأن حقيقة معرفته لا يطيقها الخلق ، ولا ذرة منها ؛ لأن الكون بما فيه يتلاشى ، عند ذرة من أول باد يبدو من بوادى سطوات عظمته فمن يطيق معرفة من يكون هذا صفة من صفاته ؟ فلذلك قال القائل :

ما عرفه غيره ولاأحبه سواه ؛ لأن الصمدية ممتنعة عن الإحاطة والإدراك . قال الله عز وجل :

« وَلاَ يُحِيطونَ بِشَيء مِنْ عِلْمِهِ »[3] .

---

(١) هذه الفكرة الصحيحة فيا يتعلق بالمعروف : فبعضها لاشك هبة من الله ، وبعضها كسب للعبد

(٢) طه : ١١٠ (٣) البقرة : ٢٥٥

وقد حكى فى هذا المعنى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، أنه قال :

«سبحان من لم يجعل للخلق طريقاً إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته». ١٨

وسئل الشبلى :

متى يكون العارف بمشهد من الحق ؟ قال :

إذا بدا الشاهد ، وفنى الشواهد ، وذهب الحواس ، واضمحل الإحساس .

وسئل أيضاً :

ما بدؤ هذا الشأن وما انتهاؤه ؟ قال :

بدؤه معرفته ، وانتهاؤه توحيده وقال :

من علامة المعرفة : أن يرى نفسه فى قبضة العزة ، ويجرى عليه تصاريف القدرة .

ومن علامة المعرفة : المحبة ، لأن من عرفه أحبه .

وبلغنى عن أبى يزيد طيفور بن عيسى البسطامى ، رحمه الله أنه سئل عن صفة العارف ، فقال :

لون الماء لون إنائه إن صببته فى إناء أبيض خلته أبيض ، وإن صببته فى إناء أسود خلته أسود ؛ وكذلك الأصفر والأحمر ، وغير ذلك . يتداوله الأحوال ، وولىُّ الأحوال وليُّه .

وقال الشيخ ، رحمه الله : معناه ، والله أعلم : أن الماء على قدر صفائه بصفة لون إنائه ، ولا يغيره لون إنائه عن صفائه وحاله ، ويخال الناظر إليه أبيض أو أسود ، وهو فى الإناء بمعنى واحد ، وكذلك العارف وصفته مع الله ، عز وجل فيما يتداوله الأحوال يكون سره مع الله تعالى بمعنى واحد .

وسئل الجنيد رحمه الله عن معقول العارفين ، فقال :

ذهبوا عن وصف الواصفين .

وسئل بعضهم عن المعرفة فقال : مطالعة القلوب لإفراده على لطائف تعريفه .

وسئل الجنيد، رحمه الله، فقيل له: ياأبا القاسم ماحاجة العارفين [إلى الله تعالى]؟ قال حاجتهم إليه: كلاءته ورعاية لهم.

وقال محمد بن الفضل السمرقندى، رحمه الله، بل لاحاجة لهم ولا اختيار؛ إذ بغير الحاجة والاختيار نالوا ما نالوا؛ لإن قيام العارفين بموجدهم وبقاءهم بموجدهم وفناءهم بموجدهم.

وقيل لمحمد بن الفضل، رحمه الله: حاجة العارفين إلى ماذا؟ قال: حاجتهم إلى الخصلة التي كملت بها المحاسن كلها، وبفقدها قبحت المقابح كلها وهى الاستقامة[1].

وسئل يحيى بن معاذ رحمه الله، عن صفة العارف، فقال: داخل معهم بائن منهم.

وسئل مرة أخرى عن العارف فقال: عبد كان فبان.

وقيل لأبى الحسين النورى، رحمه الله: كيف لا تدركه العقول ولا يعرف إلا بالعقول؟ فقال:

كيف يدرك ذو أمَدٍ من لا أمَدَ له، أم كيف يدرك ذو عاهة من لا عاهة له ولا آفة، أم كيف يكون مكيفاً من كيف الكيف، أم كيف يكون مُحَيِّثاً من حيث الحَيْث فسماه حيثاً، وكذلك أوّل الأول، وأخَّرَ الآخر، فسماه أولا وآخراً؛ فلولا أنه أول الأولَ وأخرَ الآخر ماعُرِف ما الأولية وما الآخرية.

ثم قال: وما الأزلية فى الحقيقة إلا الأبدية، ليس بينهما حاجزٌ، كما أن الأولية هى الآخرية والآخرية هى الأولية، وكذلك الظاهرية والباطنية، إلا أنه يفقدك وقتاً ويشهدك وقتاً لتجديد اللذة ورؤية العبودية، لأن من عرفه بالخلقة لم يعرفه بالمباشرة؛ لأن الخلقة على معنى قوله: كنْ، والمباشرة إظهار حرْمة لا استهانة فيه.

---

(١) يقول الله لرسوله فاستقم كما أمرت والرسول صلى الله عليه وسلم هو الذى يقول الله له: « وإنك لعلى خلق عظيم ».

قلتُ: معنى قوله : مباشرة يعني مباشرة يقين ومشاهدة القلب بحقائق الإيمان بالغيب.

قال الشيخ رحمه الله : والمعنى ، فيما أشار إليه والله أعلم ، أن التوقيت والتغيير لا يجوز على الله تعالى ، فهو فيما كان كهو فيما يكون ، وهو فيما قال كهو فيما يقول ، والأدنى عنده كالأقصى ، والأقصى عنده كالأدنى ، و إنما يقع[1] التفاوت للخلق من حيث الخلق[2] والتلوين في القرب والبعد والسخط والرضا صفة للخلق وليس ذلك من صفات الحق ، والله أعلم .

وقال أحمد بن عطاء ، رحمه الله ، في كلام له في معنى المعرفة : ويحكى أيضاً عن أبي بكر الواسطي رحمه الله والصحيح لابن عطاء رحمه الله قال : إنمـا قبحت المستقبحات باستتاره وحسنت المستحسنات بتجليه ؛ فإنهما نعتان يجريان على الأبد بما جريا به في الأزل يظهر الوسمين على المقبولين والمطرودين ، فقد بان شواهد تجليه على المقبولين بضيائها كما بان شواهد استتارة على المرودين بظلمتها . فما ينفع بعد ذلك الألوان المصفرة ولا الأكمام المقصرة ولا التدرع بالمطبقة والمرقّعة .

قلت: وهذا الذي قال ابن عطاء ، رحمه الله ، معناه قريب من قول أبي سليمان عبد الرحمن بن أحمد الداراني ، رحمه الله ، حيث يقول :

ليس أعمال الخلق بالذي يسخطه ولا بالذي يرضيه ، و إنما رضي عن قوم فاستعملهم بعمل أهل الرضا ، وسخط على قوم فاستعملهم بعمل أهل السخط .

ومعنى قول ابن عطاء رحمه الله : قبحت المستقبحات باستتاره ، يعني بإعراضه عنها وحسنت المستحسنات بتجلية يعني بإقباله عليهما وقبوله لها ، ومعنى ذلك كما جاء في الحديث :

---

(١) في نسخة أخرى التعارف .

(٢) في نسخة أخرى التكوين

١٩ «خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم و بيده كتابان : كتاب بيمينه و كتاب بشماله، فقال : هذا كتاب أهل الجنة بأسمائهم وأسماء آبائهم ، وهذا كتاب أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم» الحديث

وقال أبو بكر الواسطى ، رحمه الله ، لما تعرف بنفسه إلى خاصته : امتحقت نفوسهم فلم يشهدوا وحشة بشواهد الأول مما يبدو لهم من شواهد الحظوظ ، و كذلك كل من أعقب بمعنى ، وهذا معناه ، والله أعلم: أن شاهد الأولية ، فيما عرف بما تعرف إليه معبوده لم يشهد وحشة مع معرفته بذلك فيما سواه ولا أنساً بهم .

باب فى صفة العارف

وما قالوا فيه

قال يحيى بن معاذ الرازى ، رحمه الله : ما دام العبد يتعرف فيقال : لا تختر شيئاً ، ولا تكن مع اختيارك حتى تعرف ، فإذا عرف وصار عارفاً فيقال له : إن شئت اختر وإن شئت لا تختر ، لأنك إن اخترت فباختيارنا اخترت ، وإن تركت الاختيار فباختيارنا تركت الاختيار ، فإنك بنا فى الاختيار وفى ترك الاختيار .

وقال يحيى بن معاذ ، رحمه الله : الدنيا عروس ومن يطلبها ما شطتها ، والزاهد فيها يسخم وجهها وينتف شعرها ويخرق ثوبها ، والعارف بالله مشتغل بسيده لا يلتفت إليها .

وقال : إذا ترك العارف أدبه عند معرفته فقد هلك مع الهالكين .

وقال ذو النون ، رحمه الله : علامة العارف ثلاثة : لا يطفىء نورُ معرفته نور ورعه ، ولا يعتقد باطناً من العلم ينقض عليه ظاهراً من الحكم ، ولا يحمله كثرة نعم الله تعالى عليه وكرامته على هتك أستار محارم الله تعالى .

وقال بعضهم : ليس بعارف من وصف المعرفة عند أبناء الآخرة ، فكيف عند أبناء الدنيا ؟

وقال : إن التفت العارف إلى الخلق عن معروفه بغير إذنه ، فهو مخذول بين خلقه .

وقال : كيف تعرفه وليس فى قلبك سلطان هيبته ؟ وكيف تذكره وتحبه وليس فى قلبك وجود ألطافه وأنت غافل عما ذكرك به قبل خلقه ؟

سمعت محمد بن أحمد بن حمدون الفراء يقول : سمعت عبد الرحمن الفارسي وقد سئل عن كمال المعرفة فقال : إذا اجتمعت المتفرقات واستوت الأحوال والأماكن وسقطت رؤية التمييز .

وقال أبو نصر ، رحمه الله : معنى ذلك أن يكون وقت العبد وقتاً واحداً بلا تغيير ، ويكون العبد في جميع أحواله بالله ولله مأخوذاً عما سوى الله فعند ذلك يكون هذا حاله .

باب فى قول القائل بم عرفت الله ؟ والفرق

بين المؤمن والعارف

قيل لأبى الحسين النورى ، رحمه الله : بم عرفت الله تعالى ؟ فقال : بالله قيل : فما بال العقل ؟ قال : العقل عاجز لا يدل إلا على عاجز مثله ، «لما خلق الله العقل قال ٢٠ له : من أنا فسكت ، فكحله بنور الوحدانيه فقال : أنت الله » فلم يكن للعقل أن يعرف الله إلا بالله .

وسئل عن أول فرض افترض الله تعالى على عباده ما هو ؟ فقال : المعرفة ؛ لقوله تعالى : « وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ »[1] وقال ابن عباس ، رضى الله عنه : لِيَعْرِفونِ .

وسئل بعضهم ما المعرفة ؟ فقال :

تحقيق القلب بإثبات وحدانيته بكمال صفاته وأسمائه ؛ فإنه المتفرد بالعز والقدرة والسلطان والعظمة الحى الدائم الذى ليس كمثله شىء ، وهو السميع البصير بلا كيف ولا شبه ولا مثل ، بنفى الأضداد والأنداد والأسباب ، عن القلوب .

وقد قيل ، أيضا : إن أصل المعرفة موهبة . والمعرفة نار والإيمان نور ، والمعرفة وجد ، والإيمان عطاء ؛ والفرق بين المؤمن والعارف :

المؤمن ينظر بنور الله ، والعارف ينظر بالله عز وجل ؛ وللمؤمن قلب وليس للعارف قلب ، وقلب المؤمن يطمين بالذكر ولا يطمين العارف بسواه .

---

(١) الذاريات : ٥٦

والمعرفة على ثلاثة أوجه : معرفة إقرار ، ومعرفة حقيقة ، ومعرفة مشاهدة ؛ وفى معرفة المشاهدة يندرج الفهم والعلم والعبارة والكلام ؛ والإشارات فى المعرفة ووصفها كثير ، وفى القليل كفاية وغنية المستدل والمسترشد ، و بالله التوفيق .

وعن الحسن بن على بن حيويه الدامغانى قال : سئل أبو بكر الزاهراباذى عن المعرفة فقال : المعرفة اسم ، ومعناه وجود تعظيم فى القلب يمنعك عن التشبيه والتعطيل .

كتاب الأحوال والمقامات

باب فى المقامات وحقايقها

قال الشيخ ، رحمه الله : فإن قيل : ما معنى المقامات ؟ يقال : معناه مقام العبد بين يدى الله عزّ وجلّ ، فيما يقام فيه من العبادات والمجاهدات والرياضات والانقطاع إلى الله عزّ وجلّ ، وقال الله تعالى :

« ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيد »[1] وقال :

« وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ[2] » .

وقال : سئل أبو بكر الواسطى رحمه الله عن قول ، النبى صلى الله عليه وسلم :

« الأرواح جنود مجندة » ٢١

قال « مجندة » على قدر المقامات ، والمقامات مثل التوبة والورع والزهد والفقر والصبر والرضا والتوكل وغير ذلك

(١) إبراهيم : ١٤ (٢) الصافات : ١٦٤

باب فى معنى الأحوال[١]

قال الشيخ ، رحمه الله : وأمّا معنى الأحوال فهو ما يحل بالقلوب ، أو تحل به القلوب : من صفاء الأذكار .

وقد حُكى عن الجُنَيد ، رحمه الله : أنه قال : الحال نازلة تنزل بالقلوب فلا تدوم .

وقد قيل ، أيضاً : إن الحال هو الذكر الخفىّ .

٢٢ وقد رُوِى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خيرُ الذكرِ : الخفىُّ » .

وليس الحال من طريق المجاهدات والعبادات والرياضات كالمقامات التى ذكرناها ، وهى[٢] مثل المراقبة والقرب والمحبة والخوف والرجاء والشوق والأنس والطمأنينة والمشاهدة واليقين وغير ذلك .

وقد حُكى عن أبى سليمان الدارانى رحمه الله ، أنه قال : إذا صارت المعاملة إلى القلوب استراحت الجوارح .

وهذا الذى قال أبو سليمان ، يحتمل معنيين :

أحدهما : أنه أراد بذلك : استراحت الجوارحُ من المجاهدات ، والمكابداتُ من الأعمال : إذا اشتغل بحفظ قلبه ومراعاة سره من الخواطر المشغلة ، والعوارض المذمومة التى تشغل قلبه عن ذكر الله تعالى .

ويحتمل أيضاً أنه أراد بذلك : أن يتمكن من المجاهدة والأعمال والعبادات ،

---

(١) فى هامش إحدى النسخ الفرق بين المقام والحال : أن الحال ينزل بالقلوب يدوم . والمقام: مقام الرجل بظاهره وباطنه فى حقائق الطاعات .

(٢) أى الحال .

وتصير وطنَهُ حتى يستلذّها بقلبه ، ويجد حلاوتها ، ويسقط عنه التعب ، ووجود الألم الذى كان يجد قبل ذلك .

كما قال بعضهم ، وأظُنُّهُ محمد بن واسع ، رحمه الله ، قال : كابدتُ الليل عشرين سنة فتنعّمتُ به عشرين سنة .

وقال آخر ، وأظنُّه مالك بن دينار ، رحمه الله : مضغتُ القرآن عشرين سنة ثم تنعّمت بتلاوته عشرين سنة .

وقال الجُنيْد ، رحمه الله : لا يُوصَلُ إلى رعاية الحقوق إلا بحراسة القلوب ، ومن لم يكن له سرّ فهو مُصِرّ ، والمصرّ لا تصفو له حسنة .

وأجوبة الشيوخ فى المقامات تكثر ، وكذلك فى الأحوال ، وقد ذكرته على الاختصار ، والله الموفّق .

باب مقام التوبة

قال أبو يعقوب يوسف بن حمدان السوسى ، رحمه الله : أول مقام من مقامات المنقطعين إلى الله تعالى التوبة .

وسئل السوسى عن التوبة فقال : التوبة الرجوع من كل شىء ذمه العلم إلى ما مدحه العلم .

وسئل سهل ابن عبد الله عن التوبة فقال : أن لا تنسى ذنبك .

وسئل الجنيد رحمه الله عن التوبة فقال : هى نسيان ذنبك .

قال الشيخ ، رحمه الله : فالذى أجاب السوسى رحمه الله عن التوبة أجاب عن توبة المريدين والمتعرضين والطالبين والقاصدين ، وهم الذين تارة لهم وتارة عليهم . والذى قال سهل بن عبد الله أيضاً فكذلك .

وأما ما أجاب الجنيد رحمه الله عن التوبة : أن ينسى ذنبه : أجاب عن توبة المتحققين : لا يذكرون ذنوبهم ؛ لما غلب على قلوبهم من عظمة الله تعالى ودوام ذكره .

وهو مثل ما سئل رُوَيم بن أحمد رحمه الله التوبة فقال : التوبة من التوبة .

كذلك سئل ذو النون رحمه الله عن التوبة فقال : توبة العوام من الذنوب وتوبة الخواص من الغفلة .

فأما لسان أهل المعرفة والواجدين وخصوص الخصوص فى معنى التوبة فهو : ما قاله أبو الحسن النورى رحمه الله ، حين سئل عن التوبة فقال : التوبة : أن تتوب من كل شىء سوى الله تعالى .

وإلى هــذا أشار الذى أشار بقوله : ذنوب المقربين حسنات الأبرار وهو ذو النون .

والذى قال أيضاً : رياء العارفين إخلاص المريدين ؛ لأن الذى كان يتقرب به العارف إلى الله عزّ وجلّ فى وقت قصدة وابتدائه وتعرضه من القربات والطاعات فلما تمكن وتحقق بذلك ، وشملته أنوار الهداية ، وأتته العناية ، وحوته الرعاية ، وشاهد ما شاهده بقلبه من عظمة سيده ، والتفكر فى صنع صانعه ، وقديم إحسانه ، تاب عن الملاحظة والسكون ، والالتفات إلى ما كان من طاعاته وأعماله وقرباته فى حين إرادته وبداياته ، فشتان بين تائب وتائب : فتائب يتوب من الذنوب والسيئات ، وتائب يتوب من الزلل والغفلات ، وتائب يتوب من رؤية الحسنات والطاعات .

والتوبة تقتضى الورع .

باب مقام الورع

قال الشيخ رحمه الله . ومقام الورع مقام شريف .

٢٣ قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ملاكُ دينكم الورع » .

وأهل الورع على ثلاث طبقات : فمنهم من تورّع عن الشبهات التى اشتبهت عليه ، وهى مابين الحرام البيّن والحلال البيّن ، وما لا يقع عليه اسم حلال مطلق ولا اسم حرام مطلق، فيكون بين ذلك فيتورّع عنهما .

وهو كما قال ابن سيرين رحمه الله : ليس شىء أهْوَنُ علىّ من الورع ؛ إذا رابنى شىء تركتهُ .

ومنهم من يتورع عما يقف عنه قلبه ويحيك فى صدره عند تناولها[١] وهذا لايعرفه إلا أرباب القلوب والمتحققون .

٢٤ وهو كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الإثم ما حاك فى صدرك »

وقال أبو سعيد الخراز رحمه الله : الورع أن تتبرأ من مظالم الخلق من مثاقيل الذر ، حتى لايكون لأحدهم قِبلَك مظلمة ولا دعوى ولا طِلبة .

وكما حُكى عن الحارث المحاسبى رحمه الله أنه كان لايمد يده إلى طعام فيه شبهة .
وقال جعفر الخلدى رحمه الله : كان على طرف أصبعه[٢] الوسطى عِرْقٌ إذا مد يده إلى طعام فيه شبهة ضرب عليه ذلك العرق .

وكما حكى عن بشر الحافى رحمه الله : أنه حُمِل إلى دعوة ، فوُضع بين يديه

(١) عند تناول الشبهات .
(٢) يريد أصبع الحارث المحاسبى رضى الله عنه .

طعام ، فجهد أن يمد يده إليه فلم تمتد ، ثم جهد فلم تمتد ثلاث مرات ، فقال رجل ممن كان يعرفه : إن يده لا تمتد إلى طعام حرام أو فيه شبهة ، ما كان أغنى صاحب هذه الدعوة أن يدعو هذا الرجل إلى بيته .

وتُقوى هـذا حكاية سهل بن عبد الله : سمعت أحمد بن محمد بن سالم بالبصرة يقول : سُئل سهل بن عبد الله عن الحلال فقال : الحلال الذى لا يُعصى الله فيه .

قال أبو نصر رحمه الله : والذى لا يعصى الله فيه لا يتهيأ لأحد الوقوف عليه إلا بإشارة القلب .

فإن قال قائل : هل تجد لذلك أصلا يتعلق به من العلم فيقال : نعم ، قول النبى صلى الله عليه وسلم لوابصة : « اسْتَفْتِ قَلْبَكَ و إن أفتاك المُفْتون » . والذى قال أيضاً : « الإثم ماحاك فى صدرك » ألا ترى أنه قد رده إلى مايشير به علية قلبه ؟

وأما الطبقة الثالثة فى الورع فهم : العارفون والواجدون ، وهو كما قال أبو سليمان الدارانى رحمه الله : كل ما شغلك عن الله فهو مشئوم عليك .

وكما قال سهل بن عبد الله حين سئل عن الحلال الصافى فقال : الحلال الذى لا يُعصى الله فيه ، والحلال الصافى الذى لا يُنسى الله فيه .

فالورع فيما لا ينسى الله فيه هو الورع الذى سئل عنه الشبلى رحمه الله ، فقيل له : يا أبا بكر ما الورع ؟ فقال : أن تتورع ألا يتشتت قلبك عن الله عز وجل طرفة عين .

فالأول ورع العموم ، والثانى ورع الخصوص ، والثالث ورع خصوص الخصوص .

والورع يقتضى الزهد .

باب مقام الزهد

قال الشيخ رحمه الله : والزهد مقام شريف ، وهو أساس الأحوال الرضية والمراتب السنية ؛ وهو أول قدم القاصدين إلى الله عز وجل ، والمنقطعين إلى الله ، والراضين عن الله ، والمتوكلين على الله تعالى ، فمن لم يُحكم أساسه فى الزهد لم يصح له شىء مما بعده ، لأن حُب الدنيا رأس كل خطيئة ، والزهد فى الدنيا رأس كل خير وطاعة .

ويقال : إن من سُمى باسم الزهد فى الدنيا فقد سُمى بألف اسم محمود ، ومن سمى باسم الرغبة فى الدنيا فقد سمى بألف اسم مذموم .

وهو ما اختار رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه باختيار الله له ، والزهد فى الحلال الموجود .

وأما الحرام والشبهة فتركه واجب .

والزهّاد على ثلاث طبقات :

فمنهم المبتدئون ، وهم الذين خلت أيديهم من الأملاك ، وخلت قلوبهم مما خلت منه أيديهم .

كما سئل الجنيد رحمه الله عن الزهد فقال : تخلى الأيدى من الأملاك ، وتخلى القلوب من الطمع .

وسئل سرى السَّقَطى ، رحمه الله عن الزهد فقال : أن يخلو قلبه مما خلت منه يداه .

وفرقة منهم متحققون فى الزهد .

ووصفهم ما أجاب رُوَيْم بن أحمد رحمه الله ، حين سئل عن الزهد فقال : ترك حظوظ النفس من جميع مافى الدنيا ، فهذا زهد المتحققين ، لأن فى الزهد فى الدنيا حظا للنفس ، لما فى الزهد من الراحة والثناء والمحمدة واتخاذ الجاه عند الناس ؛ فمن زهد بقلبه فى هذه الحظوظ فهو متحقق فى زهده .

والفرقة الثالثة : علموا وتيقنوا : أن لو كانت الدنيا كلها لهم ملكاً حلالا ، ولا يحاسبون عليها فى الآخرة ، ولا ينقص ذلك مما لهم عند الله شيئاً ثم زهدوا فيها لله عز وجل ، لكان زهدهم فى شىء منذ خلقها الله تعالى مانظر إليها ، ولو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة من ماء ، فعند ذلك زهدوا فى زهدهم وتابوا من زهدهم .

كما سئل الشبلى رحمه الله عن الزهد فقال : الزهد غفلة ، لأن الدنيا لاشىء ، والزهد فى لا شىء غفلة .

وقال يحيى بن معاذ رحمه الله : الدنيا كالعروس ، ومن يطلبها ماشطتها والزاهد فيها يسخم وجهها ، وينتف شعرها ، ويخرق ثوبها ، والعارف مشتغل بالله لا يلتفت إليها .

والزهد يقتضى معانقة الفقر واختياره

باب مقام الفقر وصفة الفقراء

قال الشيخ ، رحمه‌الله ، والفقر مقام شريف ، وقد وصف الله تعالى الفقراء وذكرهم في كتابه فقال : « لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ »(١) تكملة الآية .

٢٦ وقال صلعم : (الفقر أزين بالعبد المؤمن من العِذَار الجيد على خد الفرس) .

وقال إبراهيم بن أحمد الخواص رحمه الله : الفقر رداء الشرف ، ولباس المرسلين ، وجلباب الصالحين ، وتاج المتقين ، وزين المؤمنين ، وغنيمة العارفين ، ومنبه المريدين ، وحصن المطيعين ، وسجن المذنبين ، ومكفر للسيئات ، ومعظم للحسنات ، ورافع للدرجات ، ومبلغ إلى الغايات ، ورضا الجبار ، وكرامة لأهل ولايته من الأبرار ؛ والفقر هو شعار الصالحين ، ودأب المتقين .

والفقراء على ثلاث طبقات :

فمنهم من لا يملك شيئاً ، ولا يطلب بظاهره ولا بباطنه من أحـــد شيئاً ، ولا ينتظر من أحد شيئاً ، وإن أعطى شيئاً لم يأخذ ، فهذا مقامه مقام المقربين .

كما حُـكى عن سهل بن على بن سهل الأصبهانى : أنه كان يقول : حرامٌ على كل من يسمى أصحابنا الفقراء ؛ لأنهم أغنى خلق الله عز وجل .

وكما سئل أبو عبد الله بن الجلاء عن حقيقة الفقر فقال : اضرب بكميك على الحائط وقل : ربى الله .

وكما قال أبو على الروذبارى : سألنى أبو بكر الزقاق فقال : يا أبا على ، لِمَ ترك الفقراء أخذ البُلغة فى وقت الحاجة ؟ قال : فقلت : لأنهم مستغنون بالمُعْطى عن العطـــــاء ، فقال : نعم ، ولـكن وقع لى شىء آخر ، فقلت : هات ، أفدنى ،

---

(١) البقرة : ٢٧٤ وتـكملة الآية كالآتى : « لايستطيعون ضربا فى الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم ، لايسألون الناس إلحافا وما تنفقوا من شىء فإن الله به عليم » .

ما وقع لك ؟ فقال : لأنهم قوم لاينفعهم الوجود ؛ إذ الله فاقتهم ، ولا تضرهم الفاقة ، إذ الله وجودهم .

وسمعت أبا بكر الوجيهى يقول : سمعت أبا على يقول : هذا .

وسمعت أبا بكر الطوسى يقول : كنت مدةطويلة أسأل عن معنى اختيار أصحابنا لهذا الفقر على سائر الأشياء ، فلم يُجبنى أحد بجواب يُقنعنى ، حتى سألت نصر بن الحامى ، فقال لى : لأنه أول منزلة من منازل التوحيد ، فقنعت بذلك .

ومنهم من لا يملك شيئاً ، ولا يسأل أحداً ، ولا يطلب ، ولا يعرض ، وإن أعطى شيئاً من غير مسألة أخذ .

وقد حُكى عن الجنيد ، رحمه الله ، أنه قال : علامة الفقير الصادق أن لايسأل ، ولا يعارض ، وإن عورض سكت .

وكما حُكى عن سهل بن عبد الله ، رحمه الله ، أنه سئل عن الفقير الصادق فقال: لا يسأل ولا يردّ ، ولا يحبس .

وكما سئل أبو عبد الله بن الجلاء رحمه الله عن حقيقة الفقر فقال : هو أن لا يكون لك ، فإذا كان لك لا يكون لك ، ومن حيث لم يكن لك لم يكن لك .

وكما سئل إبراهيم الخواص رحمه الله عن علامة الفقير الصادق فقال : ترك الشكوى وإخفاء أثر البلوى ، ولهذا قد قيل : إن هذا مقامه مقام الصدّيقين .

ومنهم من لا يملك شيئا ، وإذا احتاج انبسط إلى بعض إخوانه ممن يعلم أنه يفرح بانبساطه إليه ، فكفارة مسألته صدقة .

وهذا كما سئل الجريرى مسألته ، رحمه الله ، عن حقيقة الفقر فقال : لايطلب المعدوم حتى يفقد الموجود .

وكما سئل رُوَيم رحمه الله عن الفقر فقال : عدم كل موجود ، ويكون دخوله فى الأشياء لغيره لا له ، وهذا مقامه مقام الصديقين فى الفقر .

والفقر يقتضى مقام الصبر .

باب مقام الصبر

قال الشيخ ، رحمه الله : والصبر مقام شريف وقد مدح الله تعالى الصابرين وذكرهم فى كتابه فقال :[١]

« إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب »

وقد سئل الجنيد عن الصبر فقال : حَمْلُ المؤن لله تعالى حتى تنقضى أوقات المكروه .

وقال ابرهيم الخواص رحمه الله : هرب أكثر الخلق من حمل أثقال الصبر فالتجئوا إلى الطلب والأسباب واعتمدوا عليها كأنها لهم أرباب ؛ قال .

ووقف رجل على الشبلى رحمه الله ، فقال له : أى صبر أشد على الصابرين .

فقال : الصبر فى الله تعالى .

فقال : لا .

فقال الصبر لله .

فقال الرجل : لا .

فقال : الصبر مع الله .

فقال : لا .

قال : فغضب الشبلى رحمه الله وقال : ويحك فأيش ؟

فقال الرجل : الصبر عن الله عز وجل ، قال : فصرخ الشبلى رحمه الله صرخة كاد أن يتلف روحه .

وسألت ابن سالم بالبصرة عن الصبر فقال : على ثلاثة أوجه : متصبر ، وصابر ، وصبار ، فالمتصبر من صبر فى الله تعالى ، فمرة يصبر على المكاره ، ومرة يعجز .

---

(١) الزمر : ١٠ .

وهذا كما سئل القناد ، رحمه الله ، عن الصبر فقال : ملازمة الواجب فى الإعراض عن المنهى عنه ، والمواظبة على المأمور به ، والصابر من يصبر فى الله ، ولله ، ولا يجزع ، ولا يتمكن منه الجزع ، و يتوقع منه الشكوى.

كما حكى عن ذو النون ، رحمه الله ، أنه قال : دخلت على مريض أعوده ، فبينما كان يكلمنى أنّ أنة ، فقلت له : ليس بصادق فى حبه من لم يصبر على ضر به . قال : فقال : بل ليس بصادق فى حبه من لم يتلذذ بضر به .

وكما قال الشبلى ، رحمه الله ؛ لما أدخل المارستان ، وقيد ، فدخل عليه بعض أصدقائه ، فقال لم : أيش أنتم ؟ فقالوا : نحن قوم نحبك فأخذ يرميهم بالآجر ، فهربوا ، فقال: يا كذابون ، تدعون محبتى ولم تصبروا على ضربى ؟!

وأما الصبار : فذاك الذى صبره فى الله ، ولله و بالله ، فهذا لو وقع عليه جميع البلايا لا يعجز ولا يتغير من جهة الوجوب والحقيقة ، لا من جهة الرسم والخلقة .

وكان يتمثل الشبلى ، رحمه الله ، بهذه الأبيات إذا سئل عن الصبر .

عبراتٌ خططْنَ فى الخدّ سطراً قدْ قراها منْ ليس يحسنُ يقرا
إن صوت المحب من ألم الشو ق وخوف الفراق يورث ضرا
صابر الصبر فاستغاث به الصـــبر فصاح المحب بالصبر : صبرا

٢٧ وحجة هذا فى العلم ما روى فى الخبر : « أن زكريا عليه السلام لما وضع على رأسه المنشار أنّ أنة واحدة فأوحى الله تعالى إليه أن صعدت منك إلى أنة أخرى لأقلبن السموات والأرضين بعضها على بعض »

والصبر يقتضى التوكل.

باب مقام التوكل

قال الشيخ ، رحمه‌الله : والتوكل مقام شريف ، وقد أمر الله ، تعالى ، بالتوكل وجعله مقروناً بالإيمان ؛ لقوله تعالى :

« وَعَلَى اللهِ فليتوكل المتوكلون[1] » .

وقال ، فى موضع آخر : « وعلى الله فليتوكل المؤمنون[2] » فخص توكل المتوكلين من توكل المؤمنين ، ثم ذكر توكل خصوص الخصوص فقال :

« ومن يتوكل على الله فهو حسبه[3] » لم يردهم إلى شيء سواه كما قال لسيد المرسلين و إمام المتوكلين :

« وتوكل على الحى الذى لا يموت وكفى به[4] » « وتوكل على العزيز الرحيم الذى يراك حين تقوم » الآية فهم على ثلاث طبقات :

فأما توكل المؤمنين فشرطه ما ثلاث قال أبو تراب النخشبي ، رحمه الله ، حين سئل عن التوكل ، فقال :

التوكل: طرح البدن فى العبودية ، وتعلق القلب بالربوبية ، والطمأنينة إلى الكفاية ، فإن أعطى شكر ، وإن منع صبر راضياً موافقاً للقدر .

وكما سئل ذو النون رحمه الله عن التوكل فقال : التوكل ترك تدبير النفس ، والانخلاع من الحول والقوة .

وكما قال أبوبكر الزقاق رحمه الله: التوكل رد العيش إلى يوم واحد ، و إسقاط هم غد

وسئل رويم رحمه الله ، عن التوكل فقال : الثقة بالوعد .

وسئل سهل بن عبد الله رحمه الله ، عن التوكل فقال : الاسترسال مع الله تعالى على ما يريد .

وأما توكل أهل الخصوص فكما قال أبو العباس بن عطاء ، رحمه الله : من

(١) إبراهيم : ١٢ (٢) المائدة : ١١ (٣) الطلاق : ٣ (٤) الفرقان : وتكملة الآية : « بذنوب عباده خبيراً » : ٥٨ .

توكل على الله لغير الله لم يتوكل على الله فى توكله حتى يتوكل على الله بالله لله ، ويكون متوكلا على الله فى توكله لا لسبب آخر .

أو كما قال أبو يعقوب النهرجورى ، رحمه الله ، وقد سئل عن التوكل ، فقال : موت النفس عند ذهاب حظوظها من أسباب الدنيا والآخرة .

وقد قال أيضاً أبو بكر الواسطى : أصل التوكل الفاقة والافتقار ، وأن لا يفارق التوكل فى أمانيه ، ولا يلتفت بسرّه إلى توكله لحظة فى عمره .

وسئل سهل بن عبد الله ، رحمه الله أيضاً عن التوكل ، فقال : التوكل وجْهٌ كلّه وليس له قفاً ، ولا يصح إلا لأهل المقابر .

فهؤلاء أشاروا إلى حقيقة توكل المتوكلين وهم الخصوص .

وأما توكل خصوص الخصوص فعلى ما قال الشبلى رحمه الله ، حين سئل عن التوكل فقال : أن تكون لله كما لم تكن ويكون الله تعالى لك كما لم يزل .

وكما قال بعضهم: حقيقةالتوكل لايقوم له أحد من خلقهعلى الكمال، لأن الكمال بالكمال لا يكون إلا لله ، جل جلاله.

وسئل أبو عبد الله بن الجلاء عن التوكل فقال : الإيواء إلى الله وحده . فى جميع الأحوال .

وسئل الجنيد رحمه الله عن التوكل فقال : اعتماد القلب على الله تعالى

وقد حكى عن أبى سليمان الدارانى رحمه الله أنة قال لأحمد بن أبى الحوارى ، رحمه الله : يا أحمد ، إن طرق الآخرة كثيرة وشيخك عارف بكثير منها إلا هذا التوكل المبارك فإنى ما شممت منه رائحة ، وليس لى منه مشام الريح .

وقال بعضهم : من أراد أن يقوم بحق التوكل فليحفر لنفسه قبراً ويدفنها فيه ، وينسى الدنيا وأهلها ؛ لأن حقيقة التوكل لا يقوم له أحد من الخلق على كماله .

والتوكل يقتضى الرضا .

باب مقام الرضا وصفة أهله

قال الشيخ رحمه الله : الرضا مقام شريف ، وقد ذكر الله عز وجل الرضا في كتابه فقال :

« رَضِيَ اللهُ عنهم ورضوا[١] عنه » ، وقال:

« ورضوان من الله أكبر »[٢] فذكر أن رضا الله عز وجل ، عن عباده أكبر وأقدم من رضاهم عنه .

والرضا باب الله الأعظم ، وجنة الدنيا ، وهو أن يكون قلب العبد ساكناً تحت حكم الله عز وجل .

وسئل الجنيد رحمه الله عن الرضا ، فقال : الرضا رفع الاختيار .

وسئل القناد رحمه الله عن الرضا فقال : سكون القلب بمر القضاء .

وسئل ذو النون عن الرضا فقال سرور القلب بمر القضاء .

وقال ابن عطاء رحمه الله : الرضا نظر القلب إلى قديم اختيار الله ، تعالى ، للعبد ؛ لأن يعلم أنه اختار له الأفضل فيرضى به ويترك السخط .

وقال أبو بكر الواسطي ، رحمه الله استعمل الرضا جهدك ، ولا تدع الرضا يستعملك فتكون محجوباً بلذته ورؤية حقيقته .

غير أن أهل الرضا في الرضا على ثلاثة أحوال :

فنهم من عمل في إسقاط الجزع حتى يكون قلبه مستوياً لله عز وجل فيما يجرى عليه من حكم الله من المكاره والشدائد والراحات والمنع والعطاء .

---

(١) المائدة : ١١٩

(٢) التوبة : ٧٢

ومنهم من ذهب عن رؤية رضائه عن الله عز وجل ، برؤية رضا الله عنه ؛ لقوله ، تعالى : « رضى[1] الله عنهم ورضوا عنه » ، فلا يثبت لنفسه قدم فى الرضا وإن استوى عند الشدة والرخاء والمنع والعطاء .

ومنهم من جاوز هذا وذهب عن رؤية رضا الله عنه ورضاه عن الله لما سبق من الله تعالى لخلقه من الرضا ، كما قال أبو سليمان الدارانى ، رحمه الله : ليس أعمال الخلق بالذى يرضيه ولا بالذى يسخطه ، ولكنه رضى عن قوم فاستعملهم بعمل أهل الرضا ، وسخط على قوم فاستعملهم بعمل أهل السخط .

والرضا آخر المقامات ثم يقتضى من بعد ذلك أحوال أرباب القلوب ، ومطالعة الغيوب ، وتهذيب الأسرار لصفاء الأذكار وحقائق الأحوال .

فأول حال من أحوال أرباب القلوب حال المراقبة .

(١) الأنفال : ١١٩

باب حال المراقبة وحقائقها وصفة أهلها

قال الشيخ ، رحمه الله : والمراقبة حال شريف ، قال الله ، تعالى : « وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شيءٍ[١] رَقيباً » ، وقال عز وجل : « مَا يلفظُ مِنْ قَوْلٍ إلاّ لَدَيهِ رَقيبٌ عتيدٌ »[٢] ، وقال : « ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجويهم وأن الله علام الغيوب»[٣] ومثله فى القرآن كثير .

٣١ وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم : انه قال : «اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك »

والمراقبة : لعبد قد علم وتيقن أن الله تعالى مطلع على ما فى قلبه وضميره وعالم بذلك ، فهو يراقب الخواطر المذمومة المشغلة للقلب عن ذكر سيده

كما قال أبو سليمان الدارانى رحمه الله : كيف يخفى عليه ما فى القلوب ! ولا يكون فى القلوب إلا ما يلقى فيها ، أفيخفى عليه ماهو منه ؟!

قال الجنيد رحمه الله : قال لى ابرهيم الآجرى رحمه الله : ياغلام ، لأن ترد من همك إلى الله تعالى ذرة ، خير لك مما طلعت عليه الشمس

وقال الحسن بن على الدامغانى ، رحمه الله : عليكم بحفظ السرائر ، فإنه مطلع على الضمائر

وأهل المراقبة على ثلاثة أحوال فى مراقبتهم :

فأما ما قال الحسن بن على ، فهذا حال الابتداء فى المراقبة

وأما الحال الثانى فى المراقبة ، فكما حكى عن أحمد بن عطاء رحمه الله : أنه قال :

---

(١) الأحزاب : ٥٢
(٢) ق : ١٨
(٣) التوبة : ٧٨

خيركم من راقب الحق بالحق فى فناء ما دون الحق وتابع المصطفى صلم ، فى أفعاله وأخلاقه وآدابه

وأما الحال الثالث لحال الكبراء من أهل المراقبة : فإنهم يراقبون لله تعالى ويسألونه أن يرعاهم فيها ، لأن الله عز وجل قد خص نجباءه وخاصته بألا يكلهم فى جميع أحوالهم إلى أحد وهو الذى يتولى أمرهم فقال عز وجل :

« وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّالِحِينَ »(١) .

وقال ابن عطاء ، رحمه الله ، لبعض حكماء خراسان ممن قد ولع بالجهل وقارن(٢) التقشف : أوَما علمت أن ما تقارن ببدنك أقذار فى جنب ماتطالع بقلبك؟ وما تطالعه بقلبك هباء فى جنب ماتراقب فى سرك ! فراقب الله تعالى فى سرك وعلانيتك ؛ فإنه خير مما تقارن من عملك وعبادتك

والمراقبة تقضى حال القرب ،

(١) الأعراف : ١٩٥

(٢) بمعنى صاحب ولازم

باب حال القرب

قال الشيخ ، رحمه الله : قال الله تعالى : « وإذَا سَألَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإنِّى قَرِيبٌ »[١] ، وقال : ونَحْنُ أقْرَبُ إلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ »[٢] ، وقال : « ونَحْنُ أقْرَبُ إلَيْهِ مِنْكُمْ ولٰكِنْ لاَ تُبْصِرونَ »[٣] ، ثم قال فى صفة ملائكته : « أُولآئِكَ الّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أيُّهُمْ أقْرَبُ »[٤] ، الوسيلة يعنى القرب ، وقال : « ونَحْنُ أقْرَبُ إلَيْهِ مِنْكُمْ ولٰكِنْ لاَ تُبْصِرُونَ »[٥] ، فذكر الله تعالى قربهم منه ، ثم ذكر قربهم بمعنى توسلهم إلى الله تعالى بالقرب أيهم أقرب .

وحال القرب : لعبد شاهد بقلبه قرب الله منه فتقرب إلى الله تعالى بطاعته ، وجميع همه بين يدى الله تعالى بدوام ذكره فى علانيته وسره .

وهم على ثلاثة أحوال :

فنهم المتقربون إليه بأنواع الطاعات لعلمهم بعلم الله تعالى بهم وقربه منهم وقدرته عليهم .

ومنهم من تحقق بذلك ، كما قال عامر بن عبد القيس ، رحمه الله : ما نظرت إلى شىء إلا رأيت الله تعالى أقرب إليه منى .

وهو[٦] كما قال القائل :

وتحققتك فى السر فناجاك لسانى فاجتمعنا لمعان وافترقنا لمعانى
إن يكن غيبك التعظيم عن لحظ عيانى فلقد صيرك الوجد من الأحشاء دانى

---

(١) البقرة : ١٨٦
(٢) ق : ١٦
(٣) الواقعة : ٨٥
(٤) الإسراء : ٥٧
(٥) أى حال القرب

وقال الجنيد رحمه الله : واعلم أنه يقرب من قلوب عباده على حسب ما يرى من قرب قلوب عباده منه ، فانظر ماذا يقرب من قلبك ؟

وقال آخر : إن لله تعالى عبادا قربهم الله عز وجل بما هو به قريب منهم ، وكانوا قريبين منه بما هو به قريب إليهم ؛ وهذه الدرجة الثانية من حال القرب ،

فأما حال الكبراء وأهل النهايات : فهو على ما قال أبو الحسين النوري ، رحمه الله ، لرجل دخل عليه فقال : من أين أنت ؟ قال :من بغداد ، قال من صحبتَ بها قال : أبا حمزة ، قال : إذا رجعت إلى بغداد فقل لأبى حمزة : قرب القرب فى معنى مانحن نشير إليه : بعد البعد ،

وكما قال أبو يعقوب السوسى ، رحمه الله : ما دام العبد يكون بالقرب لم يكن قرب حتى يغيب عن القرب بالقرب ، فإذا ذهب عن رؤية القرب بالقرب فذلك قرب ، يعنى عن رؤية قربه من الله عز وجل بقرب الله منه ،

وحال القرب يقتضى حال المحبة وحال الخوف ،

باب حال المحبة

قال الشيخ ، رحمه الله : فأما حال المحبة فقد ذكر الله تعالى المحبة فى مواضع من كتابه ، فقال : « فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه »[(١)] وقال : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله »[(٢)] ، وقال فى موضع آخر :

« يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله »[(٣)] .

فذكر فى الآية الأولى محبته قبل محبتهم ، وفى الآية الثانية ذكر محبتهم له ومحبته لهم ، وفى الآية الثالثة ذكر محبتهم له ،

وحال المحبة : لعبد نظر بعينه إلى ما أنعم الله به عليه ، ونظر بقلبه إلى قرب الله تعالى منه وعنايته به وحفظه وكلاءته له ، فنظر بإيمانه وحقيقة يقينه إلى ما سبق له من الله تعال من العناية والهداية وقديم حب الله له ، فأحب الله عز وجل .

وأهل المحبة على ثلاثة أحوال :

فالحال الأول من المحبة : محبة العامة ، يتولد ذلك من إحسان الله تعالى إليهم وعطفه عليهم

وقد روى عن النبى ، صلى الله عليه وسلم ، : أنه قال : « جبلت القلوب على حب من أحسن إليها و بغض من أساء إليها » الحديث .

وهذا الحال من المحبة شرطها ما سئل سمنون ، رحمه الله ، عن المحبة فقال : صفاء الود مع دوام الذكر ؛ لأن من أحب شيئاً أكثر من ذكره

---

(١) المائدة : ٥٤
(٢) آل عمران : ٣١
(٣) البقرة : ١٦٥

وكما سئل سهل ابن عبد الله رحمه الله عن المحبة فقال : موافقة القلوب لله ؛ والتزام الموافقة لله ، واتباع الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، مع دوام الاستهتار[1] بذكر الله تعالى ووجود حلاوة المناجاة لله عز وجل .

وسئل الحسن بن على رضى الله عنه عن المحبة فقال : بذل المجهود والحبيب يفعل ما يشاء .

وكما سئل بعض المشايخ عن المحبة فقال : استهتار[2] القلوب بالثناء على المحبوب ، وإيثار طاعته ، والموافقة له كما قال القائل :

لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

والحال الثانى من المحبة ، وهو يتولد من نظر القلب إلى غناء الله وجلاله وعظمته و وعلمه وقدرته ، وهو حب الصادقين والمتحققين .

وشرطها ووصفها كما حكى عن أبى الحسين النورى ، رحمه الله : أنه سئل عن المحبة فقال : هتك الأستار ، وكشف الأسرار .

وسئل أيضاً ، إبراهيم الخوّاص عن المحبة فقال : محو الإرادات ، واحتراق جميع الصفات والحاجات .

وقد سئل أبو سعيد الخراز ، رحمه الله ، عن المحبة فقال : طوبى لمن شرب كأساً من محبّته ، وذاق نعيماً من مناجاة الجليل وقربه بما وجد من اللذات بحبه فملىء قلبُه حبًّا وطار بالله طرباً ، وهام إليه اشتياقاً ؛ فياله من وامق أسف بربه ، كلف دنف ، ليس له سكن غيره ولا مألوف سواه .

وأما الحال الثالث من المحبة فهو محبة الصدّيقين والعارفين ، تولدت من نظرهم ومعرفتهم بقديم حب الله تعالى بلا علة ، فكذلك أحبوه بلا علة .

---

(١) يقل : استهتر بالشيء إذا أولع به وشغف به .
(٢) استهتار القلوب بالثناء : شغفها وحبها له .

وصفة هذه المحبة ما سئل ذو النون المصرى ، فقيل له : ما المحبة الصافية التى لا كدرة فيها ؟ قال : حب الله الصافى الذى لا كدرة فيه : سقوط المحبة عن القلب والجوارح ، حتى لا يكون فيها المحبة ، وتكون الأشياء بالله ولله ، فذلك المحب لله .

وقال أبو يعقوب السوسى ، رحمه الله : لا تصح المحبة حتى يخرج من رؤية المحبة إلى رؤية المحبوب : بفناء علم المحبة من حيث كان له المحبوب فى الغيب ، ولم يكن هو بالمحبة ، فإذا خرج المحب إلى هذه النسبة كان محبا من غير محبة .

وسئل الجنيد رحمه الله عن المحبة فقال : دخول صفات المحبوب على البدل من
٣٢ صفات المحب ، فهذا على معنى قوله : « حتى أُحِبَّهُ فإذا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ عَيْنَهُ التى يبصر بها وسمعه الذى يسمع به ، ويده التى يبطش بها » .

باب حال الخوف

قال الشيخ ، رحمه الله : فأما حال الخوف فإنما ذكرنا الخوف والمحبة ، لأن حال القرب يقتضى حالين :

فنهم من يغلب على قلبه الخوف من نظره إلى قرب الله منه ، ومنهم من يغلب على قلبه المحبة ، وذلك على حسب ما قسم الله للقلوب من التصديق وحقيقة اليقين والخشية ، وذلك من كشف الغيوب ؛ فإن شاهد قلبه فى قربه من سيده عظمته وهيبته وقدرته فيؤديه ذلك إلى الخوف والحياء والوجل ، وإن شاهد قلبه فى قربه لطف سيده وقديم عطفه وإحسانه له ومحبته أداه ذلك إلى المحبة والشوق والقلق والحرق ، والتبرم بالبقاء ؛ وذلك بعلمه ومشيئته وقدرته ، ذلك تقدير العزيز العليم .

والخوف على ثلاثة أوجه ، وقد ذكر الله تعالى الخوف وقرنه بالإيمان بقوله : « فَلَا تخافوهُمْ وَخافون إنْ كنتم مُؤْمِنِينَ »[1] ، فهذا خوف الأجلة .
وقوله : « وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِهِ جَنَّتَانِ »[2] ، فهذا خوف الأوساط .
وقال : « يخافونَ يوماً تتقلبُ فيهِ القلوبُ والأبْصَارُ »[3] ، فهذا خوف العامة .

فنهم من خاف من سخطه وعقابه ، كما ذكر الله تعالى : «يخافونَ يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار » ، وهم العامة فخوفهم : اضطراب قلوبهم مما علموا من سطوة معبودهم

وأما الأوساط فخوفهم : من القطيعة واعتراض الكدورة فى صفاء المعرفة .

وسئل الشبلى رحمه الله عن الخوف فقال : تخاف ألاّ يسلمك إليك .

(١) آل عمران : ١٧٥
(٢) الرحمن : ٤٦
(٣) النور : ٣٧

كما قال أبو سعيد الخراز ، رحمه الله فى كلام له قال : شكوت إلى بعض العارفين الخوف فقال : لى ؛ إنى أشتهى أن أرى رجلا يدرى أيش الخوف من الله ؟ ثم قال : إن أكثر الخائفين خافوا على أنفسهم من الله شفقة منهم على أنفسهم ، وعملا فى خلاصها من أمر الله عز وجل .

وقال ابن خبيق ، رحمه الله : الخائف عندى : أن يكون بحكم الوقت : فوقت يخافه المخلوق ووقت يأمنه .

وقال القناد ، رحمه الله : علامة الخوف : أن لا يعلل نفسه بعسى وسوف .

وقال بعضهم:علامة خوف الله تعالى : هيجان القلوب ، وشدة الذعر من الترهيب؛

وقال ابن خبيق ، رحمه الله : الخائف عندى من يخاف من نفسه أكثر مما يخاف من الشيطان .

وأما أهل الخصوص من الخائفين لخوفهم ، على ما قال سهل بن عبد الله ، رحمه الله ، لو قسم ذرة من خوف الخائفين على أهل الأرض لسعدوا بذلك أجمعين .

فقيل له : فكم يكون مع الخائفين من هذا الخوف ؟ قال مثل الجبل .

وقال ابن الجلاء الخائف عندى الذى لا يخاف غير الله تعالى .

وقال الواسطى ، رحمه الله : الأكابر يخافون القطع والأصاغر يخافو العقوبة وخوف الأكابر أقطع ، لأن ما دام للنفس فى النفس من رعوناتها بقية فليس بمحسن و إن أتى بكل تفويض وتسليم .

قال الشيخ ، رحمه الله : معنى رعوناتها : تدبيرها ودعواها ونظرها إلى طاعاتها .

والرجاء مقرون بالخوف .

باب حال الرجاء

قال الشيخ رحمه الله : والرجاء حال شريف ، قال الله ، تعالى :

« لقد كان لـكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر »[١]

وقال فى آية أخر .

« يرجون رحمته ويخافون عذابة »[٢] وقال فى آية أخرى :

« فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحداً »[٣]

قالوا فى التفسير : ثواب ربه .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لا عتدلا » .

وقال بعضهم : الخوف والرجاء جناحا العمل لا يطير إلا بهما .

وقال أبو بكر الوراق : الرجاء ترويح من الله تعالى لقلوب الخائفين ، ولولا ذلك لتلفت نفوسهم وذهلت عقولهم .

والرجاء على ثلاثة أقسام :

رجاء فى الله .

ورجاء فى سعة رحمة الله .

ورجاء فى ثواب الله .

فالرجاء فى ثواب الله وفى سعة رحمته : لعبد مريد قد سمع من الله ذكر المنن ، فرجاه ، وعلم أن الـكرم والفضل والجود من صفات الله فارتاح قلبه إلى المرجو من كرمه وفضله .

---

(١) الأحزاب : ٢١
(٢) الإسراء : ٥٧
(٣) الـكهف: ١١٠

وكما حكى عن ذو النون المصرى ، رحمه الله : أنه كان يدعو ويقول : اللهم إن سعة رحمتك أرجأ لنا من أعمالنا عندنا ، واعتمادنا على عفوك أرجأ عندنا من عقابك لنا .

وكما قال بعضهم : إلهى أنت لطيف لمن قصدك فى إرادته ، ورجاك فى ملماته ، فيا منتهى آمال الراجين أرجِنا راحة عاجلة توردنا مناهل مسرتك وتؤدينا إلى قربك
والراجى فى الله تعالى : هو عبد تحقق فى الرجاء ، فلايرجو من الله شيئاً سوى الله
كما سئل الشبلى رحمه الله عن الرجاء فقال : الرجاءأن ترجوه أن لايقطع بك دونه.
وقال ذو النون ، رحمه الله : بينا أنا أسير فى بعض البوادى إذ لقيتنى امرأة فقالت : لى من أنت ؟ قلت : رجل غريب ، فقالت : وهل يوجد مع الله تعالى أحزان الغربة .

* * *

فصل فى معنى الخوف والرجاء

قال الشيخ ، رحمه الله : وأما لسان أهل النهايات والمتحققين فى الخوف والرجاء : فالذى يقول أحمد بن عطاء ، رحمه الله ، حين سئل عن الخوف والرجاء فقال : إن الخلق بالرجاء والخوف مؤذنون ، وما دام لم يترق العبد فى طرقهما ، ولم يترق من بينهما ، لم يصل إلى حقيقة حقهما ؛ ويكون مرتبطاً بمـــا لا حاصل له فيهما عند الحقيقة .

قيل : فما هما ؟ يعنى الخوف والرجاء قال : زمامان للنفس حتى لا تخرج إلى رعوناتها : من الإدلال والأمن ، والإياس والقطع.

وقال أبو بكر الواسطى ، رحمه الله : الخوف له ظلمَ يتحير صاحبه تحته يطلب أبداً المخرج منه ، فإذا جاء الرجاء بضيائه خرج إلى مواضع الراحة فغلب عليه التمنى ، ولا ينفع حسن النهار إلا بظلمة الليل ، وفيهما صلاح السكون ، فكذلك القلب : مرة فى ظلم الخوف أسير ، فإذا طرق طوارق الرجاء فهو أمير .

والمحبة والخوف والرجاء مقرون بعضها ببعض .

وقال بعضهم : كل محبة لا خوف معها فهى مأوفة ، وكل خوف لا رجاء معه فهو مأوف ، وكل رجاء لا خوف معه كذلك .

والرجاء والمحبة يقتضيان الشوق .

باب حال الشوق

قال الشيخ ، رحمه الله تعالى : وحال الشوق حال شريف ، رُوى عن النبى ، صلى الله عليه وسلم : أنه قال :

«ألاهل مشتاق إلى الجنة ؟ هى ورب الكعبة ريحانة تهتز ، ونهر مطرد ، وزوجة حسناء » وروى عنه ، عليه السلام أنه كان يقول : فى دعائه : ٣٣

« أسئلك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك » ٣٤

ولذة النظر إلى وجه الله تعالى فى الآخرة والشدق إلى لقآئه فى الدنيا

وقد روى ، أيضا : « من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات » ٣٥

وقد روى أيضاً : «اشتاقت الجنة إلى على ثلاثة : إلى على وعمار وسلمان رضى الله عنهم أجمعين » ٣٦

والشوق : هو لعبد قد تبرم ببقائه شوقاً إلى لقاء محبو به

وسئل بعضهم عن الشوق فقال : هيان القلب عند ذكر المحبوب ،

وقال آخر الشوق : نار الله تعالى أشعلها فى قلوب أوليائه حتى يحرق بها ما فى قلوبهم من الخواطر والأرادات والعوارض والحاجات ،

وقال الجريرى ، رحمه الله تعالى : لولا أن فى الشوق متعة ماحمل الضر ،

وقال أبو سعيد الخراز رحمه الله : ملئت قلوبهم عن المحبة فطاروا بالله عزوجل طرباً ، وهاموا إليه اشتياقاً ؛ فيا لهم من قلق مشتاق أسف بربه كلف دنف ليس لهم سكن غيره ولا مألوف سواه ! ! !

وأهل الشوق على ثلاثة أحوال :

فمنهم من اشتقاق إلى ما وعد الله تعالى لأوليائه من الثواب والكرامة ، والفضل والرضوان

ومنهم من اشتاق إلى محبوبه من شدة محبته وتبرمه ببقائه شوقاً إلى لقائه

ومنهم من شاهد قرب سيده أنه حاضر لا يغيب ، فينعم قلبه بذكره وقال : إنما يشتاق إلى غائب وهو حاضر لا يغب ، فذهب بالشوق عن رؤية الشوق ، فهو مشتاق بلا شوق ، ودلائله تصفه عند أهله بالشوق ، وهو لا يصف نفسه بالشوق ، والشوق يقتضي الأنس .

باب حال الأنس

قال الشيخ ، رحمه الله تعالى : ومعنى الأنس بالله تعالى: الاعتماد عليه، والسكون إليه ولاستعانة به ، ولايتهيأ أن يعبر عنه بأ كثر من هذا ،

وقد روى فى الخبر : أن مطرف بن عبد الله بن الشخير ، رحمه الله كتب إلى عمر بن عبد العزيز ، رضى الله عنه : ليكن أنسك بالله وانقطاعك إليه ؛ فإن لله تعالى عبادا استأنسوا بالله فكانوا فى وحدتهم أشد استئناساً من الناس فى كثرتهم ، وأوحش ما يكون الناس آنس مايكونون ، وآنس ما يكون الناس أوحش مايكونون

ومطرف بن عبدالله من كبار التابعين ، وكذلك عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه من الأئمة الراشدين

وذكر عن بعض العارفين : أنه قال : إن لله عز وجل عبادا أرادهم بحق حقائق الأنس به فأخذهم به عن وجد طعم الخوف مما سواه ،

والأنس بالله : لعبد قد كملت طهارته وصفا ذكره واستوحش من كل ما يشغله عن الله تعالى ، فعند ذلك آنسه الله تعالى به ،

وأهل الأنس فى الأنس على ثلاثة أحوال :

فمنهم من أنس بالذكر واستوحش من الغفلة ، وأنس بالطاعة واستوحش من الذنب كما حكى عن سهل بن عبد الله ، رحمه الله أنه قال :

أول الأنس من العبد أن تأنس النفس والجوارح بالعقل ، ويأنس العقل والنفس بعلم الشرع ، ويأنس العقل والنفس والجوارح[1] بالعمل لله خالصا ، فيأنس العبد بالله أى يسكن إليه ،

والحال الثانى من الأنس : فهو لعبد قد استانس بالله واستوحش مما سواه من العوارض والخواطر المشغلة

(١) وفى رواية أخرى بالعلم

كما ذكر عن ذى النون ، رحمه الله ، أنه قيل له :

ماعلامة الأنس بالله ؟ قال : إذا رأيته يؤنسك بخلقه فإنه هو ذايوحشك من نفس ، و إذا رأيته يوحشك من خلقه فهو ذا يؤنسك بنفسه

وسئل الجنيد رحمه الله ، عن الأنس بالله فقال : ارتفاع الحشمة مع وجود الهيبة ،

وقال ابرهيم المارستانى ، رحمه الله ، وسئل عن الأنس ، قال: فرح القلب بالمحبوب

والحال الثالث من الأنس : هو الذهاب عن رؤية الأنس بوجود الهيبة والقرب والتعظيم مع الأنس

كما ذكر عن بعض أهل المعرفة أنه قال : إن لله عبادا أوجد لهم من الهيبة له ما أخذهم به عن الأنس بغيره ،

وهذا كما ذكر عن ذى النون ، رحمه الله : أن رجلا كتب إليه : آنسك الله بقربه . فكتب ، إليه ذو النون : أوحشك الله من قربه ، فإنه إذا آنسك بقربه فهو قدرك ، و إذا أوحشك من قربه فهو قدره . معنى قوله : أوحشك من قربه . يعنى بأن يوجدك هيبة قربه .

وسئل الشبلى رحمه الله عن الأنس فقال : وحشتك منك ومن نفسك ومن السكون .

والأنس بالله اقتضى الطمأنينة .

باب حال الطمأنينة

قال الشيخ رحمه الله : وقد قال الله تعالى : « يَأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ [١] » وفى التفسير : المطمئنة بالإيمان.

وقال عز وجل : « ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ ، أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ [٢] »

وقال فى قصة إبراهيم عليه السلام : « وَلَـٰكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي [٣] »

وقال سهل بن عبد الله رحمه الله ، إذا سكن قلب العبد إلى مولاه واطمأن إليه ، قَوِيَتْ حال العبد فإذا قويت أنس بالعبد كل شيء.

وسئل الحسن بن على الدامغانى رحمه الله ، عن قوله عز وجل : « الذِينَ آمنُوا وَتَطمَئِنُّ قُلوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ [٤] » فقال : إن القلوبَ هشت و بشت وسكنت واستأنست ثم كشف عنه ، قال : هشت من معرفة جلال الله تعالى ، وعظمته ، و بشت من معرفة رحمة الله وفضله ، وسكنت من معرفة كفاية الله وصدقه ، واستأنست من معرفة إحسان الله ولطفه.

قال : وسئل الشبلى رحمه الله عن معنى قول أبى سليمان الدارانى رحمه الله : النفس إذا أحرزت قوتها اطمأنت ؟ فقال : إذا عرفت من يقوتها اطمأنت.

والطمأنينة : حال رفيع ، وهى لعبد رجح عقله ، وقوى إيمانه ورسخ علمه ، وصفا ذكره وثبتت حقيقته

وهى على ثلاثة ضروب :

---

(١) الفجر : ٢٧
(٢) الرعد : ٢٨
(٣) البقرة : ٢٦٠
(٤) الرعد : ٢٨

فضرب منها للعامة ، لأنهم إذا ذكروه اطمأنوا إلى ذكرهم له ، فحظهم منـه : الإجابة الدعوات باتساع الرزق ودفع الآفات ، وهو ما قال الله عز وجل : « النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ [(١)] » يعنى بالإيمان بأن لا دافع ولا مانع إلا الله .

قال : والضرب الثانى : للخصوص ، لأنهم رضوا بقضائه وصـبروا على بلائه ، وأخلصوا ، واتقوا ، وسكنوا ، واطمأنوا إلى قوله عزّ وجـلّ : « إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ [(٢)] » ، « إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ [(٣)] » فاطمأنوا وسكنوا إلى قوله : « مع » فكانت طمأنينتهم ممزوجة برؤية طاعتهم .

والضرب الثالث : لخصوص الخصوص : علموا أن سرائرهم لا تقدر أن تطمئن إليه ، ولا تسكن معه ، هيبة وتعظيما؛ لإنه ليس له غاية تدرك ، «وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» « وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ [(٤)] » ، فمن كانت له الأشياء فى سره كذلك فإلى ماذا يطمئن أو يسكن قلبه ؟ ومن وقع فى عطش التمنى فى طلب الزيادة وقع فى البحر الذى لاتجرى فيه الأوهام ، وهذا كلام قد اختصرته من كلام الواسطى .

والطمأنينة تقتضى حال المشاهدة

---

(١) الفجر : ٢٧ (٢) النحل : ١٢٨ (٣) الرعد : ٤٦ (٤) الإخلاص : ٤

باب حال المشاهدة

قال الشيخ ، رحمه الله : وقد قال الله تعالى : « إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ[1] » يعنى حاضر القلب .

وقال ، أيضاً : « وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ[2] »

وقال أبو بكر الواسطى ، رحمه الله : فالشاهد الرب والمشهود الكون : أعدمهم ثم أوجدهم .

وقال أبو سعيد الخراز ، رحمه الله : فمن شاهد الله بقلبه خنس عنه ما دونه ، وتلاشى كل شىء وغاب عند وجود عظمة الله تعالى ، ولم يبق فى القلب إلا الله ، عز وجل .

وقال عمرو بن عثمان المكى رحمه الله : المشاهدة ما لاقت القلوب من الغيب بالغيب ولا يجعلها عياناً ولا يجعلها وجداً .

وقال ، أيضاً : المشاهدة وصل بين رؤية القلوب ورؤية العيان ، لأن رؤية القلوب عند كشف اليقين فى زيادة توهم .

٣٧ وهو قول النبي عليه الصلاة والسلام ، لعبد الله بن عمر ، رضى الله عنه : «اعْبُدِ الله كأنك تراه » الحديث .

وأما قوله عزوجل : «وهُوَ على كل شىءٍ شهيدٌ[3] » فقالوا : هو مشاهدة الأشياء بعين العبر ، ومعاينتها بأعين الفكر .

وقال عمرو المكى رحمه الله : المشاهدة يعنى المحاضرة ، يعنى المداناة ، كما ذكر الله ، عز وجل : « وَسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ[4] » يعنى قريبة من البحر .

---

(١) ق : ٣٧ (٢) البروج : ٣ (٣) سبأ : ٤٧ (٤) الأعراف : ١٦٣

وقال عمرو المكى ، رحمه الله : المشاهدة : زوائد اليقين ، سطعت بكواشف الحضور ، غير خارجة من تغطية القلب .

وقال ، أيضاً : المشاهدة : حضور بمعنى قرب ، مقرون بعلم اليقين وحقائقها .

وأهل المشاهدة على ثلاثة أحوال :

فالأول منها : الأصاغر ، وهم المريدون ، وهو ما قال أبو بكر الواسطى ، رحمه الله : يشاهدون الأشياء بعين العبر ، ويشاهدونها بأعين الفكر .

والحال الثانى من المشاهدة : الأوساط ، وهو الذى أشار إليه أبو سعيد الخراز ، رحمه الله ، حيث يقول :

الخلق فى قبضة الحق وفى ملكه ، فإذا وقعت المشاهدة فيما بين الله وبين العبد لا يبقى فى سره ولا فى وهمه غير الله تعالى .

والحال الثالث من المشاهدة : ما أشار إليه عمرو بن عثمان المكى ، رحمه الله ، فى كتاب المشاهدة ، فقال : إن قلوب العارفين شاهدت الله مشاهدة تثبيت ، فشاهدوه بكل شىء ، وشاهدوا كل الكائنات به ، فكانت مشاهدتهم لديه ولهم به ، فكانوا غائبين حاضرين ، وحاضرين غائبين ، على انفراد الحق فى الغيبة والحضور ، فشاهدوه ظاهراً وباطناً ، وباطناً وظاهراً ، وآخراً أولاً ، وأولاً آخراً ، كما قال ، عزّ وجلّ : « هوَ الأوّلُ والآخرُ ، وَالظاهرُ والباطنُ ، وهوَ بِكلِّ شىْءٍ عَليمٌ »(1) .

والمشاهدة : حال رفيع وهى من لوائح زيادات حقائق اليقين .

وتقتضى حال اليقين .

---

(١) الحديد : ٣

باب حال اليقين

قال الشيخ ، رحمه الله : وقد ذكر الله تعالى اليقين فى مواضع من كتابه على ثلاثة أوجه : علم اليقين ، وعين اليقين ، وحق اليقين .

٣٨ وقال النبي ، صلى الله عليه وسلم : « سلوا الله تعالى العفو والعافية واليقين فى الدنيا
٣٩ والآخرة » وقال ، صلى الله عليه وسلم « رحم الله أخى عيسى ، عليه السلام لو ازداد يقينا لمشى فى الهواء »

وقال عامر بن عبد قيس ، رحمه الله : « لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً ، يعنى عند معاينتى لما آمنت به من الغيب ، وهذا كلام غلبات ووجد وتحقق

٤٠ وقد روى عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « الخلق يبعثون على ما يموتون
٤١ عليه » ولا يكون الخبر كالمعاينة فى جميع معانيها ، ويجوز أن يكون له وجه آخر ، وهو أن يعنى : ما ازددت علم يقين .

وقال أبو يعقوب النهر جورى ، رحمه الله : إذا استكمل العبد حقائق اليقين صار البلاء عنده نعمة ! والرخاء مصيبة

واليقين هو المكاشفة .

والمكاشفة على ثلاثة أوجه :

مكاشفة العيان بالأبصار يوم القيامة .

ومكاشفة القلوب بحقائق الإيمان بمباشرة اليقين بلا كيف ولا حد .

والحالة الثالثة : مكاشفة الآيات بإظهار القدرة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، بالمعجزات ، ولغيرهم بالكرامات والإجابات .

واليقين : حال رفيع ، وأهل اليقين على ثلاثة أحوال :

فالأول : الأصاغر ، وهم المريدون ، والعموم(١) .

(١) فى رواية أخرى : والعوام.

وهو كما قال بعضهم : أول مقام اليقين : الثقة بما فى يد الله تعالى . والإياس مما فى أيدى الناس .

وهو ما قال الجنيد ، رحمه الله ، حيث سئل عن اليقين ، فقال : اليقين ارتفاع الشك .

وقال أبو يعقوب : إذا وجد العبد الرضا بما قسم الله له فقد تكامل فيه اليقين .

وسئل رُوَيم بن أحمد ، رحمه الله ، عن اليقين ، فقال : تحقيق القلب بالمعنى على ما هو به .

والثانى الأوساط وهم الخصوص ، وهو ما سئل ابن عطاء عن اليقين ، فقال : ما زالت فيه المعارضات على دوام الأوقات .

وكما قال أبو يعقوب النهرجورى ، رحمه الله : العبد إذا تحقق باليقين ترحّل من يقين إلى يقين حتى يصير اليقين له وطناً .

وسئل أبو الحسين النورى ، رحمه الله ، عن اليقين ، فقال : اليقين : المشاهدة ، ومعنى المشاهدة قد ذكرناه .

والثالث : الأكابر ، وهم خصوص الخصوص ، وهو ماقال عمرو بن عثمان المكى ، رحمه الله : اليقين ، فى جملته : تحقيق الإثبات لله عز وجل بكل صفاته .

وقال : حد اليقين : دوام انتصاب القلوب لله عز وجل بما أورد عليها اليقين من حركات ما لاق به الإلهام .

وقال أبو يعقوب : لا يستحق العبد اليقين حتى يقطع عن كلِّ سبب حال بينه و بين الله تعالى ، من العرش إلى الثرى ، حتى يكون الله لا غير ، و يؤثر الله تعالى ، على كل شىء سواه ، وليس لزيادات اليقين نهاية ؛ كلما تفهّموا وتفقّهوا فى الدين ازدادوا يقيناً على يقين .

واليقين أصل جميع الأحوال و إليه تنتهى جميع الأحوال ، وهو آخر الأحوال ، و باطن جميع الأحوال ، وجميع الأحوال ظاهر اليقين ، ونهاية اليقين : تحقيق

التصديق بالغيب بإزالة كل شك وريب ، ونهاية اليقين : الاستبشار ، وحلاوة المناجاة ، وصفاء النظر إلى الله تعالى ، بمشاهدة القلوب بحقائق اليقين بإزالة العِلَل ومعارضة التهم .

قال الله تعالى : « إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ »[١] ، « وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ »[٢] .

وقال الواسطى ، رحمه الله :

إذا أيقن بالمعنى وقع له مشاهدة الأحوال ، وإذا انكشف له حقائق المعنى خرج من أشجان الخلق ، خاطبهم بالتقريب ، وهو الكشف من الصديقية ، وخاطبهم الله تعالى ، بالمشاهدة فقال :

« والصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ »[٣] ، الشهداء باعوه نفوسهم ، والصالحون الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون .

(١) الحجر : ٧٥ (٢) الذاريات : ٢٠ (٣) النساء : ٦٩

كتاب أهل الصـــــفوة

فى الفهم والاتباع لـكتاب الله عز وجل

باب الموافقة لـكتاب الله تعالى

قال الشيخ ، رحمه الله : قال الله عز وجل : « هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْـكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْـكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْـكِتَابِ ، وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ [١] » ، وقال : « وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ » [٢] ، وقال :
« يس وَالْقُرْآنِ الْحَـكِيمِ » [٣] ، وقال : « حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ » [٤] ، وقال النبى صلى ٤٢
الله عليه وسلم : « القرآن حبلُ الله المتين لا تنقضى عجائبه ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، من قال به صدق ، ومن عمل به رشَد ، ومن حكم به عدل ، ومن اعتصم به هُدِيَ » .

ورُوى عن عبد الله بن مسعود ، رضى الله عنه ، أنه قال : « من أراد العلم ٤٣
فليثوِّر القرآن ؛ فإن فيه علم الأولين ، والآخرين » ، وقد قال الله تعالى : « الم ، ذَٰلِكَ الْـكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ [٥] » .

فعلم أهل العلم بهذا الخطاب أن فى كتاب الله الذى أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم ، وهو القرآن الذى لا شك فيه لأحدٍ من المؤمنين أنه من عند الله ، أن

---

(١) آل عمران : ٧ (٢) الإسراء : ٨٢ (٣) يس : ٢
(٤) القمر : ٥ (٥) البقرة : ١

فيه هــدًى و بياناً لهم فى جميع ما أشكل عليهم من أحكام الدين ، بعد إيمانهم بالغيب ، وهو التصديق بما أخبرهم الله به عما غاب عن أعينهم .

ثم قال ، فى آية أخرى « وَنَزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ(١) » .

فأفادت هذه الآية لأهل الفهم من أهل العلم ، بعد إيمانهم بالغيب أيضاً ، أن تحت كل حرف من كتاب الله تعالى كثيراً من الفهم مذخوراً لأهله على مقــدار ما قُسم لهم من ذلك ، واستدلوا على ذلك بآيات من القرآن ، مثل قوله عز وجل : «مَا فَرَّطْنَا(٢) فِى الكِتَابِ مِنْ شىءٍ » ، وقوله : « وكلَّ شَىْءٍ أَحْصيْنَاهُ فى إمَامٍ مُبِينٍ »(٣) ، وقوله : « وَإِنْ مِنْ شىْءٍ إلا عِنْدَنا خزَائنُهُ ، ومَا نُنزِّلُه إلا بِقَدَرٍ مَعلوم »(٤) .

وقالوا فى معنى قوله عز وجل : « مِنْ شَىْءٍ » إن معناه : من شىء من عِلم الدين ، وعلم الأحوال التى بين الخلق و بين الله تعالى وغير ذلك .

وقال عز وجل ، فى آية أخرى : « إنَّ هذا القرآنَ يَهدِى لِلتى هى أَقْوَم »(٥) يعنى يدلُّ إلى الذى هو أصوب ، فعلم أهل الفهم من أهل العلم أن لا سبيل إلى التعلق بالأصوب مما يهدى إليه القرآن إلا بالتدبر ، والتفــكر ، والتيقظ ، والتذكر وحضور القلب عنــد تلاوته ، وعلموا ذلك أيضاً ، بقوله : « كِتَابٌ أنزَلْنَاهُ إليكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وليتذكَّرُ أُولُوا الألباب »(٦) .

ثم استفاد أهل الفهم من هذه الآية ، أيضاً أن التدبر ، والتفــكر ، والتذكر

(١) النحل : ٨٩ (٢) الأنعام : ٣٨ (٣) يس : ١٢
(٤) الحجر : ٢١ (٥) الإسراء : ٩
(٦) ص : ٢٩

لا وصول إليه إلا بحضور القلب ، لقول الله عز وجل : « إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ[(١)] » يعنى حاضر القلب .

ثم لم يترك على ذلك حتى ذكر القلب فى آية أخرى فقال : « يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ ولابنون . إلا من أتى الله بقلب سليم[(٢)] » .

ثم لم يترك على ذلك حتى أقام إماماً للخلق فى القلب السليم ، فقال عز وجل : « وإنَّ من شيعته لإبراهيمَ ، إذ جاء ربه بقلب سليم[(٣)] » قال أهل الفهم : القلب السليم الذى ليس فيه غير الله ، عز وجل .

وقال سهل بن عبدالله ، رحمه الله : لو أعطىَ العبدُ لكل حرف من القرآن ألف فهم لما بلغ نهاية ما جعل الله تعالى فى آية من كتاب الله تعالى من الفهم ، لأنه كلام الله تعالى ، وكلامه صفته .

وكما أنه ليس لله نهاية فكذلك لانهاية لفهم كلامه ، وإنما يفهمون على مقدار مايفتح الله تعالى على قلوب أوليائه من فهم كلامه ، وكلام الله غير مخلوق فلا تبلغ إلى نهاية الفهم فيه فهومُ الخلق ، لأنها محدثة مخلوقة .

وقد ذكر الله تعالى الهداية فى القرآن قوله : « هُدًى لِلْمُتَّقِينَ[(٤)] » .

(١) ق : ٣٧
(٢) الشعراء : ٨٨ - ٨٩
(٣) الصافات : ٨٣ - ٨٤
(٤) البقرة : ٢

باب فى تخصيص الدعوة
ووجه الاصطفاء

قال سهل بن عبد الله رحمه الله : الدعوة عامة ، والهداية خاصه ، وأشار إلى قوله تعالى : « والله يَدْعُو إلى دارِ السَّلْمِ ، وَيَهْدِى مَنْ يَشَاء إلى صِرَاط مُسْتَقِيم (١) » ، لأن الدعوة عامة ، والهداية مختصة على تفاضلها ، لأنه رد المشيئة فى باب الهداية إليه ، فكان الذين اختارهم وأحبهم واصطفاهم دون من دعاهم .

وقد ذكر الله تعالى الاصطفاء أيضاً ، فى مواضع من كتابه ، فقال فى موضع : « قلِ الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الذينَ اصطفى ، آلله خيرٌ أمايشركونَ (٢) » .

فأشار بالسلام إلى عباد قد اصطفاهم واجتباهم ، ولم يبين من هم ؟ وكيف هم ؟

ثم لم يتركَ على ذلك وقال فى آية أخرى : « الله يصطفى منَ الملائكةِ رُسلا ومن الناسِ (٣) »

قال المفسرون : « ومنَ الناس » يعنى به الأنبياء ، فلو تركَ على هذا أيضاً لكان للقائل أن يقول : إن الاصطفاء لايجوز إلا للأنبياء ، فقال : « ثم أورثنا الكتَابَ الذينَ اصطفينَا منْ عبادنا ، فمنهم ظالمٌ لنفسه ومنهمْ مقتصدٌ ، ومنهمْ سابقٌ بالخيراتِ (٤) » .

ففرق بين الاصطفاء الذى ذكر للرسل ، عليهم السلام والاصطفاء الذى ذكر لعباده الذين أورثهم الكتاب ، وهم المؤمنون ، ثم بين أنهم متفاوتون أيضاً فى أحوالهم

---

(١) يونس : ٢٥ (٢) النمل : ٥٩
(٣) الحج : ٧٥ (٤) فاطر : ٣٢

التي بينهم و بين الله تعالى : « فمنهم ظالمٌ لنفسه » الآية ، فوقع الاصطفاء على وجهين :

اصطفاء الأنبياء عليهم السلام بالعصمة ، والتأييد ، والوحي ، وتبليغ الرسالة ، ولسائرهم من المؤمنين : الاصطفاء بصفاء المعاملة وحسن المجاهدة والتعلق بالحقائق والمنازلة .

ثم قال عز وجل : « لكلٍّ جعلنا منكم شرْعة ومنهاجاً[١] » .

وقال تعالى : « لو شاء اللهُ لجعلكم أمةً واحدةً ولكن ليبلوَكم فيما أتاكم فاستبِقوا الخيراتِ[٢] » .

فأمرهم الله تعالى بالاستباق ، والمسارعة والمبادرة إلى الخيرات مجملا ، ولم يبين أيْشَ الخيرات التي أمرهم بالاستباق إليها ؛ ثم فصل و بين مواضع كثيرة كقوله :

« وهدًى للمتقين[٣] » ، « وموعظةً المتقين[٤] » ، « و إيَّايَ فاتقون[٥] » ، « و إيَّايَ فارْهبون[٦] » ، « فلا تخافوهُمْ وخافون[٧] » ، « فلا تخشوهُمْ واخشون[٨] » ، «فاذكروني أذْكرْكم[٩] » ، «وعلى الله فتوكَّلوا[١٠] » ، «وأطيعوا الله وأطيعوا الرسُول[١١] » ، « والذين جاهدوا فينا[١٢] » ، « ومن شكر فإنما يشكر لنفسه[١٣] » ، « والله يحبُّ الصابرينَ[١٤] » ، « وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين[١٥] » .

---

(١) المائدة : ٤٨ (٢) المائدة : ٤٨ (٣) البقرة : ٢
(٤) البقرة : ٦٦ (٥) البقرة : ٤١ (٦) البقرة : ٤٠
(٧) آل عمران : ٧٥ (٨) البقرة : ١٤٥ (٩) البقرة : ١٥٢
(١٠) المائدة : ٢٣ (١١) المائدة : ٩٢ (١٢) العنكبوت : ٦٩
(١٣) النمل : ٤٠ (١٤) آل عمران:١٤٦ (١٥) البينة : ٥

وقال : « رجالٌ صدقوا عاهدوا الله عليه[1] » ، ثم ذكر : القانتين والقانتات ، والصادقين والصادقات ، والصابرين والصابرات ، والخاشعين والخاشعات .

وذكر فى آيات من القرآن : التوبة ، والإنابة، والتفويض ، والرضا ، والتسليم ، والقناعة ، وترك الاختيار .

ثم قال : « قل متاعُ الدنيا قليلٌ والآخرة خيرةُ خيرٌ لمن اتقى[2] » .

وقال : « ذلك متاع الحياةِ الدنيا ، والله عنده حسنُ المآبِ[3] » ، « وما الحياةُ الدنيا إلا لعبٌ ولهوٌ[4] » ، « وما حيـاةُ الدنيا إلا متاعُ الغرور[5] » ، ثم قال : « من كان يريد حرثَ الآخرة نزد له فى حرثه ومنْ كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة منْ نصيب[6] » .

ثم ذكر الشيطان فقال : « إنّ الشيطانَ لكم عدوٌ فاتخذوه عـدواً[7] » ، وقال : « أفرأيتَ من اتخذ إليه هواه وأضلهُ الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل الله على بصره غشاوة[8] » ، وقال : « فأما من طغى وآثر الحيـاة الدنيا[9] » الآية .

وما يشبه ذلك من الآيات التى ندب الله تعالى الخلق إلى المسارعة والاستباق إلى التعلق والخلق بها ، والصدق والإخلاص فيها كثيرة ؛ والمؤمنون فى قبول ذلك متساوون ، وفى منازلتها وركوب حقائقها متفاوتون ، والجميع مخاطبون .

وهم على ثلاث درجات .

---

(١) الإحزاب : ٢١ (٢) النساء : ٧٧ (٣) آل عمران : ١٤
(٤) الأنعام : ٣٢ (٥) الحديد : ٢٠ (٦) الشورى : ٢٠
(٧) فاطر : ٦ (٨) الجاثية : ٢٣ (٩) النازعات : ٢٧ – ٢٨

باب ذكر تفاوت المستمعين

خطاب الله تعالى ودرجاتهم فى قبول الخطاب

قال الشيخ ، رحمه الله : فمنهم من سمع الخطاب ، وقبله ، وأقر به ، وتعرض لما خوطب به من هذه الآيات البينات التى ذكرناها ، والتى لم نذكرها فيما يشبه ذلك وحال بينه و بين العمل بها والانتفاع بما وعدهم الله تعالى من الثواب عليها ، الاشتغال بالدنيا والغفلة ومتابعة النفس ، واختيار ، الحظوظ على الحقوق ، والإجابة لدواعى العدو ، والميل إلى أمارات الهوى والشهوات ؛ وهم الذين وصفهم الله تعالى فى كتابه وزجرهم وو بخهم ، حيث يقول :

« أفرأيتَ من اتخذ إلهه هواهُ وأضلهُ الله على علم[(١)] » وقال : « ولاتطع من من أغفلنا قلبهُ عن ذكرنا واتبعَ هواه[(٢)] »، وقال : « خذ العفو وامُرْ بالعُرْف[(٣)] » وقال :«زُين للناسِ حبُّ الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ، ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب»[(٤)] ، ثم قال ، عز وجل : « قل أؤُنبئكم بخير منْ ذٰلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزوج مطهرة ورضوان من الله والله بصيرٌ بالعباد »[(٥)] .

ومنهم من سمع الخطاب ، فأجاب ، وتاب ، وأناب ، وعمل فى الطاعات ، وتحقق فى الأحوال والمنازلات ، وصدق فى المعاملات ، وأخلص فى المقامات ؛ وهم الذين ذكرهم الله تعالى فى كتابه ، وذكر ما أعد الله لهم ، فقال :

---

(١) الجاثية : ٢٣ (٢) الكهف : ٢٨ (٣) الأعراف : ١٩٩
(٤) آل عمران : ١٤ (٥) آل عمران : ١٥

« الذين يقيمون الصلاة ويؤتونَ الزكاة وهمْ بالآخرة هم يوقنون أولائك على هدى من ربهم[١] » ، وقال : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوْسِ نزولا[٢] » ، وقال : « من عملَ صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمنٌ فلنُحْيِيَنَّهُ حياة طيبة ولنجزينهم بأحسن ما كانوا يعملون[٣] » .

قالوا : الحياة الطيبة : هي الرضا والقناعة بالله عز وجل .

ثم قال : « قد أفلحَ المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعونَ ، والذين هم عن اللغْوِ معرضون[٤] » الآية .

وقال عمرو المكى رحمه الله : فكل شيء غير الله مما وقع فى القلوب فهو لغوٌ ، فأخبر أن الموحدين عن كل شيء غير الله معرضون ، ثم قال : « أولئك همُ الوارثون الذينَ يرثون الفردوس هم فيها خالدون[٥] » .

وذكرهم فى القرآن كثير ، وقد فضلهم على غيرهم بذكره لهم ووعده إياهم بالثواب الجزيل .

والطبقة الثالثة من المخاطبين : هم الذين ذكرهم الله تعالى ، وشرفهم بذكره لهم ، ونسبهم إلى العلم والخشية فقال : « إنما يخشى الله من عباده العلماء[٦] » .

وقال : « وأولوا العلم قائماً بالقسط[٧] » ، وقال : « هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون[٨] » .

ثم خص من هؤلاء قوماً أيضاً ، فقال : «والراسخون فى العلم[٩]» زاد فى وصفهم الذى شرفهم به ، معنى آخر :

(١) النمل : ٣
(٢) الكهف : ١٠٧
(٣) النحل : ٩٧
(٤) المؤمنون : ١ ـ ٢
(٥) المؤمنون : ١٠ ـ ١١
(٦) فاطر : ٢٨
(٧) آل عمران : ١٨

قال أبو بكر الواسطى ، رحمه الله : الراسخون فى العلم : هم الذين رسخوا بأرواحهم فى غيب الغيب ، وفى سر السر ، فعرّفهم ماعرفهم ، وأراد منهم من مقتضى الآيات مالم يرد من غيرهم ، وخاضوا بحر العلم بالفهم ، لطلب الزيادات ، فانكشف لهم من مذخور الخزائن والمخزون تحت كل حرف وآية من الفهم وعجائب النص ، فاستخرجوا الدر والجواهر ، ونطقوا بالحكم .

ومنهم من كانت البحار عنده كتفلة فيما شاهد من المستأثرات ، يعنى مستأثرات العلم الذى استأثر الله تعالى به أنبياء ، وخص بذلك أولياءه وأصفياءه ، فغاص بسره عند صفاء ذكره وحضور قلبه فى بحار الفهم ، فوقع على الجوهر العظيم ، وهو الذى علم مصادر الكلام من أين ، فوقع على العين ، فأغناهم عن البحث والطلب والتفتيش .

وهذا شرح من كلام الواسطى فيما ذكر و بيان ماقال الواسطى فى كلام ذكر ذلك عن أبى سعيد الخراز فى معنى ذلك .

قال أبو سعيد ، رحمه الله : أول الفهم لكتاب الله عز وجل : العمل به : لأن فيه العلم ، والفهم ، والاستنباط ؛ وأول الفهم إلقاء السمع والمشاهدة ، لقول الله ، عزوجل: « إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد[(١)] » وقال تعالى : « الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه[(٢)] » .

والقرآن كله حسن ، ومعنى اتباع الأحسن ما يكشف للقلوب من العجائب عند الاستماع و إلقاء السمع من طريق الفهم والاستنباط .

---

(١) ق : ٣٧ (٢) الزمر : ١٨

باب فى شرح استنباط إلقاء السمع والحضور بالتدبر عند التلاوة وفهم الخطاب بما خوطب به العبد

قال الشيخ ، رحمه الله : واعلم أن إلقاء السمع والحضور عند الاستماع على ثلاثة أوجه :

قال أبو سعيد الخراز ، رحمه الله ، فيما بلغنى عنه : أول إلقاء السمع لاستماع القرآن هو أن تسمعه كأن النبي صلى الله عليه وسلم يقرأه عليك ثم ترق عن ذلك فكأنك تسمعه من جبريل عليه السلام وقراءته على النبي صلى الله عليه وسلم ؛ لقول الله ، عز وجل : « وإنهُ لَتنزيلُ رَبّ العَالمينَ ، نَزَلَ بهِ الرُّوحُ الأمِينُ عَلَى قَلبِكَ . . . »(١) الآية ، ثم ترق عن ذلك فكأنك تسمعه من الحق ، وذلك قول الله ، عز وجل : « ونُنزلُ مِنَ القرآنِ ما هُوَ شِفاء ورَحْمَةٌ لِلمُؤمِنِينَ »(٢) وقوله : « تنزِيلُ الكِتَابِ مِنَ اللهِ العزِيزِ الحَكيمِ »(٣) فكأنك تسمعه من الله ، تعالى ، وكذلك : « حم تَنزِيلُ الكِتَابِ مِنَ اللهِ العزِيزِ العلِيمِ »(٤)

ومخرج الفهم فى استماعك من الله تعالى : عند حضور قلبك وغيبتك عن أشغال الدنيا وعن نفسك بقوة المشاهدة ، وصفاء الذكر ، وجمع الهم ، وحسن الأدب ، وطهارة السر ، وصدق التحقيق ، وقوة دعائم التصديق ، والخروج إلى السعة من الضيق ، وحضور المشاهدة لنفاذ الغيب ، وسرعة الوصول إلى المذكور بالغيب بكلام اللطيف الخبير .

---

(١) الشعراء : ٩٣ - ٩٤ (٢) الإسراء : ٨٢ (٣) الزمر : ١
(٤) غافر : ١ - ٢

وشرح هذا كله مفهوم ومستنبط من قوله ، تعالى : « الذِينَ يؤْمِنونَ بالغيبِ »(١)

قال أبو سعيد ابن الأعرابى : هم فى غيبه مغيبون ، فبالغيب آمنوا بالغيب ، وهو ، وإن كان غيباً ، فإنه لا يلحقهم فى ذلك شك ولا ريب .

وقال ، تعالى : « قلِ اللهُ يهدِى للحقّ ، أفمنْ يهدِى إلى الحقّ أحقُّ أنْ يتبعَ ، أمنْ لا يهدى إلا أنْ يهدَى ؟ »(٢) ؛ وقال : « فمَا ذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرَفونَ ؟ »(٣).

وقال أبو سعيد الخراز ، رحمه الله : كلما أدرك الخلق من الله فإنما أدركوا غيباً خارجاً عن نعوت الحقائق ، وهو قوله : « الذين يؤمنون بالغيب » والغيب هو ما أشهد الله تعالى القلوب من إثبات صفات الله وأسمائه ، وما وصف به نفسه ، وما أدى إليهم الخبر فأثبتوا الصفات ، ولم يدعوا إدراكها على نهاية ، ألا تسمع إلى قوله ، تعالى : « ولوْ أنّ ما فِى الأرْضِ منْ شجرةٍ أقلامٌ والبحرُ يمدهُ منْ بعدِهِ سبعة أبحر مَا نفدَتْ كلماتُ اللهِ »(٤) ؟ فإذا كان وصف كلامه لا يدرك ، ولا يوصل إلى نهاية فهمه ، فكيف يدرك حقيقة وصفه وهويته وكنهه ؟

فلذلك قرر عند أهل الفهم من أهل العلم أن كل شىء أشار إليه المتحققون ، والواجدون ، والعارفون ، والموحدون ؛ وماعبروا عنه ، وما لم تسعه العبارة ، ولا يومى إليه بالدلالة ، ولا يشار إليه بالإشارة ، من اختلاف المعارف ، وتباين الأحوال والمقامات والأماكن ، وغير ذلك مما شاهدوه ظاهراً وباطناً ، هو الغيب الذى وصفه الله تعالى ، بقوله : « الذين يؤمنون بالغيب » .

---

(١) البقرة : ٣
(٢) يونس : ٣٥
(٣) يونس : ٣٢
(٤) لقمان : ٢٨

باب وصف أرباب القلوب فى فهم القرآن

قال الشيخ ، رحمه الله : وقد ذكر الله تعالى وصف جميع أرباب القلوب وأهل الحقائق : من المريدين ، والعارفين ، والمتحققين ، والواجدين ، وأهل المجاهدات ، والرياضات ، والمتقربين إليه ، بأنواع الطاعات ، ظاهراً و باطناً ، كما فى كتابه وهو قوله ، عز وجل ، فيما يصف به ملائكته : « أولئكَ الذينَ يدعون يَبتغونَ إلَى رَبهمْ الوَسيلَةَ أيهمْ أقربُ ؟ »(١) وقال للمؤمنين : « يأيهَا الذينَ آمنوا اتقوا اللهَ وابْتغوا إليهِ الوسيلَةَ »(٢) .

فكان فى هذه الآية شرح و بيان فى صفة الذين يؤمنون بالغيب بابتغاء الوسيلة .

ثم زاد فى البيان والتفصيل فى آية أخرى ، يحث به المؤمنين على المسارعة إلى الخيرات ، فقال ، عز وجل : « أيحسبونَ أنمَا نمدهمْ بهِ منْ مالٍ و بنينَ نسارعُ لهمْ فِى الخيرات بل لا يشعرون »(٣) .

واستفاد أهل الفهم من هذه الآية أن أول المسارعة إلى الخيرات هو التقلل من الدنيا ، وترك الاهتمام بالرزق ، والتباعد والفرار من الجمع والمنع باختيار القلة على الكثرة ، والزهد فى الدنيا على الرغبة فيها .

ثم ذكر الذين يسارع لهم فى الخيرات ووصفهم فقال : « الذينَ همْ منْ خشيةِ رَبهمْ مشفِقونَ »(٤) فوصفهم بالإشفاق من الخشية ؛ والخشية والإشفاق اسمان باطنان ، وهما عملان من أعمال القلب ، فالخشية سر فى القلب خفى والإشفاق من الخشية أخفى من الخشية .

وهو الذى ذكر الله ، تعالى فقال : « يعلمُ السرَّ وأخفىَ »(٥) .

وقد قيل : إن الخشية انكسار القلب من دوام الانتصاب بين يدى الله تعالى .

(١) الإسراء : ٥٧ (٢) المائدة : ٣٥ (٣) المؤمنون : ٥٥ ـ ٥٦
(٤) المعارج : ٢٧ (٥) طه : ٧

ثم من بعد هذه المرتبة الشريفة والحال الرفيعة التى وصفهم الله تعالى بهما من الخشية والإشفاق وغير ذلك فقال : « والذينَ همْ بآياتِ رَبهمْ يُؤْمنونَ »[١] ، وكانوا قبل الخشية والإشفاق مؤمنين بآيات الله فعلم أنه أراد بذلك زيادة الإيمان ، ألا ترى أنه يصف رسوله الله صلى الله عليه وسلم بالإيمان به بعد الرسالة والنبوة ، وذلك قوله ، عز وجل : « فآمنوا باللهِ ورَسولِهِ النبيِ الأميِ الذِى يُؤْمنُ باللهِ وكلماته »[٢] .

فاستنبط أهل الفهم واستفادوا من هذه الآية أن زيادة الإيمان لا نهاية لها ، وأن جميع ما وصل إليه أهل الحقائق من بدايتهم ، أن ذلك من حقائق الإيمان وزيادته، وبراهينه وأنواره ، وأن لا نهاية لذلك .

ثم قال ، عز وجل : « والذينَ همْ بِرَبهمْ لاَ يُشْرِكونَ » ،[٣] فذكر أنهم لا يشركون بربهم بعد ما وصفهم بالخشية والإشفاق والإيمان .

فاستفاد أهل الفهم أيضاً من ذلك وعلموا مستنبط هذه الآية . وذكر الشرك هاهنا : أنه من الشرك الخفى الذى يعارض القلوب من رؤية الطاعات وطلب الأعواض بعد ما شهد شاهد صريح الإيمان أن لا ضار ولا نافع ، ولا معطى ولا مانع ، إلا الله؛ فعند ذلك شمروا وجدوا ، وتضرعوا إلى الله تعالى ، وطلبوا منه الخلاص لقلوبهم بصدق الإخلاص فى الإخلاص ، وعلموا أنهم على قدر إخلاصهم فى إيمانهم ينظرون إلى دقائق شركهم وريائهم الذى هو أخفى من دبيب النمل على الحجر الأسود فى الليلة الظلماء .

وقد ذكر عن سهل بن عبد الله ، رحمه الله : أنه كان يقول : أهل لا إلهَ إلا اللهُ ٤٤
كثير ، والمخلصون منهم قليل .

---

(١) المؤمنون . ٥٨ (٢) الأعراف : ١٥٨ (٣) المؤمنون . ٥٩

وقال سهل ، أيضاً : الدنيا كلها جهل إلا ما كان منه العلم ، والعلم كله حجة إلا ما كان العمل به ، والعمل كله هباء إلا موضع الإخلاص فيه ، وأهل الإخلاص على خطر عظيم .

ثم قال عز وجل : « والذِينَ يُؤتونَ مَا آتَوْا وقلوبهمْ وجلةٌ أنهمْ إلى رَبهمْ رَاجعونَ »(١) .

فاستنبط أهل الفهم من هذه الآية ، أيضاً ؛ أن وجل قلوبهم مع ما آتوا من المسارعة والاستباق إلى هذه الأحوال التى ذكرنا ، أن ذلك الوجل هو الوجل الذى لا سبيل إلى الكشف عن علم ذلك ، ولا وقوف عليه لأحد من خلقه ، وهو علم الخاتمة ، وما سبق لهم من الله تعالى فى علم الغيب من الشقاوة والسعادة ؛ فعند ذلك تقطع نياط قلوبهم ، وذهلت عقولهم ، وذهبت علومهم ، وغابت فهومهم ، واقبلوا على الله تعالى ، بصدق اللجأ ، وإظهار الفاقة ودوام الافتقار .

وتصديق ذلك ما قد روى فى ذلك عن عائشة ،رضى الله عنها : أنها سألت رسول
٤٥ الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يارسول الله : « الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة » هو الذى يزنى ويسرق ويشرب ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم ؛ لا ، ولكن هو الذى يصلى ويصوم ويتصدق ويخاف أن لايقبل منه ، ثم قال : «وأولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون »(٢) .

فدل ذلك على أن بالمسارعة إلى هذه الخيرات تنال درجة السابقين وتبتغى منزلتهم .

---

(١) المؤمنون : ٦٠ (٢) المؤمنون : ٦١

باب ذكر السابقين ، والمقربين ، والأبرار

من طريق الفهم والاستنباط

قال الشيخ ، رحمه الله : قال الله ، تعالى : « والسابقون السابقون أولئك المقربون[1] » ، ثم بين فضل المقربين على من دونهم من الأبرار والسابقين بعدذلك فقال : « كلا إن كتاب الأبرار لفى عليين ، وما أدراك ماعليون[2] » ، ثم قال : « إن الأبرار لفى نعيم ، على الأرائك ينظرون » وصف الكرامات التى أكرم بها الأبرار ، وماخصهم بهمن النعيم والدرجات فى عليين فقال : « تعرفُ فى وجوههمْ نضرة النعيم[3] » ، يعنى أن أهل الجنة يعرفون بالنضارة التى فى وجوههم ، يعنى فى وجوه الأبرار من النعيم الذى خصوا به من بين أهل الجنة ، ثم قال : « يسقون من رَحيق مختوم[4] » .

ولم يصف لأهل الجنة أنهم يسقون من الرحيق المختوم إلى قوله : « ومزاجهُ من تسنيم[5] عيناً يشربُ بها المقربون[6] » .

فخص الأبرار فى الجنةمن بين أهل الجنة بالرحيق المختوم ، ثم فضل شراب الأبرار وهو الرحيق المختوم على شراب أهل الجنة بمزاجه ، لأن مزاجه من التسنيم ، والتسنيم هو العين التى يشرب بها المقربون ، فصار شراب الذى فضلوا به على أهل الجنة معلولا بمزاجه عند شراب المقربين الذى ليس بممزوج .

---

(١) الواقعة : ١٠ – ١١
(٢) المطففون : ١٨ – ١٩
(٣) المطففون: ٢٢ – ٢٣
(٤) المطففون : ٢٥
(٥) المطففون : ٢٥
(٦) المطففون : ٢٨

فانظر إلى هذه الإشارة ، ما ألطفها فى معنى المقربين،لأن الأبرار الذين خصوا من أهل عليين بالرحيق المختوم ونضرة النعيم والأرائك يمزج لهم فى شرابهم مزاجاً من شراب المقربين ، الذى يشرب به المقربون على الدوام .

واستنبط أهل الفهم فيها معينين .

أحدهما: أن شراب الأبرار ممزوج ، وشراب المقربين صرف غير ممزوج ، كما قال الله عزوجل ، فى آية أخرى : « إن الأبرار يشربونَ من كأسٍ كانَ مزاجها كافوراً[١] » ثم وصف ما أعد الله لهم ، ثم قال : « ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلا عيناً فيها تسمى سلسبيلا[٢] » ، ثم أخذ فى صفة أخرى من نعيم أهل الجنة فقال : « وإذا رأيت ثَمَّ رأيت نعيما وملكا كبيراً[٣] » ، أشار إلى نعيم لاصفة له بقوله : « ثم رأيت نعيما » ولم يصف النعيم ، فلما بلغ إلى آخر القصة قال : « وسقاهم ربهم شراباً طهوراً[٤] » ، فكلما ذكر شربهم ووصف فى ذلك فعلهم بقوله : «يشربون» يذكر المزاج فى شربهم ، فلما قال : « وسقاهم ربهم شراباً طهوراً » لم يذكر المزاج فى شربهم .

والمعنى الآخر : أن العين التى هى شراب المقربين يمزج منه بالعين التى هى شراب الأبرار .

ففضلوا على أهل الجنة بمزاج مزج شرابهم من التسنيم ، وهو العين التى يشرب بها المقربون .

---

(١) الإنسان : ٥ (٢) الإنسان : ١٧ — ١٨

(٣) الموجود فى قراءتنا «ثم» بمعنى هناك وقرأ الجمهور بفتح الثاء وحميد الأعرج بضمها : الإنسان : ٢٠

(٤) الإنسان : ٢١

فهذا فرق بين الأبرار والمقربين والله أعلم .

ثم قال جل ذكره : « ولا نكلفُ نفساً إلا وسعها[1] » ، فبين أن المؤمنين إنما أعطوا الاستطاعة على قدر الطاقة فى ركوب هذه الحقائق ومنازلة هذه الأحوال ، لأن جميع ما أتى به الأنبياء ، عليهم السلام ، فمن دونهم من الحقائق هو داخلٌ فى قوله عز وجل : « اتقوا الله ما استطعتُمْ[2] » لم يخرج أحد من ذلك .

---

(١) المؤمنون : ٦٢ (٢) التغابن : ١٦

باب بيان التشديد فى القرآن ، ووجوه ذلك

قال الشيخ ، رحمه الله : اعلم أن الله تعالى قد أوجب على عباده بقوله : « واتقوا الله ما استطعتم » فرضاً ، لو أنهم أتوا بجميع أعمال الملائكة والأنبياء والصديقين ، ثم يطالبهم بحقيقة ذلك كان الذى عليهم فى ذلك من إثبات الحجة أكثر من الذى لهم

ألا ترى أن الملائكة مع ماجبلهم الله تعالى عليه من أنواع العبادات يقولون : ٤٥
سبحانك ربنا ، حقّ عبادتك ، ويقولون : « سبحانك لاعلم لنا إلا ماعلمتنا[1] » .

فقد تبرءوا من علمهم وعبادتهم عند مشاهدة الحقيقة .

ومعنى قوله عز وجل : « اتقوا الله حق تقاته[2] » راجع إلى قوله : « فاتقوا الله ما استطعتم » .

والتشديد فى قوله : « اتقوا الله مااستطعتم » لأنك لوصليت ألف ركعة واستطعت أن تصلى ركعة أخرى فأخرت ذلك إلى وقت آخر فقد تركت استطاعتك ، ولوذكرت الله تعالى ألف مرة ، واستطعت أن تذكره مرة أخرى فتؤخر ذلك إلى وقت ثان فقد تركت استطاعتك ، وكذلك لو تصدقت على سائل بدرهم ، واستطعت أن تعطيه درهما آخر ، أو حبة أخرى فلم تفعل ذلك ، فقد تركت استطاعتك .

فمن أجل ذلك قلنا : التشديد فى قوله ما استطعتم .

ومن الآيات التى فيها التشديد أيضاً قوله تعالى : « فلا وربكَ لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما[3] »

موضع التشديد فى هـذه الآية : أن الله تعالى ، ذكر القسم أنهم لايؤمنون ، حتى يحكموا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما شجر بينهم ، ثم إن وجدوا فى أنفسهم

---

(١) البقرة : ٢٣ (٢) آل عمران : ١٠٢ (٣) النساء : ٦٥

حرجاً ، يعنى فى قلوبهم وأسرارهم و باطنهم ضيقا ، أو كراهة فى حكمه ، لو أنه حكم عليهم بالقتل ، فقد خرجوا من الإيمان .

وقد ذكر الله القسم على خروجهم من الإيمان .

فلو قسنا على ذلك ما أمرنا الله تعالى به من الصبر على أحكام الله عز وجل ، والرضا بما قسم الله لنا من الأخلاق والأرزاق ، والآجال والأعمال لم نجد معنا . ومع كثير من الناس ، ذرة من الإيمان ؛ ولولا رجاء الخلق فى سعة رحمه الله تعالى لهلكوا بذلك .

باب ما قيل فى فهم الحروف والأسماء

قال : الشيخ رحمه الله : يقال : إن جميع ما أدركته العلوم وألحقته الفهوم :ما عبر عنه وما أشير إليه ، مستنبط من حرفين من أول كتاب الله ، تعالى ، وهو قوله : «بسم الله ، والحمد لله : لأن معناه بالله ولله ، والإشارة فى ذلك : أن جميع ما أحاط به علوم الخلق وأدركته فهو مهم فليست هى قائمة بذواتها ، إنما هى بالله ولله .

وقيل للشبلى ، رحمه الله ، كما بلغنى : أيش الإشارة فى الباء من « بسم الله؟ فقال أى بالله قامت الأرواح ، والأجساد ، والحركات ، لا بذواتها.

وقيل لأبى العباس بن عطاء ، رحمه الله : إلى ماذا سكنت قلوب العارفين؟ فقال: إلى أول حرف من كتابه وهو الباء من : «بسم الله الرحمن الرحيم» فإن معناه أن بالله ظهرت الأشياء ، وبه فنيت ، و بتجليه حسنت و باستتاره قبحت وسمجت لأن فى اسمه « الله »هيبته وكبرياءه ؛ وفى اسمه : الرحمن » محبته ومودته ؛ وفى اسمه : « الرحيم » عونه ونصرته .

فسبحان من فرق بين هذه المعانى فى لطائفها بهذه الأسماء فى غوامضها !!!

قال الشيخ رحمه الله : معنى قوله : بتجليه حسنت يعنى بقبوله لهـــا ، و بذا سميت الحسنة حسنة ، لأنه قبلها ، ولو لم يقبلها ما سميت الحسنة حسنة ، ومعنى قوله : باستتاره قبحت وسمجت ، يعنى برده لها وإعراضه عنها ، وبذلك سميت السيئة سيئة ولو لا ذلك لما سميت سيئة

وقال أبو بكر الواسطى ، رحمه الله : كل اسم من أسماء الله تعالى يتخلق به إلا اسمه: الله ، واسمه الرحمن ؛ لأنهما للتعلق دون التخلق، وكذلك الصمدية ممتنعة عن الإدراك والإحاطة قال الله تعالى : « ولا يحيطون به علما[1] »

---

(١) طه : ١١٠

وقد قيل ، أيضاً : إن اسم الله الأعظم هو : الله ؛ لأنه إذا ذهب عنه الألف يبقى لله وإن ذهب عنه اللام يبقى له ، فلم تذهب الإشارة ، و إن ذهب عنه اللام الآخر فيبقى هاء وجميع الأسرار فى الهاء ؛ لأن معناه : هو ، وجميع أسماء الله تعالى إذا ذهب عنه حرف واحد يذهب المعنى ولم يبق فيه موضع الإشارة ، ولاتحمل العبارة

فمن أجل ذلك لا يسمى به غير الله تعالى .

وعن سهل بن عبد الله رحمه الله : أنه قال : الألف أول الحروف وأعظم الحروف وهو الإشارة فى الألف ، أى : الله الذى ألف بين الأشياء وانفرد عن الأشياء

وقال أبو سعيد الخراز ، رحمه الله : إذا كان العبد مجموعا على الله تعالى، لا ينصرف منه جارحة إلى غير الله عز وجل ، فعندها تقع له حقائق الفهم عند تلاوة كتاب الله عز وجل الذى ليس مع الخلق

وقال أبو سعيد ، رحمه الله : كلما بدا حرف من الأحرف من كتاب الله عز وجل على قدر قربك وحضورك عنده فله مشرب وفهم غير مخرج الفهم الآخر ؛ إذا سمعت بقوله : « الم ذلك » فللألف علم يظهر فى الفهم غير ما يظهر اللام ، وعلى قدر المحبة ، وصفاء الذكر ووجود القرب يقع التفاوت فى الفهم

قال أبو سليمان الدارانى : ربما جاءت الآية خمس ليال ، فلو لا أنى أترك الفكر فيها ما جزتها أبدا وربما جاءت الآية من القرآن فيطير معها العقل !!! فسبحان الذى يرده بعد ذلك .

وقال وهيب بن الورد رحمه الله . نظرنا فى هذه الأحاديث والآداب فلم نجد شيئاً أرق لهذه القلوب ، ولا أشد استجلابا للحزن من تلاوة القرآن وتدبره !!

باب فى وصف من أصاب فى الاستنباط ، والإشارة

والفهم فى القرآن ووصف من غلط وأخطأ فى ذلك ،

قال الشيخ رحمه الله : وأما ما قال الناس من طريق الاستنباط والفهم ، فالصحيح من ذلك : أن لاتقدم ما أخر الله تعالى ، ولا تؤخر ما قدم الله ، ولا تنازع الربوبية ، ولا تخرج عن العبودية ، ولا يكون فيه تحريف الكلم .

وهذا حكى عن بعضهم كما : أنه سئل عن قوله ، عز وجل : « وأيوب إذنادى[١] ربه أنى مسنى الضر » فقال : معناه : ما ساءنى الضر .

وبلغنى عن بعضهم ، أيضاً : أنه سئل عن قوله : «ألم يجدك يتيما فآوى» ، فقال: معنى اليتيم مأخوذ من الدرة اليتيمة التى لايوجد مثلها

وكما سئل آخر عن معنى قوله ، عز وجل : « قل إنما أنا بشر مثلكم »[٢] فقال : معناه : أنا بشر مثلكم عندكم .

فهذا وأشباه ذلك خطأ وبهتان وخسارة على الله ، تعالى وجهل ، وقلة المبالاة،وهو تحريف الكلام عن مواضعه . فهذا هو السقيم .

وأما الصحيح من ذلك فكما سئل أبو بكر الكتانى ، رحمه الله ، عن قوله تعالى: إلا من أتى الله بقلب سليم[٣] » ، فقال : القلب السليم على ثلاثة أوجه من طريق الفهم :

أحدها : هو الذى يلقى الله تعالى عز وجل وليس فى قلبه مع الله شريك .

والثانى : هو الذى يلقى الله تعالى وليس فى قلبه شغل مع الله ، عز وجل ، ولايريد غير الله تعالى .

---

(١) الأنبياء : ٨٣ (٢) الكهف : ١١٠ (٣) الشعراء : ٨٩

والثالث : الذى يلقى الله ، عزوجل ، ولا يقوم به غيرالله عز فنى عن الأشياء بالله ثم فنى عن الله بالله .

ومعنى قوله فنى عن الله بالله يعنى يذهب عن رؤية طاعة الله عز وجل ورؤية ذكر الله ورؤية محة الله ، بذكرالله له ، ومحبته قبل الخلق ، لأن الخلق بذكره لهم ذكروه ، وبمحبته لهم احبوه ، ، وبقديم عنايته بهم أطاعوه .

وكما سئل شاه الكرمانى رحمه الله ، عن معنى قوله ، عز وجل : « الذى خلقنى فهو يهدين ، والذى هوَ يطعمنى ويسقين ، وإذا مرضتُ فهو يشفين[1] » ، فقال : الذى خلقنى فهو يهدين إليه لا غيره ، وهو الذى يطعمنى الرضا ويسقينى المحبة ، وإذا مرضتُ بمشاهدة نفسى فهو يشفينى بمشاهدته ، والذى يميتنى عن نفسى ويحيينى به فأقوم به لا بنفسى ، والذى أطمعُ أن لا يخجلنى يوم ألقاه بنظرى إلى طاعتى وأعمالى ، ثم أفتقر إليه بكليتى .

لما علم أنه لم ينل مانال إلا به ولا ينال ما يأمل إلا به فقال : « ربِ هب لى حكما وألحقنى بالصالحينَ[2] » .

كما سئل أبو بكرالواسطى رحمهالله عن قوله تعالى : « الذين آمنوا وتطمئنُ قلوبهم بذكر الله[3] » ، فقال : قلبُ المؤمن قلبٌ يطمئن بذكر الله تعالى ، وقلبُ العارف لايطمئن بسواه .

وكما سئل الشبلى رحمه الله ، عن قوله : « قل للمؤمنينَ يغضوا من أبصارهم[4] » فقال : « أبصار الرءوس عن محارم الله تعالى .

---

(١) الشعراء : ٨٠
(٢) الشعراء : ٨٣
(٣) الرعد : ٢٨
(٤) النور : ٣٠

وكما سئل الشبلي ، رحمه الله ، عن قوله : « إن في ذلك لذكرى لمن كانَ لهُ قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيدٌ[١] » فقال لمن كان الله تعالى قلبه ، ثم أنشد :

لَيسَ مِنِّي إليكَ قَلْبٌ مُعَنًّى كلُّ عُضوٍ مِنيّ إلَيكَ قلوبُ

فهذا من طريق الفهم .

وأما طريق الإشارة فعلى ماقال أبو العباس بن عطاء ، رحمه الله : الحق لا يوجد مع الزلل ، وأشار إلى قوله : « فإنْ زللتم مِن بعدِ ما جاءتكم البيناتُ فاعلموا أنَّ الله عزيزٌ حكيم » .

وكما كان يقول : (المُحِبُّ يسقط عنه التعذيب ، ووجود الألم بصفات البشرية) .

وكان يستدل بقوله تعالى : « وقَالَتْ اليَهودُ والنصارى نحنُ أبناء الله وأحِبَّاؤه ، قل فلِمَ يُعذبكم بذنوبكم بل أنتم بَشرٌ ممن خلق[٢] » .

وكما أشار أبو يزيد البسطامى ، رحمه الله ، حين سئل عن المعرفة فقال : « إنَّ الملوك إذا دخلوا قريةً أفسدُوها وجعلوا أعِزَّةَ أهلها أذِلة وكذلك[٤] يَفعلونَ » .

أراد بذلك أن عادة الملوك إذا نزلوا قرية أن يستعبدوا أهلها ، ويجعلوهم أذلة لهم ، ولا يقدرون أن يعملوا شيئاً إلا بأمر الملك ؛ وكذلك المعرفة : إذا دخلت القلب لاتترك فيه شيئاً إلا أخرجته ، ولا يتحرك فيه شيء إلا أحرقته .

وكما كان يشير الجنيد رحمه الله : إذا سئل عن سكونه وقلة اضطراب جوارحه عند السماع إلى قوله : « وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله

---

(١) ق : ٣٧ (٢) المائدة : ١٨
(٣) النمل : ٣٤

الَّذِى أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ »(١) .

وكما كان يشير أبو على الروذبارى ، رحمه الله ، إذا رأى أصحابه مجتمعين فيقرأ « وَهُوَ على جَمْعِهِم إذا يَشَاءُ قَدِيرٌ »(٢) .

واحتجَّ أبو بكر الزقّاق ، رحمه الله ، على ما قيل للزُّهرى فى تعريف الإنسان فقال : إن تكلم ففى ساعة ، وإن سكت ففى يوم لقول الله تعالى : « وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُم فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُم فى لَحْنِ القَوْلِ »(٣) .

فهذا وأشباه ذلك صحيح والله أعلم ، فقِسْ على ما بيّنتُ لك ما تسمعُ من إشارات القوم ومستنبطاتهم ، حتى تميّز بين الصحيح والسقيم ، والعاقل يستغنى بالقليل عن الكثير ، و يستدلّ بالشاهد على الغايب ، و بالله التوفيق .

(١) النمل : ٨٨ (٢) الشورى : ٢٩ (٣) محمد : ٣٠

كتاب الأسوة والاقتداء برسول صلى الله عليه وسلم

باب وصف أهل الصفوة فى الفهم ، والموافقة والاتّباع للنبى عليه الصلاة والسلام

قال الشيخ ، رحمه الله : قال الله تعالى لنبيّه عليه الصلاة والسلام : « قُلْ يـٰأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللهِ إِلَيْـكُمْ جَمِيعاً »[١] ، فأعْلَمنا بذلك أنه بُعثَ للخلق كافةً .

ثمّ قال : « وَإِنكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتقيمٍ صِرَاطِ اللهِ الذى لَهُ مَا فِى السَّمٰوَاتِ وما فى الأَرْضِ »[٢] .

فقد شهد الله تعالى له بأنه يَهدى إلى صراط مستقيم .

ثم أوجب علينا نفى الهوى عن نُطقه ، لقوله ، عزّ وجلّ : « وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهوَى »[٣]

ثم وصفه الله تعالى فقال : « هُوَ الَّذِى بَعَثَ فى الأُمِّيِّينَ رَسُولاً منهمْ يَتْلُوا عليهمْ آيَاته وَيُزَكِّيهم وَيُعَلِّمهمُ الـكِتَابَ وَالحـكْمة »[٤] ، فأعلَمنا أنه يَتْلو علينا آياته ، ويعلمنا الـكتاب ــ وهو القرآن ، والحـكمة ــ وهى الإصابة ، والإصابة سُنّته ، وآدابه ، وأخلاقه ، وأفعاله ، وأحواله ، وحقائقه .

---

(١)الأعراف : ١٥٨

(٢) الشورى: ٥٢ــ٥٣

(٣)النجم : ٣

(٤) الجمعة : ٢

ثم بلّغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أُنزل إليه من ربّه ، وما أُمر بإبلاغه لقوله عزّ وجلّ : « يأيُّها الرَّسُولُ بَلغْ ما أُنزِلَ إليكَ مِنْ رَبِّكَ »[١] .

ثم أمر اللهُ عزّ وجلّ الخلق كافةً بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما أمرهم بطاعته ؛ لقوله عزّ وجلّ : « أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ »[٢] ، وقوله : « وَمَنْ يُطعِ الرَّسُولَ فقَدْ أطَاعَ الله »[٣] ، وأمرهم بالقبول منه ، بقوله عزّ وجلّ : « مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ »[٤] ، وأمرهم بالانتهاء عما نهى عنه بقوله جل وعلا : « وَما نَهَاكُمْ عنهُ فَانْتَهُوا »[٥] ، ودلهم على الاهتداء باتّباعه بقوله تعالى : « وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُون »[٦] ، ووعدهم الهداية بطاعته بقوله عزّ وجلّ : « وَإنْ تُطيعُوهُ تَهْتَدُوا »[٧] ، وحذّرهم الفتنة ، والعذاب الأليم ، إن خالفوا أمْره فقال عز وجل : « فَلْيَحْذَرِ الذين يُخَالِفُون عنْ أمْرِه أنْ تُصيبَهم فتنةٌ أوْ يُصيبَهُمْ عذابٌ أليمٌ »[٨] .

ثم عرّفنا الله تعالى ، أن محبّة الله للمؤمنين ، ومحبّة المؤمنين لله فى اتباع رسوله بقوله عزّ وجلّ : « قُلْ إنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللهُ »[٩] .

ثم ندب الله المؤمنين إلى الأسوة الحسنة برسوله عليه الصلاة والسلام ، فقال « لَقَدْ كانَ لَكمْ فى رَسُولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ »[١٠] .

---

(١) المائدة : ٦٧ (٢) النور : ٥٤ (٣) النساء : ٨٠
(٤) الحشر : ٧ (٥) الحشر : ٧ (٦) الأعراف : ١٥٨
(٧) النور : ٥٤ (٨) النور : ٦٣ (٩) آل عمران : ٣١
(١٠) الأحزاب : ٢١

ثم روى عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ، أخبار ؛ فكل خبر ورد عن رسول الله عليه الصلاة والسلام بنقل الثقة عن الثقة ، حتى انتهى إلينا ، فالأخذ به لازم لجميع المسلمين ؛ لقوله ، عز وجل : « أقيموا الصلاةَ وآتُوا الزَّكاةَ وأطيعوا الرَّسولَ[1] » وقوله : « إنك على صراطٍ مستقيمٍ »[2] .

فصار الأسوة به ، والاتباع له ، والطاعة لأمره ، واجباً على جميع خلقه ممن شهد أو غاب إلى يوم القيمه ، غير الثلاثة الذين رفع القلم عنهم .

فمن وافق القرآن ولم يتبع سنن رسول الله ، عليه الصلاة والسلام ، فهو مخالف للقرآن غير متبع له ، والمتابعة والاقتداء : هى الأسوة الحسنة برسول الله عليه الصلاة في جميع ما صح عنه من أخلاقه ، وأفعاله وأحواله ، وأوامره ، ونواهيه ، وندبه ، وترغيبه ، وترهيبه ، إلا ما قام الدليل على خلافه ، كقوله ، عز وجل : « خالِصةً
لَكَ من دون المؤمنينَ[3] » ، وقول النبى عليه الصلاة والسلام ، فى الوصال : لست ٤٦
كأحدكم ، وقوله ، عليه الصلاة والسلام فى حديث الأضحية لأبى بردة ينار : اذبح ، ٤٧
ولا تجزى عن أحد بعدك ؛ وما يشبه ذلك مما يقوم عليه الدليل من نص الكتاب والآثار .

فأما ما روى عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فى الحدود ، والأحكام ، والعبادات : من الفرائض ، والسنن ، والأمر ، والنهى ؛ والاستحباب والرخص ، والتوسيع ؛ فذلك من أصول الدين ، وهو مدون عند العلماء والفقهاء ، ومستعمل فيما بينهم ، ومشهور عندهم ؛ لإنهم الأئمة الحافظون لحدود الله ، المتمسكون بسنن رسول الله عليه الصلاة والسلام ، الناصرون لدين الله ، عز وجل ، يحفظون على الخلق

(١) النور : ٥٦ (٢) الزخرف : ٤٣ (٣) الأحزاب : ٥٠

دينهم ، ويبينون لهم الحلال من الحرام ، والحق والباطن ؛ فهم حجج الله تعالى على خلقه ، والدعاة له فى دينه ، فهؤلاء هم الخاصة من العامة .

فأمّا الخاصة من هؤلاء الخاصّة : لمـّا أحكموا الأصول ، وحفظوا الحدود ، وتمسكوا بهذه السُّنن ، ولم يبق عليهم من ذلك بقيّة ، استبحثوا أخبار رسول الله عليه الصلاة والسلام ، التى وردت فى أنواع الطاعات ، والآداب ، والعبادات ، والأخلاق الشريفة ، والأحوال الرضيّة ؛ وطالبوا أنفسهم بمتابعة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، والأسوة به ، واقتفاء أثَره بما بلغهم من آدابه ، وأخلاقه ، وأفعاله ، وأحواله ؛ فعظّموا ما عظّم ، وصغّروا ما صغّر ، وقلّلوا ما قلّل ، وكثّروا ما كثّر ، وكرهوا ما كره ، واختاروا ما اختار ، وتركوا ما ترك ، وصبروا على ما صبر ، وعادَوْا من عادى ، ووَالَوْا من وَالَى ، وفضّلوا من فضّل ، ورغبوا فيما رغب ، وحذروا ما حذر ؛ لأن عائشة رضى الله عنها ، سُئلت عن خُلق رسول الله عليه الصلاة والسلام ؟ فقالت : كان خُلقه القرآن ، تعنى موافقة القرآن . ٤٨

وروُى عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال : بُعثتُ بمكارم الأخلاق . ٤٩

باب ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

فى أخلاقه ، وأفعاله ، وأحواله

التى اختارها الله تعالى له

قال الشيخ ، رحمه الله : رُوى عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه قال : إنه سبحانه أدبنى فأحسن أدبى .

٥٠ وقد رُوى عنه ، عليه الصلاة والسلام ، أنه قال : « أنا أعلمكم بالله وأخشاكم لله ».

٥١ وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « خُيِّرْتُ بين أن أكون نبيًّا مَلِكا أو أكون نبيًّا عبداً ؛ فأشار إلىّ جبريل عليه السلام أن تواضع ، فقلت : بل أكون نبيًّا عبداً : أشبع يوماً وأجوع يوماً » .

٥٢ ورُوى عنه ، عليه الصلاة والسلام ، أنه قال : « عُرِض علىّ الدنيا فأبيتُها » .

٥٣ وقال عليه الصلاة والسلام : « لو كان لى أُحُدٌ ذهباً لأنفقتُه فى سبيل الله إلا شىء أُرصدُه لدَين » .

٥٤ ورُوى عنه عليه الصلاة والسلام : أنه لم يدّخر شيئاً لغدٍ ، وأنه إنما ادخر مرة قُوت سنة لعياله ولمن يَردُ عليه من الوفود .

٥٥ وقد رُوى عنه عليه الصلاة والسلام : أنه لم يكن له قميصان ، ولم ينخل له طعام ، وأنه خرج عليه الصلاة والسلام من الدنيا ولم يشبع من خبز بُرّ قطّ ، اختياراً لا اضطراراً ؛ لأنه لو سأل الله عز وجل أن يجعل له الجبال ذهباً ولم يحاسب عليه ، لفَعَل ذلك .

وقد رُوى شبيهاً بذلك فى الأخبار والروايات .

٥٦ وروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لبلال رضى الله عنه : « أنفِقْ بلال ، ولا تخش من ذى العرش إقلالا » .

٥٧ ووضعت بريرة بين يديه عليه الصلاة والسلام ، طعاما فأكل منه فردته إليه الليلة الثانية ؛ فقال لها : أما خشيتِ أن يكون له بُخارٌ يوم القيامة ؟ لا تدّخرى شيئا لغدٍ ؛ فإنه عز وجل يأتى برزق كل غدٍ ، أو قال : يوم .

٥٨ ورُوى عنه عليه الصلاة والسلام : أنه لم يعب طعاما قط ، إن اشتهاه أكله ، وإن لم يشتهه تركه ، ولا خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما .

ولم يكن النبى ، صلى الله عليه وسلم زرّاعا ، ولا تاجراً ، ولا حرّاثا .

٥٩ وكان من تواضعه صلى الله عليه وسلم : يلبس الصوف ، وينتعل المخصوف ، ويركب الحمار ، ويحلب الشاة ، ويخصف نعله ، ويرقع ثوبه ، وكان لا يأنف أن يركب الحمار ، ويُردِف خلفه .

٦٠ وقد روى فى الخبر : أنه عليه الصلاة والسلام كان يكره الغنا ، ولا يخشى من الفقر ، وكان يمر به وبأزواجه الشهر والشهران فلا يوقد فى بيته نار للخبز ، وأنه كان طعامهم الأسودين : التمر ، والماء .

وروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه خير نساءه فاخترن الله ورسوله ، وفيهن نزل : (يا أيها النبىُّ قُلْ لِأزْوَاجِكَ إنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدنْيَا وزينتهَا[1]) الآيتين جميعا .

٦١ وكان من دعائه عليه السلام : « اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين » .

---

(١) الأحزاب : ٢٨

ومن دعائه صلى الله عليه وسلم أيضا : « أللهمّ ارزقْ آل محمد قوت يوم بيوم » .

وكان أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم كما
٦٢ رُوى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعقل البعير ، ويعلف الناضح ، ويقمّ البيت ، ويخصف النعل ، ويرقع الثوب ، ويحلب الشاة ، ويأكل مع الخادم ، ويطحن معها إذا هى أعيت ، وكان لا يمنعه الحياء أن يحمل بضاعته من السوق إلى أهله ، وكان يصافح الغنى والفقير ، ويسلم مبتدئا ، وكان لا يرد من دعاه ، ولا يحقر ما دُعى إليه ، ولو إلى حَشَف التمر ، وكان لين الُخلق ، كريم الطبع ، جميل المعاشرة ، طلق الوجه ، بساما من غير ضحك ، محزونا من غير عُبوس ، متواضعا من غير ذلة ، جواداً من غير سَرَف ، رقيق القلب ، دائم الإطراق ، رحيماً بكل مسلم ، لم يتجشأ قط من شِبَع ، ولا مدّ يده إلى طمع .

٦٣ وقالت عائشة رضى الله عنها : كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود من الريح المرسلة .

٦٤ ووهب النبى صلى الله عليه وسلم ما بين جبلين من الغنم لرجل واحد ، فرجع ذلك الرجل إلى قبيلته ، وقال : إن محمداً عليه الصلاة والسلام يُعطى عطاء من لا يخشى الفقر .

٦٥ ولم يكن رسول الله عليه الصلاة والسلام صخّاباً ، ولا فحّاشاً ، ولا متفحشا .

وكان النبى عليه الصلاة والسلام يأكل على الأرض . ويجلس على الأرض . ويلبس العباء . ويجالس المساكين ويمشى فى الأسواق . ويتوسد يده ويقتص من نفسه . ولم يُرَ ضاحكا ملء فيه . ولم يأكل وحده قط . ولا ضرب عبده قط . ولا ضرب أحداً بيده إلا فى سبيل الله عز وجل . وكان لا يجلس متربعا . ولا يأكل متكئا . ويقول : « آكلُ كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد .

٦٦ وروى عنه عليه الصلاة والسلام : أنه شد الحجر على بطنه من الجوع ، ولو سأل ربه أن يحمل له أبا قبيس ذهبا لأجابه .

٦٧ وحمل النبى عليه الصلاة والسلام أصحابه إلى بيت أبى الهيثم بن التيّهان من غير أن دعاه ، وأكل فى بيته من طعامه ، وشرب من شرابه ، وقال هذا من النعيم الذى تسألون عنه .

ودعاه عليه الصلاة والسلام رجل آخر إلى بيته مع خمسة من أصحابه ؛ فلم يدخل معه السادس إلا بإذنه .

٦٨ ويُرْوَى فى الحديث أن النبى عليه الصلاة والسلام لبس منديلا له عَلم . ثم رمى
٦٩ به ، وقال : كاد تلهينى أعلامه ، وقال : إيتونى بأنبجانية أبى جهم .

٧٠ وسأل عن الصلاة فى ثوب واحد فقال : أَوَكاكم يجدُ ثوبين ؟

٧١ وقال : أنا ابن امرأة [من قريش] كانت تأكل القديد .

٧٢ وقال : لاتفضلونى على يونس بن متى عليه السلام .

٧٣ وقال : [مرّةً] : أنا سيد ولد آدم ولا فخر .

٧٤ وقال عليه الصلاة والسلام : « إنى أُعطى أقواما وأمنع آخرين ، وليس الذى أعطيه بأحب إلىّ من الذى أمنعه » .

٧٥ وقال : أول من يدخل الجنة فقراء الأنصار . الشعثة رءوسهم . الدنسة ثيابُهم . الذين لا ينكحون المتنعمات ، ولا تفتح لهم السدد .

٧٦ وقال عليه الصلاة والسلام : « ما لى وللدنيا » .

٧٧ وقال : « ليكن بُلغة أحدكم كزاد الراكب » .

٧٨ وقال : « يدخل فقراء أمّتى الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائة عام » .

٧٩ وقال : « نحن معشر الأنبياء أشد الناس بلاءً ، ثم الأمثل فالأمثل ، ويُبتلى الرجل على قدر دينه ؛ فإن كان فى دينه صلابة فهو أشد بلاء » .

٨٠ وقال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم : إنى أُحبُّك ، قال : أستعدّ للبلاء جلبابا .

٨١ ورُوى عن النبى صلى عليه وسلم قال : « حبِّب إلىّ من دنياكم ثلاث » .

٨٢ وقال : أنتم أعلم بدنياكم ، فأضاف الدنيا إليهم وأخرج نفسه منها .

٨٣ ولم يضع رسول الله صلى الله عليه وسلم لبنةً على لبنة إلى أن خرج من الدنيا .

٨٤ وخرج عليه [الصلاة و] السلام من الدنيا ودِرْعُه مرهونة عند يهودى على صاع من شعير ، ولم يترك ديناراً ، ولا درهما ، ولم يقسم له ميراثٌ ، ولم يوجد فى بيته أثاث .

٨٥ وقال : نحن معاشر الأنبياء لا نورث ، ما تركنا صدقة .

وكان يقبل الهدية ، والكرامة ، والعطية ، وكان لا يأكل من الصدقة ، ويأخذها منهم .

٨٦ وروى عنه عليه الصلاة والسلام : أنه قال : ما أوحى الله ، تعالى ، أن أجمع المال وأكون تاجراً، ولكن أوحى إلىّ أن : « سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِين، وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيكَ اليَقِين[1] ».

٨٧ وروى عن عائشة رضى الله عنها : أنها قالت . ذبحنا شاة فتصدقنا بها حتى لم يبق إلا كتفها [قالت] : فقلت : يا رسول الله ، ذهب كلها إلا كتفها !! فقال النبى عليه الصلاة والسلام : بقيت كلها إلا كتفها.

قال الله ، عزّ وجلّ : « نَ والقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ، مَاأَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ وإنّ لَكَ لأجراً غَيْرَ مَمْنون ، وإنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيم[2] ».

٨٨ وقال النبى صلى الله عليه وسلم إن الله يحب مكارم الأخلاق ، ويكره سفسافها . وقال ، عليه الصلاة والسلام : بُعِثتُ لآتى بمكارم الأخلاق .

٨٩ وكان من خُلقه ، صلوات الله عليه ، الحياء ، والسخاء ، والتوكل ، والرضا ، والذكر ، والشكر والحلم ، والصبر ، والعفو ، والصفح ، والرأفة ، والرحمة والمداراة ، والنصيحة ، والسكينة والوقار ، والتواضع ، والافتقار ، والجود ، والسماحة ، والخضوع ، والقوة، والشجاعة ، والرفق ، والإخلاص ، والصدق ، والزهد،والقناعة، والخشوع ، والخشية ، والتعظيم ، والهيبة ، والدعاء والبكاء ، والخوف ، والرجاء ، واللياذة[3] ، واللجأ ، والتهجد ، والعبادة ، والجهاد ، والمجاهدة .

٩٠ وكما روى عنه عليه الصلاة والسلام : أنه كان متواصل الأحزان ، دائم الفكرة وكان لصدره أزيزٌ كأزيز المِرْجَل .

٩١ وأنه عليه الصلاة والسلام ، صلى حتى تورمت قدماه ، فقيل له : يا رسول الله أليس قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر !! قال : أفلا أكون عبداً شكوراً

---

(١) الحجر : ٩٨-٩٩ (٢) ن : ١-٤
(٣) لاذبه : لجأ إليه

٩٢ وكان عليه الصلاة والسلام يُعطى من حرمَهُ ويَصلُ من قطعه ، ويعفو عمن ظلمه ؛ وما انتقم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لنفسه قط ، ولا غضب لنفسه قط إلا أن تنتهك محارم الله فيغضب لله .

٩٣ وكان للأرملة كالزّوج الشفيق ، ولليتيم كالأب الرحيم !!!

٩٤ وقال عليه السلام من ترك مالا فلورثته، ومن ترك كَلاًّ أو ضياعاً فإلىّ

وقال : اللهم إنى بشرٌ أغضب كما يغضب البشر فأيما امرىء سببته أو لعنته فاجعل ذلك كفارة له ، أو كما قال :

٩٥ وقال أنس بن مالك : خدمت رسول الله عليه الصلاة والسلام عشر سنين ، فما ضربنى ولا كَهرَنى(١) ، ولا قال لى لشىء فعلته : لِمَ فعلت ! ولا لشىء لم أفعله لِمَ لم تفعله .

٩٦ ولو لم يكن من كرمه وعفوه وحلمه إلا ما كان منه يوم فتح مكة لكان من كمال الكمال .

وذلك أنه دخل مكة صلحا ، وقد قتلوا أعمامه وأولياءه بعد أن حصروه فى الشعاب ، وعذبوا أصحابه بأنواع العذاب ، وأخرجوه ، وأدموه ، وطرحوا عليه الرّوْث ، وآذوه فى نفسه ، وفى أصحابه ، وسفهوا عليه ، واجتمعوا على كيده ؛ فلما دخلها بغير حدهم ، وظهر عليهم ، على صغر منهم ، قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أقول كما قال أخى يوسف عليه السلام : لا تثريب عليكم اليوم ، فغفر الله لكم ؛ وقال من دخل دار أبى سفيان فهو آمن .

وما يشبه ذلك مما يرد من الأخبار الصحيحة فى هذا المعنى أكثر مما يتهيأ ذكره ؛ وإنما ذكرنا طرفاً ليُستدل به على مالم نذكره ، والله أعلم بالصواب .

---

(١) كهر وقهر بمعنى واحد .

باب بيان ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم

فى الرخص والتوسيع على الأمة فيما أباح الله ، تعالى ، لهم

ووجه ذلك فى حال الخصوص ، والعموم ، فى الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم

فأما ما روى عن النبى ، عليه الصلاة والسلام ، مما جمع الله عليه من أموال بنى قريظة ، والنضير ، وفدَك ، وخَيبر ، وأشباه ذلك ، والحُلة التى أهديت إليه والجمع والسيف الذى فى قرابه فضة ، والستور التى كانت فى البيت ، والراية التى كانت له ، والبغل ، والناقة ، والحمار ، والبردة ، والعمامة ، والخف الذى أهدى إليه النجاشى ، وغير ذلك مما يكثر ذكره ، وأنه كان يحب الحلو البارد ، وأنه أكل الخبيص ، والذى قال لأصحابه : كلوا واشبعوا ، وما جانس ذلك من الأخبار المروية عنه ، عليه الصلاة والسلام ، فإن جميع ذلك فى الرخصة والتوسيع على الأمة والإباحة لها ، لأنه كان عليه الصلاة والسلام ، إمام الخلق إلى يوم القيامة ، وأنه قال صلى الله عليه وسلم : بُعثتُ بالحنفية السمحة ، وقال : عليه الصلاة والسلام : إنما أنسى لأسُنّ .

ولو لم يوسع الله تعالى على الخلق التعلق بالرخص والأخذ بما أباح الله تعالى لهم فى الطلب والجمع والإمساك والمكاسب بشرط العلم لهلكوا ؛ لأن الله ، تعالى ، لم يدع الخلق إلى جمع الأموال والصنائع والتجارات ولكن أباح لهم ذلك ، لعلمه بضعفهم .

وقد دعاهم الله تعالى إلى طاعته ، وعبادته ، وندب كافة المؤمنين إلى ذكره ،

وشكره ، والتوكل عليه ، والانقطاع إليه ، بقوله ، تعالى : « يأيُّهَا ٱلذِينَ آمنوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكراً كثيرًا[(١)] » وقوله تعالى : « وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ[(٢)] » ، وقال تعالى « وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتقون[(٣)] » ، « وإيَّاىَ فَارْهَبُون[(٤)] » « وإيَّاىَ فَاتقُونِ[(٥)] » وأشباهه .

وليس حال الناس فى هذه المباحات والرخص كحال الأنبياء عليهم السلام ؛ لأن تعلق الناس أكثرهم بالرخص والمباحات من ضعف إيمانهم ، وميل نفوسهم إلى الحظوظ ، وعجزهم عن حمل أثقال مرارة الصبر والقناعة بما لابد لهم منها ، وربما يؤديهم ذلك إلى اتباع الشهوات ، واكتساب السيئات ، إن تخلفوا عن آداء حقوقها ولم يقوموا بشرائط العلم فى تناولها .

فأما الأنبياء عليهم السلام ، فقد هُذبوا بتأييد النبوة ، وقوة الرسالة ، وأنوار الوحى ، لاتأخذ منهم الأشياء ، ويكون كونهم فيها لغيرهم ، وقيامهم فيها لحقوقهم ، لا لحظوظهم .

ألا ترى فى قوله تعالى : « مَا أفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَى فَللهِ وَللرَّسُولِ وَلِذِى ٱلقُرْبى واليَتَامَى والمسَاكين وابنِ السَّبِيل[(٦)] » ، فقد أخبر بأن ما أفاء الله عليهم فهو لله وللرسول ولذى القربى واليتامى ، قالوا : ومعنى « فلله وللرسول » ، يعنى : وللرسول أن يضعه فى مواضعه ، والذى قال : خُمس الخمس فإن ذلك كان يضعه حيث يشاء .

---

(١) الأحزاب : ٤١
(٢) المائدة : ٢٣
(٣) المؤمنون : ٥٢
(٤) البقرة : ٤٠
(٥) البقرة : ٤١
(٦) الحشر : ٧

والناس فى موافقة كتاب الله تعالى واتباع رسول الله ، عليه الصلاة والسلام ، على ثلاثة أقسام :

فمنهم من تعلق بالرخص ، والمباحات ، والتأويل ، والسعة .

ومنهم من تعلق بعلم الفرائض ، والسُّنن ، والحدود والأحكام .

ومنهم من أحكم ذلك ، وعلم من أحكام الدين مالا يسعه الجهل به ، ثم تعلق بالأحوال السنية ، والأعمال الرضية ، ومكارم الأخلاق ، ومعالى الأمور ، وحقائق الحقوق ، والتحقق ، والصدق .

كما روى فى الحديث : أن النبي عليه الصلاة والسلام قال لحارثة : لكل حق حقيقة ، فما حقيقة إيمانك ؟ قال : عزفت نفسى عن الدنيا ، فأسهرت ليلى وأظمأت نهارى ، وكأنى.. كما جاء فى الحديث.

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : عرفت فالزم ، أو قال : عبدٌ نوّر الله قلبه .

ويقال : إن أصل جميع ما تكلموا فيه من علم الباطن أربعة أحاديث .

حديث جبريل ، عليه السلام ، حيث سأل رسول الله ، عليه الصلاة والسلام ، عن الإيمان ، والإحسان ، فقال : الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه الحديث .

وحديث عبد الله بن عباس رضى الله عنه ، أنه قال : أخذ الرسول عليه الصلاة والسلام بيدى ، وقال لى : ياغلام احفظ الله يحفظك .

وحديث وابصة الإثم ما حاك فى صدرك ، والبر ما اطمأن إليه نفسك .

وحديث النعمان بن بشير عن النبى عليه الصلاة والسلام : الحلال بين والحرام بين

وقول النبى عليه الصلاة والسلام لا ضرر ولا ضرار فى الإسلام .

باب ما ذكر عن المشايخ فى اتباعهم[١] رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، وتخصيصهم فى ذلك

قال الشيخ رحمه الله : سمعت [أبا عمرو] عبد الواحد بن علوان رحمه الله : سمعت الجنيد ، رحمه الله ، يقول : علمنا هذا مشتبك بحديث رسول الله عليه الصلاة والسلام .

وسمعتُ أبا عمرو إسماعيل بن نجيد يقول : سمعتُ أبا عثمان سعيد بن عثمان الحيرى يقول : من أمّر السُّنة على نفسه قولاً ، وفعلاً ، نطق بالحكمة ؛ ومن أمّر الهوى على نفسه قولا ، وفعلاً ، نطق بالبدعة ؛ قال الله تعالى : « وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا »[٢] .

وسمعت طيفور البسطامى يقول : « سمعت موسى بن عيسى المعروف بعَمّىّ يقول سمعت أبا يزيد البسطامى رحمه الله ، يقول : قم بنا حتى ننظر إلى هـذا الرجل الذى قد شهر نفسه بالولاية ، وكان الرجل فى ناحيته مقصوداً ، مشهوراً بالزهد والعبادة ، وقد سماه لنا طيفور ونسبته قال : فمضينا ، قال : فلما خرج من بيته ودخل المسجد رمى ببزاقه تجاه القبلة ، فقال أبو يزيد : قم بنا نتصرف ، قال : فانصرف

---

(١) يسرنا هنا أن ندعو أعداء التصوف أو الدين يتهمونه بأنه خارج على الدين إلى قراءة هذا الفصل وهو حاسم فى صلة التصوف بالدين وآراء أئمة التصوف التى ذكرها المؤلف صريحة لا لبس فيها : التصوف مستمد من الكتاب والسنة قائم عليهما مهتد بهما متخذهما القائد والقدوة

(٢) النور : ٥٤

ملحوظة : ما بين الأقواس المضلعة موجود بهامش إحدى النسخ

ولم يسلم عليه ، وقال : هذا رجل ليس بمأمون على أدب من آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكيف يكون مأموناً على ما يدّعيه من مقامات الأولياء والصديقين ؟!

وسمعت طيفور يقول : سمعت موسى بن عيسى يقول : سمعت أبى يقول : سمعت أبا يزيد ، رحمه الله ، يقول : لقد هممت أن أسأل الله تعالى أن يكفينى مؤنة الأكل ، ومؤنة النساء ؛ ثم قلت : كيف يجوز لى أن أسأل الله عز وجل هذا ،ولم يسأله رسول الله عليه الصلاة والسلام ؟ ! فلم أسأله ، وكفانى الله تعالى مؤونة النساء حتى لا أبالى استقبلتنى امرأة أو حائط ، أو كما قال .

وسمعت أبا الطيب أحمد بن مقاتل العكى البغدادى يقول : كنت عند جعفر الخلدى ، رحمه الله [يوم مات الشبلى] فدخل عليه بندار الدينورى ، وكان خادم الشبلى ، رحمه الله ، وكان قد حضر موته ، فسأله جعفر : أيش رأيت منه فى وقت موته؟ فقال : لما أمسك لسانه وعرق جبينه أشار إلى: وضئنى للصلاة، فوضئته، فنسيت تخليل لحيته ، فقبض على يدى وأدخل أصابعى فى لحيته يخللها ! قال : فبكى جعفر ، وقال : أيش يتهيأ أن يقال فى رجل لم يذهب عليه تخليل لحيته فى الوضوء ، عند نزع روحه ، و إمساك لسانه ، وعرق جبينه ؟ ! ! أو كما قال :

وسمعت أحمد بن على الوجيهى يقول : سمعت أبا على الروذبارى يقول : كان أستاذى فى علم التصوف: الجنيد ، وكان أستاذى فى الفقه: أبو العباس بن سريج ، وكان أستاذى فى النحو واللغة : ثعلب ، وكان أستاذى فى حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام : إبرهيم الحربى .

وسئل ذو النون ، رحمه الله : بما ذا عرفت الله تعالى ؟ فقال عرفت الله بالله ، وعرفت ما سوى الله برسول الله عليه الصلاة والسلام .

وقال سهل بن عبد الله ، رحمه الله : كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فباطل .

وقال أبو سليمان الدارانى ، رحمه الله : ربما تنكت الحقيقة قلبى أربعين يوماً فلا آذن لها أن تدخل قلبى إلا بشاهدين من الكتاب والسنة .

فهذا ما حضرنى فى الوقت مما ذهب إليه الصوفية فى اتباعهم رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وكرهت التثقيل ؛ واقتصرت على ما ذكرت للتخفيف ، وبالله التوفيق .

كتاب المستنبطات

باب مذهب أهل الصفوة فى المستنبطات الصحيحة فى فهم القرآن والحديث ، وغير ذلك ، وشرحها

قال الشيخ ، رحمه الله : [إذا] قالوا : ما معنى المستنبطات فيقال :

المستنبطات : ما استنبط أهل الفهم من المتحققين بالموافقة لكتاب الله ، عز وجل : ظاهراً وباطناً ، والمتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهراً وباطناً ، والعمل بها بظواهرهم وبواطنهم .

فلما [عملوا بما] علموا من ذلك ورثهم الله تعالى : علم ما لم يعلموه وهو علم الإشارة ، وعلم مواريث الأعمال التى يكشف الله تعالى ، لقلوب أصفيائه من المعانى المذخورة ، واللطائف والأسرار المخزونة ، وغرائب العلوم وطرائف الحكم فى معانى القرآن ومعانى أخبار رسول الله عليه الصلاة والسلام من حيث أحوالهم ، وأوقاتهم ، وصفاء أذكارهم .

وقال الله تعالى : « أفلاَ يتدَبرونَ القرْآنَ أمْ علىَ قلوبٍ أقفَالهَا ؟ »[1] .

وقال النبي عليه الصلاة والسلام : « من عمل بما علم ورثه الله تعالى ، علم ما لم يعلم »

وهو العلم الذى ليس لغيرهم ذلك من أهل العلم .

وأقفال القلوب ما يقع على القلوب من الصدأ ، لكثرة الذنوب ، واتباع الهوى ،

---

(١) محمد : ٤٢

ومحبة الدنيا ، وطول الغفلة ، وشدة الحرص ، وحبّ الراحة ، وحبّ الثناء والمحمدة ؛ وغير ذلك من الغفلال والزلات ، والمخالفة والخيانات .

فإذا كشف الله تعالى : [ذلك عن] القلوب بصدق التوبة والندم على الحوبة ، فقد فتح الأقفال عن القلوب وأتته الزوائد والفوائد من الغيوب ، فيعبر عن زوائده وفوائده بترجمانه ، وهو اللسان الذى ينطق بغرائب الحكم ، وغرائب العلم .

فإذا شرحوا هذه التقط المريدون والقاصدون والطالبون من تلك الجواهر بآذان واعية ، وقلوب حاضرة ، فماشوا وانتفعوا بذلك ، وأنعشوا .

وقد قال الله ، عز وجل : « أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا »[(١)] .

فدل على أن بتدبرهم فى القرآن يستنبطون ؛ إذ لو كان القرآن من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً .

ثم قال : « وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ، وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى أُولِى الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ »[(٢)] يعنى من أهل العلم وقالوا : أولوا الأمر هاهنا أهل العلم .

فقد بين ها هنا خصوصية لأهل العلم ، وخصوصية لأهل الاستنباط من أهل العلم .

وقد روى فى الخبر : « أن رجلا جاء إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فقال : يارسول ، الله علمنى من غرائب العلم ، فقال : وما عملت فى أول العلم ؟ أحكم أول العلم ثم تعال حتى أعلمك غرائب العلم » أو كما قال .

---

(١) النساء : ٨٢ (٢) النساء : ٨٣

ولفقهاء الأمصار وعلمائها فى كل وقت مستنبطات ، مشهورة فى آيات القرآن والأخبار الظاهرة مستمدة للاحتجاج بهـا بعضهم على بعض فى المسائل الخلافية بينهم .

وقد قال بعضهم : إن فى هذا الحديث الذى قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « الأعمال بالنيات ، ولـكل أمرىء ما نوى ؛ فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله » على ما جاء فى الحديث : إنه يدخل فى ثلاثين باباً من أبواب العلم .

وهذا لا يكون إلا من طريق الاستنباط .

وكذلك أهل الـكلام والنظر : احتجاجاتهم العقلية كلها مستنبطات ، وكل ذلك حسن عند أهله ، ومقبول ؛ إذ المقصود من ذلك النصرة للحق والرد للباطل .

وأحسن من ذلك مستنبطات أهل العلم بالعلم والتحقيق والإخلاص فى العمل من المجاهدات ، والرياضات ، والمعاملات ؛ والمتقربين إلى الله تعالى : بأنواع الطاعات ، وأهل الحقائق .

باب في كيفية الاختلاف

في مستنبطات أهل الحقيقة في معاني علومهم وأحوالهم

قال الشيخ ، رحمه الله : اعلم ، أيدك الله بالفهم ، وأزال عنك الوهم ، أن أبناء الأحوال ، وأرباب القلوب ، أن لهم أيضاً ، مستنبطات في معاني أحوالهم ، وعلومهم وحقائقهم ؛ وقد استنبطوا من ظاهر القرآن ، وظاهر الأخبار معان لطيفة باطنة ، وحكما مستطرفة ، وأسراراً مذخورة .

ونحن نذكر طرفاً من ذلك إن شاء الله تعالى .

وهم أيضاً في مستنبطاتهم مختلفون ، كاختلاف أهل الظاهر ، غير أن اختلاف أهل الظاهر يؤدى إلى (حكم) الغلط والخطأ ، والاختلاف في علم الباطن لا يؤدى إلى ذلك لأنها فضائل ، ومحاسن ، ومكارم ، وأحوال ، وأخلاق ، ومقامات ، ودرجات .

وقيل : إن اختلاف العلماء في علم الظاهر رحمةٌ من الله تعالى ، لأن المصيب يرد على المخطىء ، ويبين للناس غلط المخالف ، وخلافَهُ المصيب في الدين حتى يجتنبوا منه ، ولولا ذلك لهلك الناس بذهاب دينهم .

وأما الاختلاف بين أهل الحقائق أيضاً رحمة (من) الله ، لأن كل واحد يتكلم من حيث وقته ، ويجيب من حيث حاله ، ويشير من حيث وجده ؛ فتكون فيهم لكل واحد من أهل الطاعات ، وأرباب القلوب ، والمريدين ، والمتحققين ، فائدة من كلامهم .

وذلك أيضاً على قدر تفاوتهم واختصاصهم ودرجاتهم .

وبيان ما قلنا فى اختلافهم ماحكى عن ذى النون ، رحمه الله ، أنه سئل عن الفقير الصادق فقال : هو الذى لايسكن إلى شىء ، وإليه يسكن كل شىء .

وسئل أبو عبد الله المغربى عن الفقير الصادق ، فقال الفقير الصادق : الذى يملك كل شىء ، ولا يملكه شىء .

وسئل أبو الحارث الأولاسى عن الفقير الصادق ، فقال : هو الذى لايأنس بشىء ويأنس به كل شىء .

وسئل يوسف بن الحسين عن الفقير الصادق ، فقال : من آثر وقته ، فإن كان فيه تطلعٌ إلى وقت ثان لم يستحق اسم الفقر .

وسئل الحسين بن منصور رحمه الله عن الفقير الصادق ، فقال : الفقير الصادق : الذى لايختار ، بصحة الرضا . مايرد عليه من الأسباب .

وسئل النورى ، رحمه الله عن الفقير الصادق ، فقال : الفقير الصادق : الذى لايتهم الله تعالى فى الأسباب ويسكن إليه فى كل حال .

وسئل سمنون ، رحمه الله عن الفقير الصادق ، فقال : الذى يأنس بالمفقود كما يأنس الجاهل بالموجود ، ويستوحش بالموجود كما يستوحش الجاهل بالنقد .

وسئل أبو حفص النيسابورى رحمه الله ، عن الفقير الصادق ، فقال : الذى يكون مع كل وقت بحكمه ، فإذا ورد عليه واردٌ يخرجه عن حكم وقته ويستوحش منه .

وسئل الجنيد رحمه الله عن الفقير الصادق ، فقال : هو أن (لا) يستغنى بشىء ، ويستغنى به كل شىء .

وكما سئل المرتعش النيسابورى رحمه الله ، عن الفقير فقال : الذى يأكله القمل ولا يكون له ظفر يحك به نفسه(١) .

وقد اختلف هؤلاء فى أجوبتهم : كاختلافهم فى أوقاتهم وأحوالهم ؛ وكل ذلك حسن ؛ ولكل جواب من أجوبتهم أهلٌ يليق بهم ما أجابوا ، وهى فائدة ، ونعمة وزيادة لهم ؛ ورحمة .

---

(١) من طبيعة الإسلام أن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ، وهل صاحبنا هذا أراد بكلامه هذا : عدم جزع الفقير مما هو فى مما أصابه ، رضاء بقضاء الله وقدره

باب فى مستنبطات أهل الصفوة فى تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم وشرفه ، وفضله على إخوانه ، عليه السلام من كتاب الله عز وجل من طريق الفهم

قال الشيخ رحمه الله : فأما المستنبطات التى فى كتاب الله ، عزوجل ، فقد ذكرنا طرفاً من ذلك فى باب مذهب أهل الصفوة فى موافقة كتاب الله ، عزوجل ، وهذا (الذى نذكره) إنما نذكره فى (معنى) خصوصية رسول الله صلى الله عليه ، وفيما استنبطوا فيما نطق القرآن بشرفه ، وماخص به من سائر الرُّسل ، عليهم السلام : قوله عزوجل : « قل : هذهِ سبيلى أدْعوا إلى الله على بصيرة أنَا ومَنِ اتبعنى ، وسُبْحَانَ الله ، ومَا أنَا مِنَ المشرِكينَ »(١) .

قال أبو بكر الواسطى ، رحمه الله : أدعوا إلى الله على بصيرة : يعنى أن لا أشهد لنفسى ، يعنى أن لاأرى نفسى فاستقطعهم بشواهدى ، ومعنى آخر على بصيرة : أيقن أنه ليس إلى شىء ، فيكون إلى نفسى من الهداية شىء ، ومعنى آخر على بصيرة : أنه لاعلك ضراً ولا نفعا إلا أن يتولى الله تعالى تقريبهما ، ومعنى قوله : أنا ومن اتبعنى على ذلك دعوتهم سبحان الله [أن يكون] أحد يلحق ما يهمه ويقصده إلا به وما أنا من المشركين أن أرى الهداية من نفسى أو منه بدعوتى ، قوله [تعالى] : «قل : أمر ربى بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وأدعوا مخلصين له الدين كما بدأ كم تعودون(٢)» قالوا : معناه : من طريق الفهم والاستنباط قل أمر ربى بالقسط فيما بينى وبين الخلق ، وبينى وبين الله تعالى ، وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد ، يعنى عند كل قصد تقصدونه وأدعوه مخلصين له الدين ، يعنى ادعوه بلا رياء ، ولاعجب ثم لاتعمدوا على

---

(١) يوسف : ١٠٨ (٢) الأعراف : ٢٩

هذا لأنه كما بدأكم تعودون عند المواقب ، وفى معنى قوله تعالى : « سنريهم آياتنا فى الآفاق ، وفى أنفسهم، حتى يتبين لهم أنه الحق»[(١)] معناه : سنريهم نعوتنا وصفاتنا، فى الملكوت ، حتى يتبين لمن نبين لهم أنه الحق ، وما سواه باطل ، لا جرم ؛ فلذلك قال النبي صلعم : « أصدق كلمة قالت العرب : (ما قال لبيد) » :

ألا كل شيء ما خلا الله باطلُ

ومما استنبطوا من خصوصية النبي ، صلى الله عليه وسلم : أن موسى عليه السلام ، سأل ربه ، عزوجل ، فقال : « رب اشرح لى صدرى و يسّرْ لى أمرى[(٢)] » (ونودى محمد صلى الله عليه وسلم ، بلاسؤال : «ألم نشرَحْ لكَ صدْرَكَ[(٣)] » إلى آخر السورة، وكذلك سؤال إبراهيم عليه السلام : « ولا تخزِنى يومَ يبعثون »[(٤)] (فضل الحبيبَ على الخليل) .

وقال لنبينا ، صلى الله عليه وسلم ، من غير سؤال : « يومَ لا يخزى اللهُ النبيَّ والذينَ آمنوا معه[(٥)] » .

وقيل له صلى الله عليه : « ألمْ نشْرَحْ لكَ صدْرَكَ ، ووضعنا عنك وزرَكَ » إلى قوله : « إنْ معَ العسر يسراً »[(٦)] .

ومما قيل فى هذا المعنى أيضاً : أن الله عز وجل ، خاطب جميع الخلق ، ودعاهم إليه ، ودلهم عليه بذكر الملك والملكوت ، فقال : « وكذلِكَ نُرِى إبراهيمَ ملكوتَ السموات والأرض[(٧)] » وقوله : «أولم ينظروا فى ملكوت السماوات والأرض وماخلق الله من شيء[(٨)] » وقوله تعالى : « أفلم يتفكروا فى أنفسهم[(٩)] » وقوله : « أفلا

---

(١) فصلت : ٥٣ (٢) طه : ٢٥ — ٢٦ (٣) الشرح : ١
(٤) الشعراء : ٨٧ (٥) التحريم : ٨ (٦) الشرح : ١ — ٦
(٧) الأنعام : ٧٥ (٨) الأعراف : ١٨٥ (٩) الروم : ٨

ينظرون إلى الإبل كيف خلقت[١] » إلى آخر الآية ، فلما خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « ألم تر إلى ربك[٢] » يا محمد « كيف مد الظل » فلما كان الخطاب مع الحبيب بدأ بذكره ، فقال : « ألم تر إلى ربك »

وفى (معنى) قوله : « واتخذ الله إبراهيم خليلاً » قالوا : إن الخلة : ما يخلل القلب ، والمحبة ما يكون فى حبة القلب ، يعنى سويداء القلب ، وسمى المحبة محبة لأنها تمحو بها ما سواها من القلب ؛ فلذا يتبين فضل الحبيب على الخليل .

وقال : « افعل ما تؤمر[٣] » ، وقال لنبينا صلى الله عليه وسلم : « ولسوف يعطيك ربك فترضى[٤] » فدل بذلك على فضل الحبيب على الخليل .

وماقالوا فى هذا المعنى أيضاً : إن آدم صلوات الله عليه ، لما ذكر الله تعالى توبته ، فقال : « وعصى آدم ربه فغوى[٥] » فذكر جنايته قبل توبته « ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى[٦] » .

وذكر أيضاً : خطيئة داود عليه السلام ثم قال : « فغفرنا له »[٧] .

وكذلك خبر عن سليمان عليه السلام بقوله : « ولقد فتنا سليمن وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب قال رب اغفر لى »[٨] ، وقال للنبى صلى الله عليه وسلم : « عفا الله عنك لم أذنت لهم[٩] » .

قال بعضهم : آنسه بذكر العفو حتى لايوحشه ذكر العتاب ؛ وقال أيضاً : « ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر[١٠] » فابتدأ بذكر الغفران قبل الذنب ، وغفر له الذنب قبل أن يذنب ، (وقبل العتب) ، وقالوا أيضا معنى آخر : إن جميع ما أعطى الأنبياء عليهم السلام من الكرامات قد أعطى مثله محمداً صلى الله عليه وسلم

---

(١) الغاشية : ١٧ (٢) الفرقان : ٤٥ (٣) الصافات : ١٠٢
(٤) الضحى : ٥ (٥) طه : ١٢١ (٦) طه : ١٢٢
(٧) ص : ٢٥ (٨) ص : ٣٤ ـ ٣٥ (٩) التوبة : ٤٣ (١٠) الفتح : ٢

وزاد له (عليهم) : مثل انشقاق القمر ، ونبع الماء من الأصابع ، والمعراج ، وغير ذلك .

ثم ذكر الأنبياء وذكر ما استخصهم (به) ، وأضاف إلى إبراهيم عليه السلام ، الخلة وإلى موسى عليه السلام الكلام، وإلى سليمان عليه السلام الملك ، وإلى أيوب عليه السلام الصبر ، ولم يضف إلى محمد عليه الصلاة والسلام شيئاً مما أعطاه من الكرامات فقال : « لَعَمْرُكَ » يامحمد « فلا وَرَبِّكَ لا يؤمنونَ حتى يحكموكَ فيما شجَرَ بينَهُم[1] » الآية . ثم قال « إن الذين يُبَايعونَكَ إنما يُبايعونَ اللهَ[2] » الآية . وقال : « فلَمْ تَقْتُلوهُمْ ولكنَّ اللهَ قتلهم ومَارَمَيْتَ إذا رَميت ولكنَّ الله رمى[3] » ولم يذكر لنبيه عليه الصلاة والسلام شيئاً غيره ، فلما أدبه بذلك قال اللهم بك أصول وبك أجول ، وبك أقاتلُ وبك أحاول .

وسئل الشبلى ، رحمه الله : عن معنى قوله تعالى : « لو أطلعتَ عليهمْ لوليتَ منهُمْ فراراً ولمُلئت منهُمْ رعباً »[4] قال : « لو أطلعتَ على الكلِّ مما سوانا لوليت منهُمْ فراراً إلينا يا محمد .

وقالوا فى معنى قوله : « سبحانَ الذِى أسرَى بعبدِهِ ليلا منَ ألمسجدِ الحرَامِ إلى ألمسجدِ الأقصى الذِى باركْنا حوْلَه »[5] إنه لو أسرى بروحه ، كما قال المخالفون ، لم يقل : أسرى بعبده ؛ لإن اسم العبد لا يقع إلا على الروح والجسد .

وقيل ، أيضاً ، فى معنى قوله : « وكانَ فضل اللهِ عليكَ عظيماً »[6] : يعنى باجتبائك واصطفائك ، لأن النبوة والرسالة لم تقسم على الجزاء والاستحقاق ، ولو كانت من جهة الجزاء والاستحقاق ، لما فضل نبينا صلى الله عليه وسلم على سائر الأنبياء عليهم السلام ، لأنهم أكثر أعمالا وأطول أعماراً .

(١) النساء : ٦٥ (٢) الفتح : ١٠ (٣) الأنفال : ١٧
(٤) الكهف : ١٨ (٥) الإسراء : ١ (٦) النساء : ١١٣

وقالوا ، فى معنى قوله ، عزّ وجلّ : « واصبرْ لحكمِ ربّكَ فإنكَ بأعْيننا »[١] : إنه خاطبه بأتم الخطاب وأخص الفضيلة ، إذ قال : « واصبرْ لحكم ربك ، فإنك بأعيننا » وقال لغيره : « أصبروا وصابروا »[٢] وقال : « إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب »[٣] .

طالبهم بالصبر على المعاوضة ، وطالب المصطفى ، عليه الصلاة والسلام بالصبر مع المراقبة ؛ وقال فى موضع آخر : « واصبرْ وما صبرُكَ إلاّ بالله »[٤] لأنه ، عليه الصلاة والسلام أجل عنده من أن يطالبه بمعاملة يقتضى عليها معاوضة ؛ لأن محله صلى الله عليه وسلم ، محل الاختصاص .

فهذا طرف من المستنبطات التى للقوم من القرآن فى معنى خصوصية النبى عليه الصلاة والسلام .

(١) الطور : ٤٩
(٢) آل عمران : ٢٠٠
(٣) الزمر : ١٠
(٤) النحل : ١٢٧

باب فى مستنبطاتهم فى خصوصية النبي صلى الله عليه وسلم وفضله على إخوانه ، عليهم السلام من الأخبار المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال الشيخ رحمه الله : فأما مستنبطاتهم فى أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكما قيل فى معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : أنه كان يقول فى سجوده : « أعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك ، لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » .

قالوا : يقول الله : « واسْجُدْ واقترِب[1] » فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فى سجوده معنى من القرب .

فقال : أعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك ، فاستعاذ بصفاته من صفاته ؛ ثم شاهد معنى آخر من القرب ، ما اندرج فيه القرب الذى شاهد (به) الصفات والنعوت .

فقال : « أعوذ بك منك » ، وكان قد استعاذ بصفاته من صفاته ، فلما استعاذ به لم يكن المستعاذ به إلا منه ، ثم زيد فى قربه ؛ ووجد من المشاهدة معنى أفناه عن الاستعاذة به :

فقال : « لا أحصى ثناء عليك » ، فاحتشم من الاستعاذة به فى محل بالقرب ، فالتجأ إلى الثناء عليه ، ومن لم يطق الاستعاذة التى هى حد العبودية ، فكيف يطيق الثناء وهو صفة الربوبية ؟ .

---

(١) العلق : ١٩

فلذلك قال : « لا أحصى ثناء عليك » ثم احتشم أيضاً ، من الثناء عليه فى محل القرب ، فأخرج نفسه من الثناء عليه بما أثنى الله تعالى ، (به) على نفسه ، قبل الخلق وحمد نفسه قبل حمدهم له ، وشهد لنفسه بالوحدانية ، قبل شهادتهم له .

فقال : « أنت كما أثنيت على نفسك » .

وهذا حقيقة نهاية التقريب ، وحقيقة التجريد : أن يتلاشى العبد كما لم يكن ، ويكون الله تعالى كما لم يزل ، فلو جمع جميع (إشارات) الواجدين والعارفين والمتحققين فى التوحيد لم يبلغ عشر معشار ما أشار إليه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فى هذا المعنى .

وقيل أيضاً ، فى معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم : « لو تعلمون ما أعلمُ لضحكتم قليلا ، ولبكيتم كثيراً ، ولخرجتم إلى الصعدات ، ولما تقاررتم على الفرش » .

قالوا : لو أن الذى علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان من العلوم التى أنزل الله تعالى عليه ، وأمر بإبلاغه لبلغهم ذلك ؛ ولو علموا ذلك لم يقل : لو تعلمون ماأعلم ، ولو علم أنهم يطيقون ذلك لعلمهم كسائر العلوم ، ولو كان من العلوم المتعارفة بين الخلق أيضا ، لقالوا علمنا ، بعد ماقال : لو تعلمون ما أعلم ؛ لأن حقائق رسالته وماخصه الله تعالى به من العلم ، لو وضعت على الجبال لذابت إلا أنه كان يظهرها لهم على مقاديرهم لأن الله تعالى قال : « فاعلَمْ أنَّهُ لا إله إلا اللهُ[(1)] » وقال : « وقلْ ربِّ زدْنى علماً[(2)] » .

وقال صلى الله صلى الله عليه وسلم : « أنا أعلمكم بالله » ، « ولو تعلمون ما أعلم » وقد أشار رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إلى معنى من معانى تخصيصه إشارة لاتدركها العقول ، ولاتصل إليها الفهوم ، وتعجز عنها علوم جميع الخلق ، وهو قول النبى صلى

(١) محمد : ١٩ (٢) طه : ١١٤

الله عليه وسلم : « لستُ كأحدكم إنى أظل عند ربى يطعمنى ويسقينى » ؛ فلا يتهيأ لأحد أن يخبر عن الذى أطعمه وسقاه ؛ لأن النبى صلى الله عليه وسلم ، فى علو مرتبته وماخص به من العلم بالله ، لم يخبر عنه ولم يصفه .

وقيل فى معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم فى دعواته : « اللهم اكفلنى كفالة الوليد ، لاتكلنى إلى نفسى طرفة عين ، وجهتُ وجهى إليك ، وألجأت ظهرى إليك ، لا ملجأ ولا منجَى منك إلا إليك » وما يشبه ذلك من دعواته أنه صلى الله عليه وسلم أظهر من نفسه اللجأ ، وأظهر الفاقة إليه ، والاستكانة بين يديه ، بلا مشاهدة حركة من حركاته ، ولا إضافة فعل إلى نفسه .

قال أبو بكر الواسطى رحمه الله : وبصدق اللجأ وإظهار الفقر ، وصدق الفاقة ، تزينت السرائر .

وقيل فى معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم عند موته : « وا كرْباه » قالوا : يسرت المنية عليه لمبادرته إلى مالاحظ عند الموت من المراتب الرفيعة فقالوا : «وا كرباه» من البقاء فيما بينكم شوقا منى إلى اللقاء .

وسمعت محمد بن داود الدينورى المعروف بالدُّقى ، يقول : سمعت الجريرى يقول : قيل للجُنَيْد رحمه الله : مامعنى قول النبى صلى الله عليه وسلم « وأنا سيدُ ولد آدم ، ولا فخر » فقال لى : هاتِ أيْشَ وقع لك فى ذلك ، فقلت : معنى قوله « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » وهذا عطاؤه وأنا لا أفتخر بالعطاء لأن فخرى بالمعطى . فقال لى : أحسنت ياأبا محمد أو كما قال .

وسئل (الجنيد) عن معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم فى زينب امرأة زيد ، يدعى ابن النبى صلى الله عليه وسلم ؛ وكان ابن الدعاية لا ابن الولادة ؛ فأراد الله عز وجل أن يتزوج بحليلته حتى يكون فرقا بين أبناء الولادة وأبناء الدعاية .

٩٧ وقال الجنيد رحمه الله ، فى معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم : « استغفروا الله وتوبوا إليه ، فإنى استغفر الله وأتوب إليه فى اليوم مائة مرة » أو كما قال ؛ قالوا : كان حال النبى صلى الله عليه وسلم مع الله تعالى : [زيادة] فى كل نفس وطرفة عين ، فكان إذا رقى به إلى زيادة حال أشرف من زيادته على حالته فى النفس الماضى ، استغفر الله من ذلك وتاب إليه .

وسئل الجنيد رحمه الله ، أيضاً كما بلغنى، عن معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم :
٩٨ « رحم الله أخى عيسى ، عليه السلام لو ازداد يقيناً لمشى فى الهواء » فقال : معناه والله أعلم : أن عيسى عليه السلام : مشى على الماء بيقينه ، والنبى صلى الله عليه وسلم مشى فى الهواء ليلة المعراج بزيادة يقينة على يقين عيسى عليه السلام ، فقال : « لو ازداد يقيناً » يعنى لو أعطى من زيادة اليقين مثل ما أعطيت لمشى فى الهواء، يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حالته .

وسمعت الحصرى رحمه الله ، يقول فى معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم :
٩٩ « لى مع الله وقت لا يسعنى فيه شىء غير الله عز وجل » فقال : إن صح ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه قال ذلك ، أو لم يصح ، فإن جميع أوقات رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت وقتاً لا يسعه فيه [معه] غير الله بسره وقلبه ، ولكن كان يرد بصفاته إلى الخلق ، حتى يؤدبهم ، ويعلمه ، ويجرى على صفاته تلوين الأحكام ، لينتفع به الخلق ؛ فإذا بدا على صفاته من أنوار سره ، أخذه عن الخلق كما قالت عائشة ، رضى الله عنها « انتبهت ليلة ، فلم أجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فراشه ، فقمت أطلبه ، فوقعت يدى على قدميه ، وهما منتصبتان ، ساجداً لله عز وجل ، [وسمعته] وهو يقول : « أعوذ برضاك من سخطك . . . » ١٠٠ الحديث ؛ فهذا هو الوقت الذى كان يبدو على سره ، والأنوار على صفاته ، وإذا ردت الأنوار إلى سره ، رد بصفاته إلى الخلق ، لينتفعوا به ،ويقتدوا به .

ومعنى صفاته أى ظاهره ، ومعنى سره أى باطنه .

باب فى مستنبطاتهم فى معانى أخبار مروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من طريق الاستنباط والفهم

قال الشيخ رحمه الله : سمعت أبا الحسن : أحمد بن محمد بن سالم بالبصرة ، وقد سئل عن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ماأطيب ما أكل الرجال من كسب يده فقال له السائل : نحن مستعبدون بالاكتساب ، إذا،فقال الشيخ رحمه الله : الكسب سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، والتوكل : حال الرسول صلى الله عليه وسلم ، وإنما استن لهم الكسب ، لعلمه بضعفهم حتى إذا عجزوا عن التوكل الذى هو حاله وسقطوا عن مرتبته فى التوكل ودرجته ، وقعوا فى الاكتساب التى هى سنته ، ولولا ذلك لهلكوا .

وقيل فى معنى ذلك : إن رفع العبد يده إلى الله تعالى ، فيدعو الله تعالى ، فيجيبه ، أيكون ذلك كسب يده .

١٠١ وسئل الشبلى رحمه الله : عن معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم : « جعل رزقى تحت ظل سيفى » فقال : كان سيفه : [التوكل على] الله تعالى ، وأما ذو الفقار،فهو قطعة من حديد .

ومثل ذلك فى مستنبطاتهم كثير ، إن ذكرناه يطول الكتاب .

وأما ما كان من مستنبطاتهم فى غير هذا المعنى من الحديث ، فهو كما سمعت أبا عمرو عبد الواحد بن علوان ، برحبة مالك ابن طوق ، قال : سأل رجل الجنيد رحمه الله ، وأنا عنده جالس عن معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم : «لو توكلتم على
١٠٢ الله حق توكله لغذاكم كما يغذو الطير ، تغدو خماصاً وتروح بطاناً » وهو ذا ترى أن الطير يطير فى طلب الرزق ، من موضع إلى موضع ، ويتحرك ، ويطلب وينبحث .

فقال الجنيد رحمه الله : قال الله تعالى : (إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها)[١] و إنما طيران الطير ، وحركته من موضع إلى موضع ، ونقلته من مكان إلى مكان من أجل الزينة التى ذكر الله تعالى ؛ فقد جعل الله ، تعالى ، طيرانهم للزينة التى ذكر الله تعالى . لا لطلب الرزق .

١٠٣ ووجدت فى كتاب عمرو بن عثمان المكى رحمه الله فى معنى قول النبى ، صلى الله عليه وسلم ، لعبد الله بن عمر ، رضى الله عنه : « ياعبد الله بن عمر ، أعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » وكذلك إجابة جبريل عليه السلام حين سأل عن الإحسان فقال : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » فقال عمرو بن عثمان رحمه الله : [معنى قوله] : « كأنك تراه : شىء بين شيئين : بين رؤية ويقين ، فلم يخرجها ، صلى الله عليه وسلم ، إلى رؤية عيان ولم يردها إلى صفة يقين ، و إنما مثل له مثل يدل على نهاية من نهايات حقائق الإيمان ؛ و بذلك طالب حارثة ، إن صح الخبر ، وما كان كأن بمعنى أن وليس هو أن ولكنه قد قرب من معنى الرؤية فى تغليب المشاهدة عند حضور القلب ، ومداناتها إلى ما وارته الغيوب فهذا أصل الحجة على مشاهدة القلوب .

١٠٤ وسئل أبو بكر الواسطى ، رحمه الله عن معنى قول النبى ، صلى الله عليه وسلم . « جبل ولى الله تعالى على السخاء وحسن الخلق » فقال : أما السخاوة من ولى الله تعالى : أن يهب نفسه وقلبه لله ، عز وجل .

وسئل الشبلى رحمه الله ، عن معنى ما روى فى الحديث : « أن النفس إذا أحرزت قوتها اطمأنت » فقال : إذا عرفت من نفوتها اطمأنت ثم قرأ قوله ، عز وجل « وكان الله على كل شىء مقيتاً[٢] » .

---

(١) الكهف : ٧ (٢) النساء : ٨٥

١٠٥ وسئل الجنيد ، رحمه الله عن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : « حبك للشيء يعمى و يصم » فقال : حبك للدنيا يعمى و يصم عن الآخرة .

١٠٦ وسئل الشبلى ، رحمه الله ، عن معنى ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « إذا رأيتم أهل البـــــلاء فسلوا الله ربكم العافية » ، فقال : أهل البلاء أهل الغفلة عن الله تعالى ، وسئل أيضاً ، عن معنى حديث النبى صلى الله عليه وسلم

١٠٧ الذى روى عنه ، أنه قال : « حرام على قلب عليه زبانية [من الدنيا :أن يجدحلاوة الآخرة » فقال : صدق صلى الله عليه سلم أن قال ذلك ، وأنا ذا أقول : حرام على قلب عليه زبانية] من الآخرة أن يجد حلاوة التوحيد .

١٠٨ وسئل محمد بن موسى الفرغانى ، رحمه الله ، عن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ، لأبى جحيفة :« يا أبا جحيفة ، سائل العلماء ، [وخالل الحكماء وجالس الكبراء] » فقال : « سائل العلماء » بالحلال والحرام ، وخالل الحكماء الذين يسلكون بها على طريق الصدق والصفاء [والإخلاص] ، وجالس الكبراء الذين عن الله ينطقون ، وإلى ربو بيته يشيرون ، وبنور قر به ينظرون .

١٠٩ وســئل سهل بن عبد الله ، رحمه الله ، عن [معنى] قول النبى صلى الله عليه وسلم:« المؤمن من تسره حسنته وتسوءه سيئته» قال : حسنته : نعم الله وفضله ، وسيئته نفسه إن وكل إليها .

١١٠ وسئل سهل . أيضا عن معنى قوله ، صلى الله عليه وسلم : « الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها إلا ذكر الله تعالى » قال : ذكر الله فى هذا الموضع الزهد فى الحرام ، وهو : أن يكون إذا استقبله حرام يذكر الله ، تعالى ، ويعلم أن الله مطلع عليه فيجتنب ذلك الحرام .

ومثل هذا كثير من مستنبطاتهم فى معنى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرنا طرفاً منه ، فيه كفاية ، إن شاء الله تعالى .

فإن قال قائل : هل تجد للاستنباط فى القرآن والحديث وغير ذلك أصلا فى العلم
فيقال : نعم ، قول النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه ، وهم [عنده] مجتمعون ،
وفيهم عبد الله بن عمر ، رضى الله عنه ، وهو أحدثهم سنًا ، فقال : النبى ، عليه ١١١
الصلاة والسلام : « أيُّما شجرة تُشبه ابن آدم ؟ » قال فوقع الناس فى أشجار
البادية ووقع فى قلبى أنها النخلة واستحييتُ أن أجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسكَتّ حتى قال رسول الله عليه الصلاة والسلام « هى النخلة » قال ابن عمر ١١٢
رضى الله عنه : فقلت لعمر رضى الله عنه : لقد كدت أن أقول أنها النخلة ، فقال
عمر رضى الله عنه : لئن قلت ذلك كان أحبّ إلى من حُمْر النعم . أو كما
فى الخبر .

والحجة فى ذلك : أن أحداً لم يستنبط من أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام
معنى ما سألهم عنه رسول الله عليه الصلاة والسلام إلا عبد الله بن عمر رضى الله
عنه ، وهو أصغرهم سنا ، وكذلك الاستنباط فى هذه المعانى على مقدار ما يفتح الله
تعالى للقلوب من غيبه ، وبالله التوفيق .

كتاب الصحابة رضوان الله عليهم

باب في ذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومعانيهم رضي الله عنهم

قال الله تعالى : (وَالسابِقونَ الأولونَ منَ المهَاجرِينَ والأنصارِ الذينَ أتبعوهُمْ باحسانٍ رضيَ الله عنهمَ ورَضوا عنهُ)(١) فقد وقع اسم السابقين على الجميع بظاهر الآية مع رضا الله تعالى عنهم وشهد لهم بأنهم راضون عنه ، والسابقون هم المقربون بنص الآية ، وقد ذكرنا تخصيص الأبرار من أهل الجنة فى باب الموافقة لكتاب الله عزّ وجل .

فأما قوله تعالى : (رضى الله عنهم ورضوا عنهُ) فقد قال الله تعالى فى آية أخرى : (ورِضوانٌ منَ الله أ كبرُ ،)(٢) قال ذو النون ، رحمه الله : [يعنى] أ كبر وأقدم حين قال : رضى الله عنهم ورضوا عنه ، فى سابق علمه فلذلك استرضاهم له وأرضاهم حتى رضو عنه .

١١٣ وقال النبي عليه الصلاة والسلام : « أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » وقد ذكر الله تعالى القسم بالنجوم من الكواكب ، والنجوم ما يهتدى به فى البر والبحر لكبره وكثرة ضوءه ونوره ، فلذلك شبههم بالنجوم ولم يشبههم بالكواكب ، لأن الكواكب هى الصغار التى لايهتدى بها ثم دل على الاهتداء بالاقتداء بهم ولم يخص الاقتداء ، يعنى دون الآخر ، فعلمنا أن الاهتداء بهم فى الاقتداء [بهم] فى جميع معانيهم الظاهرة والباطنة .

(١) التوبة : ١٠٠ (٢) التوبة : ٧٢

وأما الظاهر فمشهور عند العلماء والفقهاء ، فى علم الحدود والأحكام والحلال والحرام ، وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أرحم أمتى بأمتى ١١٤
أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، وأقوامهم فى دين الله عمر رضى الله عنه ، وأصدقهم حياء عثمان رضى الله عنه ، وأفرضهم زيد رضى الله عنه ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل رضى الله عنه، وأقرأهم أبىّ بن كعب رضى الله عنه، وأقضاهم علىّ رضى الله عنه ، وما أظلّت الخضراء ولا أقلت الغبراء على ذى لهجة أصدق من أبى ذر رضى الله عنه » .

وأما الباطن فنبدأ بما بدأ به رسول الله عليه الصلاة والسلام بقوله : ١١٥
« اقتدوا بالذين من بعدى أبى بكر وعمر رضى الله عنهما » .

فنبدأ بأبى بكر ثم من بعد أبى بكر بعمر .

وبلغنى عن أبى عُتْبة الحلوانى رحمه الله ، أنه قال : ألا أخبركم عن حال كان عليها أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام ؟ أولها : لقاء الله تعالى كان أحب [إليهم] من الحياة ، والثانية : كانوا لا يخافون عدوًّا قلوا أو كثروا ، والثالثة : لم يكونوا يخافون عوزا من الدنيا ، وكانوا واثقين برزق الله تعالى ، والرابعة : إن بدأ بهم الطاعون لم يبرحوا حتى يقضى الله فيهم ، وكانوا أخوف ما يكونون من الموت أصح ما يكونون .

ويحكى عن محمد بن على الكتانى رحمه الله ، أنه قال : كان الناس فى ابتداء الإسلام يتعاملون بالدين حتى رق الدين ، ثم تعامل القرن الثانى بالوفاء حتى ذهب الوفاء ، ثم تعامل القرن الثالث بالمروءة حتى ذهبت المروءة، ثم تعامل القرن الرابع بالحياء حتى ذهب الحياء ، ثم صار الناس يتعاملون بالرغبة والرهبة .

باب ذكر أبي بكر الصديق رضى الله عنه وتخصيصه من بين رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأحوال التي تعلّق بها أهل الصفوة من هذه الأمة وتخلّق بذلك واقتدى به

رُوى عن مطرّف بن عبد الله رحمه الله أنه قال : قال : أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه : لو نادى منادٍ من السماء أنه لن يَلِجَ الجنّة إلا رجلٌ واحد لرجوتُ أن أكون أنا [هو] ، ولو نادى مناد من السماء أنه لايدخل النار إلا رجل واحد لخفتُ أن أكون أنا هو ؛ قال مطرّف رحمه الله : هـذا واللهِ أعظمُ الخوف ، وأعظم الرجاء .

وحُـكى عن أبى العباس بن عطاء رحمه الله أنه سئل عن قوله تعالى « كونوا رَبّانيين »(١) الآية ؛ قال : معناه كونوا كأبى بكر الصديق رضى الله عنه ، فإنه لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم اضطربت أسرار المؤمنين كلّها لموته ولم يؤثر ذلك فى سر أبى بكر رضى الله عنه شيئا ، وخرج وقال للناس: [يا أيها الناس] من كان يعبد محمداً صلى الله عليه وسلم فان محمداً صلى الله عليه وسلم قد مات ومن كان يعبد الله تعالى فإن الله حى لايموت ، فحكم الربانى أن يكون بهذه الصفة لاتؤثر الحوادث فى سره شيئاً ، ولو كان فيه انقلابُ الخافقين .

وقال أبو بكر الواسطى ، رحمه الله : أول لسان الصوفية ظهرت فى هذه الأمة على لسان أبى بكر رضى الله عنه إشارة ، فاستخرج منها أهل الفهم لطائف توَسْوَسَ فيها العقلاء .

---

(١) آل عمران : ٧٩

قال الشيخ ، رحمه الله : وهذا الذى أشار إليه الواسطى فى قوله : أول لسان الصوفية ظهرت على لسان أبى بكر رضى الله عنه ، فذلك قول أبى بكر رضى الله عنه لأنه حين خرج من جميع ملكه قال له النبى صلى الله عليه وسلم : « أيش خلفت ١١٦
لعيالك » قال : الله ورسوله ، فقال : الله ، ثم قال : ورسوله ، ولعمرى إنها إشارة جليلة لأهل التوحيد فى حقائق التفريد ، غير أن لأبى بكر الصديق رضى الله عنه إشارات غيرها مستخرجة منها لطائف غير ذلك .

وهى معلومة عند أهل الحقائق ومفهومة للتملق والتخلق بها ، منها قوله حين صعد المنبر بعد ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واضطربت قلوب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخشوا على ذهاب الإسلام بموته صلى الله عليه وسلم ، وخروجه من بين ظهرانيهم ، فقال : من كان يعبد منكم محمداً صلى الله عليه وسلم فإن محمداً صلى الله عليه وسلم قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لايموت .

واللطيفة فى ذلك ثباته فى التوحيد وما ثبّت به قلوب الجماعة من الصحابة رضى الله عنهم .

١١٧ ومنها قوله يوم بدر للنبى صلى الله عليه وسلم حيث [كان] يقول : « اللهم إن تهلك هذه العصابة لم تعبد فى الأرض [من بعد ذلك] » فقال أبو بكر ، رضى الله عنه : دع مناشدتك ربك ، فإنه والله منجز لك ما وعدك ؛ أو كما قال ، وهو قول الله تعالى : (إذْ يوحِى رَبكَ إلَى الملائكةِ أنى معكُمْ فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرُّعبَ)(١) فخص بحقيقة التصديق لما وعدهم الله تعالى من النصر من جميع الصحابة [عند اضطراب قلوبهم] فدل على حقيقة إيمانه وخصوصيته

فإن قال قائل : فما معنى تغير النبى صلى الله عليه وسلم وثبات أبى بكر ، رضى الله عنه ، وهو أتم من أبى بكر ، رضى الله عنه ، فى جميع الأحوال ؟

(١) الأنفال : ١٢

فيقال : لأن النبي صلى الله عليه وسلم أعلم بالله من أبى بكر ، رضى الله عنه ، وأبو بكر رضى الله عنه ، أقوى إيمانا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فثبات أبى بكر ، رضى الله عنه ، من حقيقة إيمانه بما وعد الله تعالى ، وتغير النبي صلى الله عليه وسلم من زيادة علمه بالله تعالى ، لأنه يعلم من الله ما لا يعلم أبو بكر ، رضى الله عنه ، ولا غيره .

ألا ترى أنه صلى الله عليه وسلم [كان] إذا اشتد هبوب الريح تغير لونه [ولم يتغير لون واحد من أصحابه] .

١١٨ وقال : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً ، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى ، ولما تقاررتم على فرشكم » .

ولأبى بكر الصديق رضى الله عنه [أيضا] خصوصية فى الإلهام والفراسة [من بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم] فى ثلاثة مواضع :

أحدها : حين اتفق رأى الجميع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ترك مقاتلة أهل الردة على منع الزكاة ، وثبت أبو بكر ، رضى الله عنه ، على قتالهم ، وقال : والله لومنعونى عقالا مما كانوا يؤدون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه [بالسيف] ؛ فأصاب رأيه [وقالوا: إن الإصابة فى رأيه مع خلافه لهم فيما أشاروا عليه] ، ورجع الجميع إلى رأيه حيث رأوا الصواب معه .

والثانى : عند خلافه رأى جمهور الصحابة فيما رأوا من رد جيش أسامة ، وقوله : والله لا أحل عقداً عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والثالث : قول أبى بكر رضى الله عنه لعائشة رضى الله عنها : أنى كنت نحلتك نحلا وإنما هو أخواك وأختاك ، وما عرفت [عائشة] الا أخوين وأختاً ، وكانت

لأبى بكر رضى الله عنه جارية حبلى فقال : لقد ألقى فى روعى أنها أنثى فهذا أتم ما كان فى الفراسة والإلهام

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله تعالى » ١١٩

ولأبى بكر رضى الله عنه معان أخر مما تعلق بها أهل الحقائق وأرباب القلوب وإن ذكرنا جميع ذلك طال الكتاب.

وقد حُكى عن بكر بن عبد الله المزنى أنه قال : مافاق أبو بكر ، رضى الله عنه ، جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بكثرة الصوم والصلاة ، ولكن بشىء كان فى قلبه .

قال بعضهم : الذى كان فى قلبه الحبّ لله عز وجل والنصيحة له .

ويقال : إن أبا بكر رضى الله عنه كان إذا دخل وقت الصلاة يقول : يابنى آدم قوموا إلى ناركم التى أوقدتموها فأطفئوها

وروى [عنه] أنه أكل طعاماً من شبهة فلما علم به تقيَّأ ، وقال : والله لو لم تخرج إلا مع روحى لأخرجتها ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بدن غذِى ١٢٠ بحرام فالنار أوْلى به » .

[وكان يقول : وددتُ أن أكون خضراء تأكلنى الدواب ، ولم أخلق مخافة العذاب وهول يوم الحساب .

وروى عن أبى بكر الصديق أنه قال : ثلاث آيات من كتاب الله عز وجل اشتغلتُ بها عما سواها إحداها : قوله « وإن يَمْسَسْكَ الله بضر فلاَ كاشِفَ له إلا هو وإن يردْك بخيرٍ فلا رادّ لفضله » فعلمت أنه إن أرادنى بخير لم يقدر أحد أن يرفع عنى غيره ، وإن أرادنى بشر لم يقدر أحد أن يصرف غيره .

والثانية : قوله « اذكُرونى أذكُرْكم » فاشتغلت بذكر الله تعالى عن كل مذكور سوى الله .

والثالثة: قوله « وَمَا مِنْ دابةٍ فى الأرضِ إلا على اللهِ رزقهاَ »[1] فوالله ما هممت برزق منذ قرأت هذه الآية .

ويقال : إن هذه الأبيات] لأبى بكر الصديق رضى الله عنه :

يامن ترَّفعَ بالدنيـــا وزينتها لَيسَ الترفعُ رَفعَ الطين بالطين
إذا أرَدتَ شريفَ الناس كلهم فانظر إلى ملكٍ فى زى مسكين
ذاك الذى عظمت فى الناس رأفته وذاك يَصْلُحُ للدنيـــا وللدِّين

[وحكى عن الجنيد أنه قال : أشرف كلمة فى التوحيد قول أبى بكر سبحان من لم يجعل للخلق طريقاً إلى معرفته إلا العجز عن معرفته] .

(١) هود : ٦

باب فى ذكر عمر بن الخطاب

رضى الله عنه

قال الشيخ ، رحمه الله : وأما عمر بن الخطاب، رضى الله عنه ، فانه قد روى عن
١٢٩ النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « قد كان فى الأمم محدَّثون ومكلَّمون فان يَكُ فى هذه الأمة فعمر ، رضى الله عنه » سئل بعض أهل الفهم عن المحدث ، فقال : أعلى درجة من درجات الصديقين ، ودلائل ذلك ظهرت عليه وهو ما ذكر عنه أنه كان يخطب فصاح ، فقال فى وسط خطبتــه : يا سارية الجبل ، وسارية فى عسكر على باب نهاوَنْد ، فسمع صوت عمر ، رضى الله عنه ، وأخذ نحو الجبل وظفر بالعدوّ .

وقيل لسارية : كيف علمت ذلك ؟ فقال : سمعت صوت عمر ، رضى الله عنه ، يقول : يا سارية الجبلَ الجبلَ .

وروى عن أبى عثمان النهدى أنه قال : رأيت على عمر ، رضى الله عنه ، قميصا فيه اثنا عشر رقعة ، وهو يخطب .

وروى عن عمر ، رضى الله عنه، أنه قال : رحم الله امرءا أهدى إلى عيوبى .

وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الشيطان يَفْرَقُ من ظل عمر رضى الله عنه » .

وقال عمر رضى الله عنه : من خاف الله تعالى لم يشف غيظه ، ومن اتقى الله لم يفعل كما يريد ، ولولا القيامة لــكان غير ما ترون .

ويقال : أنه أخذ تبنة من الأرض فقال : ياليتنى لم تلدنى أمى ، ياليتنى كنت هذه التبنة ، ياليتنى لم أك شيئاً .

وقد روى عن عمر ، رضى الله عنه ، أنه قال : ما ابتليت ببلية إلا كان لله [على فيها] أربع نعم : إذ لم تكن فى دينى ، و إذ لم تكن أعظم منها ، و إذ لم أحرم الرضا فيها ، وأن أرجو الثواب عليها .

وقال عمر ، رضى الله عنه : لو كان الصبر والشكر بعيرين ، لم أبالى أيهما ركبت .

وجاء رجل إلى عمر ، رضى الله عنه ، فشكا إليه الفقر فقال : عندك عشاء ليلتك ؟ قال : نعم ، قال : لست بفقير .

وروى عن علىّ ، رضى الله عنه ، أنه قال : ما على وجه الأرض أحد أحب إلىّ أن ألقى الله تعالى بمثل صحيفته إلا هذا المسجَّى عمر ، رضى الله عنه .

قال : ورأى علىّ ، رضى الله عنه ، يوما عمر ، رضى الله عنه ، وهو يعدو فى وقت الهاجرة ، فسأله عن عدوه ، فقال : [قد] أغير على إبل الصدقة فرحت أعدو فى طلبها ؛ قال : فقال على ، رضى الله عنه : لقد أتعبت الخلفاء بعدك يا أمير المؤمنين .

قال الشيخ ، رحمه الله : ولأهل الحقائق أسوة وتعلق بعمر ، رضى الله عنه ، بمعانى خص بذلك عمر ، رضى الله عنه ، من اختياره لبس المرقعة ، والخشونة ، وترك الشهوات ، واجتناب الشبهات ، و إظهار الكرامات ، وقلة المبالاة ، من لائمة الخلق عند انتصاب الحق ، ومحق الباطل ومساواة الأقارب والأباعد فى الحقوق ، والتمسك بالأشد من الطاعات ، واجتناب ذلك ، مما روى عنه و بيانهُ يطول .

وأما ما روى عن عمر ، رضى الله عنه ، أنه رأى جماعة جلوساً فى المسجد فأمرهم بطلب الكسب ، والذى كتب به إلى سلمان ، فلعله عرف منهم عجزاً فى جلوسهم وطمعهم فى الناس ، أو غير ذلك ، [فلذلك أمرهم بطلب الكسب] لأن النبى

عليه الصلاة والسلام وأبا بكر وعمر ، رضى الله عنهما ، قد رأوا أصحاب الصُّفَّة ، وهم نيّف وثمانية ، ولم يكرهوا ذلك ، ولم يؤمروا بالخروج من المسجد وطلب المعاش

وروى عن عمر ، رضى الله عنه ، أنه قال لأخيه زيد بن الخطاب يوم أحد : إن شئت نزعت دِرْعى هذه حتى تلبسها ، فقال له زيد: أنا أيضاً أحب الشهادة كما أنك تحب الشهادة ؛ وهذه إشارة عظيمة منهما تدل على حقيقة التوكل .

وأشباه ذلك كثيرة ، وفى القليل كفاية .

وقد روى عن عمر ، رضى الله عنه ، أنه قال : وجدت العبادة فى أربعة أشياء : أولها: أداء فرائض الله تعالى ؛ والثانى : اجتناب محارم الله تعالى ؛ والثالث : الأمر بالمعروف ابتغاء ثواب الله تعالى ؛ والرابع : النهى عن المنكر اتقاء غضب الله تعالى .

باب فى ذكر عثمان رضى الله عنه

قال الشيخ ، رحمه الله : أما عثمان بن عفان ، رضى الله عنه ، فقد خص بالتمكين ، والتمكين من أعلى مراتب متحققين ، ومما يتعلق به أهل الحقائق من أهل التصوف بعثمان بن عفان رضى الله عنه ، ما روى عن بعض المتقدمين [أنه سئل] عن الدخول فى السعات فقال : لا يصح إلا للأنبياء والصديقين ، والدخول فى السعة التى هى من أحوال الصديقين أن يكون داخلا فى الأشياء [خارجا منها وأن يكون مع الأشياء] بائناً عنها .

كما سئل يحيى بن معاذ ، رضى الله عنه ، عن صفة العارف فقال : رجل كائن [معهم] بائن عنهم .

وسئل ابن الجلاء ، رحمه الله ، عن الفقير الصادق فقال : يكون دخوله فى الأشياء لغيره لا لنفسه .

وهذا وصف حال عثمان ، رضى الله عنه ، لأنه قد روى عنه أنه قال : لولا أنى خشيت أن يكون فى الإسلام ثلمة أسدها بهذا المال ما جمعته .

وعلامة من يكون هذا حاله أن يكون الإنفاق أحب إليه من الإمساك ، والخرج عنده آثر من الدخل كعثمان رضى الله عنه فى تجهيز جيش العسرة وشِرَى بئر رومة
١٢٣ حتى قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « ما ضرّ عثمان ، رضى الله عنه ، ما فعل بعد هذا »

وروى عنه أنه بعث إلى أبى ذر ، رضى الله عنه ، بكيس فيها ألف درهم ، ودفعها إلى عبد له وقال : إن قبلها فأنت حر لوجه الله تعالى ، فدل ذلك على أن أمواله كانت مستعدة لمثل هذه الجهات ولا يصح هذا الحال إلا لعبد كامل المعرفة ، سمعت ابن سالم رحمه الله يقول : قال سهل بن عبد الله ، رحمه الله : لا يصح الدخول

فى السعة إلا لعبد يعرف الإذن إذا أذِنَ الله له أن يُنفق أنفق على مقدار ما يأذن الله تعالى له ، وإن أمسكها أمسك على حسب ما يأذن الله تعالى له ، ويكون قيامه فيما يجمع الله عليه من الأموال للحقوق لا للحظوظ ، فيكون مثله كمثل الوكيل يتصرف فى مال صاحبه تصرف المالكين بإذن ربّ المال ، وهو مكانٌ صعبٌ وقد غلط فى ذلك خلق كثير بدعواهم هذا الحال وهم عبيدُ الدنيا ، وعندهم أنهم من هؤلاء .

وقد حُكى عن سهل بن عبد الله ، رحمه الله ، أنه قال : ربما يملك العبد الدنيا ويكون أزْهَدَ الخلق فى زمانه ، فقيل له : مِثْل مَنْ ؟ فقال : مثل عمر ابن عبد العزيز .

وكان [رضى الله عنه أعنى عمر بن عبد العزيز] فى خلافته يُميّز بين الزيت الذى يُسْرج لنفسه والزيت الذى يسرج للعامة ، وكان يضع سراجه على ثلاث قَصَبات ، وفى يده خزائن الأرض .

فمن ها هنا غلط من غلط فى تشريف الغنى على الفقر ، وذهب عليه أن هؤلاء لم يكونوا أغنياء بأعراض الدنيا ، ولا فقراء بما يعدمون من الدنيا ، لأن غناهم بالله وفقرهم إليه .

ومما يتعلق به أهل الحقائق بعثمان ، رضى الله عنه ، ما رُوى عنه أنه حمل حزمة حطب من بعض بساتينه . وكان له عدة مماليك ، فقيل له : لو دفعتها إلى بعض عبيدك ، فقال : إنى قد استطعت أن أفعل ذلك ، ولكن أردتُ أن أجرب نفسى هل تعجز عن ذلك ، أو هل تكره ذلك ، أو كما قال .

فدلّ ذلك أيضاً [على] أنه كان لا يدع افتقاد نفسه ، وكان يفتقد رياضة نفسه لئلا يسكن إلى ما جمع إليه من الأموال لأنه ليس فى ذلك كغيره .

ورُوى عنه : أنه كان يقرأ بالسَّبع الطُّوَل فى ركعة واحدة خَلْفَ المقام وهو مقنّعٌ رأسه بالليل .

وروى عنه أنه قال : ما تمنّيتُ ولا تعنّيتُ ولا مسستُ ذكرى بيمينى منذ بايعتُ رسول الله عليه الصلاة والسلام .

و [مما يدل على] تخصيصه بالتمكين والثبات والاستقامة ما روى عنه : أنه يوم قُتِلَ لم يبرح من موضعه ، ولم يأذن لأحد بالقتال ، ولا وضع المصحف من حجره إلى أن قُتِل ، رضى الله عنه ، وسال الدم على المصحف وتلطخ بالدم ، ووقع الدم على موضع هذه الآية (فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) .

والتمكين حال رفيع ، سمعتُ أبا عمرو بن علوان يقول : سمعت الجنيد رحمه الله ليلةً من الليالى وهو [يقول] فى مناجاته : إلهى أتريد أن تخدعنى [عنك] بقُربك ، أم تريد أن تقطعنى عنك بوصالك ، هيهات هيهات ؛ قلت لأبى عمرو : ما معنى قوله : هيهات هيهات ؟ قال : التمكين .

وروى عن عثمان ، رضى الله عنه، أنه قال : وجدتُ الخير مجموعاً فى أربعة ؛ أولها : التحبب إلى الله تعالى [بالنوافل] ، والثانى : الصبر على أحكام الله تعالى ، والثالث : الرضا بتقدير الله عز وجل ، والرابع : الحياء من نظر الله عز وجل .

باب فى ذكر علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه

قال الشيخ ، رحمه الله : وأما علىّ ، رضى الله عنه ، فإنى سمعتُ أحمد بن على الوجيهى يقول : سمعتُ أبا على الروذبارى يقول : سمعت جنيداً رحمه الله يقول : رضوان الله على أمير المؤمنين علىّ ، رضى الله عنه ، لولا أنه اشتغل بالحروب لأفادنا من علمنا هذا معانى كثيرة ، ذاك امرؤٌ أعطىَ علم اللَّدُنى ، والعلم اللدُنى هو العلم الذى خصّ به الخضرُ عليه السلام ، قال الله تعالى (وعلمناهُ من لدنَّا مِنْ عِلماً)(١)

وقد سمعتَ بقصة الخضر وموسى عليهما الصلاة والسلام وقوله (إنكَ لَنْ تستطيع مَعِيَ صَبراً)(٢) فمن هاهنا غلط من غلط فى تفضيل الولاية على النبوة ، وسنذكر ذلك فى باب الردّ على من قال ذلك إن شاء الله .

ولأمير المؤمنين [علىّ] رضى الله عنه خصوصية من بين جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعانى جليلة ، وإشارات لطيفة ، وألفاظ مفردة ، وعبارة وبيان للتوحيد والمعرفة والإيمان [والعلم] ، وغير ذلك ، وخصال شريفة تعلق وتخلق به أهل الحقائق من الصوفية ، وإن ذكرْنا ذلك كله طال به الكتاب ، ولكن نذكر من ذلك طرفاً نكتفى به عن التطويل إن شاء الله .

فمنها ما سُئل أمير المؤمنين ، رضى الله عنه ، وقيل له : بما عرفتَ ربك ؟ فقال : بما عرفنى نفسَهُ ، لاتشبهه صورةٌ ، ولا يُدْرَك بالحواس ، ولا يقاس بالناس ، قريب فى بعده ، بعيد فى قربه ، فوق كل شىء ولا يقال شىء تحته ، وتحت كل شىء ولا يقال شىء فوقه ، أمام كل شىء ولا يقال شىء أمامه ، داخلٌ فى الأشياء ، لا كشىء ولا من شىء ، ولا فى شىء ، ولا بشىء ، سبحان من هو هكذا ولا هكذا غيره .

---

(١) الكهف : ٦٥ (٢) الكهف : ٦٧

وكان أمير المؤمنين ، رضى الله عنه ، يقول فى خطبته : خلق الأشياء لامن شىء كان معه ، ولا عن شىء احتذاه، ولاعن شىء امتثله . فكل صانع فمن شىء صنع ، وكل عالم فمن بعد جهل علم ، والله تعالى عالم لامن بعد جهل .

وقوله فى الإيمان كما ذكر عنه عمرو بن هند قال : سمعت عليًا ، رضى الله عنه ، يقول : الإيمان يبدو لمظةً بيضاء فى القلب ، فكلما ازداد الإيمان ازداد القلب بياضاً ، فاذا استكمل الإيمان ابيض القلب ؛ وإن النفاق يبدو لمظةً سوداء فى القلب، فكلما ازداد النفاق ازداد القلب سواداً ، فاذا استكمل اسودّ القلب

وقام رجل إلى على بن أبى طالب ، رضى الله عنه ، فسأله عن الإيمان ، فقال : الإيمان على أربع دعائم : على الصبر ، واليقين ، والعدل ، والجهاد ؛ ثم وصف الصبر على عشر مقامات ، وكذلك اليقين والعدل والجهاد ، فوصف كل واحد منها على عشر مقامات .

فإن صح ذلك عنه فهو أول من تكلم فى الأحوال والمقامات .

وقيل لأمير المؤمنين ، رضى الله عنه : من أسلم الناس من سائر العيوب ؟ قال : من جعل عقله أميرهُ ، وحذره وزيره ، والموعظة زمامَهُ ، والصبر قائده، والاعتصام بالتقوى ظهيرة ، وخوف الله تعالى جليسه ، وذكر الموت والبلى أنيسه .

وقال على ، رضى الله عنه ، فى حديث كميل بن زياد: ها إن هاهنا عِلْمٌ لو وجدت له حملة وأشار إلى قلبه ؛ فكان تخصيصه من بين الصحابة بالبيان والعبارة عن التوحيد والمعرفة ، والبيان من أتم المعانى وأعلى الأحوال قال الله تعالى : (وإذْ أخذَ اللهُ ميثاق الذين أُوتُوا الكتاب لَتُبَيِّنُنَّهُ للناس) وقال تعالى : (هذا بيانٌ للناس)[١] .

ولا يبلغ العبد كمال الشرف إلا بالبيان لأنه ليس كل من عقل يعلم ، ولا كل

---

(١) آل عمران : ١٣٨

من علم يحسن أن يبين ، فاذا أعطى العبدُ العقل والعلم والبيان فقد بلغ إلى الكمال ، والمشهور عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا إذا أشكل عليهم شيء من أمور الدين سألوا علياً ، رضي الله عنه، فكان يبين لهم الذي يشكل عليهم .

وروى عن علي ، رضي الله عنه ، أنه كان يقول : أحبب حبيبك هوناً ما ، كيما يكون بغيضك يوماً ما ، وأبغض بغيضك هوناً ما كيما يكون حبيبك يوماً ما .

وذكر عنه أيضاً : أنه وقف على باب الخزانة ـ خزانة الأموال ـ وقال : ياصفراء ويابيضاء غُرّى غيري .

وذكر عنه أيضاً : أنه لبس قميصاً شراه ثلاثة دراهم ، فقطعه من رأس أصابعه .

وذكر عنه أنه عمل بأجرة ، فأخذ أجرته مدًّا من تمر ، وحمل ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تقوّت به .

وروى عنه أنه قال لعمر بن الخطاب ، رضي الله عنه : إن أردت أن تلقى صاحبك فرقع قميصك ، واخصف نعلك ، وقصر أملك ، وكل دون الشبع .

وروى عن عمر ، رضي الله عنه ، أنه قال : لولا عليّ ، رضي الله عنه ، لهلك عمر .

ويقال : أنه لما قتل ، رضي الله عنه ، صعد الحسن ، رضي الله عنه، منبر الكوفة وقال : يا أهل الكوفة ، لقد قتل بين ظهرانيكم أمير المؤمنين ، رضي الله عنه ، والله إنه ماخلف من الدنيا شيئا إلا أربعمائة درهم، وكان قد عزلها ليشترى بها خادماً يخدمه.

ويقال : إن علياً ، رضي الله عنه ، كان إذا جاء وقت الصلاة يتزلزل ويتغير لونه فيقال له : مالك يا أمير المؤمنين ؟ فيقول : جاء وقت أمانة عرضها الله تعالى على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان ، فلا أدرى أحسِنُ أداء ما احتملتُ أم لا ؟

وقال علي ، رضي الله عنه : ما أنا ونفسى إلا كراعى غنم كلما ضمها من جانب انتشرت من جانب .

ولعلى ، رضى الله عنه ، أشباه ذلك كثير من الأحوال والأخلاق والأفعال التى يتعلق بها أرباب القلوب وأهل الإشارات وأهل المواجيد من الصوفية ، فمن ترك الدنيا كلها وخرج من جميع ماءلك وجلس على بساط الفقر والتجريد بلا علاقة فإمامه فيه أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، ومن أخرج بعضها وترك البعض لعياله واصلة الرحم وأداء الحقوق فإمامه [فيها] عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ومن جمع لله ومنع لله وأعطى لله وأنفق لله فإمامه [فيها] عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ومن لايحوم حول الدنيا ، وإن جمعتْ عليه مِنْ غير طلبه رفضها وهرب منها فإمامُه فى ذلك علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه .

وروى عن علىّ ، رضى الله عنه ، أنه قال : الخير كله مجموع فى أربعة : الصمت والنطق والنظر والحركة ، فكلّ نطق لا يكون فى ذِكْر الله تعالى فهو لغوٌ ، وكلّ صمت لا يكون فى فِكر فهو سهوٌ ، وكل نظر لا يكون فى عبرة فهو غفلة ، وكل حركة لا تكون فى تعبد الله فهى فترة ، فرحم الله عبداً جعل نطقه ذكراً وصمته فكراً ونظره عبرة وحركته معبداً ، ويسلم الناس من لسانه ويده .

باب صفة أهل الصُّفَّة رضوان الله عليهم أجمعين

قال الشيخ ، رحمه الله : ثم إن أهل الصفة كانوا كما جاء فى الخبر نيف وثلثمائة لا يرجعون إلى زرع ولا إلى ضرع ولا إلى تجارة ، وكان أكلهم فى المسجد ونومهم فى المسجد ، وكان رسول صلى الله عليه وسلم يؤانسهم ويجلس معهم ويأكل معهم ويحث الناس على إكرامهم و[معرفة] فضلهم .

وقد ذكرهم الله تعالى فى مواضع من القرآن منها قوله عزوجل : (للفقراء الذينَ أحصرُوا فى سَبيلِ اللهِ)(١) الآية ، وقوله : (ولا تطرُدِ الذينَ يدْعونَ رَبَّهُمْ) الآية ، وقوله : (واْصْبِرْ نفسكَ معَ الذينَ يدْعونَ رَبَّهم)(٢) الآية .

وقد عاتب الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم فيهم ، قال الله عزّ وجلّ :(عَبَسَ وتَوَلَّى أن جاءهُ الأعمى)(٣) ، قيل : نزلت فى شأن ابن أم مكتوم ، رضى الله عنه ، وكان من أهل الصفة ، فكان إذا رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يقول :
١٢٤ « يامن عاتبنى فيه ربى عزوجل » .

١٢٥ ويقال : إن رسول صلى الله عليه وسلم كان لا يقوم من مجلسه إذا جلس أهل الصفة حوله حتى يقوموا ، وكان إذا صافحهم لم ينزع يده من أيديهم قبلهم ، وربما كان يفرقهم على أهل الجدّات والسعة على كل واحد على مقداره ، يبعث بهم مع واحد ثلاثة ، ومع الآخر الأربعة والخمسة ، قال فربما كان ينقلب سعد بن معاذ ، رضى الله عنه ، بثمانين منهم إلى بيته فيطعمهم .

وقال أبو هريرة ، رضى الله عنه . رأيت سبعين من أهل الصفة يصلون فى ثوب

---

(١) البقرة : ٢٧٤ (٢) الكهف : ٢٨
(٣) عبس : ١ — ٢

منهم من لا يبلغ ركبتيه ، فإذا ركع أحدهم قبض بيديه مخافة أن تبدو عورته.

وقال أبو موسى الأشعرى ، رضى الله عنه : كان يشبه رائحتنا رائحة الشاة من لبس العباء .

وقال عبد الله بن طلحة : صحبنا جماعة أهل الصفة يوماً فقلنا : يارسول الله ، أحرق بطوننا التمر ، وحرمت علينا الجيفة ؛ فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٢٦ فصعد المنبر ثم قال : « ما بال أقوام يضحون و يقولون أحرقت بطوننا التمر ، أما علمتم أن هذا التمر [إنما] هو طعام أهل المدينة ، فقد واسونا به ، فواسيناكم مما واسونا به ، والذى نفس محمد بيده أن منذ شهر أو شهرين لم ترتفع من [بيت] رسول الله دخان للخبز وليس لهم غير الأسودين التمر والماء » .

والمعنى فى ذلك أن رسول الله عليه الصلاة وسلم اعتذر [فى ذلك] إليهم ، ولم يرد عليهم شكايتهم ، ولم يأمرهم بطلب المعاش [من الاكتساب والتجارات] ،
١٢٧ وقد روى فى الخبر أن النبى عليه الصلاة والسلام وقف على جماعة من أهل الصفة وقد استتر بعضهم ببعض من ، العرى وقارئ يقرأ عليهم القرآن وهم يبكون ، فأما غير أهل الصفة فقد رُوى عن كل واحد منهم ما انفردوا به وخصوا به من الأحوال الرضية والأعمال الزكية ومكارم الأخلاق ما تعلق بها أهل الحقائق من المتصوفة وطلب الاهتداء فى الاقتداء بهم ، ويكثر ذكر ذلك ولكن نذكر طرفاً ليستدل بذلك على مالم نذكره إن شاء الله تعالى .

باب فى ذكر سائر الصحابة فى هذا المعنى

قال الشيخ ، رحمه الله : وأما طلحة بن عبيد الله ، رضى الله عنه ، فقد روى عن زياد بن حدير أنه قال : رأيت طلحة بن عبيد الله ، رضى الله عنه ، فوق مائة ألف فى مجلس وإنه ليخيط طرف إزاره بيده .

وأما معاذ بن جبل ، رضى الله عنه ، فقد روى عنه الحارث بن عميرة ، قال : إنى لجالس عند معاذ بن جبل ، رضى الله عنه ، وهو يجود بنفسه ويقول : اُخنق خنقك فوعدتك أنى لأحبك .

وأما عمران بن حصين ، رضى الله عنه ، قال : وددت أنى كنت تراباً تذرونى الرياح ولم أخلق مخافة العذاب .

وقال ثابت البنانى ، رحمه الله : أنه ـ يعنى عمران بن حصين ، رضى الله عنه ـ اشتكى بطنه ثلاثة وثلاثين سنة ، فدخل عليه أصحابه يعودونه فقالوا : يمنعنا من الدخول عليك طول شكايتك ، فقال : لا تفعلوا [ذلك] فإن أحبهُ إلى ربى أحبه إلى .

وأما سلمان الفارسى ، رضى الله عنه ، فقد قيل : إنه لما نزلت هذه الآية (وإنَّ جَهنمَ لَمَوْعدهُمْ أجمعينَ)[1] صاح صحية ووضع [يده] على رأسه ، ثم خرج هارباً ثلاثة أيام ؛ وفى الخبر أن سلمان ، رضى الله عنه ، زار أبا الدرداء ، رضى الله عنه ، من العراق إلى الشأم راجلا وعليه كساء غليظ مضموم الرأس شاحباً ، فقيل له : شهرت نفسك ، فقال : الخير خير الآخرة وإنما أنا عبد ألبس كما يلبس العبيد ، فإذا أعتقت لبست جبة لا ابتلاء محاسنها .

وأما أبو الدرداء ، رضى الله عنه ، فإنه قال : كنت امرءاً تاجراً فى الجاهلية ، فلما أسلمت أردت أن أجمع بين التجارة والعبادة فلم تجتمعا لى ، فآثرت العبادة على التجارة ؛ قال : وسئلت أم الدرداء ، رضى الله عنها ، عن أفضل عبادة أبى الدرداء ، رضى الله عنه ، فقالت : التفكر والاعتبار .

وأما أبو ذر ، رضى الله عنه ، فإنه روى عنه أنه قال : إن قيامى بالحق لله تعالى لم يترك لى صديقاً ، وإن خوفى من يوم الحساب ما ترك على بدنى لحماً ، وإن يقينى بثواب الله تعالى ما ترك فى بيتى شيئاً .

وروى عنه أنه قال : قتلنى هم يوم لم أدركه ، فقيل له : وما ذاك ؟ قال إن أملى جاوز أجلى ، وددت أن الله تعالى خلقنى شجرة تعضد .

ودعى أبو ذر ، رضى الله عنه ، إلى وليمة فسمع صوتاً فانصرف وهو يقول : من أكثر سواد قوم فهو منهم ، ومن رضى عمل قوم فهو شريكهم .

وحمل حبيب بن مسلمة إلى أبى ذر ، رضى الله عنه ؛ ألف درهم فرد عليه وقال : عندنا عنز نحلبها ، ومركوب يسارع على ظهرها ، ولا حاجة لنا فى غير ذلك .

وأما أبو عبيدة بن الجراح ، رضى الله عنه ؛ فإنه روى عنه أنه خرجت فى كفه طعنة فى أيام الطاعون ، فعظم ذلك على أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام وفرقوا منها . فأقسم لهم أبو عبيدة ، رضى الله عنه ؛ ما يحب أن له مكانها حمر النعم ؛ وجاء رجل إلى أبى عبيدة ، رضى الله عنه : فسأله فرده ، ثم جاءه فسأله فأعطاه ، فقال : الذى أعطاك والذى ردك الله عزّ وجل ؛ [وقال أبو عبيدة: وددت أن أكون كبشاً لأهدى فيتمزق لحمى ويتحسى مرقى ولم أخلق] .

وأما عبد الله بن مسعود ، رضى الله عنه ، فإنه رُوى عنه أنه كان يقول : ياحبذا المكروهان الموت والفقر فما أبالى بأيهما ابتدئت ؛ وروى أن فى بيته كانت عشاش الخطاطيف ، وكان له بنون فقيل له : لو نقضت هذه المشاش ، فقال : والله لئن نقضت يدى من تراب قبورهم — يعنى أولاده — أحبُّ إلىَّ من أن أكسر من عشاش هذه الخطاطيف بيضة واحدة .

وأما البراء بن مالك فقد روى عن أنس بن مالك ، رضى الله عنهما ، أنه قال : دخلتُ على البراء بن مالك ، رضى الله عنه ، وقد مال برجليه على الحائط وهو يترنم بالشعر فقلت : يا أخى أبعدَ الإسلام والقرآن ؟ فقال : يا أخى ديوانُ العرب ، ثم قال : أترانى أموتُ على فراشى وقد قتلتُ تسعة وتسعين مبارزاً بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى ما أشركتُ [فيه] ، فلما كان يوم شهرك مَلِكِ تُسْتُرَ قال أبو موسى الأشعرى ، رضى الله عنه : سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول : « كم من ذى طِمْرَين لايؤ به له لو أقسم على الله لأبره ، منهم البراء بن مالك ١٢٨ رضى الله عنه » فقال البراء : اللهم فانى أقسم عليك لما رزقتنى الشهادة و رزقت أصحابى الفتح ، قال : فاستشهد البراء ، وفتح الله عليهم .

وأما عبد الله بن العباس ، رضى الله عنه ، فإنه روى عنه أنه كان يقول : أفضلُ المجالس مجلس فى قعر بيتك حتى لا تَرَى ولا تُرَى ؛ وروى عنه أنه كان يقول إن الله تعالى ليبتلى العبد بالفقر شوقاً إلى دعائه ؛ ويقال : إن هذا الموضع يعنى حذنه [كان] مثل شراك النعل من كثرة الدمع ، يعنى ابن عباس رضى الله عنه ، و[روى] عنه أنه قال : لأن أرقع ثوباً فألبسه فيرفعنى عند الخالق أحب إلىَّ من أن ألبس ثياباً تضعنى عند الخالق ، وترفعنى عند المخلوقين .

وأما كعب الأحبار ، رضى عنه ، فقد روى عنه أنه قال : لن ينالوا شرف الآخرة

حتى يكرهوا المدحة والثناء ، وأن ينالوا الملامة فى الله تعالى ؛ وقال كعب . رضى الله عنه : لن يستكمل العبد أجر الحج والجهاد حتى يصبر على الأذى .

١٢٩ وأما حارثة ، رضى الله عنه ، فقد روى عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من أراد أن ينظر إلى عبد نوّر الله تعالى الإيمان فى قلبه فلينظر إلى حارثة ، رضى الله عنه » .

وأما أبو هريرة ، رضى الله عنه ، فإن ثعلبة بن أبى مالك قال : رأيت أبا هريرة ، رضى الله عنه ، وهو يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة مروان بن الحكم ، فقال : أوسع الطريق للأمير يا ابن أبى مالك ، فقلت : أصلحك الله تكفى هذا ، فقال : أوسع الطريق للأمير ياابن أبى مالك ؛ وروى عنه أنه بكى لما حضرته الوفاة ، فقيل له : مايبكيك ؟ قال : بعد المفازة ، وقلة الزاد ، وضعف اليقين ، وعقبة كؤود ، والمهبط منها إلى الجنة أو النار ؛ وقال أبو هريرة ، رضى الله عنه : جزأت الليل ثلاثة أجزاء ثلثاً أصلى وثلثاً أنام وثلثاً أستذكر [فيه] حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام

وأما أنس بن مالك ، رضى الله عنه ، فروى عنه أنه قال : إن أول من يرد الحوض يوم القيامة الذابلون الناحلون الذين إذا جنهم الليل استقبلوه بحزن

وأما عبد الله بن عمر ، رضى الله عنه ، فروى عنه أنه كان يقول : ما كنا ننام ونحن عُزّاب فى أيام رسول الله عليه الصلاة والسلام إلا فى المسجد ، ولم يكن لنا مسكن ولا مأوى ، وروى عنه أنه قال : لا تحبب أبداً إلا من تنق بدينه ، وكان يقول : لا تطعموا طعامكم إلا كل تقىّ [نقىّ] ولا تأكلوا إلا من طعام تقى نقى ، وعن ابن عمر رضى الله عنه أنه قال: إنما سُلّط على ابن آدم من يخافه ، ولو لم يخف ابن آدم إلا الله لم يسلط الله تعالى عليه شيئاً .

وأما حذيفة بن اليمان ، رضى الله عنه ، فروى عنه أنه قال: إن أقرّ يوم لعينى ليومٌ

إذا رجعت إلى أهلي فيشكون إليّ الحاجة ، وقال حذيفة ، رضى الله عنه : كم من شهوة ساعة أورثت صاحبها حزناً طويلا ؛ ودعى حذيفة إلى مائدة فرأى عليها زى العجم فانصرف وهو يقول : من تشبه بقوم فهو منهم .

وأما عبد الله بن جحش ، رضى الله عنه ، فروى سعيد بن المسيب ، رحمه الله ، قال : قال عبد الله بن جحش ، رضى الله عنه ، يوم أحد : اللهم إنى أقسم عليك أن ألقى العدو ، و إذا لقيت العدو أن يقتلونى ثم يبقروا بطنى ثم يمثلوا بى ، فإذا لقيتك قلت : فيم قتلت ؟ فأقول : فيك ؛ قال : فلقى العدو فقتل وفعل به ذلك .

وأما صفوان بن محرز المازنى فإنه كان يقول : إذا أويت إلى أهلي وأصبت رغيفاً أكلته فجزى [الله] الدنيا عن أهلها شرا ، وما زاد على ذلك إلى أن خرج من الدنيا .

وأما أبو فروة فإنه رجل من أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام كان مولى لبنى سليم سار ميلا لم يذكر الله تعالى فيه فرجع حتى [سار فيه] ذاكراً لله تعالى ، فلما بلغ منتهاه قال : اللهم لاتنس أبا فروة [فإن أبا فروة] ليس ينساك .

وأما أبو بكرة رضى الله عنه فإنه أغمى عليه عند قبر فصرخوا عليه فلما أفاق قال : مامن نفس تخرج ولا نفس دابة [إلا وهى] أحب إلىّ من نفسى ، قيل له : ولم ؟ قال : إنى أخاف أن أبقى إلى زمان لا آمرُ فيه بالمعروف ولا أنهى عن المنكر .

وأما عبد الله بن رواحة ، رضى الله عنه ، فذكر عنه أنه بكى فبكت امرأته ، فقال لها : مايبكيكِ ؟ قالت : إنك بكيتَ فبكيتُ ، فقال : إنى أنبئتُ أنى وارد النار ولم أنبأ أنى صادر .

وأما تميم الدارى فذكر عنه أنه قام ليلة إلى الصباح يبكى و يقرأ هذه الآية (أمْ حَسِبَ الذينَ اجترَحُوا السَّيئاتِ) الآية .

وأما عدى بن حاتم ، رضى الله عنه ، فروى عنه أنه ربما كان يفت الخبز للنمل ترحماً عليهم .

وأما أبو رافع ، رضى الله عنه ، مولى رسول الله عليه الصلاة والسلام فقد روى
عن ابن عمر ، رضى الله عنه ، أنه قال : قال رجل : يارسول الله أى الناس أفضلُ ؟
١٣٠ قال « كل مخموم القلب صدوق اللسان » قيل : يارسول الله ، وما مخموم القلب ؟ قال:
١٣١ « التقى النقى الذى لا كدر فيه [ولا بغى] ولا حسد ، الذى يشنأ الدنيا ويحبّ
الآخرة» قالوا: فما نعرف فينا [مثل] ذلك غير أبى رافع مولى رسول الله عليه الصلاة
والسلام ورضى الله عنه .

وأما محمد بن كعب ، رضى الله عنه ، فإنه ذكر عنه أنه قال : إذا أراد الله بعبد خيراً [جعل فيه ثلاث خلال] فقهه فى الدين ، وزهده فى الدنيا ، و بصره عيوب نفسه .

وأما زُرارة بن أوْفى ، رضى الله عنه ، فانه رُوى عنه أنه أمَّ فى مسجد بنى قشير فقرأ (فَإِذَا نُقِرَ فى النَّاقورِ فَذَلِكَ يوْمئذٍ يومٌ عَسِيرٌ)[1] فخر ميتاً .

وأما حنظلة الكاتب ، رضى الله عنه ، فإنه روى عنه أنه قال : كنا عند رسول
الله عليه الصلاة والسلام فذكرنا الجنة والنار حتى كأنها رأى العين ، فعدتُ إلى
أهلى فضحكت ولقيت الناس فقلت : نافقَ حنظلة ، فقال أبو بكر ، رضى الله عنه :
مالك ؟ فأخبرته ، فقال : إنا لنفعله أيضا ، فذهب حنظلة إلى النبى صلى الله عليه
١٣٢ وسلم فذكر له ذلك ، فقال : « ياحنظلة ، لو كنتم فى بيوتكم كما تكونون عندى
١٣٣ لصافحتكم الملائكة على فرشكم » أو كما قال « ياحنظلة ساعة وساعة » .

وأما المجاج ـ قال الشيخ: و كنيته أبو كثير هكذا فى كتاب أبى داود السجستانى ـ

(١) المدثر : ٨ - ٩

صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه روى عنه أنه قال : أسلمت مع النبي صلى الله عليه وسلم وأنا ابن خمسين سنةً ، ومات اللجاج وهو ابن عشرين ومائة سنة ، وقال : ما ملأتُ بطني من طعام منذ أسلمتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، آكلُ حسبي وأشرب حسبي .

وأما أبو جحيفة ، رضي الله عنه ، فانه روى عنه أن امرأته استخبأت ثلاثين درهماً فنسيتها حتى مضت لها سنة ، ثم إنها ذكرتها ، فقال لها: يا أخت هذيل اعتدى بئس حشوة البيت أنت ، لومت لعددت عند الله من الكنازين ، إن نبي الله صلى الله عليه وسلم مات، وعهده بين أعيننا جديداً، لم يترك ديناراً ولا درهما ولا فلساً ولا برا ولا شعيراً .

وأما حكيم بن حزام ، رضي الله عنه ، فإنه روى عنه أنه قال : ما أصبحت ذا صباح قط لم أر عندى طالب حاجة ولا مستعيناً على أمر إلا عددته من المصائب التي أسأل الله تعالى الأجر عليها

وأما أسامة ، رضي الله عنه ، فإنه روى عنه أنه اشترى فرساً إلى شهرين ، فقال النبي عليه الصلاة والسلام لما بلغه ذلك « إن أسامة لطويلُ الأمل » . ١٣٤

وأما بلال وصهيب رضي الله عنهما فإنه روى عنهما أنهما أتيا قبيلة من العرب فخطبا إليهم فقيل لهما : من أنتما ؟ فقالا : بلال وصهيب ، كنا ضالين فهدانا الله تعالى ، وكنا مملوكين فأعتقنا الله تعالى ، وكنا عائلين فأغنانا الله تعالى فان تزوجونا فنحمد الله وإن تردونا فسبحان الله ، فقالوا : تزوجون والحمد لله ، فقال صهيب لبلال : هلا ذكرت مشاهدنا وسوابقنا مع رسول الله عليه الصلاة والسلام ؟ فقال بلال : اسكت فقد صدقت فأنكحك الصدق .

وأما عبد الله بن ربيعة ومُصعب بن عمر ، رضي الله عنهما ، فكانا متواخيين ،

قال عبد الله : كنت أنظر إلى مصعب فتدمع عينى رقة عليه ، وكنت رأيته بمكة فى الرفاهية وكان على رأسه ثلة من الشعر ، قال : فكنت أمر إلى بعض حيطان المدينة فأعمل فى السوانى إلى الأدلى على مد من التمر فأحمله إلى مصعب بن عمر ،
١٣٥ ومر مصعب يوما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قطعة حيس ، فأكل بعضها ، وحمل النصف الآخر إلى عبد الله ابن ربيعة .

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بين عبد الرحمن بن عوف وبين سعد بن الربيع، رضى الله عنهما ، وكان لسعيد امرأتان فقال سعد : أقاسمك مالى وأنزل عن إحدى امرأتى حتى تزوج بها ، فلم يفعل ذلك عبد الرحمن ، وقال : دلونى على السوق ، فدخل السوق وكسب حتى جمع شيئاً من التمر والسمن والأقط ،
١٣٦ وروى عنه أنه نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد أهله شيئاً فدخل علية رجل من الأنصار فذهب إلى أهله ، ووضع بين يديه الطعام ، وقال لامرأته : أطفئى السراج ، وجعل يمد يده كأنه يأكل حتى أكل الضيف الطعام ، فلما أصبح
١٣٧ قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد عجب الله تعالى من صنعتكم إلى ضيفكم » ونزلت هذه الآية (ويؤثرونَ علَى أنفسهم ولو كان بهم خصاصةٌ)(١)

وروى عن [ابن] عمر رضى الله عنه ، أنه [قال] : أهدى لرجل من أصحاب
١٣٨ رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسُ شاة ، فقال : إن أخى كان أحوج إليه منى ، فبعث إليه ، فلم يزل يبعث الواحد الى الآخر حتى تناوله سبعة أبيات فرجعت الى الأول ، قال : ونزلت فيهم هذه الآية : (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ)

---

(١) الحشر : ٩

قال الشيخ ، رحمه الله تعالى : ومثل هذا اكثير فى الأخبار عن الصحابة وما منهم أحد إلا وله تخصيص فى معان من هذا النوع الذى ذكرْنا ، والمؤمنون مندوبون إلى التعلّق بمثل هذه الأفعال والتخلّق بأخلاقهم فيما أتوا به من أنواع الطاعات ونطقوا به من [أنواع] الحِكَم . وقد ذكرْنا القليل من الكثير

والمراد من هذه الأخبار التى ذكرناها عن هؤلاء الصحابة : إشارةٌ ولطافةٌ تخصيصاً لأهله ، وله بيان وشرح كشرح مَنْ تقدّم ذِكْرُهُ فى أوّل الباب باب الأئمة الأربعة : أبى بكر وعمر وعثمان وعلىّ ، رضى الله عنهم أجمعين ، ولا يخفى على المتأمّل والمتدبّر بالنظر فيه بيان ذلك إن شاء الله تعالى .

كتاب آداب المتصوفة

باب فى ذكر الآداب

قال الشيخ ، رحمه الله : قال الله تعالى (يأَيهَا الذِينَ آمَنوا قوا أنفسَكُمْ وأهْليكُمْ نَاراً)(١) وروى عن ابن عباس ، رضى الله عنه ، أنه قال فى تفسيره : يعنى أدبوهم وعلموهم تقوهم بذلك من النار ، وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما نحلَ والدٌ والداً أفضل من أدب حسن » وروى عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال « أن الله أدبنى فأحسنَ أدبى »

قال الشيخ ، رحمه الله : موضع تخصيصه بالأدب من جملة الأنبياء ، عليهم السلام بقوله فأحسن أدبى ، و إلافجميع الأنبياء عليهم الصلاة السلام كانوا ممن أدبهم الله تعالى .

وروى عن محمد بن سيرين أنه سئل : أى الآداب أقربُ إلى الله تعالى ،وأزكف للعبد عنده ؟ قال : معرفة بربوبيته ، وعمل بطاعته ، والحمد لله على السراء ، والصبر على الضراء .

وقيل للحسن بن أبى الحسن البصرى رحمه الله : أكثر الناس تعلم الآداب فما أنفعها عاجلا ، وأوصلها آجلا ؟ قال : التفقه فى الدين فإنه يصرف إليه قلوب المتعلمين ، والزهد فى الدنيا فإنه يقربك من ربّ العالمين ، والمعرفة بما لله عليك يحويها كمال الإيمان .

وقال سعيد بن المسيب ، رحمه الله : من لم يعرف ما لله تعالى عليه فى نفسه ولم يتأدب بأمره ونهيه ، كان من الأدب فى عزلة .

---

(١) التحريم : ٦ .

وقال كلثوم الغسانى : أدبان أدب قول وأدب فعل ، فمن رفق لنفسه فى أدبه بقوله عدم ثواب العمل ، ومن تقرب إلى الله تعالى : بأدب فعله منحه محبة القلوب ، وصرف عنه العيوب ، وجعله شريكاً فى ثواب المتعلمين .

وروى عن ابن المبارك ، رحمه الله ، أنه قال : نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم ؛ وقال ابن المبارك ، رحمه الله ، أيضاً : الأدب للعارف بمنزلة التوبة للمستأنف .

قال الشيخ رحمه الله : الأدب سند للفقراء وزين للأغنياء ، والناس فى الأدب متفاوتون وهم على ثلاث طبقات : أهل الدنيا ، وأهل الدين ، وأهل الخصوصية من أهل الدين ، فأما أهل الدنيا فإن أكثر آدابهم فى الفصاحة والبلاغة وحفظ العلوم ، وأسمار الملوك ، وأشعار العرب ، ومعرفة الصنايع .

وأما أهل الدين فإن أكثر آدابهم فى رياضة النفوس ، وتأديب الجوارح ، وطهارة الأسرار ، وحفظ الحدود ، وترك الشهوات ، واجتناب الشبهات ، وتجريد الطاعات ، والمسارعة إلى الخيرات .

وقد حكى عن سهل بن عبد الله رحمه الله أنه قال : من قهر نفسه بالأدب فهو يعبد الله تعالى : بالإخلاص ، وقال سهل أيضاً رحمه الله : استعانوا بالله على أمر الله فصبروا على أدب الله تعالى ويقال : إن أفضل الآداب التوبة ، ومنع النفوس عن الشهوات ، وسئل بعضهم عن أدب النفس فقال أن تعرفها الخير فتحثها عليه وتعرفها الشر فتزجرها عنه ؛ ويقال : إن الأدب كال الأشياء لا يصفو إلا للأنبياء والصديقين .

قال الشيخ رحمه الله : فأما أدب أهل الخصوصية من أهل الدين فإن أكثر آدابهم فى طهارة القلوب ، ومراعاة الأسرار ؛ والوفاء بالعقود بعد العهود ؛ وحفظ الوقت ؛ وقلة الالتفات إلى الخواطر والعوارض والبوادى والطوارق ، واستواء السر

مع الإعلان ، وحسن الأدب فى مواقف الطلب ومقامات القرب وأوقات الحضور والقرب والدنو والوصلة .

سمعت أحمد بن محمد البصرى رحمه الله يقول : سمعت الجلاجلى البصرى يقول : التوحيد موجب يوجب الإيمان فمن لا إيمان له لا توحيد له ، والإيمان يوجب الشريعة ، فمن لا شريعة له لا إيمان له ولا توحيد له ، والشريعة توجب الأدب فمن لا أدب له لا شريعة له ولا توحيد .

وسئل أبو العباس بن عطاء رحمه الله : ما الأدب فى ذاته ؟ فقال : الوقوف مع المستحسنات ؟ فقال : أن تعامل الله تعالى بالأدب سرا وإعلاناً ، فاذا كنت كذلك كنت أديبا وإن كنت أعجميا ، ثم أنشد ابن عطاء فى هذا المعنى :

إذا نطقتْ جاءتْ بكلِ ملاحةٍ وإن سكنتْ جاءتْ بكلِ جميلِ

قال الشيخ رحمه الله : فالصوفية لهم آداب فى سفرهم ، وآداب فى أوقاتهم وأخلاقهم ، وآداب فى سكونهم وحركاتهم ، وهم مختصون بها من غيرهم ومعروفون بها عند أشكالهم وعند أبناء جنسهم ؛ يعرف بذلك تفاضل بعضهم على بعض ، وبهذه الآداب تميز بين الصادقين والكاذبين والمدعين والمحققين . وقد بينا طرفاً من آدابهم فى كل باب من هذه الأبواب التى ذكرنا على الاختصار لينظر الناظر فيه ، ويقف على ذلك إن شاء الله تعالى :

باب آدابهم فى الوضوء والطهارات

قال الشيخ رحمه الله ، فأول أدب يحتاج إليه فى باب الوضوء والطهارات : طلب العلم وتعلمه ، ومعرفة الفرائض والسنن ، وما يستحب وما يكره من ذلك ، وما أمر به وما ندب إليه وما رغب فيه للفضيلة .

وتفصيل ذلك لا يوقف عليه إلا بالعلم والسؤال ، والبحث عليه ، والاهتمام له حتى تأتى به على موافقة الكتاب والسنة ، بالاحتياط ، وأتباع الأحسن والأتم ، ورفع الملامة وترك الإنكار بالقلب على من لم يأخذ بالاحتياط والأشد : لأن الله تعالى : يحب أن يؤخذ برخصه ، كما يحب أن يؤخذ بعزائمه ، وسائر الناس لهم أشغال وأسباب لا بد لهم من السعى فيها والاهتمام بها ، فإن أخذوا بالرخص وما فيه السعة فهم معذورون .

وأما المتصوفة ومن ترك الأسباب ، وخرج عن الأشغال ، وفرغ نفسه للعبادة والزهد ، فلا عذر له فى ترك التوقى والتنقى والاهتمام بإسباغ الوضوء والتمسك بالاحتياط والأتم فى أبواب الطهارة والنظافة ، فمن ليس له شغل غير ذلك فعليه أن يبذل مجهوده على قدر استطاعته فى ذلك ، لقول الله تعالى : « فاتقوا اللهَ ما أستطعتمْ »[1] وقد رأيت جماعة كانوا يجددون الوضوء لكل صلاة ، فيقومون إلى الوضوء قبل دخول وقت الصلاة حتى إذا فرغوا من وضوئهم يكون قيامهم إلى الصلاة متصلا بفراغهم من الوضوء .

ومن آدابهم فى ذلك أيضاً أن يكونوا ، دائما على الطهارة فى سفرهم .

وأصلهم فى ذلك أنهم لا يدرون متى تأتيهم المنية ، لقول الله تعالى :

---

(١) التغابن : ١٦

« فإذا جاء أجلهُمْ لا يستأخرونَ ساعةً وَلا يستقدمونَ »[١] يريدون بذلك إن جاءهم الموت بغتة يخرجوا من الدنيا على الطهارة .

سمعت الحصري رحمه الله ، يقول : ربما أنتبه بالليل فلا يحملني النوم إلا بعد ما أقوم وأجدد الوضوء ، قال الشيخ ، رحمه الله تعالى : وذلك أنه كان ينام على الطهارة ، فإذا انتبه وقد نقضت طهارته جدد ، فقد أدب نفسه بذلك أن لا يحمله النوم وهو على غير طهارة ، وكان شيخ من المشايخ الأجلة به وسوسة فى الوضوء ، وكان يكثر صب الماء ، فسمعته يقول : كنت ليلة من الليالى أجدد الوضوء لصلاة العشاء ، وكنت أصب الماء على نفسى حتى مضى شطر من الليل ، فلم يطب قلبي ، ولم يذهب عنى الوسوسة ، فبكيت ، فقلت : يارب العفو ، فسمعت هاتفاً يقول : يا فلان ، العفو فى العلم يعنى فى استعمال العلم .

وقال أبو نصر هو أبو عبد الله الروذبارى رحمه الله :

ويقال إن الشيطان يجتهد فى أن يأخذ نصيبه من جميع أعمال بنى آدم فلا يبالى أن يأخذ نصيبه بأن يزدادوا فيما أمروا به ، أو ينقصوا منه ، وذكر عن ابن الكريني ، وكان أستاذ الجنيد رحمه الله ، أنه أصابته الجنابة ليلة من الليالى ، وكانت عليه مرقعة ثخينة غليظة (كانت فرد كمه وتخاريزه عند جعفر الخلدى وكان فيه أرطال قال)[١] فجاء إلى الشط ليلة ، وكان برد شديد ، فحرنت نفسه عن الدخول فى الماء لشدة البرد ، قال : فطرح نفسه فى الماء مع المرقعة ، ولم يزل يغوص فى الماء مع مرقعته ثم خرج من الماء ، وقال : اعتقدت أن لا أنزعها من بدنى حتى تجف على ، قال : فلم تجف عليه شهراً كاملا ، وأراد بذلك تأديباً لنفسه : لأنها حرنت عند الائتمار لما أمر الله تعالى به من غسل الجنابة .

---

(١) الأعراف : ٣٤

وكان سهل بن عبد الله رحمه الله ، يحث أصحابه على كثرة شرب الماء ، وقلة صب الماء على الأرض ، وكان يقول إن الماء له حياة ، وموته أن تصبه على الأرض ، وكان يرى أن فى كثرة شرب الماء ضعف النفس وإماتة الشهوات ، وكسر القوة .

وأقام أبو عمرو الزجاجى رحمه الله ، بمكة سنين كثيرة وهو مجاور ، بها ، وكان إذا أراد أن يقضى حاجته يخرج من الحرم ، وهو مقدار فرسخ ، وكان لا يتغوط فى الحرم ، كما بلغنى ، ثلاثين سنة .

وكان إبراهيم الخواص رحمه الله ، إذا دخل البادية لا يحمل معه إلا ركوة من الماء ، وربما كان لا يشرب منها إلا القليل ، وكان يحتفظ بذلك للوضوء ، ويؤثر الوضوء بالماء على الشرب عند العطش .

قال الشيخ ، رحمه الله تعالى : ورأيت جماعة يمشون على شطوط الأنهار ، ولا يفارقهم الماء فى ركوتهم ، أو فى كوز ، وذلك أنه ربما كان يشتد بهم البول ، ولا يمكنهم الجلوس على شط النهر وكشف العورة من أجل الناس ، فإذا كان معهم ركوة أو كوز عدلوا إلى خلوة ، فيكون أصون لأنفسهم .

وكانوا يكرهون كثرة الدلك عند البول . لأنه ربما يسترخى العروق فلا يمسك البول . ويتولد منه التقطير المفرط . وكذلك تكره الشدة إلا عند عوز الماء والاضطرار . ولبس السراويل أحب [إلى] من الإزار بعد الطهارة . والإزار أخف لنزعه عند التهيء ويجتنب لبس جميع ما يخرز بشعر الخنزير قل أو كثر ، رطباً كان أو يابساً ، ولذلك اختاروا لبس النعال . ويقال إن الصوفى إذا رأيتَه وليس معه ركوة أو كوز فاعلم أنه قد عزم على ترك الصلاة ، وكشف العورة ، شاء أو أبى . ورأيت من أقام بين ظهرانى جماعة من النساك وهم مجتمعون فى دار ؛ فما رآه أحد منهم أنه كان قد أدب نفسه وعودها القيام إلى الحاجة فى وقت واحد إذا خلا الموضع حتى

لا يراه أحد إذا دخل الخلاء أو خرج منه ، ورأيت أيضاً من كان قد عود نفسه وأدبها حتى كان لا يخرج منه ريح إلا فى وقت البراز وهو فى البادية وفى مواضع الخلوة ، وكان إبرهيم الخواص رحمه الله تعالى ، يخرج من مكة وحده ، فيجىء إلى الكوفة ، فلا يحتاج أن يتيمم بالتراب ، وكان يحفظ الماء الذى يحمل لشربه حتى يتوضأ به .

وكان جماعة من الشيوخ يكرهون دخول الحمام إلا فى أوقات الضرورة فإذا اضطروا إلى ذلك لم يدخلوا إلا فى حمام خال ، فإذا دخلوها لم يحلوا إزارهم إلى أن يخرجوا ، ولم يتركوا أن يمسهم القوام و يعطوهم طمعهم من غير أن يدنو منهم حتى يوسعوا عليهم الماء ، فإذا كانوا جماعة دالكوا بعضهم بعضاً ، فإن كان فى الحمام غيرهم استقبلوا بوجوههم الحائط حتى لا تقع أعينهم على عورات الناس ، وكان جماعة من المتصوفة إذا دخلوا الحمام لا يتركون أحداً يدخل معهم إلا بإزار .

والاستحباب : نتفُ الإبط وحلق العانة ، فمن لم يحسن الحلق فليتنور بيده فى الخلوة .

وكان أصحاب سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى يحلقون رءوسهم بعضهم لبعض كما بلغنى عنهم .

وسمعت عيسى القصار الدينورى رحمه الله تعالى ، يقول : أول من قص شاربى بيده الشبلى رحمه الله تعالى ، وكنت أخدمه ، قال الشيخ رحمه الله تعالى : وفرق الرأس اختاره جماعة للسنة ويكره ذلك للشباب ، ويحسن بالمشايخ إن أرادوا بذلك استعمال السنة .

وكان يقول: بعض المشايخ هب أن الفقر من الله تعالى ، فما بال الوسخ ، وأحب الأشياء إلى المتصوفة النظافة ، والطهارة ، وغسل الثوب ، والمداومة على السواك ، والنزول عند المياه الجارية والفضاء الواسعة والمساجد التى فى الأطراف ، والخلوة ،

والاغتسال فى كل يوم جمعة فى الشتاء والصيف ، والرائحة الطيبة ، وأطيب الطيب : الماء الجارى ، والمداومة على الاغتسال ، وتجديد الوضوء ، و إسباغ الوضوء[1] .

وليس من الوسوسة ما يستقصى الإنسان فى طهارته من التباعد وطلب الماء الجارى ، وترك المياه المتغيرة ، والتفتيش على المواضع الطاهرة والاستقصاء على ذلك الأعضاء الظاهرة ، وافتقاد الأعضاء الباطنة . ومواضع التشنيج والانضمام ، و إبلاغ الماء الخياشيم ، و إمرار الماء على الاعضاء وجميع البشرة فى الغسل والوضوء وغير ذلك ، وليس التوقى والتنقى من الوسواس المنهى عنه أيضاً لأن جميع ذلك داخل فى قوله : «اتقوا الله ما استطعتم» .

و إنما الوسوسة المنهى عنها ما يخرجك عن حد العلم : وهو أن تشغلك الفضائل عن الفرائض ، وأن تخالف العلم ، وتبطل صلاة من يتوضأ بالمد ، و يغتسل بالصاع .

والصواب فى ذلك أن يكون العبد فى كل وقت بما هو أولى بالوقت ، إذا وجد الماء فيسبغ وضوءه على الاحتياط حتى يطيب قلبه ، و إذا لم يجد الماء الواسع فيحسن أن يجدد الوضوء ، أو يتطهر بقليل من الماء كما روى فى الخبر : أن أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام كانوا يتوضون وضوءا لا يلت منه التراب .

قال الشيخ رحمه الله ورأيت من كان على وجهه قرحة لم تندمل اثنى عشر سنة : وذلك أن الماء كان يضره ، وكان لا يدع تجديد الوضوء عند كل صلاة ، ورأيت من نزل الماء فى عينيه ، لحملوا إليه المداوى ، و بذلوا له دنانير كثيرة على أن يداويه ، فقال المداوى : يحتاج أن لا يمس الماء أياماً ، ويكون مستلقياً على قفاه ، فلم يفعل ذلك ، واختار ذهاب بصره على ترك الوضوء والطهارة ، وكان

---

(١) من سنن الإسلام الجليلة ، ومن فروضه الواجبة فى ظروف مختلفة التطهير . ولقد أجاد المؤلف فى هذه الفقرات كل الإجادة وكما يحب الله التوابين فإنه يحب المتطهرين

هـذا أبو عبد الله الرازى المقرى ، وحكى عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله أنه كان به قيام فقام فى ليلة واحدة نيفا وسبعين مرة ، وكل مرة يجدد وضوءه ويصلى ركعتين ، ومات إبراهيم الخواص رحمه الله فى جامع الرى فى وسط الماء ، وذلك أنه كان به علة البطن ، فكان يدخل الماء ويغسل نفسه ، فدخل مرة فى الماء ليغسل نفسه فخرجت نفسه وهو فى وسط الماء .

فهذا ما حضرنى فى الوقت من آداب أهل الصفوة من الصوفية فى الوضوء والطهارة ، وبالله التوفيق .

باب فى ذكر آدابهم فى الصلاة

قال الشيخ رحمه الله : وأما آدابهم فى الصلاة فأول ذلك : تعلُّمُ علم الصلاة ، ومعرفة فرائضها وسننها وآدابها وفضائلها ونوافلها ، وكثرة مسائلة العلماء ، والبحث عما يحتاج إليه فى ذلك مما لا يسعه الجهل به : لأن الصلاة عماد الدين ، وقرة عين العارفين ، وزينة الصديقين ، وتاج المقربين ومقام الصلاة مقام الوصلة ، والدنو ، والهيبة ، والخشوع ، والخشية ، والتعظيم ، والوقار ، والمشاهدة ، والمراقبة ، والأسرار ، والمناجاة مع الله تعالى ، والوقوف بين يدى الله تعالى ، والإقبال على الله تعالى ، والإعراض عما سوى الله تعالى .

فأما العامة فلهم أن يقلدوا علماءهم ، ويسألوا فقهاءهم ، ويعتمدوا على أقاويلهم من الرخص والسعات والفتوى والتأويلات التى أوسع الله تعالى ، للخلق .

فأما المتصوفة ، وأهل الخصوص الذين باينوا الناس ، وانحازوا عن جملة الناس بترك المكاسب ، وقطع العلائق ، وانقطعوا إلى الله عزّ وجلّ ، وعُرفوا بالله ، ونسبوا إلى الله ، فلا يسعهم التخلف عن استعمال الآداب ، والاهتمام والتكلف لأحكام الصلاة ، وتجويزها ، وأحكام فرائضها وسننها وفضائلها ونوافلها وآدابها ، لأنهم ليس لهم شغل غير ذلك ، ولا ينبغى أن يهمهم أمر أكثر من اهتمامهم بأمر الصلاة .

فأول أدبهم من ذلك : أن يكون تأهبهم للصلاة قبل دخول وقت الصلاة حتى لا يفوتهم الوقت الأول الذى هو المختار ، ولا يمكنهم ذلك إلا بمعرفة الوقت الأول لكل صلاة ، ولا يقدر على ذلك إلا بمعرفة ، وعلم ، مع الوقوف على علم الزوال ، ومقدار ظل الزوال فى كل وقت وأوان فى كل الأقطار ، وأن يعلم على كم تزول الشمس من قدم فى كل وقت وكم يزداد وينقص ، ويعتبر ذلك بمقدار قامته إذا لم يكن معه

مقياس لذلك ، و يعلم ذلك فى أى موضع كان بظل شخصه ، و يعتبره بقدمه ، وكذلك يحتاج إلى معرفة شيء من النجوم ، ومنازل القمر وطلوعها وغروبها ونوبة طلوع كل نجم من منازل القمر ، حتى إذا نظر بالليل إلى النجوم لا يخفى عليه ما مضى من الليل وما بقى إلى الصبح ، و يحتاج أيضاً إلى معرفة القطب والكواكب التى يستدل بها على القبلة ، ولا يصح له ذلك إلا بالاجتهاد ، ومعرفة سمت كل بلدة حتى أين تقع من الكعبة ، ولا يقف على صحة ذلك إلا بعد افتقاده ذلك بمكة ، ورجوعه إلى البلدة التى قد عرف أين يقع سمتها من الكعبة وأين كان ذلك فى وقت معلوم من محاذاة القطب والجدى والفرقدين ، وأما النجوم السيارات فينبغى أيضاً أن يعلم ذلك ؛ للاستدلال والاهتداء بالليل ، فإنه ربما يقع فى المفاوز ، و يركب البحور فيحتاج إلى معرفة ذلك .

وكان سهل بن عبد الله رحمه الله ، يقول : علامة الصادق أن يكون له تابع من الجن إذا دخل وقت الصلاة يحثه على ذلك ، وإن كان نائماً ينبهه .

ومنهم من يكون له أوراد بالليل والنهار من العبادة والذكر وتلاوة القرآن على ممر أيامه ، وتصير عادته حتى لا يغلط فى ذلك ليله ونهاره حيث ما كان .

وأما آداب الدخول فى الصلاة ، بعد ما تأهب ، إذا دخل أول الوقت ، وأراد الدخول فى الصلاة : فتحريمها بالتكبيرة المقرونة بتكبير الإحرام مع النية من حيث لا تسبق النية التكبيرة ،ولا التكبيرة النية و يكونان معاً .

وقد حكى عن الجنيد رحمه الله أنه قال : لكل شيء صفوة ، وصفوة الصلاة التكبيرة الأولى ، والمعنى فى ذلك أن التكبيرة الأولى هى مقرونة بالنية التى لا تجوز الصلاة إلا بها ، وهو عقدك بأن صلاتك لله عزّ وجلّ ، فإذا صح العقد فما دخل بعد ذلك فى صلاتك من الآفات الباطنة لم يفسد الصلاة ، بل ينقص من فضلها ، و يبقى للمصلى عقدها و نيتها .

سمعت ابن سالم رحمه الله تعالى ، يقول : النية بالله ، ولله ، ومن الله والآفات التى تدخل فى صلاة العبد بعد النية من العدو ، وهو نصيب العدو ، و إن نصيب العدو ، وإن كثر ، لا يوازن بالنية التى هى بالله ، ولله ، ومن الله ، و إن قلت

وسئل أبو سعيد الخراز رحمه الله ، كيف الدخول فى الصلاة ؟ فقال : هو أن تُقبل على الله تعالى : كإقبالك عليه يوم القيامة ، ووقوفك بين يدى الله تعالى : ليس بينك و بينه ترجمان ، وهو مقبل عليك ، وأنت تناجيه ، وتعلم بين يدى من أنت واقف ؟ فإنه : الملك العظيم !!!

وقيل لبعض العارفين : كيف تكبر التكبيرة الأولى ؟ فقال : ينبغى إذا قلت : الله أكبر ، أن يكون مصحوب قولك : « الله » : التعظيمَ مع الألف والهيبةَ مع اللام والمراقبةَ والقربَ مع الهاء ؛ وقال آخر : إذا كبرت التكبيرة الأولى فاعلم أنه ناظر إلى شخصك ، وعالم بما فى ضميرك ، ومثِّل فى صلاتك الجنةَ عن يمينك ، والنارَ عن شمالك .

ومن آدب الصلاة : أن العبد إذا دخل فى الصلاة فلا يكون فى قلبه شىء غير الله الذى هو بين يديه حتى يعرف كلامه و يأخذ من كل آية ذوقها وفهمها ، لأنه ليس له من صلاته إلا ما عقل .

وقال أبو سعيد الخراز رحمه الله ، فى كتاب له يصف أدب الصلاة ، فقال : إذا رفعت يديك فى التكبير فلا يكن فى قلبك إلا الكبرياء[1] ، ولا يكن عندك فى وقت التكبير شىء أكبر من الله تعالى : حتى تنسى الدنيا والآخرة فى كبريائه .

قال الشيخ رحمه الله : والمعنى فى ماقال أبو سعيد الخراز رحمه الله أن العبد إذا قال الله ا كبر ، و يكون فى قلبه شىء غير الله فلا يكون صادقاً فى قوله الله أكبر ، ثم انه

---

(١) أى لله تعالى

إذا أخذ فى التلاوة فالأدب فى ذلك : أن يشاهد بسمع قلبه كأنه يسمع من الله تعالى ، أوكأنه يقرأ على الله تعالى .

قال : أبو سعيد الخراز رحمه الله : وفيه العلم الجليل لأهل الفهم ، وإذا ركع فالأدب فى ركوعه : أن يَنْتَصِبَ ويدنو ويتدلى حتى لا يبقى فيه مفصل إلا وهو منتصب نحو العرش ، ثم يعظم الله تعالى حتى لايكون فى قلبه شىء أعظم من الله عز وجل ويصغر نفسه حتى يكون أقل من الهبآء . فإذا رفع رأسه وحمد الله يعلم أنه هو ذا يسمع ذلك ، وإذا سجد فالأدب فى سجوده: أن لا يكون فى قلبه عند السجود شىء أقرب إليه من الله تعالى ، لأن أقرب ما يكون العبد من ربّه عند السجود ، فيجب أن ينزهه عن الأضداد بلسانه ، ولايكون فى قلبه أجلُّ منه ، ولا أعز منه ، ويتم صلاته على هذا ، ويكون معه من الخشية والهيبة ما يكاد يذوب ، ولايكون له فى صلاته شغلٌ أكثر من شغله بصلاته حتى لا يشتغل بشىء غير الذى هو واقف بين يديه فى صلاته ، وكذلك إذا تشهد ودعا وسلم ، كل ذلك يعقل ما يقول ، وبما يخاطب ، ولمن يخاطب ، حتى يخرج من الصلاة بالعقد الذى قد دخل فى الصلاة .

فهذا ما وجدت فى كتاب أبى سعيد الخراز رحمه الله .

ورأيت جماعة كانوا يكرهون تطويل الصلاة ، ويحبون التخفيف لمبادرة الوسواس حتى يخرج من صلاته على النية والعقد الذى دخل به فيها .

فصل آخر فى آداب الصلاة

قال الشيخ رحمه الله تعالى : وذلك أن العبد إذا كان متأدباً بأدب الصلاة ، قبل دخول وقت الصلاة ، فكأنه فى الصلاة ، ويكون قيامه إلى الصلاة من حال لايستغنى عنه فى الصلاة . وذلك أن من آدابهم قبل الصلاة المراقبة ، ومراعاة القلب من الخواطر والعوارض ، وذكر كل شىء غير ذكر الله تعالى، فإذا قاموا إلى الصلاة بحضور القلب فكأنهم قاموا من الصلاة إلى الصلاة فيبقون مع النية والعقد الذى دخلوا به فى الصلاة ، وإذا خرجوا من الصلاة رجعوا إلى حالهم من حضور القلب ، والمراعاة ، والمراقبة فكأنهم فى الصلاة وإن كانوا خارجين من الصلاة فهذا هو أدب الصلاة .

وقد رُوى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « العبد فى الصلاة مادام ينتظر الصلاة » . فهذا هو الأدب الذى يحتاج إليه المصلى فى صلاته ، وفى انتظار الصلاة قبل الصلاة ، كما وصفتُ لك إن فهمت ذلك إن شاء الله تعالى .

وقد رأيتُ من إذا قام إلى الصلاة كان يحمرّ ويصفرّ وجهه عند التكبيرة الأولى من هيبة الله تعالى . ورأيت من كان لايتهيأ له أن يحفظ العدد ، فكان يُجلس واحداً من أصحابه ويعد عليه كم ركعة صلى : لأنه كان يراعى قلبه على ثبات العقد الذى دخل به فى الصلاة فكان يخاف الغلط على نفسه لأنه كان لايدرى كم ركعة صلاها ، فلذلك كان يستعين بمن يعد عليه حتى يتيقن كم ركعة صلاها .

وذُكر عن سهل بن عبد الله أنه كان يضعف ، حتى لايكاد يقوم من موضعه ، حتى إذا دخل وقت الصلاة تُرَد إليه قوته ، فيقوم فى المحراب مثل الوتد ، فإذا فرغ من صلاته يرجع إلى حالة ضعفه ، ولا يقدر أن يقوم من موضعه .

ورأيتُ من كان يسافر فى البادية على الوحدة ، ولا يترك ورده من التطوّع

وصلاة الليل والفضائل والسنن والآداب التى كان يستعمل فى الحضر ، فكان يقول : أحوال هذه الطائفة ينبغى أن تكون فى السفر والحضر واحدة .

وكان أخ من إخوانى يصطحب فى مكان واحد ، فكانت عادته أنه إذا أكل شيئاً يقوم ويصلى ركعتين ، وإذا شرب الماء يقوم ويصلى ركعتين ، وإذا لبس ثوباً يقوم ويصلى ركعتين ، وإذا دخل المسجد يصلى ركعتين ، وإذا أراد الخروج من المسجد يصلى ركعتين ، وكذلك إذا فرح أو غضب يقوم ويصلى ركعتين .

وكان جماعة من أصحابنا يسافرون مع أبى عبد الله بن جابان رحمه الله تعالى ، فحدثونى عنه أنه كان إذا بلغ إلى الميل فى البادية وأراد التعقب[1] لا يجلس حتى يصلى ركعتين .

ومن آدابهم أيضاً أنهم يكرهون الإمامة والصلاة فى الصف الأول، بمكة وغيرها، ويكرهون التطويل ، أما الإمامة ، فلو أن أحدهم يحفظ القرآن ، فإنهم يختارون الصلاة خلف من يُحسن أن يقرأ الحمد وسورة أخرى : لأن النبىّ صلى الله عليه وسلم
٢٠٢ قال الإمام ضامن ، وأما ترك الصلاة فى الصف الأول فإنهم يريدون بذلك أن لايزاحموا الناس ، ويضيقوا عليهم : لأن الناس يزدحمون ، ويطلبون الصف الأول:
٢٠٣ لما جاء فى الخبر من الفضيلة فيه ، يريدون بذلك إيثارهم ، وإذا كان الموضع خالياً يغتنمون ذلك الفضل الذى جاء فى الصف الأول .

وإما التطويل فى الصلاة ، فكلما طالت الصلاة كثرت المفوات والوسواس ، والاشتغال بتصحيح الأعمال أولى من الاشتغال بكثرتها وتطويلها ، وروى عن رسول
٢٠٤ الله عليه الصلاة والسلام : أنه كان أخف الناس صلاة فى تمام .

سمعت ابن علوان رحمه الله يقول : كان الجنيد ، رحمه الله ، لا يترك أوراده من الصلاة على كبر سنة وضعفه ، فقيل له فى ذلك ، فقال : حال وصلت به إلى الله تعالى : فى بدايتى كيف يتهيأ لى أن أتركه فى نهايتى .

(١) فى إحدى النسخ تعليقا على هذه الكلمة : « أن يعقب بأصحابه » .

ومن آدابهم فى الصلاة أيضاً : أن للصلاة أربع شُعَب ، حضور القلب فى المحراب وشهود العقل عند الوهّاب ، وخشوع القلب بلا ارتياب ، وخضوع الأركان بلا ارتقاب ؛ لأن عند حضور القلب رفع الحجاب ، وعند شهود العقل رفع العتاب ، وعند خشوع القلب فتح الأبواب ، وعند خضوع الأركان وجود الثواب ، فمن أتى بالصلاة بلا حضور القلب فهو مصلٍّ لاهٍ ، ومن أتاها بلا شهود العقل ، فهو مصلٍ ساهٍ ، ومن أتاها بلا خشوع القلب فهو مصلٍّ خاطىء ، ومن أتاها بلا خضوع الأركان فهو مصلٍّ جافٍ ، ومن أتمّها فهومصلٍّ وافٍ .

فهذا ما حضرنى فى الوقت من آدابهم فى الصلاة ، وبالله التوفيق .

باب ذكر آدابهم فى الزكوات والصدقات

قال الشيخ رحمه الله تعالى : أما آدابهم فى الزكاة فإن الله تعالى جدُّه لم يفرض عليهم الزكاة ، لأنه سبحانه قد زوى عنهم من أموال الدنيا ما يجب عليهم فيه الزكاة والصدقة .

وقد حكى عن مطرف بن عبد الله بن الشخير رحمه الله أنه قال : نعمة الله تعالى : [علىّ] فيما زوى عنى من الدنيا أعظم من نعمه الله تعالى : علىّ فيما أعطانى ، وكذلك أهل التصوف نعمة الله تعالى عليهم فيما زوى عنهم من الدنيا [أعظم من نعمته عليهم] فيما أعطاهم إن لو أعطاهم من الدنيا شيئاً كثيراً ، وقد قال فى ذلك بعضهم وهو من أهل الدنيا :

وما وجَبتْ عَلَىَّ زكاةُ مالٍ وهلْ تجبُ الزكاةُ على كريمِ

يفتخر بذلك ويقول : لم تجب علىّ زكاة قط ، يريد أنه لم يترك حتى يجتمع عنده مالٌ يجب عليه فيه الزكاة .

وبلغنى عن إبراهيم بن شيبان رحمه الله أنه لقى الشبلى رحمه الله وكان إبراهيم ينهى عن الذهاب إليه ، والوقوف عليه ، واستماع كلامه ، فقال للشبلى رحمه الله ، وأراد [بذلك] أن يمتحنه : كم فى خمس من الإبل ؟ قال : شاة فى واجب الأمر ، وفيما يلزمنا نحن : كلها ، يعنى : فيما ندعيه من مذهبنا . فقال له إبراهيم : ألك فى هذا إمام ؟ قال : نعم ، أبو بكر الصديق رضى الله عنه حيث خرج من ماله كله ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : ما خلَّفْتَ لعيالك ؟ فقال : اللهَ ورسوله ، فقام ، ولم يَنْهَ الناس بعد ذلك عنه .

فأما آداب جماعة من المتصوفة فى الزكاة : أنهم لا يأكلون منها ، ولا يطلبونها ،

ولا يأخذونها وقد أباح الله تعالى لهم أخذها ، وإن أكلوا منها أكلوا حلالاً طيباً إلاّ أنهم يريدون بترك ذلك إيثار الفقرآء ، وترك المزاحمة للضعفاء وأهل الحاجات .

ويقال : إن محمد بن منصور صاحب أبى يعقوب السوسى رحمة الله عليهما كان إذا أعطوه شيئاً ، أو حُمل إليه شىء من الزكاة والصدقة وكفّارة اليمين ، وعلم أنّها من هذه الجهات ، لم يأخذها ، ولم يفرقها على أصحابه من الفقراء ، ويقول :شىء لا أرضاه لنفسى ، لا أرضاه لأصحابى ، وإذا حُمِل إليه ولم يعلم أنه من الزكاة والصدقة أخذها وأكل منها .

وأما الباقون فكانوا لا يرون الانبساط فى مثل ذلك ، ولا يمدّون أيديهم إلى الطمع وإلى السؤال وإلى ما يرون فيه المنّة ، وإن جاءهم من غير مسئلة فكانوا يتعففون عن ذلك ، ولقد بلغنى عن بعض إخواننا من الصوفية أنه كان يُنْفق على إخوانه من الفقراء ، فقراء الصوفية ، فى كل سنة ، كما زعموا ، ألف دينار ، وكان يحلف أنه ما أنفق عليهم ولا دفع إليهم درهما قط من زكاته وقد رأيته .

وحكى عن أبى على المشتُولى أنّه كان ينفق على الصوفية ما يتعجبون منه تجار مصر ، ويقولون : مالنا لا يفى بنفقته[1] ، ويقال : إنه لم تجب عليه زكاة قط .

وسمعت بعض الأجلة من مشايخ الصوفية وهو يقول : [كان] يكون بينى وبين رجل من الأغنياء مودة مؤكدة ، ويكون له فى قلبى محبّة وحرمة ، فيذكرنى عند

---

(١) لعل العبارة كما يلى « كان ينفق على الصوفية مايتعجب منه تجار مصر ويقولون أموالنا لاتفى بنفقته » .

إخراج زكاته ، وتفرقة صدقته ، فيُذْهب [ذلك] جميع ما يكون له فى قلبى من المودة ، ورأيت فى رقعة إمام ، من الأئمة ، من المعروفين ، كتبها إلى رجل فقير من الصوفيّة ، وكانَ فيها : يا أخى ، قد أنفذتُ إليك شيئاً ليس من الزكاة ، ولا من الصدقة ، ولا لأحد غير الله تعالى عليك فيه مِنّةٌ ، فأسألك أن تُدخِل علىّ السرور بقبوله .

فأما ما جاءهم من غير مسئلة ، [ولا طمع] ، ولا استشراف نفس ، من أقوام لا يعرفون الصوفية ، ولا يدّعون أحوالهم ، ولا يداخلونهم بالمجانسة ، ولا يعرفون أصولهم ، فلا ينبغى أن يُرَدّ ذلك للخبر الذى قال النبى عليه الصلاة والسلام لعمر ابن الخطاب رضى الله عنه : ما آتاك الله من هذا المال من غير مسئلة ، ولا استشراف نفس ، فخذه ولا تردّه، فإنك هو ذا تردّه على الله عزّ وجلّ(١) ، فإذا لم يرده وأخذه فهو بالخيار، إن أكل منه أكل حلالاً طيباً ، وإن دفعه إلى من يعلم أنه أحقّ بذلك منه فهو جميل ، سمعتُ أبا بكر محمد بن داود الدينورى الدُّقّىّ رحمه الله يقول : كان أبو بكر القَرْغانى يُكتَب اسمه فى جملة من يأخذ الجراية فى شهر رمضان من المساكين وكان يأخذ كل ليلة الوظيفة ، ويحملها إلى امرأة عجوز فى جواره لم يكتبوا اسمها فى جملة من كان يأخذ الوظيفة [من الجراية] التى [كانت] تُفرّق فى رمضان .

وقال بعضهم : من أخذ من الله تعالى ، أخذ بعزّ ، ومن أخذ لغير الله تعالى أخذ بذل ، ومن ترك لله عزّ وجلّ ترك بعز ، ومن ترك لغير الله تعالى ترك بذل ، فمن بنى أمره على غير هذا فى الأخذ والإعطاء ، فهو على خطر عظيم ، والله تعالى : يعلم المخطىء من المصيب ، ولا يخفى على الله شىء .

---

(١) يعنى فإنك إن فعلت ورددته فإنما تردّه على الله الذى جاءك به .

وتصديق من يأخذ لله و يعطى لله ، و يترك لله ، هو أن يستوى عنده المنع والعطاء والشدة والنعماء .

وطبقة أخرى اختاروا الزكوات والصدقات على الهدايا والهبات والإيثار والمواساة ، فقالوا : قد جعل الله تعالى للفقراء حقًا فى أموال الأغنياء ، فإذا أخذنا أخذنا حقوقنا التى جعل الله تعالى لنا ، فلا معنى لتركه ، وقالوا : لا نختار على ما اختار الله تعالى لنا ورسوله ، وقالوا : الامتناع من أخذ الزكاة والصدقة ضرب من تعزز النفوس وكراهية الفقر ، وقد حكى فى معنى ذلك عن أبى محمد المرتعش أنه كان فى محفل من أصحابه من الأغنياء والتجار فنظر إلى رجل ومعه خبز يتصدق به على المساكين والسُّؤَّال وقد ازدحموا عليه ، قال: فقام المرتعش من بين أصحابه ، وقصد هناك ، وأخذ من ذلك الخبز رغيفاً ، وجاء ، وجلس ، فَسُئل عن فعله ذلك ، فقال : خشيت إن لم أقم ، وآخذ معهم من ذلك الخبز ، أن يمحى اسمى من ديوان الفقراء .

وقد روى عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال « : لا تحل الصدقة لغنىّ ، ولا لذى مِرَّة سَوِىّ » فالذى كره للمتصوفة أخذ الزكاة والصدقة [كره] لذلك ، لأن النبى عليه الصلاة والسلام ، قال : « ليس الغِنَى عن كثرة العَرَض ، إنما الغنى غنى النفس أو القلب .

فهؤلاء و إن كانوا فقراء من أعراض الدنيا فإنّهم أغنَى من الأغنياء : لأن غناهم بالله عزّ وجلّ .

وقد حكى فى معنى ما قلنا أن عَلِيّ بن سهل الأصبهانى قال : حرام على من يدفع إلى أصحابنا شيئاً من أجل أنهم فقراء ، لأنهم أغنى خلق الله تعالى : يعنى ، أن غناهم بالله عزّ وجلّ .

وقالوا : يحتمل أيضاً أن معنى قول النبى عليه الصلاة والسلام « لا تحل الصدقة

لغنىّ ولا لذى مِرّة سَوِى » أنها كانت صدقة بعينها مجعولة للزّمنَى والمرضى ومن به عاهة ، لأن قول الله تعالى : « إنما الصدقَاتُ للفقراءِ وَالمسا ِكينِ »(١) ، لم يعلق عليها شرط غيرِ الفقير ، والفقيرُ هو المعدم فى الأصل به ، ثم بعد ذلك له أخلاق وأحوال وتفاضل وأسرار .

ويقال : إن اشتقاق الفقر ، من فقار الظهر مأخوذ ، والفقار ، هو العظم الذى به قوام الظهر ، فإذا انكسر وضعف واحتاج إلى غيره مما يقيمه ، سُمِّىَ فقيراً للضعف والحاجة إلى ما يقيمه . والله أعلم .

ومن كره الصدقة من جهة ماقيل : إنها من أوساخ الناس ، فإنما قيل ذلك على معنى أن الصدقة تحط من أوزار الناس وخطاياهم للذين يتصدقون بها ؛ ولو كان نقصاً للفقراء أخذُهم الصدقات والزكوات ، أو وضعاً منهم من جهة أنها أوساخ الناس لَلَزِمَ ذلك ، أيضا للعاملين عليها ، [والمؤلَّفةِ قلوبُهم] ، والغارمين ، وفى سبيل الله ، وابن السبيل .

ومن ليس له شىء فى الدنيا وقد فاته فضل الصدقات التى يتصدق بها من الأموال [فقد جعل الله له صدقات من الأقوال] والأفعال مما ليس فضلها بأقلّ من ذلك ، وهو مارُوى عن النبى ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « مداراة الناس صدقةٌ » [ومعاونتك لأخيك صدقةٌ] ، «ومن الصدقة أن تلقى أخاك بوجه طَلْق، وأن تُفرغ من إنائك فى إناء أخيك صدقةٌ » .

وقد حُكى عن بشر بن الحارث ، أنه كان يقول : يا أصحاب الحديث ، أدُّوا زكاة الحديث ، قيل : وما زكاة الحديث ؟ قال : اعملوا من كل مائتىْ [حديث] بخمسة أحاديث ، يعنى من كل مائتى حديث تكتبونها وتحفظونها .

---

(١) التوبة : ٦٠

ومن وجب عليه الزكاة يحتاج إلى أربعة أشياء حتى يكون مؤدياً للزكاة :
أوله : أن يكون أخذَ المال من حلال .
والثانى : لا يكون جمعه للافتخار والتكثُّر والترفُّع على من يكون دونه فى المال .
والثالث : أن يبدأ بحسن الخلق والسخاوة ، مع الأهل والعيال .
والرابع : مجانبة المنّ والأذى ، إلى من يدفع إليه الزكاة .

والزكاة حق الفقراء ، قد جعله الله عز وجل فى مال الأغنياء ، فمن دفعها إليهم فكأنه قد ردّ إليهم مالهم ، وقد جمع بذلك رضا الله ، عز وجل ، والخلاص من مناقشة الحساب ، والنجاة من أليم العذاب .

باب فى ذكر الصوم وآدابهم فيه

قال الشيخ ، رحمه الله : روى عن النبى : صلى الله عليه وسلم ، أنه قال « يقول الله ، تبارك وتعالى : الصوم لى وأنا أجزى به » .

فإن قال قائل : ما معنى تخصيص الصوم من بين سائر العبادات ، وقد علمنا أن جميع الأعمال له ، وهو يجزى به ، فما معنى قوله : «الصوم لى وأنا أجزى به » ؟ .

فيقال : له معنيان :أحدهما: أن للصوم تخصيصا من بين سائر العبادات المفترضات لأن جميع المفترضات حركات جوارح ، يتهيأ للخلق أن ينظروا إليه إلا الصوم ، فإنه عبادة بغير حركة الجوارح .

فمن أجل ذلك قال ، تعالى : الصوم لى .

والمعنى الآخر فى قوله : « لى » بمعنى أن الصمدية لى ؛ لأن « الصمد » هو الذى لاجوف له ولا يحتاج إلى الطعام والشراب ، [فمن تخلق بأخلاق أجزيه ما لا يخطر على قلب بشر] .

وأما معنى قوله : « وأنا أجزى به » : فإن الله تعالى ، وعد على [جميع] فعل الحسنات الثواب المعدود من الواحدة إلى عشر أمثالها [من العشرة] إلى السبعمائة إلا الصائمين و [الصائمون] : هم الصابرون .

[وقد] قال الله عز وجل : «إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ[1] »

فخرج الصوم من الحسنات المعدودة وثوابها لأن الصوم هو : صبر النفس عن مألوفاتها ، وإمساك الجوارح عن جميع شهواتها ، والصائمون هم الصابرون ، وقد روى فى معنى ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا صمت فَلْيَصُمْ سمعُك

(١) الزمر : ١٠

وبصرُك ولسانك ويدُك » وقد روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إذا صام أحدكم فلا يرفث ولا يفسق ، فإن شتمه إنسان فَلْيَقُـلْ : إنى صايم .

وصحة الصوم وحسن أدب الصائم فى صومه ، صحة مقاصده ، ومباينة شهواته وحفظ جوارحه ، وصفاء مطعمه ، ورعاية قلبه ، ودوام ذكره ، وقلة اهتمامه بالمضمون من رزقه ، وقلة ملاحظته لصومه ، ووجله من تقصيره ، والاستعانة بالله [تعالى] على تأديته ، فذلك أدب الصائم فى صومه .

وحكى عن سهل بن عبد الله التُّسْتَرى رحمه الله، أنه كان يأكل فى [كل] خمسة عشر يوماً مرة ، فإذا دخل رمضان لم يأكل فيها إلا أكلة واحدة ، فسألت بعض المشايخ عن ذلك فقال : كان يفطر على الماء القراح وحده كل ليلة .

وحكى عن أبى عبيد البسرى رحمه الله أنه كان إذا دخل رمضان دخل البيت وسدّ عليه الباب ، ويقول لامرأته : اطرحى كل ليلة رغيفاً من كوة [فى] البيت ولا يخرج منه حتى يخرج رمضان ، فتدخل امرأته البيت فإذا الثلاثون رغيفاً موضوعة فى ناحية البيت .

وأما صوم التطوع ، فإن جماعة من المشايخ كانو يصومون فى السفر والحضر على الدوام إلى أن لحقوا بالله عز وجل ، وكان أدبهم فى صومهم ما روى عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال : « الصوم جُنَّة » ولم يقل : جنة من أى شىء ، فقالوا : معناه إن الصوم جنة فى الآخرة من النار ، لأن الصوم للصائم فى الدنيا جنة من سهام الأعداء الذين يدعونهم إلى النار ، وهم : الشيطان ، والنفس ، والهوى ، [والدنيا] والشهوات ومن اختار المداومة على الصيام اختار ذلك الاحتراز بالجنة من مكايد الأعداء لكيلا يجدوا فرصة فيظفروا به ويطرحوه فى النار :

سمعت أحمد بن محمد بن سُنَيْد قاضى الدِّينَور يقول : سمعت رُوَيْماً يقول : اجتزت فى الهاجرة ببعض سكك بغداد ، فعطشت ، فتقدمت إلى باب دار فاستسقيت

فإذا بجارية وقد فتحت باب الدار وخرجت ومعها كوز جديد ملآن من المـآء المبرّد فلما أردت أن أتناول من يدها قالت لى : ويحك ! صوفىٌ يشرب بالنّهار ! وضربت بالـكوز على الأرض ، وانصرفت . قال رُوَيْمٌ : فلقد استحييت منها ، ونذرت أن لاأفطر أبدا .

قال صاحب الـكتاب: وجماعة أخرى كانوا يختارون صوم داود عليه السلام : لما روى فى ذلك عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال : « أفضل الصيام صيام أخى داود عليه السلام كان يصوم يوماً و يفطر يوماً » وقد قالوا فى معنى قوله «أفضل الصيام» : لأنه أشد الصيام ، وزعموا أن هذا الصوم أشد على النفس من صوم الدهر ، لأن النفس إذا أَلِفَتِ الصوم مع الدوام ، وتعودت ، اشتد عليها الإفطار ، و إذا ألفت الإفطار وتعودت اشتد عليها الصوم . وهذا الصوم ، صوم يوم و إفطار يوم لا تتعود فيه النفس الإفطار ولا الصوم ، فلذلك قال من قال : إنه أشد الصيام ، وقد حكى فى (معنى) ذلك عن سهل بن عبد الله رحمه الله ، أنه كان يقول : إذا شبعتم فاطلبوا الجوع ممن أبلاكم بالشبع ، و إذا جعتم فاطلبوا الشبع ممن أبلاكم بالجوع ، و إلا تماديتم وطغيتم .

وكان أبو عبد الله أحمد بن جابان رحمه الله قد صام نيفا وخمسين سنة لا يفطر فى السفر ولا فى الحضر ، وجهد به أصحابه يوماً أن يفطر ، فأفطر ، فاعتلّ من ذلك أياماً [من الأيام] حتى كاد أن يفوته الفرض .

ومن كره المداومة على الصيام كره ذلك لأن النفس معتادة ، فإذا ألفت شيئاً واعتادته يكون قيامها فيه بحظوظها لا بحقوقها ، فالأدب فى ذلك أن لا يُجْمَعَ بينها و بين مألوفاتها و إن كانت عبادة أو طاعة لأن النفس مائلة إلى الحظوظ و عاجزة عن الحقوق مجبولة على المنافرة من الطاعات ، فإذا ألفت باباً من أبواب العبادات اتهمها أهل المعرفة بها ، وأهل الخبرة والبصيرة بها و بمكايدها وخُدَعِها .

وحُكى عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله أنه قال : كان بصحبتى رجل كثير الصوم والصلاة ، فعجبتُ من ذلك ، ثم نظرت فى مأكوله فكان من موضع غير طيب ، قال : فأمرته بالخروج من ملكه ، وأخرجته معى فى سفر ، فكنت أطعمه الحلال من موضع أعرفه وأرضاه ، قال : فلما صحبنى مدة كنت أحتاج أن أضرب به بالدرّة حتى يقوم فيؤدى الفرض .

فأما الصوفية والفقراء المجردون الذين قطعوا العلايق ، وتركوا المعلومات ، وقنعوا بما قسم الله تعالى لهم من الأرزاق ، ولا يدرون أىّ وقت يسوق الله تعالى إليهم أرزاقهم من الغيب وعلى يد من يبعث الله تعالى لهم ذلك ، فأوقات هؤلاء أتم من أوقات الصايم الذى يرجع إلى معلوم ومعهود من الطعام المستعد[1] لإفطاره ؛ فإن صاموا فلا يلحقهم أحد من الصائمين فى الفضل .

ولهؤلاء الفقراء الذين [قد] ذكرتهم أيضاً آداب فى صومهم إن صاموا ، فمن آدابهم أن لا يصوم واحد من بين الجماعة إلا بإذن أصحابه ، لأنه إذا صام شغل قلوبَ أصحابه بإفطاره وهم على غير معلوم ، وإن صام واحد من دون الجماعة برضا أصحابه وحضر المفطرين شىء من الطعام فليس يلزمهم أن ينتظروا وقت إفطار الصائم ، لأنه ربما يكون فى الجماعة من يكون به حاجة إلى الطعام ، وربما يُفتح به فى وقت إفطار الصائم منهم شىء آخر بتركه صومَه ، إلا أن يكون ضعيفاً فينتظرون وقت إفطاره لضعفه ، أو يكون شيخاً فلحرمته ، وليس للصائم أيضاً أن يأخذ نصيباً لنفسه ويدّخرها لوقت إفطاره ؛ لأن ذلك ضعف فى حاله ، إلا أن يكون ضعيفاً فيفعل ذلك لضعفه .

وإذا كانوا جماعة عادتُهم الصوم وفيهم جماعة عادتُهم الإفطار فليس للصُّوّام أن يدعوا هؤلاء المفطرين إلى أحوالهم إلا إن أحبوا هؤلاء مساعدتهم على الصوم ،

(١) قوله : المستعد . الصواب . المعد .

ومساعدة الصائم للمفطر على الإفطار أحسنُ من مساعدة المفطر للصائم بالصوم إلى أن تقع الصحبة ، فإذا وقعت الصحبة فساعدة المفطر للصائم بالصيام معهم أحسن .

حُكى عن الجُنَيْدِ رحمه الله أنه كان يصوم على الدوام ، فإذا دخل عليه إخوانه أفطر معهم ، ويقول : ليس فضل المساعدة مع الإخوان بأقل من فضل الصوم للصائم [إذا كان متطوعاً] أو كلاماً نحو هذا .

ويقال : إذا رأيت الصوفى يصوم صوم التطوع فاتهمه : فإنه قد اجتمع معه شىء من الدنيا .

وإن كانوا جماعة مترافقين متواخين أشكالا وبينهم مريد يحثوه على الصيام ، فإن لم يساعدوه يهتموا لإفطاره ، ويتكافوا له رفقاً ، ولا يحملون حاله على أحوالهم ، وإن كانوا جماعة ومعهم شيخ ، يصومون بصومه ، ويفطرون بإفطاره ، إلا أن يأمرهم الشيخ بغير ذلك فإنهم لا يخالفون أمره : لأن الشيخ يعلم ما يصلح لهم .

وحُكى عن بعض المشايخ الأجلة أنه قال : صمت كذا وكذا سنة لغير الله : وذلك أن شابًّا كان يصحبه ، فكان يصوم حتى ينظر إليه ذلك الشاب فيتأدب به ويصوم بصيامه .

ورأيت أبا الحسن المكى بالبصرة رحمه الله ، فكان يصوم الدَّهْرَ ، ولا يأكل الخبزَ إلا كلَّ ليلة جمعة ، وكان قوته — كما قيل — فى كل شهر أربعة دوانيق ، يعمل بيده ، يفتل حبال الليف ويبيعها ، وكان قد هجره ابن سالم ، وكان يقول لا أسلم عليه إلا أن يُفطر ويأكل [الخبز] لأنه كان قد اشتهر بترك الأكل .

وبلغنى عن بعضهم من أهل واسط أنه صام سنين كثيرة فكان يفطر كل يوم قبل غروب الشمس إلا فى رمضان ، وقومٌ أنكروا [عليه] هذا لمخالفته العلم وإن كان الصوم تطوّعاً ، وقومٌ كانوا يستحسنون ذلك لأن صاحبه كان يريد بذلك أن يؤدب

نفسه بالجوع ولا يتمنع برؤية الصوم ورؤية الثواب الذى قد وعد الله تعالى للصائمين ولا يسكن إلى ذلك ، وعندى أن الذى أنكر فقد أصاب : لأنه[1] أعتقد الصوم فقد لزمه الوفاء به ، وإن لم يعتقد الصوم فسبيله سبيل المتقللين ، فلا يقال له صائم وبالله التوفيق .

وحُكى عن الشبلى رحمه الله ، أنه قال : لرجل تُحسن [أن] تصوم الأبد ؟ قال : فكيف الأبد ؟ قال : تجعل ما بقى من عمرك يوماً وتصومه .

فهذا ما حضرنى فى الوقت من آداب صوم المتصوفة [والله الموفق للصواب] .

(١) قوله : لأنه اعتقد إلخ والصواب لأنه إن اعتقد فقد لزمه إلخ .

باب ذكر آدابهم فى الحج

قال الشيخ رحمه الله : فأول آدابهم فى الحج ، الاهتمام لحجة الإسلام ، والتوجه إليه بأى وجه يجد إليه السبيل والاستطاعة ، ويبذل فى ذلك مُهْجته ، ولا يركن إلى سعة العلم وطلب الرخصة فى الجلوس عن حجة الإسلام بإعدام الزاد والراحلة ، إلا أن يقعده عن ذلك فرضٌ لازم : لأن الله عز وجل يقول : « ولله عَلى النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إليهِ سَبِيلاً »(١) ، وقال : « وَأَذِّنْ فى النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً »(٢) ، ويقال فى التفسير رجالا وعلى كلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كلِّ فَجٍ عميق ، فبدأ بذكر الرجال الذين يمشون .

ورُوى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من مات ولم يحج حجة الإسلام ٢٠٠
مات إن شاء يهودياً أو نصرانياً » ، فمن أجل ذلك لم يسقط عنهم مطالبة الحج وإن عدموا الزاد والراحلة : لأن من آدابهم أن يتمسكوا بالأحوط فى الفرائض ، ويأخذوا بالأتم من علم الشريعة ، لأن التعلق بالرُّخص سبيل العامة ، والأخذ بالسعة والتأويلات حال الضعفاء ، وذلك رحمة من الله تعالى لهم ، فأما العامة فقصدهم إلى الحج وشرط العلم الذى يعلمه الفقهاء ، والعلماء والخاصة والعامة فى ذلك سواء وهو علم المناسك ، فرائضه وسننه وأحكامه وحدوده .

وإنما قصدنا أن نذكر آداب من ليس سبيلهم فى الحج سبيل العامة وهم على ثلاثة أصناف :

فصنف منهم ، إذا حجوا حجة الإسلام ، جلسوا واشتغلوا بحفظ أوقاتهم ومراعاة أحوالهم ، فطلبوا السلامة ولم يتعرضوا للبلاء مما يلحقهم من المشقة فى ذلك ، ولصعوبة آداء فرض الحج وقضاء مناسكها وحفظ حدودها .

---

(١) آل عمران : ٩٧ (٢) الحج : ٢٧

سمعتُ ابن سالم يقول : لم يحج سهل بن عبد الله إلا حجة الإسلام ، حج وله ستة عشر سنة ، وكان زادُهُ شيئاً من الكبد المشوى المدقوق فكان يستف منه إذا جاع قليلا ، وكذلك أبو يزيد البسطامى رحمه الله لم يحج إلا حجة الإسلام ، وكذلك الجُنَيْد رحمه الله ، وجماعة من المشايخ الأجلة رحمهم الله لم يحجو إلا حجة الإسلام ، وحُجتهم فى اختيارهم فى ذلك أن النبىّ صلى الله عليه وسلم لم يحج إلا حجة واحدة .

وطبقة أخرى من مشايخ الصوفية فإنهم لما قطعوا العلائِق ، وفارقوا الأوطان ، وهجروا الإخوان ، قصدوا بيت الله الحرام ، وزيارة قبر رسوله عليه السلام ، فقطعوا البوادى والبرارى والقفار بغير حَمْل نفقة ولا زاد ، ولا سلكوا على الطريق ولا تعلقوا بمصاحبة الرفيق ، ولا عدوا الأميال ولا البُرُد ، ولا طلبوا المنازل ولا المناهل ، ولاتعرجوا على سبب ، ولا التجأوا إلى طلب ، ولا انقضى من الحج وَطرُهم ، ولا انقطع عن تلك المَشاهد أثرهم ، وذلك لأن الله عز وجل يقول : وقوله الحق ، « وَ إِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً »(١) قال ابن عباس رضى الله عنه : يعنى لا يقضون منه وطراً ، ولا يمكن ذكر آداب هؤلاء فى معانيهم إلا بحكايات بلغتنا عنهم ، يدل ذلك على آدابهم ، وصحة مقاصدهم وعلو مراتبهم وأحوالهم وصفاتهم

سمعتُ أحمد بن على الوجيهى يقول : سمعت بعض المشايخ يقول : حج حسن القزاز الدينورى رحمه الله اثنى عشر حجة حافياً ، مكشوف الرأس ، فكان إذادخل فى رجله شوك يمسح رجله بالأرض ويمشى ولا يطأطىء رأسه إلى الأرض من صحة توكله .

وحُكى عن أبى تُراب النخشبى رحمه الله : أنه كان يأكل أكلة بالبصرة ، وأكلة بنباج ، وأكلة بالمدينة ، وكان يدخل مكة وعلى بطنه عُكَنٌ من السِّمَن .

(١) البقرة : ١٢٥

وحُكى عن إبراهيم بن شَيْبان أنه قال : كان أبو عبد الله المغربى رحمه الله يدخل البادية وعليه إزار ورداء أبيض ، وفى رجله نعلٌ طاقٌ كأنه يمشى فى السوق، فإذا دخل مكه وفرغ من الحج أحرم من تحت الميزاب ، ويخرج مِن مكة وهو مُحْرِمٌ ويقيم على إحرامه إلى أن يرجع إلى مكة .

وسمعت جعفر الخُلْدِى رحمه الله يقول : سلكتُ البادية وعلىّ قميص أبيض ، و بيدى كوز ، ورأيت فى البطانية التى فى وسط الرمل دكاكين وتجاراً [كانت] ترد عليهم القوافل من البصرة .

وحُكى عن إبراهيم الخواص رحمه الله أنه قال : أعرف فى البادية تسعة عشر طريقا غير الطريق الذى يسلكه الناس والقوافل ، طريقان [منها] ينبت فيهما الذهب والفضة .

وحكى جعفر عن إبراهيم الخواص رحمهما الله ، أنه قال : كنت فى البادية ، فى موضع منها ، جالساً مستجمع الهم ، وقد مضت علىّ أوقات لم أتناول فيها الطعام ، فبينا أنا كذلك إذا [أنا] بالخضر عليه السلام مارًّا فى الهواء ، فلما رأيته طأطأت رأسى وغمّضت بصرى ، ولم أنظر إليه ، فلما رآنى جلس إلى جنبى ، فرفعت رأسى ، فقال لى : يا إبراهيم، لو أعرتنى الطرف ما جئت إليك .

وحُكى عن إبراهيم رحمه الله أيضاً أنه قال : خرجت فى بعض السنين من مكة ، واعتقدت أن لا أتناول شيئاً إلى أن أدخل القادسية ، فلما وافيت الرَّبَذة وخرجتُ منها ، فإذا أنا بأعرابى [يصيح] من ورائى ، فلم أعطف عليه ، فلحقنى ، و إذا بيده سيف مسلول ، و بيده الآخر قعبٌ فيه لبن ، فقال لى : اشربْ هذا وإلا ضربتُ رقبتك ، قال : فبقيت [متحيرًا] ، فتناولت منه وشربت وانصرف عنِّى ، وما رأيت شيئاً آخر حتى دخلتُ القادسية .

وحكايات هؤلاء أكثرُ من أن يتهيأ ذكرها [ها هنا] ، وفيما ذكرنا كفاية لمن علم المراد من ذلك إن شاء الله تعالى .

و[أما] الطبقة الثالثة من المشايخ الصوفية فإنهم اختاروا المقام بمكة ، والمجاورة بها ، وحبسوا أنفسهم هناك لما خص الله تعالى به تلك البقاع والمشاهد من الفضيلة والشرف ، ولما وجدوا فى أنفسهم من التنافر والعجز عن المقام بها ؛ لأنها وادٍ غير ذى زرع كما قال الله ، جلّ وعزّ ، وهو الحجاز ، يحجز عن الشهوات واللذّات ، ولا سيما لمن كان قوته فى الغيب ورزْقه مقسوم ورفْقه معدوم ، والنفس مجبرلة على الاضطراب عند عدم الوفاء بها ، والعبد مُطالبٌ بالسكون تحت الأحكام ، فعند ذلك تبين مقامات الرجال .

ولهم فى المجاورة آداب يُذكر بعضها فى حكاياتهم فيما بلغنى ، سمعتُ أبا بكر محمد بن داود [الدينورى] الدُّقىّ يقول : أقام أبو عبد الله بن الجلاء بمكة ثمانية عشر سنة لم يأكل من طعام يحمل إليها من مصر : لأن مصر صوافٍ كان المتقدّمون يتورّعون عن أكل طعامها وما يحمل منها ، وكان لا يشرب إلا ماء زمزم يستقى بركوته وحبله من أجْل أن الدلو والحبل المعلّق على زمزم يكون من أموال السلاطين .

وحُكى عن أبى بكر الكتّانى رحمه الله أنه ختم اثنى عشر ألف ختمة فى الطواف .

وأقام أبو عمرو الزجّاجى رحمه الله بمكة ، على ما بلغنى ، ثلاثين سنة فإذا أراد أن يقضى حاجته خرج عن الحرم ، ويعتمر فى كلّ يوم ثلاث عمر ، ويأكل فى كل ثلاثة أيام أكلة ، ومات عن نيف وسبعين وقفةً .

وسمعت الدُّقىّ يقول: أقمتُ بمكةٍ تسع سنين ، وكنت اعتقدت أن لاأصلِّىَ صلاتَين فى موضع واحد ، فكان يمرُّ بى من الجوع ما إذا رأيت جنازةً أقول ليتنى كنت مكان هذا الميت ، قال : وكان يقع فى قلبى فى الوقت يا هذا أليست هذه الفاقة التى

بك لا يعلم بهـا أحد غير الله ، فـكنت أشتغل بذلك ، ويذهب عنّى ما أجدُ من الجوع .

ويقال : إن كلّ من يقدر أن يصبر بمـكة على الجوع يوماً وليلةً ، فهو يقدر أن يصبر فى سائر الدنيا ثلاثة أيام ، وكانوا يقولون : إن المقام بمكة يغير الأخلاق ويكشف الأسرار ، ولا يصبر على المقام بها على الصحة إلا الرجال .

سمعت أحمد الطرَسوسى يقول : سمعت إبراهيم بن شَيبان يقول : سمعت إبراهيم الخواص رحمه الله يقول : أقام هاهنا بمكة فتى من الفقراء سنين ، فـكنّا نتعجب من حسن جلسته ، وكثرة طوافه وعمرته ، وصيانة فقره ، قال : فجعلت فى نفسى أن أحمل إليه شيئاً من الدراهم ، حتى أداخله بذلك ، قال : فحملت إليه دراهم كثيرة وصببت على طرف خِرْقته .

قال : فنظر إلى ، ثم أخذ الخرقة وصبّ الدراهم على الأرض ، وخرج من المسجد ، فما رأيت قطّ أعزّ منه حين صبّها وأعرض عنها ، ولا أذلّ منّى حين جلستُ أجمعُها وألتقطها من بين الحصا .

فأما الطبقة الذين سافروا إليها ، وألفوا ما يلحقهم من البلاء فى القصد إليها ، فلمعنيين :

أحدهما أن النبىّ عليه الصلاة والسلام ، قال : « لا تشدّ الرجال إلاّ إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ، ومسجدى هذا ، ومسجد إيلياء .

والمعنى الآخرهو أن النفس تدّعى أحوالاً فى الوطن ، وفى وسط المعارف والمألوفات ، من التوكل والرضا والسكون والتسليم والتفويض ، فإذا فارقت الوطن والمعارف تتغيّر أخلاقها ويبطل دعواها .

ويقال سُمى السفر سفراً لأنه يسفر عن أخلاق الرجال ، فإذا عرفوها ، وعلموا عجزها وضعفها وشرهها ، وعاينوا المكنات التى فى أنفسهم ، عملوا فى تبديل هذه الأخلاق ، ومخالفتها ، ولم يغتروا بدعاويها ، ولم يأمنوا خُدَعها وشرها .

وبلغنى أن جماعة أقاموا بمكة فكانوا إذا قام أحدهم إلى الطواف بالنهار يعيبون عليه ذلك ، ويقولون : هو ذى تمرّ وتستمدى ، وذلك أنه ربما يتفق فى الطواف من يكون يرُفق الفقراء ويعطيهم شيئاً ، فكانوا ينتقدون بعضهم على بعض هذه الأحوال .

ومن آدابهم أيضاً أنهم إذا اعتقدوا أن يحجّوا أن يوفوا بعهودهم ، وإن أحرموا من دون الميقات فى غير أشهر الحج أن يوفوا بذلك وإن تلفت فى ذلك نفوسهم ، وإذا قصدوا نحو الكعبة لم يعدلوا عن الطريق بعد ما توجهوا إليها ، ولايقطعهم عن التوجه إليها قلة النفقة ولا شدة الحر والبرد .

سمعت أحمد بن دلويه يقول : كنت قد أوجبت على نفسى الرجوع إلى مكة من الشام وكان البرد شديداً ، فتأولتْ نفسى ، فسألتُ أبا عمران الطبرستانى عن الرخصة فى ذلك ، واستعمال العلم ، فقال لى : إذا خفتِ عليه فألقيه فى اليَمّ ، فوقفتُ على إشارته ، فخرجتُ فما رأيت إلا كلّ خير ، وحججت .

ومن آدابهم أيضاً أنهم إذا دخلوا البادية أن يُتمّوا الفرائض ، ولا يقصرون الصلاة [ولا يتيمّمون] ، ولا يتركون شيئاً ممّا كانو يعملون فى أوطانهم ما أطاقوا ذلك وإن أباح لهم العلم تَرْكَ ذلك : لأن السفر والحضر عندهم سواء ، وليس لأسفارهم مدة معلومة ، ولا يمشون بالأميال والبرُد والمنازل ، فإذا أقامهم الحق قاموا ، وإذا سارَ بهم ساروا ، وإذا نزل بهم نزلوا ، فإذا بلغوا الميقات غسلوا أبدانهم بالماء ، وغسلوا قلوبهم بالتوبة ، وإذا نزعوا ثيابهم للإحرام وتجردوا

وحلوا العُقَد [واتّزروا] وارتدَوْا فكذلك نزعوا عن أسرارهم الغل والحسد ، وحلوا عن قلوبهم عُقَد الهوى ومحبة الدنيا ، ولم يعودوا إلى ما خرجوا منه من ذلك

ومن آدابهم أيضاً أنهم إذا قالوا : لبيك اللهم لبيك لبيك ، لا شريك لك : أن لا يجيبوا بعد ذلك دواعى النفس والشيطان والهوى بعد ما أجابوا الحقَّ بالتلبية وأقروا أنه لا شريك له فى ملكه ، فإذا نظروا إلى البيت بأعْيُن رءوسهم نظروا بأعين قلوبهم إلى من دعاهم إلى البيت ، فإذا طافوا حول البيت بأبدانهم فمن آدابهم أن يذكروا قول الله عزّ وجلّ : « وَتَرَى ٱلْمَلَآئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ »(١) فكأنهم ينظرون إلى طوافهم ، فإذا صلوا خَلْفَ المقَام يعلمون أنه مقام عبدٍ قد وفى لله تعالى : بعهده ، فندب الله الأولين والآخرين إلى متابعة قدمه ، واتخاذ صلواتهم خلف مقامه ، فإذا استلموا الحجَر وقبّلوه علموا أنهم هو ذا يبايعون الله تعالى بأيمانهم ، فمن الأدب أن لا يمُدوا بعد ذلك أيمانهم إلى مراد وشهوة فإذا جاءوا إلى الصفا فمن الأدب أن لا يعترض بعد ذلك كدورة لصفاء قلوبهم ، فإذا هَرْوَلوا بين الصفا والمروة وأسرعوا فى مشيهم فمن الأدب أن يسرعوا بالفرار من عدوهم ويهربوا من متابعة نفوسهم وهواهم وشيطانهم ، وإذا وافوا إلى مِنًى ، فمن آدابهم فى ذلك أن يتأهبوا للقاء ، فلعلهم يصلوا إلى مُناهم ، فإذا وافوا إلى عرَفات ، فأدبهم أن يتعرفوا إلى معروفهم ويذكروا نَشْرهم وحَشْرهم وبَعْثهم من قبورهم ، فإذا وقفوا فأدبُ الوقوف أن يكون وقوفهم بين يدى سيدهم ، فإذا وقفوا لا يُعرضوا عنه بعد وقوفهم ، فإذا دفعوا مع الإمام إلى المزْدلفة فأدبُهم أن يكون فى قلوبهم العظمة والإجلال لله تعالى ، فإذا دفعوا مع إمامهم جعلوا الدنيا

---

(١) الزمر : ٧٥

والآخرة وراء ظهورهم ، فإذا كسروا الحجارة للرّمْى كسروا مع الحجارة إرادات بواطنهم وشهوات إسرارهم ومكمنات أهوائهم ، فإذا ذكروا الله تعالى عند المشعر الحرام فالادب عند ذلك أن يكون مصحو بهم تعظيم مشاعرهم و إعظام حرماتها ، فإذا رموا الجمر رموا بحسن الأدب بملاحظة أعمالهم ومشاهدة أفعالهم ، فإذا حلقوا رءوسهم فأدبُهم أن يحلقوا عن بواطنهم حُب الثناء والمحمدة مع حلق رءوسهم ، فإذا ذبحوا فأدبُهم فى الذبح أن يبدءوا بذبح نفوسهم فى نفوسهم قبل ذبح ذبيحتهم، فإذا رجعوا إلى طواف الزيارة وتعلقوا بأستار الكعبة فمن الأدب أن لا يتعلقوا بغيره ولا يلوذوا بأحد من خلقه بعد اللياذة والتعلق به ، فإذا رجعوا إلى مِنًى وأقاموا بها أيام التشريق وحل لهم كل شىء فمن الأدب أن لا يحلوا ما حرموا على نفوسهم من مخالفة سيدهم ومتابعة حظوظهم ، ولا يكدروا ما صفا من أوقاتهم ، ولا يتكلوا إلا على سعة رحمة الله تعالى بعد قضاء مناسكه : لأنهم لم يتيقنوا بقبول حجتهم ، و يستعينوا بالله على أمورهم ، و يستغيثوا إلى الله بأسرارهم وعلانيتهم ، فإنه قادر على كشف ضرهم وخلاصهم .

وحُكى عن إبراهيم الخوّاص رحمه الله أنه قال : رأيتُ شيخاً من أهل المعرفة فى البادية ممّن كان يشير إلى التوكّل عرّج على سبب بعد سبعة عشر يوماً ، فنهاه شيخ آخر ، فلم يقبل ، فهجروه ولم يعدّوه منهم .

وسمعتُ الدُّقّى يقول : دخلتُ مصر ، فقصدت الزقّاق ، فسلمت عليه ، فقال لى : من أين أقبلتَ ؟ فقلت : من الحجاز ، فقال لى : خُذْ حكاية فى الحجاز ، تِهْتُ فى تيه بنى إسرائيل سبعة عشر يوماً لم آكل ولم أشرب ، فرأيت من بعيد خيالاً ، فطمعتُ نفسى ، فلما دَنَوْت ، فإذا أنا بعسكر مع أمير لهم مارِّينَ إلى قلزم ، فلما رأيت [أنهم] من الجند آيستُ نفسى منهم ، فعرضوا علىّ الطعام فلم آكل ، والماء فلم أشرب ، فقال لى أميرهم : أنت فى حال تحلُّ لك الميْتة

فلِمَ تمتنع من طعامنا ؟ فقلت : نحن إذا كنّا بين الناس بشرط العلم لا نرضى لأنفسنا أن ننبسط إليكم ، فكيف تنبسط إليكم فى [مثل] هذا الوقت والوقت كله حقيقة ؟ أو كما قال .

وحُكى أنه سُئل عن عينه — وكانت إحدى عينيه قد ذهبت — فقال : كنت تهت فى التيه كذا ، وكذا يوماً ، فكان علىّ مِسْحٌ ، فهاجت عينى ، فكنت أمسحه بالمسح ، فسالَتْ ، وهو إن شاء الله فى هذه السَّفْرَة التى حكاها من أمير الجند ، وهاتان الحكايتان ، وحكاية إبراهيم الخوّاص ، وحكاية الدُّقى عن أبى بكر الزقاق .

باب فى ذكر آداب الفقراء بعضهم مع بعض وأحكامهم فى الحضر والسفر

قال الشيخ رحمه الله تعالى : [قال الجُنَيْد رحمه الله] : الفقر بحر البلاء و بلاؤه كلّه عزٌ . وقال الجُنَيْد رحمه الله تعالى : علم الفقير إذا قوى ضعفت محبّته ، و إذا ضعف قويَتْ محبّته ، وحُكمُ الفقير أن يكون فوق محبّته(١) ، سمعت الدُّقّى رحمه الله تعالى بدمشق ، قال : سمعت أبا بكر الزّقاق رحمه الله بمصر يقول : منذ أربعين سنةً أصحبُ هؤلاء الفقراء وأعاشرهم فما رأيت قط رفقاً لأصحابنا إلا لبعضهم من بعض أو ممّن يحبّهم ، ومن لم يصحبه التقيّة والورع فى هذا الأمر أكل الحرام النص(٢) .

وحُكى عن أبى عبد الله بن الجلاّء رحمه الله تعالى ، أنه قال : من لم يصحبه الورع فى فقره أكل الحرام النصّ وهو لا يدرى .

وحُكى عن سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى أنه قال : أدبُ الفقير الصادق [فى فقره] ثلاثة أشياء : لا يسأل إذا احتاج ، ولا يردّ إذا أُعطى ، ولا يحبس لوقت ثانٍ إذا أخذ .

وقال غيره : أدبُ الفقير [الصادق] فى فقره ثلاثة : لا يسأل ، ولا يعارض ، و إن عورض سكت .

وحُكى عن سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى أنه قال : الفقير يلزمه ثلاثة أشياء : حفظ سرّه ، وأداء فرضه ، وصيانة فقره .

---

(١) يرجح الأستاذ نيكلسون أن هذه الجملة هى « أى لا يكون علمه فوق محبته »

(٢) فى هامش إحدى النسخ « المحض » .

وقال الجُنَيْد رحمه الله تعالى : كل شيء يقدر الفقير أن يعمله إلا صَبْرَهُ على وقته إلى انقضاء مدّته .

وحُكى عن إبراهيم الخوّاص رحمه الله تعالى أنه قال : اثنا عشر خصلةً من خصال الفقراء — يعنى الصوفية — فى حضرهم وسفرهم : أولها : أن يكونوا بما وعدهم الله تعالى مطمئّنينَ ، والثانية : أن يكونوا من الخلق آيسين ، والثالثة : أن ينصبوا العداوة مع الشياطين ، والرابعة : أن يكونوا لأمر الله مستمعين ، والخامسة : أن يكونوا على جميع الخلق مُشْفقين ، والسادسة : أن يكونوا لأذى الخلق محتملين ، والسابعة : أن لا يَدَعوا النصيحة لجميع المسلمين ، والثامنة : أن يكونوا فى مواطن الحق متواضعين ، والتاسعة : أن يكونوا بمعرفة الله مشتغلين ، والعاشرة : أن يكونوا الدَّهْرَ على الطهارة ، والحادى عشر : أن يكون الفقر رأس مالهم ، والثانى عشر : أن يكونوا راضين فيما قلّ أو كثر وفيما أحبّوا أو كرهوا عن الله تعالى شيئاً واحداً [راضين عنه] شاكرين له واثقين به .

وقال بعضهم : من طلب الفقر لثواب الفقر مات فقيراً . وقال بعض المتصوفة : الفقير إذا كثر عقله ذهبت طيبته .

قال الشيخ رحمه الله : من آداب الفقراء الصوفية أن لا يقولوا فيما يسوق الله إليهم ، من غير سؤال ولا طمع : هذا لى وهذا لك ، ولا يجرى فى حديثهم : كنت لك ولم تكن لى ، وأفعلُ كذا عسى أن يكون كذا ، ولا أفعلُ كذا ، لعلّ يكون كذا .

وحُكى عن إبراهيم بن شَيْبان رحمه الله تعالى أنه قال : كنّا لا نصحب من يقول : نعلى وركْوَتى .

وقال أبو [عبد الله] أحمد القلانسى رحمه الله [وكان أستاذ الجُنَيْد] : دخلتُ على قوم من الفقراء بالبصرة ، فأكرمونى وبجّلونى ، فقلت لبعضهم [مرّةً] : أين إزارى ؟ فسقطتُ عن أعْيُنهم .

وقال إبراهيم بن المولّد الرّقى : دخلتُ طَرَسوس ، فقيل لى : إنّ ها هنا جماعةً من إخوانك وهم مجتمعون فى دار ، فدخلتُ عليهم ، فرأيت سبعة عشر من الفقراء كلّهم على قلب واحد ، وقيل لأبى عبد الله أحمد القلانسى رحمه الله : على أىّ شىء بنيتَ أصل مذهبك ؟ فقال : على ثلاث خصال : لا نطالب أحداً [من الناس] بواجب حقنا ، ونطالب أنفسنا بحقوق الناس ، ونُلزم أنفسنا التقصير فى جميع ما نأتى به . وقال غيره : بَنَيْنا أصل مذهبنا على ثلاث : متابعة الأمر والنهى ، ومعانقة الفقر ، والشفقة على الخلق .

وقال بعضهم : إذا رأيتَ الفقير قد انحطّ من الحقيقة إلى العلم فاعلم أنه قد فسخ عزمه وحلّ عقده .

وقال إبراهيم الخوّاص رحمه الله : ليس من آداب الفقراء — يعنى الصوفية — أن يكون له سبب يرجع إليه متى احتاج ، أو يدان يعمل بهما إذا أراد ، أو لسان يطلب به إذا جاع ، أو همّة يطرق بها عند الشدائد إلى الناس ، فهذه لهؤلاء أسباب وذخيرة لشدائدهم وأرباب .

وقال الجُنَيْد رحمه الله تعالى : إذا لقيتَ الفقير فالْقَهْ بالرفق ولا تلقه بالعلم ، فإن الرفق يؤنسه والعلم يوحشه .

باب ذكر آدابهم في الصحبة

قال الشيخ [ابو نصر] رحمه الله : حُـكى عن جماعة من المشايخ من إبرهيم ابن شَيْبان رحمه الله تعالى أنه كان يقول : كنا لا نصحب من يقول نعلى [وركوتى] .

وقال رجلٌ لسهل بن عبدالله رحمه الله : إنى أريد أن أصحبك ، فقال له سهل : إذا مات أحدنا فمن يصحب الآخَرُ ؟[١] فليصحبه الآن ، وقال رجل لذى النون المصرى رحمه الله تعالى : من اصحبُ ؟ فقال : من إذا مرضتَ عادك ، و إذا أذنبت تاب عليك . وقال بعضهم : كلّ صاحب تقول[٢] ؟ قم بنا ، يقول : إلى أين ؟ فليس ذاك بصاحب .

وعن ذى النون رحمه الله أنه قال : لا تصحب مع الله إلا بالموافقة ، ولا مع الخلق إلا بالمناصحة ، ولا مع النفس إلا بالمخالفة ، ولا مع الشيطان إلا بالعداوة [والمحاربة] .

وقال أحمد ابن يوسف الزجاجى رحمه الله : مثل المصطحبَيْن مثل النورين إذا اجتمعا أبصرا باجتماعهما ما لم يكونا يبصرانه قبل ذلك .

والخلاف أصل كل فُرقة ، وهى لطيفة الشيطان فى افتراق المتحابين فى الله تعالى ، قال أبو سعيد الخراز رحمه الله : صحبت الصوفية خمسين سنة ما وقع بينى و بينهم خلاف ، فقيل له : وكيف ذاك ؟ قال : لأنى كنت معهم على نفسى .

---

(١) لعل هنا جملة سقطت ، وربما كانت « فقال : الله . فقال سهل ... »
(٢) لعل كلمة : « له » ساقطة من النص .

وقال الجُنَيْد رحمه الله تعالى : لأن يصحبنى رجل فاسق حسنُ الخُلق أحبُّ إلىّ من أن يصحبنى قارئ سيِّئ الخلق .

وقال الجُنَيْد رحمه الله : رأيت مع أبى حفص النيسابورى رحمه الله تعالى إنساناً أصلع كثير الصمت لا يتكلم ، فقلت لأصحابه : من هذا ؟ فقيل لى : هذا إنسان يصحب أبا حفص ، و يخدمنا ، وقد أنفق عليه مائة ألف درهم كانت له ، واستدان مائة ألف أخرى أنفقها عليه ، ما يسوِّغه أبو حفص أن يتكلم بكلمة واحدة .

وقال أبو يزيد البسطامى رحمه الله تعالى : صحبت أبا على السندى ، فكنت ألقنه ما يقيم به فَرْضه ، وكان يعلمنى التوحيد والحقائق صِرْفاً .

وقال أبو عثمان : صحبتُ أبا حفص رحمه الله تعالى وأنا غلام حدث ، فطردنى وقال : لا تجلس عندى ، فلم أجعل مكافأتى له على كلامه أن أُولِّىَ ظهرى إليه ، فانصرفتُ أمشى إلى خلف ووجهى مقابلٌ له ، حتى غبت عنه ، واعتقدت أن أحفر لنفسى بئراً على بابه ، وأنزل وأقعد فيه ولا أخرج منه الا بإذنه ، فلما رأى ذلك منى قربنى وقبلنى وصيرنى من خواص أصحابه إلى أن مات :

وسمعتُ ابن سالم يقول : صحبت سهل بن عبد الله ، رحمه الله ، ستين سنة ، قال فقلت له ، يوماً . قد خدمتك ستين سنة ولم ترنى يوماً واحداً من هؤلاء الذين يقصدونك ، يعنى البدلاء والأولياء فقال : [لى] ألستَ هو ذا تُدخلهم علىَّ كل يوم ؟ أما رأيتَ صاحب الفوطة والسواك الذى كان يكلمك بالأمس ؟ كان منهم :

وقال إبراهيم بن شَيْبان رحمه الله تعالى : كنا نصحب أبا عبد الله المغربى رحمه الله ونحن شباب ، و يسافر بنا فى البرارى والفلوات وكان معه شيخ اسمه حسنٌ ، و [كان]

قد صحبه سبعين سنة ، فكان إذا جرى من أحدنا خطأ وتغير عليه الشيخ نتشفع إليه بهذا الشيخ [الذى يسمى حسناً] حتى يرجع [لنا] إلى ما كان .

وذكر عن سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى أنه كان يقول لبعض أصحابه يوماً إن كنت ممن يخاف السبع فلا تصحبنى .

قال يوسف بن الحسين [الرازى] قلت لذى النون رحمه الله تعالى : من أصحب ؟ فقال : من لا تكتمه شيئاً يعلمه الله منك .

وكان إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى إذا صحبه إنسان يشارطه على ثلاثة أشياء : أن يكون الخدمة ، والأذان له ، وأن يكون يده فى جميع ما يفتح الله عليهما من الدنيا كيَدِه ، فقال له رجل من أصحابه : أنا لا أقدر على ذلك ، فقال : أعجبنى صِدْقك . وكان إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى ربّما ينطر البساتين ، ويعمل فى الحصاد ، ويُنفق على أصحابه .

وقال أبو بكر الكتّانى رحمه الله : صحبنى رجل ، وكان على قلبى ثقيلاً ، فوهبت له يوماً شيئاً كساء أو ثوباً على أن يزول ما فى قلبى فلم يزل ، فأخذت به يوماً إلى البيت أو إلى مكان فقلت له : ضع رِجْلك على خدّى ، فأبى ، فقلت له : لا بدّ من ذلك ، ففعل ، فزال ما كنت أجده فى قلبى عليه ، أو كما قال .

قال أبو نصر : حكى لى هذه الحكاية الدُّقى ، وقال : قصدت من الشام إلى الحجاز حتى سألتُ [أبا بكر] الكتّانى عن هذه الحكاية .

قال أبو على الرِّباطى رحمه الله تعالى : صحبت عبد الله المَرْوزى رحمه الله ، وكان يدخل البادية قبل أن أصحبه بلا زاد ، فلما صحبته قال لى : أيُّمَا أحبُّ إليك تكون أنت الأمير أو أنا ؟ فقلت : لا بل أنت الأمير ، فقال : وعليك الطاعة ، فقلت : نعم ، فأخذ مِخْلاَةً ووضع فيها الزاد وحمل على ظهره ، فإذا

قلت له : أعطنى حتى أحمله ، يقول : ألستُ أنا الأمير ؟ فعليك بالطاعة ، قال : فأخذنا المطر ليلة فوقف على رأسى [ليلة] إلى الصباح وعليه كساء ، وأنا جالسٌ يمنع عنى المطر ، فكنت أقول مع نفسى : ليتنى متُّ ولم أقل له أنت الأمير . ثم قال لى : إذا صحبك إنسان فاصحبه كما رأيتنى صحبتك ، أو كما قال .

وقال سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى : اجتنب صحبة ثلاثة أصناف من الناس الجبابرة الغافلين ، والقرآء المداهنين ، والمتصوفة الجاهلين .

فهذا صحبة بعضهم مع بعض يكون على هذا المعنى الذى ذكرت فى الحكايات ، وفى القليل كفاية للعاقل ، وبالله التوفيق :

باب ذكر آدابهم عند مجاراة العلم

قال الشيخ رحمه الله : سمعتُ أحمد بن على الوجيهى يقول : سمعت أبا محمد الجريرى رحمه الله يقول : الجلوس للمذاكرة غلق باب الفائدة ، والجلوس للمناصحة فتح باب الفايدة .

وقال أبو يزيد رحمه الله : من لم ينتفع بسكوت المتكلم لم ينتفع بكلامه .

وقال الجُنَيْد رحمه الله : كانوا يكرهون أن يتجاوز اللسان مُعتَقَدَ القلب

وحُكى عن أبى محمد الجريرى أنه قال : الإنصاف والأدب أن لا يتكلم الرفيع فى هذا العلم حتى يسأل .

وقال أبو جعفر بن الفَرَجى صاحب أبى تراب النخشبى رحمه الله مكثتُ عشرين سنة لا أسأل عن مسئله إلا كانت منازلتى فيها قَبْلَ قولى .

وقال أبو حفص رحمه الله تعالى : لايصح الكلام إلا لرجل إذا سكت خاف العقوبة بسكوته ، وقال : جاء رجل إلى أبى عبد الله أحمد بن يحيى الجلاَّء ، رحمه الله تعالى ، وسأله عن مسئلة فى التوكل ، وعنده جماعة ، فلم يجبه ودخل البيت ، وأخرج اليهم صرّة فيها أربع دوانيق ، وقال : اشتروا بها شيئاً ، ثم أجاب الرجل عن سؤاله ، فقيل له فى ذلك فقال : استحييتُ من الله أن أتكلم فى التوكل وعندى أربعة دوانيق .

وحُكى عن أبى عبدالله الحُصْرى أنه قال : قلت لابن يزدانيار ، عند مجاراة العلم ، ما أرى مع الخلق كلهم إلا خبراً عن الغيب فيمكنك أن تكون ذلك الغيب قال: فقال لى : أَعِدْ ما قلت ، قلتُ : لا أفعل .

وقال إبراهيم الخواص رحمه الله تعالى : لا يحسن هذا العلم إلا لمن يعبر عن وجده وينطق به عن فعله

وقال أبو جعفر الصَّيْدلانى سأل رجل أبا سعيد الخرّاز رحمه الله، مسئلةً ، وكان يشير فى سؤاله ، فقال له أبو سعيد : نحن نبلغ مكانك وموافقتك فيما تريد بلا هذه الإشارة ، فإن أ كثرَ الناسِ إشارةً إلى الله سبحانه أبعدُهم من الله تعالى

وقال الُجنَيْد رحمه الله تعالى : لو علمتُ أن علماً [تحت أديم السماء] أشرفُ من علمنا هذا لسعيت إليه وإلى أهله حتى أسمع منهم ذلك ، ولو علمت أن وقتاً أشرف من وقتنا هذا مع أصحابنا ومشايخنا ومسائلنا ومجاراتنا هذا العلم لنهضت إليه .

وقال الُجنَيْد رحمه الله : ما عندى عصابةٌ ولا قومٌ اجتمعوا على علمٍ من العلوم أشرفُ من هذه العصابة ، ولا أشرف من علمهم، ولولا ذلك ماجالستُهم، ولكنهم كذا عندى [و] بهذه الصورة .

وقال أبو علىّ الروذبارى رحمه الله تعالى : علمُنا هذا إشارة فإذا صار عبارةً [صار] خفاً .

وقال أبو سعيد الخراز رحمه الله تعالى : ذُكر لى أبو حاتم العطار وفَضْلُهُ ، وكان بالبصرة ، فرحلتُ إليه من مصر حتى وافيت البصرة ، فدخلت جامع البصرة ، فإذا به جالساً وحوله جماعة من أصحابه وهو يتكلم عليهم ، فأول شىء سمعته منه يقول ، بعد ما نظر إلىّ أنه قال : إنما جلست لواحد ، وأينَ ذلك الواحد ؟ ، ومن لى بذلك الواحد ؟ ، ثم أشار إلىّ إنه أنت ، ثم قال : أظهَرَهم إلى [ما] أهَّلَهم ، وأعانهم على ما ألزمهم ، وغيَّبهم عما أحضرهم ، فهم به له عاملون ، ومنه إليه راجعون .

وحُكى عن الُجنَيْد رحمه الله تعالى أنه قال : [لو كان علمُنا هذا مطروحاً على مزبلة لم يأخذ كل واحد منه إلا حظه على مقداره :

وفيما حُكى عن الشبلى أنه قال] لأهل مجلسه يوماً : أنتم عينُ القلادة ، يُنصَبُ لكم منابر من نور ، تغبطكم الملائكة ، فقال رجل على أى شىء تغبطهم الملائكة ، قال : يتحدثون بهذا العلم .

سمعتُ جعفرٍ الُخلدى يقول : سمعت الجنيد رحمه الله يقول : قال سَرى السَّقَطى

رحمه الله تعالى ، بلغنى أن جماعة يجلسون حولك فى الجامع ، قلت: نعم ، هم إخوانى نتذاكر العلم ونستفيد بعضنا من بعض ، فقال : هيهات يا أبا القاسم صرتُ مُناخاً للبطالين . وعن الجنيد رحمه الله أنه قال : كان سَرى ، رحمه الله تعالى ، إذا أراد أن يفيدنى شيئاً سألنى [مسئلةً] ، فقال لى يوماً : ما الشكر [ياغلام] ؟ فقلت : أن لا تعصى الله بنعمٍ أنعم [الله] بها عليك ، فاستحسن ذلك منى ، وكان يستعيده منى ويقول : كيف قلتَ فى الشكر ؟ أعـــدها علىّ [فأعيدها عليه] . قال أبو نصر ووجدتُ هذه الحكاية بخط أبى على الروذبارى عن الجنيد .

وذُكر عن سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى : أنه كان يُسأل عن مسائل من العلم فلا يتكلم فيها ، فلما كان بعد مدة تكلم فيها وأحسَنَ الكلام ، فسُئل عن امتناعه قبل ذلك ، فقال : كان ذو النون فى الأحياء ، ما أحببتُ أن تكلم فى العلم وهو فى الأحياء : إجلالا له [وحرمةً] .

وقال أبو سليمان الدرانى رحمه الله تعالى : لو أعلم أن بمكة رجلا يفيدنى فى هذا العلم كلمة ، يعنى فى علم المعرفة ، لحضرنى فيه أن أمشى على رجلىّ ، ولو ألف فرسخ ، حتى أسمعها منه .

وقال أبو بكر الزقاق : سمعت من الجنيد رحمه الله تعالى كلمة فى الفناء منذ أربعين سنة هيجتنى وأنا بعدُ فى غمارها[1] ، سمعت الدقى يقول سمعت الزقاق يقول هذه الحكاية .

سمعت الدقى يقول : قيل لأبى عبد الله بن الجلاء رحمه الله تعالى : لِمَ سُمّى أبوك الجلاء ؟ فقال : ما كان بجلاء يجلو الحديد ، ولكن كان إذا تكلم على القلوب جلاها من صدأ الذنوب .

وكان حارث المحاسبى رحمه الله يقول : أعز الأشياء فى دار الدنيا عالم يعمل بعلمه،

(١) فى هامش إحدى النسخ « خمار » .

وعارف ينطق عن حقيقته ، وسمعت ابن علوان يقول : كان السائل إذا وقف على الجنيد رحمه الله تعالى وسأله عن المسألة فلم يكن من حاله ذلك ، يقول الجنيد : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فإذا كرر عليه السؤال يقول : « حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١) »

وحكى عن أبى عمرو الزجاجى رحمه الله أنه قال : إذا جالستَ شيخاً وهو يتكلم فى علم من العلوم ، واشتد بك البول ، فلو بلتَ فى مكانك خير لك من أن تقوم من موضعك : لأن البول يُغسل بالماء ، وما يفوتك من فائدتك فى كلامه عند قيامك ، لا تدركه أبداً .

وقال الجنيد رحمه الله ، قلت لابن الكُرّينى رحمه الله : الرجل يتكلم فى العلم الذى لا يبلغ استعماله علمه ، فأحب إليك ، إذا كان هذا وصفه ، أن يسكت ، أو يتكلم ؟ فأطرق ، ثم رفع رأسه فقال : [لى] : إن كنت هو فتكلم ، وكان الشبلى رحمه يقول : ماظنك بعلمٍ عِلْمُ العلماء فيه تهمة ، وقال سرىّ السقَطى رحمه الله تعالى : من تزين بعلمه كانت حسناته سيئات .

قال الشيخ رحمه الله : لكل حكاية من هذه الحكايات ، شرح ، واستنباط ، وبيان ، ولا يخفى على أهل الفهم إن شاء الله تعالى .

(١) آل عمران : ١٧٣

باب ما ذكر من آدابهم فى وقت الطعام
والاجتماعات والضيافات

قال الشيخ رحمه الله تعالى : حُكى عن أبى القاسم الجنيد رحمه الله أنه قال : تنزل الرحمة [من الله عز ذكره] على الفقراء ، يعنى الصوفية ، فى ثلاثة مواطن : عند أكلهم الطعام فإنهم لا يأكلون إلا عن فاقة ، وعند مجاراة العلم ، فإنهم لا يتكلمون إلا فى أحوال الصديقين والأولياء ، وعندالسماع ، فإنهم لا يسمعون إلا من حق ، ولا يقومون إلا بوجده .

وقال أبو العباس أحمد بن محمد بن مسروق الطوسى : قال لى محمد بن منصور الطوسى ، وقد نزل علينا أبا العباس : أقم عندنا ثلاثا ، فإن زدت على ثلاثة فهو صدقة منك علينا ، وذُكر عن سرى السقطى رحمه الله أنه كان يقول : آه على لقمة ليس لله علىّ فيها تبعة ، ولا لمخلوق علىّ فيها منة .

وقال أبو علىّ النّوْرباطى : إذا دخل عليكم فقير فقدموا إليه شيئاً يأكل ، و إذا دخل عليكم الفقهاء فسلوهم عن مسألة ، و إذا دخل عليكم القراء فدلوهم على المحراب .

قال أبو بكر الكتّانى : قال أبو حمزة : دخلت على سرىّ رحمه الله فجاءنى بفتيت فأخذ يجعل نصفه فى قدح ، فقلت له : أيْشَ هو ذا تعمل ؟ أنا أشرب هذا كله فى مرة ؟ فضحك ، وقال : هذا أفضل لك من حَجّة ، وكان أبو على الروذبارى ، رحمه الله ، إذا رأى الفقراء مجتمعين فى مكان واحد، يستشهد بهذه الآية : « وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ [1] » .

---

(١) الشورى : ٢٩

وكان أبو على يقول : إذا اجتمع الفقراء فى مكان واحد يكون أرفقَ بهم ، ويفتح عليهم ، ويستشهد بهذه الآية : « قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يفتح » الآية (١)

وقال جعفر الخُلدِى رحمه الله : هذا الأكل بعد الأكل الذى ترون أصحابنا يقال له الجوع المفرط ، وقال جعفر رحمه الله : إذا رأيت الفقير يأكل كثيراً فاعلم أنه لا يخلو من إحدى ثلاث ، إما لوقت قد مضى [عليه] ، أو لوقت [يريد أن] يستقبله ، أو لوقت هو فيه .

وقال الشِبْلى رحمه الله تعالى : لو أن الدنيا لقمةٌ فى فم طفل لرحمتُ ذلك الطفل . وقال أيضاً : لو أن الدنيا بما فيها لقمة واحدة أكلتها ، وأدعُ الخلق بلا واسطة مع الله تعالى ، وقال بعضهم : أكلُ الطعام على ثلاثة ، مع الإخوان بالانبساط ، ومع أبناء الدنيا بالأدب ، ومع الفقراء بالإيثار .

قال الشيخ رحمه الله : ليس هذا من آداب الفقراء ، لأن من آداب الفقراء الصوفية أن لا يكونوا عند أكل الطعام مختمين ولا مستوحشين ولا متكلفين ، ولا يختارون الكثير الردىء على القليل النظيف الجيد ، ولا يكون لأكلهم وقت معلوم ، وإذا حضر الطعام فلا يلقمون بعضهم بعضا ، وإن لقموهم فلا يردون ، ويكرهون الطعام الكثير الجافى ، وكلما كانوا أشد جوعاً فيكون أدبهم فى الأكل أحسن ، سمعت شيخا من الأجلة رحمه الله تعالى يقول : جُعْتُ عشرة أيام لم آكل شيئا ، ثم قدِّم إلىّ الطعام فكنت آكل بأصبعين ، فقال لى صاحب الطعام : استعمل السنة وكل بثلاثة أصابع .

وحُكى عن إبراهيم بن شَيْبان رحمه الله تعالى أنه قال : منذ ثمانين سنة ما أكلت

(١) سبأ : ٢٦ وتكملة الآية « بيننا بالحق وهو الفتاح العليم

شيئا بشهوتى ، وكان أبو بكر الكتانى الدينورى ببغداد ولم يكن يأكل شيئا يكون سبب إظهاره السؤال والمعارضة .

وعن الجنيد رحمه الله تعالى أنه قال : من النذالة أن يأكل الرجل بدينه

وقال أبو تُرَاب : عُرِض علىّ طعـــام فامتنعتُ من أكله فعوقبت بالجوع أربعة عشر يوماً ، فعلمت أنى عوقبت ، فاستغفتُ إلى الله تعالى وتبت .

وكان الجنيد رحمه الله تعالى يقول : بصفاء المطعم والملبس والمسكن يصلح الأمر كله ، وحُكى عن سَرىّ السَّقَطى رحمه الله أنه كان يقول : أكلهم أكل المرضى ونومهم نوم الغرقى ، وقال أبو عبد الله الحصرى رحمه الله تعالى : مكثت سنين لا يصلح لى أن أقول لا أشتهى ، ولا يصلح لى أن آكل .

وحُكى عن فَتْح المَوْصِلى رحمه الله تعالى ، أنه دخل على بشر الحافى رحمه الله وجاءه زائراً من المَوْصِل ، فأخرج بشر درهما وأعطاه لأحمد الجلاء ، وكان يخدمه ، فقال : مُرّ إلى السوق اشتر طعاماً جيداً وأُدْماً طيبا ، قال : فخرجت ، فاشتريت خبزاً نظيفاً ، وقلت : لم يقل النبىّ عليه الصلاة والسلام لشىء من الطعام اللهم
٢٢٧ بارك لنا فيه وزِدْنا منه إلا اللبن : فاشتريت اللبن واشتريت تمراً جيداً ، وجئت ، وقدمت إليه ، فأكل ما أكل ، وأخذ الباقى وخرج ، فلما خرج قال بشرٌ لمن كان عنده : هذا فتح الموصلى جاءنى يزورنى تدرون لِمَ لم يقل لى : كلْ ؟ قال : لأنه ليس للضيف أن يقول لصاحب الدار كل ، تدرون لم قلتُ : اشتر طعاماً طيباً ؟ لأن الطعام الطيب يستخرج خالص الشكر ، تدرون لم حمل ما بقى ؟ لأنه إذا صح التوكل لم يضر الحَمْلُ .

وقيل لمعروف الكَرْخى رحمه الله تعالى : كلُّ مَن دعاك تَمُرُّ إليــه ! فقال : إنما أنا ضيف أنْزِلُ حيث أنزلونى .

وحُكى عن أبى بكر الكتانى رحمه الله تعالى أنه قال : اجتمع سنة من السنين ها هنا ، يعنى بمكة ، مقدار ثلثمائة نفس من الفقراء والمشايخ ، فكانوا كلهم فى موضع واحد ، وكان لا يجرى فيما بينهم العلم والمذاكرة ، ويكون أخلاق بينهم ومكارم وإيثار بعضهم مع بعض ، وكان أبو سليمان الدارانى رحمه الله تعالى يقول : إذا أردتَ حاجة من حوائج الدنيا والآخرة فلا تأكل حتى تقضيها فإن الأكل يميت القلب . وحُكى عن رُوَيم رحمه الله أنه قال . منذ عشرين سنة لم يخطر بقلبى ذكر الطعام حتى يحضر .

وسمعت أحمد بن عطاء أبا عبد الله الروذبارى يقول : كان أبو على الروذبارى رحمه الله ، اشترى أحمالا من السكر الأبيض ، ودعا جماعة من الحلاويين فاتخذوا من ذلك السكر جداراً عليه شُرُفات ، وفى الجدار محاريب على أعمدة منقوشة كلها من السكر ، ثم دعا الصوفية حتى هدموها وكسروها وانتهبوها ، وسمعت أبا عبد الله الروذبارى أنه كان يقول : اتخذ رجل ضيافةً ، فأوقد ألف سراج ، فقال له رجل : قد أسرفت ، فقال له : ادخل الدار فكل سراج أوقدته لغير الله تعالى فأطفئها ، فدخل الدار ليطفئها فما قدر أن يطفئ منها سراجاً واحدا وانقطع .

وحُكى عن أبى عبد الله الحصرى ، رحمه الله ، أنه قال : سمعت أحمد بن محمد الشلى يقول : كنت بمكة ، وكان لى ثلاثة أيام لم آكل شيئاً ، فوقع فى نفسى أن أجمع النساك ومن بالحرم من الفقراء وأهل الفضل ، قال : فاكتريت أحد عشر مضرباً ، وأقبلت الفتوح من كل جانب ، فلم يزل على ذلك أحد عشر يوماً ، وهو فى طول تلك الأيام لم يأكل شيئا .

باب فى ذكر آدابهم فى وقت السماع والوجود

قال الشيخ رحمه الله ، حُكى عن الجُنَيْدْ رحمه الله تعالى : أنه كان يقول : السماع يحتاج إلى ثلاثة أشياء وإلاّ فترْكهُ أولى : الإخوان ، والزمان ، والمكان ، وحُكى عن الحارث المحاسبي رحمه الله تعالى أنه كان يقول : ثلاث إذا وجُدتْ مُتعَ بهنّ ، وقد فقد ناهنّ ؛ حسن القول مع الديانة ، وحسن الوجه مع الصيانة ، وحسن الإخاء مع الوفاء .

وقال أحمد بن مقاتل رحمه الله تعالى : [لمـّا] دخل ذو النون رحمه الله تعالى : بغداد اجتمع إليه جماعة من الصوفية ، ومعهم قوّالٌ يقول : فأستأذنوه بأن يقول : شيئاً بين يديه ، فأذن لهم ، فابتدأ يقول :

صغيرُ هَواكَ عَذَبَنى   فكيْفَ به إذا أحْتنكا
وأنتَ جَمعْتَ منْ قَلبى   هَوًى قد كانَ مُشْترَكا
أما تَرْثى لمُكْتَئِبٍ   إذا ضحِكَ الخلِيُّ بَكى

فقام ذو النون وسقط على وجهه والدم يقطر من جبينه ولا يسقط على الأرض ، قال : ثم قام رجل من القوم يعنى يتواجد ، فقال له ذو النون رحمه الله تعالى : « ٱلذِى يَرَاكَ حِينَ تَقومُ »[1] فجلس ذلك الرجل .

قال : وسئل إبراهيم المارستانى ، رحمه الله ، عن الحركة عند السماع وتخريق الثياب ، فقال : بلغنى أن موسى عليه السلام قصّ فى بنى إسرائيل ، فمزّق واحدٌ قميصه ، فأوحى الله تعالى : إلى موسى عليه السلام ، قلْ له : مزّقْ لى قلبك ولا تمزّق ثيابك .

---

(١) الشعراء آية ٢١٨

قال الشيخ رحمه الله تعالى : وسنذكر فى باب وصف السماع ، وبيان الوجد تمام هذا الباب إن شاء الله تعالى :

وقد حُكى عن الجُنَيْدُ أنه قال : لا يضرّ نقصان الوجد مع فضل العلم ، وإنّما يضرّ فضل الوجد مع نقصان العلم ، والمعنى فى ذلك ، والله أعلم ، أن فضل العلم يوجب ضبط الجوارح ، عن الحركات ، عند السماع على قدر طاقة المستمع حتى يفيض على جوارحه بعد جهده ، وليس من الأدب استدعاء الحال والتكلّف للقيام ، والفقراء المجرّدون يليق بهم القيام والمطايبة من غير تذاهب ولا تساكن إلى ذلك ، وتركهُ أولى بهم ، وليس من الأدب المداخلة والمزاحمة فى السماع مع أهل السماع ، والسكون مع حضور القلب والوقوف على مراعى المستمعين ومعانيهم أولى من المداخلة معهم بالتكلّف ، وربّما يصير التكلّف عادةً فيكون ذلك أغلظها على القلوب وأظلمَها للوقت ، وكلّ قلب ملوث بحُب الدنيا ، فسماعه لَهْوٌ ، وإن تلفت نفسه فيه وذهب روحه .

باب في ذكر آدابهم في اللباس

قال الشيخ رحمه الله : حُكى عن أبى سليمان الدارانى رحمه الله تعالى : أنه لبس قميصاً أبيض ، يعنى غسيلاً ، فقال له أحمد : لو لبستَ قميصاً أجودَ من هذا ، أو كما قال ، فقال له : يا أحمد ، ليت قلبى فى القلوب مثل قميصى فى الثياب ، وحُكى عن أبى سليمان الدارانى رحمه الله تعالى أنه قال : يلبس أحدكم عباءة بثلاثة دراهم ، وشهوته فى قلبه خمسة دراهم ، فما يستحى أن تُجاوز شهوتُه لباسه ، و بلغنى عنه أنه كان يقول : فى قِصَر الثوب ثلاث خصال محمودة : استعمال السُّنة ، والنظافة ، وزيادة خِرَقه .

قال : ودخل جماعةٌ على بشْر بن الحارث رحمه الله تعالى ، وعليهم المرقّعات ، فقال لهم بشر : يا قوم ، اتّقوا الله ولا تُظهروا هذا الزى ، فانكم تُعْرَفون به وتُكرَمون له ، فسكتوا كلّهم ، فقام شابٌّ من بينهم فقال : الحمد لله الذى جعلنا ممّن يعرف به و يكرم له ، والله لنُظهرن هذا الزى حتى يكون الدين كلّه لله ، فقال له بشر : أحسنتَ يا غلام ! مثلك من يلبس المرقّعة .

وسمعت الوجيهى يقول : سمعت الجريرى يقول : كان فى جامع بغداد فقير لا تكاد تجده إلاّ فى ثوب واحد فى الشتاء والصيف ، فسُئل عن ذلك ، فقال : قد كنت ولعتُ بكثرة لبس الثياب ، فرأيت ليلة ، فيما يرى النائم ، كأنّى دخلتُ الجنّة ، فرأيت جماعةً من أصحابنا ، من الفقراء ، على مائدة ، فأردت أن أجلس معهم ، فإذا بجماعة من الملائكة أخذوا بيدى وأقامونى ، وقالوا لى : هؤلاء أصحاب ثوب واحد وأنت فلك قميصان فلا تجلس معهم ، فانتبهتُ ، فنذرت أن لا ألبس إلا ثوباً واحداً إلى أن ألقَى الله عزّ وجلّ .

وقال أبو حفص الحداد رحمه الله تعالى : إذا رأيتَ ضَوْء الفقير فى ثوبه فلا ترجُ خيره .

وحُكى عن يحيى بن مُعاذ الرازى أنه كان يلبس الصوف والُخلقان فى ابتداء أمره ، ثم كان فى آخر عمره يلبس الخزّ واللين ، فقيل ذلك لأبى يزيد رحمه الله تعالى ، فقال : مسكين يحيى ؟ لم يصبر على الدون فكيف يصبر على البخْت (١) .

وسمعت طَيْفور يقول : مات أبو يزيد ولم يترك إلاّ قميصه الذى مات فيه ، وكانت (٢) عاريّةً عليه ، فردوه إلى صاحبها ، ومات ابن الكُرّينى ، وكان أستاذ الُجنَيْد رحمه الله ، وعليه مرقعته ، فكان فرد كُمّة وتخاريزه عند جعفر الُخلْدِى فيه ثلاثة عشر رطلا كما بلغنى.

ويقال إن أبا حفص النيسابورى ، رحمه الله ، كان يلبس قميصاً خزًّا ، وثياباً فاخرةً ، وكان له بيت فرش فيه الرمل .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : وآداب الفقراء فى اللباس ، أن يكونوا مع الوقت ، إذا وجدوا الصوف أو اللبَد أو المرقعة لبسوا ، وإذا وجدوا غير ذلك لبسوا ، والفقير الصادق أيْشَ ما لبس يحسن عليه ، ويكون عليه فى جميع ما يلبس الجلالة والمهابة ، ولا يتكلف ولا يختار ، وإذا كان عليه فضلٌ يواسى من ليس معه ، ويؤثر على نفسه إخوانه بإسقاط رؤية الإيثار ، ويكون الُخلقان أحب إليه من الجديد ، ويتبرم بالثياب الكثيرة الجيّدة ، ويضن بالخُرَيقات الخلق القليلة ، ويتكلف للنظافة والطهارة ؛ وإن أخذتُ فى ذكر ما يجب فى هذا الباب يطول وفيما ذكرته كفاية .

---

(١) فى نسخة أخرى : البحث

(٢) قوله : وكانت . الصواب أن يقال : وكان لأن ، القميص مذكر وليس بمؤنث

باب فى ذكر آدابهم فى أسفارهم

قال الشيخ رحمه الله تعالى : حُكى عن أبى علىّ الروذبارى ، رحمه الله تعالى ، أنه جاء إليه رجل ، وكان عزْمُهُ أن يسافر ، فقال : يا أبا علىّ تقول شيئاً ؟ فقال : يافتى ، كانوا لا يجتمعون عن مَوْعد ، ولا يفترقون عن مشورة .

قيل:وسُئِل رُوَيْم رحمه الله تعالى، عن أدب المسافر فى سفره إذا أراد أن يسافر ، فقال : لا يجاوز همّهُ قدَمُهُ ، وحيث ما وقف قلبه يكون منزله .

سمعت هذه الحكاية عن عيسى القصّار الدينورى قال : سألتُ رُوَيْماً .

وحُكى عن محمد بن إسماعيل أنه قال : كنّا نسافر منذ عشرين سنة ، أنا وأبو بكر الزقّاق وأبو بكر الكتّانى رحمة الله عليهم ، لا نختلط بأحد من الناس ، ولا نعاشر أحداً ، فإذا قدمنا [إلى] البلد ، إن كان فيه شيخ سلمنا عليه وجالسناه إلى الليل ، فإذا جاء الليل رجعنا إلى مسجد ، فيقدم الكتّانى فيصلّى من أول الليل إلى أن يُصبح ، ويختم القرآن ، ويجلس الزقّاق مستقبل القِبْلة ، وأنا متفكّر إلى أن نُصبح ، ثم يصلى كلّنا صلاة الغداة بوضوء العتمة ، فإذا وقع معنا إنسان ينام كنّا نرى أنه أفضلنا .

وقال أبو الحسن المزين رحمه الله تعالى : حكم الفقير أن يكون كل يوم فى منزل ، ولا يموت إلا بين منزلين . وفيما حُكى عن المزين الكبير رحمه الله أنه قال : كنت يوماً مع إبراهيم الخواص رحمه الله ، فى بعض أسفاره ، فإذا عقربٌ يسعى على فخذه ، فقمت لأقتلها ، فمنعنى من ذلك وقال لى : دعها ، كل شىء مفتقر إلينا ، ولسنا مفتقرين إلى شىء .

وكان الشبلى ، رحمه الله تعالى، إذا نظر إلى من يسافر من أصحابه، ويرى تقطُّعهم فى أسفارهم يقول : وَيلكم ! أبدٌ مما ليس منه بد .

وحُكى عن أبى عبد الله النصيبى ، رحمه الله تعالى ، قال : سافرت ثلاثين سنة ما خِطْتُ قط خرقة على مرقعتى ، ولا عدلت إلى موضع علمت أن فيها رفقاً، ولا تركت أحداً يحمل معى شيئاً .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : ليس من آدابهم أن يسافروا للدَّوران والنظر إلى البلدان وطلب الأرزاق ، ولكن يسافرون إلى الحج والجهاد[1] ، ولقاء الشيوخ ، وصلة الرحم ، ورد المظالم ، وطلب العلم ، ولقاء من يفيدون منهم شيئاً فى علوم أحوالهم أو إلى مكان له فضل وشرفٌ ، ولا يتركون فى أسفارهم شيئاً من أخلاقهم وأورادهم التى كانوا يعملونها فى الحضر ، ولا يغتنمون قصر الصلاة ، وإفطار شهر رمضان ، وإذا كان جماعة يمشون بِمَشْىِ أضعفهم ، ويخدمهم الأشفقُ عليهم ، وإذا جلس واحد لقضاء حاجة وقفوا لفراغه ، وإن يخلف[2] واحدٌ انتظروه ، وإن عجز أحدهم عن المشى أو اعتل أقاموا عليه ، وإذا دخل وقت الصلاة لم يبرحوا من موضعهم حتى يصلوا ، إلا أن يكون معهم ماء أو بقرْب منهم الماء ، وهذا حال الضعفاء .

وأما حال الأقوياء ، فكما قال إبراهيم الخواص رحمه الله تعالى : ما هابنى شىء قط إلا رَكِبتهُ .

وكما سُئل أبو عمران رحمه الله عن الجزع والعجز الذى يلحق المسافر فى سفره

---

(١) يعتقد كثير من الناس أن الصوفية لاشأن لهم بالناحية العملية قط ، ويسرنا هنا ، أن نذكر هؤلاء ، أن الصوفية كانت لهم جولات موفقة فى الحروب وكانوا يبيعون أنفسهم لله ، مجاهدين صابرين وها هو المؤلف ينبه إلى أن من أغراض الصوفية فى أسفارهم : الجهاد .   (٢) قوله : وإن يخلف : الصواب . تخلف

فقال : إذا خفتَ عليه فألقه فى اليم ، يعنى : لا تبال أيْشَ ما لحقك بعد ما تكون متوجهاً إلى الله تعالى وهو أبو عمران الطبرستانى .

وقال أبو يعقوب السوسى رحمه الله تعالى : يحتاج المسافر فى سفره إلى أربعة أشياء ، وإلا فلا يسافر : عِلم يسوسه ، وورعٌ يحجزه ، ووجدٌ يحمله ، وخُلقٌ يصونه .

وقال أبو بكر الكتانى ، رحمه الله : إذا سافر الفقير إلى اليمن ، ثم رجع إليه مرة أخرى ، هجروه ، وتآمروا بهجرانه .

ويقال : إنما سُمى « السفر » سفراً ، لأنه يُسفر عن أخلاق الرجال .

فهذا ماحضرنى من آدابهم فى أسفارهم . وبالله التوفيق .

باب فى ذكر آدابهم فى بذل الجاه والسؤال والحركة من أجل الأصحاب

قال الشيخ رحمه الله تعالى : سمعت جماعة من أصحاب الشيخ أبى عبد الله الصُّبيحى يقولون : لا يصح الفقر للفقير حتى يخرج من الأملاك ، فإذا خرج من الأملاك يتولد له جاهٌ من ذلك ، فينبغى أن يبذل جاهه حتى لا يبقى له جاه ، فإذا بذل جاهه بقى عليه قوة نفسه فيبذل ذلك ، يعنى نفسه ، لأصحابه بالخدمة لهم والحركة فى أسبابهم ، فعند ذلك يصح له الفقر . سمعت أبا عبدالله الروذبارى يقول: دخل المظفر القِرْميسينى الرملة ومعه السيد ، وكان لهما جاه عظيم عند أغنياء البلد ، فما زالوا يبذلون جاههم وينفقون على الفقراء حتى لم يبق لهم جاه عند أحد ، وكان لا يعطيهم أحد شيئاً بسؤال ولا بدَيْن ولا برهن ، فعند ذلك كان يطيب وقتهم . وقيل لإبراهيم بن شيبان رحمه الله: أيْشَ حالُ مظفر القرميسينى الخرقتان والسؤال والخدمة لأصحابه ، فقال : قد رفع قدماً فى الفتوة لله فلا يريد أن يتأخر عن قدم رفعها لله تعالى .

وكان بعض الصوفية ببغداد لا يكاد أن يأكل شيئاً إلا بذُلِّ السؤال ، فسئل عن ذلك ، فقال : اخترتُ ذلك لشدة كراهية نفسى ذلك . ودخل شيخ من أجلة الشيوخ بلداً ، فرأى فيها مريداً قد أجابته نفسه لكل شىء من الطاعات والعبادات والفقر والتقلل ، وكان قد تولد له من ذلك قبول عند العامة ، فقال له هذا الشيخ : لا يصح لك جميع ما أنت فيه إلا أن تَكَدَّىَ الكِسرَ من الأبواب ولا تأكل شيئاً غيرها ، فصعب ذلك على المريد وعجز عن ذلك ، فلما كبر سنه اضطُرَّ إلى السؤال والحاجة ، فكان يرى أن ذلك عقوبة لمخالفته لذلك الشيخ فى أيام إرادته .

قال أبو نصر رحمه الله تعالى : كان هذا الشيخ أبو عبدالله بن المقرى ، والشيخ الذى أمره بالسؤال أبو عبد الله السجزى رحمه الله .

وبلغني عن شيخ من الأئمة أنه كان يصوم ويطلب لإفطاره كِسراً من الأبواب ولا يأكل غيرها شيئاً إلى وقت إفطاره من الليلة الثانية ، ففطن به رجل ، فوضع بين يديه طعاماً فلم يأكل منه ، وفارق ذلك الموضع الذى عُرِف به ، ولم يرجع إليه بعد ذلك .

وحُكى عن مِمْشاذ الدينورى أنه كان ربما يقدم عليه جماعة من إخوانه من الفقراء ، فكان يدخل السوق ويجمع فى حجره كِسراً من الدكاكين ، ويحمل إليهم .

وحُكى عن بنان الحمّال أنه قال ما علمتُ قط بأنى صَفْعانٌ إلاّ مرة واحدة ، رأيت فقيراً يصوم النهار ، ويخرج بعد المغرب إلى السوق ، ويأخذ من كل دكان لقمةً ، فإذا سد رمقه رجع إلى موضعه ، فأخذته معى ليلة ، وكنت آخذ من الناس الخبز الكثير واللحم والحلواء والفواكه وأدفع إليه حتى اجتمع معه من ذلك شىء كثير ، فلما أراد أن ينصرف ، قال لى : يا شيخ ، أنت صاحب شُرْطة ؟ فقلت : لا ، أنا بُنان الحمّال ، فرمى جميع ما كان معه فى وجهى ، وقال لى : ياصفعان ، هذا الذى تفعله أنت إنما يفعله عندنا صاحب الشرطة لا المشايخ ، كل من تقول له : هات فيعطيك ما تريد .

وحُكى عن بعض المريدين ، وطلب شيئاً لأصحابه وأكل معهم ، فأنكر عليه جماعة من المشايخ أكله معهم ، وقالوا : خدعتك نفسك وطلبت لنفسك ، ولو كنت طلبت لأصحابك وبذلت جاهك لهم لم تأكل معهم .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : وحكم من يفعل ذلك أن يترك ذلك إذا صارت عادته ، وسكنت إلى ذلك نفسه، ومن سأل الضرورة لم يأخذ إلا ما لا بد له من ذلك فإن أعطوه الكثير فيأخذ منه حاجته ويُخرج الباقى .

والأكل بالسؤال أجملُ من الأكل بالتقوى ، والفقير إذا اضطر إلى السؤال فكفارته صدقه ، ومر على بعض المشايخ أيامٌ ولم يأكل شيئاً ، وكان فى بلد غُرْبة حتى كاد يتلف ، ولم يسأل ، فقيل له فى ذلك ، فقال : منعنى عن السؤال قول النبى صلى الله عليه وسلم : لو صدق السائل ما أفلح من ردّه ، وكرهت أن يردنى مسلم فلا يفلح لقول النبى صلى الله عليه وسلم .

باب فى ذكر آدابهم إذا فتح عليهم شىء من الدنيا

قال الشيخ رحمه الله: قال أبو يعقوب النَّهْرجورى رحمه الله تعالى : سمعت أبا يعقوب السوسى رحمه الله تعالى ، يقول : جاءنا فقير ، ونحن بأرَّجان ، وسهل بن عبد الله رحمه الله تعالى يومئذ بها ، فقال: إنكم أهل العناية ، فقد نزلت بى مِحنةٌ ، قال سهل بن عبد الله رحمه الله : فى ديوان المحن ، وقعت منذ تعرضت لهذا الأمر ، فما هى ؟ قال : فتح لى شىء من الدنيا ، فاستأثرت بها فى غير ذى مَحْرم ، ففقدت إيمانى وحالى ، فقال سهل لأبى يعقوب رحمهما الله تعالى : أيْشَ تقول فى هذا ؟ قال : فقلت : محنته بحاله أعظم من محنته بإيمانه ، فقال سهل : مثلك يقول هذا .

وحُكى عن خير النساج رحمه الله تعالى ، قال : دخلت بعض المساجد وإذا فيه فقير من الفقراء ، وكنت أعرفه ، فلما رآنى تعلق بى ، وبكى ، وقال لى : أيها الشيخ ، تعطَّف علىّ ، فإن محنتى عظيمة ، فقلت : يا هذا وما محنتك ؟ قال لى : فقدت البلاء وقورنت بالعافية ، وأنت تعلم أن هذه محنة عظيمة ، قال: وكان قد فتح عليه شىء من الدنيا .

وقال أبو تراب النَّخْشَبىّ رحمه الله تعالى : إذا توافرت النعم على أحدكم فليَبْكِ على نفسه فإنه سلك به غير طريق الصالحين .

وسمعت الوجيهى رحمه الله تعالى يقول حمل إلى بنان الحمال ألف دينار، وصبوها بين يديه ، فقال للذى صبه : ارجع وخذه ، ووالله لولا ما عليه من كتابة اسم الله تعالى لَبُلْتُ عليها ، هو ذا يغرر بى ببريقه . قال : وفتح لابن بنان رحمه الله تعالى أربعمائة درهم ، وهو نائم ، فوضعوها عند رأسه ، فرأى فى المنام كأن قائلا يقول: من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أعمى الله تعالى قلبه ، فانتبه فأخذ منها دانقين وترك الباقى .

وسمعت ابن علوان رحمه الله تعالى يقول حُمل إلى أبى الحسين النورى رحمه الله ثلثمائة دينار ، قدباعوا عقاراً له ، فجلس على قنطرة الصَّراة وهو يحذف بواحد واحد منها إلى الماء ، ويقول : سيدى تريد أن تخدعنى عنك بهذا .

وحكى جعفر الخُلْدى رحمه الله تعالى ، قال : كان ابن زيرى من أصحاب الجنيد رحمهما الله تعالى، وكان قد فُتح عليه شيء من الدنيا ، فانقطع من الفقراء ، فاستقبلنا يوماً وفى كمه منديل فيـــه دراهم كثيرة ، فلما رآنا من بعيد قال : يا أصحابنا ، إذا كنتم أنتم متعززين بالفقر ، ونحن متعززون بالغنى ، فمتى نلتقى ؟ قال : ثم رمى إلينا بجميع ما كان فى كمه .

وقال أبو سعيد بن الأعرابى : كان فتى يصحب أبا أحمد القلانسى رحمه الله ، ثم غاب عنه مدة ، ثم رجع من سفره وقد فُتح عليه شيء من الدنيا واجتمع عنده مال ، فقلنا لأبى أحمد : تأذن لنا أن نزوره ؟ فقال : لا ، فإنه كان يصحبنا على الفقر، ولو بقى حاله ، كان ينبغى لنا أن نزوره ، فإذا رجع من سفره على هذه الحالة فيجب عليه أن يزورنا .

وحكى أبو عبد الله الحصرى رحمه الله تعالى ، قال : مكث أبو حفص الحداد رحمه الله بالرَّملة ، وعليه خِرقتان ، وفى وَسَطه ألف دينار ، وهو يمكث اليومين والثلاثة والأربعة وأبى أن يأكل منها ، وهو يواسى الفقراء منهـا إلى أن فنى عن آخرها .

وقال الحصرى رحمه الله تعالى ، خرجت مع الشبلى فى أيام القحط نطلب شيئا لصبيانه ، فدخل على إنسان فأعطاه دراهم كثيرة ، قال : فخرجنا من عنده وكُمّى ملآن من الدراهم ، فكلما لقينا إنساناً من الفقراء أعطاه منه حتى لم يبق إلا القليل فقلت له : يا سيدى ، الصبيان فى البيت جياعٌ ، فقال لى : أيْشَ أعملُ ؟ فبَعْدَ الجهد حتى اشتريت شيئا من الكُسْب والجزر بمـا بقى من الدراهم ، وحملته إلى صبيانه .

وحُكى عن أبى جعفر الدرّاج رحمه الله تعالى ، قال : خرج أستاذى يوما يتطهر ، فأخذت كِنفه ففتشته ، فوجدت فيه شيئاً من الفضة مقدار أربعة دراهم ، فتحيّرتُ فى أمره ، وكان لنا أوقات لم نأكل شيئا ، فلما رجع قلت له : كان فى كنفك كذا ونحن جياعٌ ، قال : هاه أخذتَه ، رُدَّه ، ثم قال لى بعد ذلك : خذه واشتر به شيئا ، فقلت بحق معبودك ما أمرُ هذه الفضة ؟ فقال : لم يرزقنى الله تعالى شيئا من الدنيا [لا] صفراء ولا بيضاء غيرها ، فأردت أن أوصى أن تدفن معى ، فإذا كان يوم القيامة أردّها إلى الله تعالى ، أقول : هذه الذى[1] أعطيتنى من الدنيا ، أو كما قال

قال ودفع وزير المُعْتضد مالاً إلى أبى الحسين النورى ، رحمه الله تعالى ، حتى يفرقه على المتصوفة ، فصبه فى بيت ، وجمع صوفية بغداد فقال لهم : كل من يحتاج منكم إلى شىء فليدخل البيت وليأخذ حاجته منه ، فكان يأخذ الرجل مائة درهم ، والآخر أكثر والآخر أقل ، ومنهم من لا يأخذ شيئاً ، فلما فنيت الدراهم ، ولم يبق شىء قال لهم : بُعْدُكم من الله تعالى على مقدار أخذكم من الدراهم ، وقُرْبُكم من الله تعالى على مقدار تركِكم لها .

---

(١) قوله : الذى الصواب أن يقال : التى

باب فى ذكر آداب من اشتغل بالمكاسب والتصرف فى الأسباب

قال الشيخ ، رحمه الله تعالى : قال سهل بن عبدالله رحمه الله : من طعن على الاكتساب فقد طعن على السنة ، ومن طعن على التوكل فقد طعن على الإيمان.

وسُئل الجُنيد رحمه الله عن الكسب ، فقال : يستقى الماء و يلقط النوى .

وكتب إسحق المغازلى رحمه الله تعالى ، وكان من أحد المشايخ ، إلى بِشر بن الحارث رحمه الله تعالى ، وكان بشر يعمل المغازل ، فكان فى كتابه : بلغنى عنك أنك استغنيت عن أمر معاشك بعمل هذه المغازل ، أرأيت إن أخذ الله تعالى سمعك وبصرك الملتجأ إلى من ؟ قال ، فترك بشرٌ ذلك العمل واشتغل بالعبادة .

وسأل رجل ابن سالم ، بالبصرة ، رحمه الله تعالى ، وأنا حاضر فى مجلسه ، وكان يتكلم فى فضل المكاسب ، فقال له : أيها الشيخ ، نحن مستعبدون بالكسب أم بالتوكل ؟ فقال ابن سالم : التوكل حال الرسول ، والكسب سنة الرسول الله صلى الله عليه وسلم ، و إنما استن لهم الكسب لعلمه بضعفهم ، حتى إذا سقطوا عن درجة التوكل التى هى حاله لا يسقطوا(١) عن درجة طلب المعاش التى هى سنته ، ولولا ذلك لهلكوا .

وحكى عن عبد الله بن المبارك أنه كان يقول : لا خير فيمن لا يذوق ذل المكاسب .

وكان عبد الله بن المبارك يقول : مكاسبك لا تمنعك عن التفويض والتوكل إذا لم تضيعهما فى كسبك ، ويقال : إن أبا سعيد الخراز ، رحمه الله ، خرج سنة

---

(١) قوله : لايسقطوا . الصواب : لا يسقطون

من السنين من الشام إلى مكة مع القافلة ، فجلس ليلة إلى الصباح يخرز نعال أصحابه من الفقراء والصوفية .

وقال أبو حفص رحمه الله تعالى : تركتُ الكسب مرةً ، ثم عاودتُه ، ثم تركنى الكسب ، فلم أعاود إليه بعد ذلك .

وحُكى عن بعض الفقراء أنه كان بدمشق رجل أسود و يصحب الصوفية ، وكان يمرّ كلّ يوم يدقّ الجصّ بثلاثة دراهم ولا يأكلها إلا فى ثلاثة أيام ، فإذا أخذ الأجر ، يشترى به طعاماً [ما] ، ويجىء إلى أصحابه ، ويأكل معهم أكلةً ، ويرجع إلى عمله .

وحُكى عن أبى القاسم المنادى رحمه الله تعالى ، أنه كان يخرج من منزله ، فإذا كان وقع فى يده مقدار دانقَين يرجع من الطريق إلى منزله أى وقت كان .

وحُكى عن إبراهيم الخواص رحمه الله تعالى ، [أنه] كان يقول : إذا عرّج المريد على الأسباب بعد ثلاثة أيام فالعمل فى المكاسب ودخول السوق أولى به .

وحُكى عن إبراهيم بن أدهم أنه كان يقول : عليك بعمل الأبطال ، الكسب من الحلال والنفقة على العيال .

قال الشيخ أبو نصر رحمه الله تعالى : ومن اشتغل بالمكاسب فأدبُه أن لا يشتغل عن أداء الفرائض فى أوقاتها ، ولا يرى رزقه من ذلك ، و ينوى بذلك معاونة المسلمين ، ويُنصفهم ، فإذا فضل شىء من كسبه ونفقة عياله ، لا يجمع ، ولا يمنع ، ويُنفق على إخوانه من الفقراء الذين ليس لهم معاش ولا معلوم ولا سؤال ، لأنه

وإن امتُحِن بذلك ، فهو واحدٌ منهم ، وكذلك هؤلاء الذين ليس لهم علاقة إذا فُتح عليهم شيء ساعدوه ، ويهتمون بأسبابه أكثرَ من اهتمامهم بأنفسهم .

وحُـكى عن أبى حفص الحداد رحمه الله تعالى ، أنه كان أكثر من عشرين سنة يعمل فى كل يوم بدينار ، ويُنفقه عليهم ، يعنى الصوفية ، ولا يسأل عن مسألة ويصوم ، ثم يخرج بين العشاءين فيتصدق من الأبواب

وقال الشبلى رحمه الله : أيْشَ حِرْفتك ؟ فقال : خرّازٌ ، فقال له : نسيت الله تعالى بين الخرز والخرز(١) .

وقال ذو النون رحمه الله تعالى : إذا طلب العارف المعاش فهو لا شيء ، والله تعالى أعلم .

---

(١) قوله : بين الخرز والخرز . الأظهر أن يقال : بين الخرزة والخرزة

باب فى أداء الأخذ والعطاء، وإدخال الرفق على الفقراء

قال الشيخ رحمه الله تعالى : أخبرنى جعفر الخلدى ، رحمه الله ، قال : سمعت الجُنَيد ، رحمه الله تعالى ، يقول : سمعت سَرِىّ السَّقَطى ، رحمه الله تعالى ، يقول : أعرفُ طريقا مختصرا إلى الجنة : لا تسأل أحدا شيئا ، ولا تأخذ من أحد شيئا ، ولا يكون (١) معك شىء تعطى أحداً .

وحُكى عن الجنيد ، رحمه الله تعالى ، أنه قال : لا يصح لأحد الأخذ حتى يكون الإخراج أحبّ إليه من الأخذ .

وقال أبو بكر [أحمد] بن حمويه صاحب الصُّبَيْحى رحمه الله تعالى : من أخذ لله أخذ بعز ، ومن ترك لله ترك بعز ، ومن أخذ لغير الله أخذ بذل ، ومن ترك لغير الله ترك بذل .

سمعت أحمد بن علىّ الوجيهى يقول : سمعت الزقاق يقول : استقبلنى يوسف الصايغ بمصر ومعه كيسٌ فيه دراهم ، فأراد أن يناولنى ، فرددتُ يده إلى صدره ، فقال : خذها منى ولا تردها علىّ ، فلو علمتُ أنى أملك شيئا أو أنى أعطيك شيئا ما أعطيتك هذا .

سمعت أحمد بن على يقول : سمعت أبا على الروذبارى رحمه الله تعالى يقول : مارأيت أحسن أدباً من ابن رفيع الدمشقى فى إدخال الرفق على الفقراء ، وذلك أنى بتُّ عنده ليلة ، فحكيت عن سهل بن عبدالله ، رحمه الله تعالى ، أنه قال : علامة الفقير الصادق أن لايسأل ولا يَرُدّ ، ولا يحبس ، فلما أردتُ أن أفارقه : حمل معه شيئا من الدراهم ، ووقف على الجانب الذى حملتُ ركوتى ، وقال لى : كيف حكيتَ عن سهل الحكاية ؟ فلما حكيت له الحكاية ، وقلت له : لا تسأل ولا ترد ، فطرحها فى ركوتى ، وانصرف .

(١) قوله : ولا يكون . سياق الكلام يقتضى أن يقال : ولا يكن، بالجزم عطفا على ماقبله

وقال أبو بكر الزقاق رحمه الله تعالى : ليس السخاء أن يعطى الواجدُ المعْدِمَ، إنما السخاء أن يعطى المعدمُ الواجدَ .

وحُكى عن أبى محمد المرْتَعِش ، رحمه الله تعالى ، أنه قال : لا يصح الأخذ عندى حتى تقصد من تأخذ منه فتأخذ له لا لك

وحُكى عن جعفر الخلدى ، عن الجنيد رحمه الله تعالى أنه قال : ذهبت يوما إلى ابن الكرَنْبى ومعى دراهم أريدُ أن أدفعها اليه ، وكان عندى أنه لا يعرفنى ، وسألت أن يأخذ ذلك فقال : أنا عنه مستغن ، وأبى أن يأخذ منى ، فقلت له : إن كنت [أنت] عنها مستغنيا فأنا رجل من المسلمين أُسَرُّ بأخذك لها فتأخذها لإدخال السرور على ، فأخذها منى

وذُكر عن أبى القاسم المنادى ، رحمه الله تعالى ، أنه كان إذا رأى دخاناً يخرج من [بيت] بعض جيرانه ، فيقول لبعض من يكون عنده : مُرَّ إلى هؤلاء فقل لهم : أعطُونا من هذا الذى تطبخون ، فقال له قائل : فعسى يسخنون الماء ، فقال : مُرَّ إليهم ، لأىّ شىء يصلح هؤلاء الأغنياء غير أن يعطونا شيئاً ويشفعوا لنا فى الآخرة .

وقال الجُنَيْد رحمه الله تعالى : حملتُ دراهم إلى حسين بن المصرى ، وكانت امرأته قد ولدت ، وهم فى الصحراء ، وليس لهم جارٌ ، فأبى أن يقبلها منِّى ، فأخذتُ الدراهم ، ورميت فى الحجرة التى كانت فيها المرأة ، وقلت : أيّتها المرأة هذه لك ، فلم يكن له حيلةٌ فيما فعلتُ .

وسُئل يوسف بن الحسين ، رحمه الله تعالى ، إذا واخيتُ رجلاً فى الله ، فخرجتُ إليه بكلّ مالى ، هل أكون قائماً بحقّه فيما ملّكنى الله تعالى ؟ قال : أنّى لك بما ألزمتَهُ من ذُلّ الأخذ ، واستدركتَ من عِزّ الإعطاء ، إذا كان فى العطاء رفعة وفى الأخذ مذلّة ؟ .

باب فى آداب المتأهلين ومن له ولد

قال الشيخ رحمه الله تعالى : قال أبو سعيد بن الأعرابى : كان سبب تزويج أبى أحمد القلانسى ، واسمُهُ مُصعب بن أحمد ، أن شابًا من أصحابه خطب ابنةً لصديق لأبى أحمد ، فلمّا حضر وقت عقد النكاح امتنع الشاب واستحيا من ذلك الرجل الذى كان يزوّجه بابنته ، فلما رأى ذلك أبو أحمد قال : ياسبحان الله يزوّج رجل بكر يمته فتمتنع عليه ، فاعقدوا النكاح على أبى أحمد وقبّل رأس أبى أحمد ، قال : ما علمتُ أن لى عند الله تعالى من المقدار أن يكون لى مثلك ختن ، وما علمت أن لابنتى عند الله تعالى من المقدار أن يكون لها مثلك زوجٌ .

قال أبو سعيد : بقيتْ عنده ثلاثين سنة وهى بكرٌ ، أو كما قال .

وحُكى عن محمد بن علىّ القصّار ، رحمه الله تعالى ، أنه كان له أهل وولدٌ ، وكانت له بُنية ، وكان جماعة من أصدقائه عنده يوماً فصاحت الصبيّة يا رب السماء نريد العِنَب ، فضحك محمد بن علىّ وقال : قد أدبتُهم بذلك حتى إذا احتاجوا إلى شىء يطلبون من الله تعالى ولا يطلبون منى .

وسمعت الوجيهى يقول : كان لِبُنان الحمّال رحمه الله تعالى أولاد ، فربما كان يجىء ابنهُ ويقول : ياأبى ، أريد خبزاً ، وكان يصفعه ويقول : مُرّ كدَّ مثل أبيك وقال : وجاء يوماً فقال : ياأبى ، إنى أريد مِشمشاً ، قال : فأخذ بيده وجاء به إلى من يبيع المشمش وقال له : ادفع إليه مشمشاً بقيراط حتى أصيح على مشمشك إلى أن تبيعه ، فدفع إليه الرجل ، ووقف بنان يصيح : ياأيها الناس اشتروا من هذا الصغير الغذاء الذى يفنى ولا يبقى ، فما لبث طويلا حتى باع الرجل مشمشه كله

وحُكى عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى أنه قال : إذا تزوج الفقير فمثله مثل رجل قد ركب السفينة ، فإذا وُلد له قد غرق ، وهذه الحكاية تُعرف لسفيان الثورى رحمه الله تعالى .

وحُكى عن بشر بن الحارث ، رحمه الله تعالى ، أنه قال : لو دفعتُ إلى الاهتمام بمؤنة وحاجة ما أمِنتُ على نفسى أن أصبح شُرْطيًّا ، وكان لأبى شُعيب البراثى كوخٌ ، فمرّت به امرأة من أبناء الدنيـــا فقالت له : إنى أريد أن أتزوّج بك وأخدمك ، فخرجت من جميع ما كانت تملكه ، وتزوّج بها أبو شعيب ، فلمّا أرادت أن تدخل الكوخ نظرت إلى قطعة خُصّاف فقالت : ما أنا بداخلة حتى تُخرجها ، أليس سمعتُك تقول : تقول الأرض لابن آدم تجعل [اليوم] بينى و بينك شيئاً وأنت غداً فى بطنى ؟ فما كنتُ لأجعل بينى و بينك حجاباً ؛ فأخذ الخصّاف وأخرجها فرمى بها ، ثم قال : ادخلى ، فدخلتْ ، فمكثا يتعبدان فى ذلك المكان سنين كثيرة ، حتى توفّيا وهما على تلك الهيئة .

قال الشيخ رحمه الله : وليس من آداب من تزوّج ، أو كان له ولدٌ ، أن يَكلَ أمرَ عياله إلى الله تعالى ، ويجب عليه أن يقوم بفرضهم ، إلا أن يكونوا مثله فى الحال ، وليس من آدابهم أن يتزوّجوا ذوات اليسار ، و يدخلوا فى رِفق نسائهم ، ومن أدب الفقير أن يتزوّج بفقيرة مُقِلّة ، وأن يُنصفها ، و إن رغبت فيه امرأة غنيّة أن لا يرتفق منها .

وحُكى عن فتح الموصلى ، رحمه الله تعالى ، أنه أخذ يوماً صبيًّا له فقبّله ، قال فتح : سمعتُ هاتفاً يقول : يا فتح، ألا تستحيى أن تحب معنا غيرنا ؟ قال : فما قبّلت ولداً لى بعد ذلك .

فإن قال قائل قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم أولاد وكان يقبّلهم و يعانقهم و يضمهم إلى صدره ، وقال الأقرع بن حابس لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله،

لى عشرة من الولد ما قبلتُ واحداً منهم ، فقال صلى الله عليه وسلم : من لا يَرْحَم لا يُرْحَم ، يقال لقائل هذا القول : قد أبعدت القياس ، لأن النبى عليه الصلاة والسلام إمام الخلق إلى يوم القيامة ، ومصحوبُهُ العصمة وقوّة النبوّة وأنوار الرسالة فى جميع الأشياء ، لا تأخذ منه الأشياء ، ولا يكون فى الأشياء بحظه : لأن جميع حركاته تأديبٌ للغيْر من أُمته ، وهؤلاء ليس لهم تلك القوة ولا ذلك التخصيص ، وإذا لاحظهم بعنايته يغار عليهم أن يَدَعَهم أن يلتفتوا بخواطرهم إلى من سواه .

باب فى ذكر آدابهم فى الجلوس والمجالسة

قال الشيخ رحمه الله تعالى : حُكى عن سَرِىّ السقطى رحمه الله تعالى أنه كان يقول : الجلوس فى المساجد حوانيت ليس لها أبواب .

وسُئل سَرِىّ عن المروءة ، فقال : صيانة النفس عن الأدناس ، وإنصاف الناس فى المجالسة، فإن زاد كان متفضلا .

وقال بعض المشايخ : الفقير ينبغى له أن تكون سجّادته على أليتيه ، يعنى من كثرة الجلوس .

وحُكى عن أبى يزيد رحمه الله أنه قال : قمت ليلةً أصلّى ، فعييت ، فجلست ومددت رجلى ، فسمعت هاتفاً يقول : من يجالس الملوك ينبغى له أن يُحسن الأدب .

وعن إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى أنه قال : تربّعتُ مرة فهتف بى هاتفٌ هكذا تجالس الملوك ؟ فما تربّعت بعد ذلك أبداً .

وقال إبراهيم الخوّاص رحمه الله تعالى : رأيت فقيراً له جِلْسة حسنة ، فتقدمت إليه ومعى دراهم ، فصببتها فى حجْره ، فقال : اشتريت هذه الجلسة بمائةِ ألف درهم، تريد أن أبيعها بهذا ؟ .

وقال يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى : مجالسة المخالفين تُعمى الروح، ورؤية الأضداد تمنع الذوق .

وسمعت الوجيهى يقول : رأيت ابن مملولة العطار الدينورى ، وقد تبرّم بجليس له ، فقلتُ : تجالس مثل هذا ؟ فقال ابن مملولة : لا تمكن مفارقته :

ويقال : إذا أشكل عليك أمرُ أخيك فاعتبرْه بجليسه .

قالْ : وكان حسن القزّاز رحمه الله تعالى له أخَذٌ فكان يكثر الجلوس بالليل ، فسئل عن ذلك ، فقال : بُنى هذا الأمر على ثلاثة أشياء : أن لا نأكل إلا عن فاقة ، ولا نتكلم إلا عن ضرورة ، ولا ننام إلا عن غلبة .

وقال جعفر : كان الجُنَيد رحمه الله تعالى يقول : لو علمت أن صلاة ركعتَين أفضل من جلوسى عندكم ما جالستُكم .

باب فى ذكر آدابهم فى الجوع

قال الشيخ رحمه الله تعالى : قال يحيى بن مُعاذ رحمه الله تعالى : لو علمت أن الجوع يباع فى السوق ما كان ينبغى لطلاّب الآخرة إذا دخلوا السوق أن يشتروا غيره .

وقال : الجوع على أربعة أوْجُه : للمريدين رياضةٌ ، وللتائبين تجربةٌ ، وللزهّاد سياسةٌ ، وللعارفين مكرمةٌ .

قال : وكان سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى كلما جاع قوى ، وإذا أكل شيئاً ضعف .

وقال سهل رحمه الله تعالى : إذا شبعتم فاطلبوا الجوع ممن ابتلاكم بالشبع ، وإذا جعتم فاطلبوا الشبع ممن ابتلاكم بالجوع وإلا تماديتم وطغيتم .

وقال أبو سليمان رحمه الله : الجوع عنده فى خزائن مدّخرة لا يعطيه إلا لمن يحبه خاصة

وسمعت ابن سالم يقول كلاماً فى معنى أدب الجوع : أن لا يَنقص من عادته إلا مثل أذْنَى السِّنَّوْر ، فقلت له : قد حكيتَ بالأمس ، وقيل ذلك عن سهل بن عبد الله ، رحمه الله تعالى ، أنه كان لا يأكل الطعام نَيِّفاً وعشرين يوماً ، فقال : كان سهل رحمه الله تعالى لا يترك الطعام ، ولكن كان الطعام يتركه ، إنه كان يَرِدُ على قلبه ما يأخذه ويشغله عن أكل الطعام .

وسمعت عيسى القصّار رحمه الله يقول : من أدبِ الجوع أن يكون الفقير معانقاً للجوع فى وقت الشبع ، حتى إذا جاع يكون الجوع أنيسه .

وسمع شيخ من المشايخ رجلا من الصوفية يقول : أنا جائع . فقال له : كذبت ، فقيل له : لِمَ قلت ذلك ؟ فقال : لأن الجوع سِرٌّ من سِرّ الله تعالى ، موضوع فى خزائن من خزائن الله تعالى ، لا يضعه عند من يُفشيه .

قال : ودخل [رجلٌ] من الصوفية على شيخ، فقدم إليه طعاماً ، فأكله، فقال له: مذ كم لم تأكل الطعام ؟ قال : مذ خمس ، فقال : ليس بك جوع الفقر ، جوعك جوع بخل ، عليك ثيابٌ وأنت تجوع ؟ أو كما قال .

باب فى ذكر آداب المرضى فى مرضهم

قال الشيخ رحمه الله تعالى : سمعت بعض أصحاب ممشاذ الدينورى يحكى عن ممشاذ رحمه الله تعالى : أنه اعتلّ علةً شديدةً ، فدخل عليه أصحابه عائدين له ، فقالوا : كيف تَجِدك ؟ قال : لاأدرى ، ولكن سَلوا العلة كيف تجدُنى ، فقالوا له : كيف تجد قلبك ؟ فقال : قد فقدتُ قلبى منذ ثلاثين سنة .

وسمعت محمّد بن معبد البانياسى يقول : رأيت الكرْدى الصوفى رحمه الله تعالى ، وقد اعتلّ ، فعيدَ ستّة أشهر ، وكان قد وقع الدود فى موضع من بدنه ، فإذا وقع منها دودةٌ ردّها إلى موضعها .

ودخل ذو النون على مريض من أصحابه يعوده فقال [له] : ليس بصادق فى حُبّه من لم يصبر على ضرْبه ، فقال المريض : ليس بصادق فى حبّه من لم يتلذّذ بضربه .

وكان سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى ، إذا مرض أحد من أصحابه يقول له : إذا أردتَ أن تشتكى فقلْ : أوه ، فإنّه اسم من أسماء الله تعالى ، يستَرْوح إليه المريضُ ، ولا تقلْ له : أوخ ، فإنه اسم من أسماء الشيطان .

وسمعت أبا بكر أحمد بن جعفر الطوسى بدمشْق يقول : كان بأبى يعقوب النّهْرجورى رحمه الله تعالى : وجعٌ فى بطنه سنين ، وكانت نخسه فى جوفه ، وكان يقول : أعرف دواءه بقيراط فضّة يذهب بهذه العلة ، ولكن لا يداويه ، إلى أن خرج من الدنيا ، فسألتُ عن ذلك بعض المشايخ فقال : كان الكَىّ ، فكان لا يداويه من أجْل النّهْى .

ومرض الثّوْرى رحمه الله تعالى ، مرضه ، فتخلف عن عيادته رجل من أصحابه ، ثم أتاه فجعل يعتذر إليه ، فقال له : لاتعتذر ، فقلّ من اعتذر إلا كذب .

وكان بسهل ابن عبد الله رحمه الله تعالى : البواسير الظاهرة ، فكان يحتاج أن يتوضأ لكل صلاة ، وكان يقول: أعرف له دواء بقبراط ، ولم يداوه إلى أن خرج من الدنيا ، فسألتُ عن ذلك فقالوا : كان لا يداويها حتى لاتنكشف عورته ولا ينظر إلى عورته أحد .

ويقال : إن بِشْراً الحافى رحمه الله تعالى : مرض مرضه ، فدخل عليه الطبيب ، فأخذ بشر يصف للطبيب ما به ، فقيل له : يا أبا نصر ، أما تخشى أن تكون هذه شكايةً ، فقال : لا ، إنّما أخبره بقدرة القادر [علىّ] .

ووجدتُ فى كتاب أظنُّه بخط جعفر الخُلْدى رحمه الله قال : اعتل الجُنَيْد رحمه الله تعالى : علة شديدةً ، فكان يقول : ليس إلا ما قال ذو النون رحمه الله تعالى : يا من يشكر ما يَهَبُ هبْ لنا ما نشكر ، وربمّا كان يقول: هذا غذاؤهم من كل شىء يحضره .

باب فى آداب المشايخ ورفقهم بالأصحاب وعطفهم عليهم

قال الشيخ رحمه الله تعالى : حُكى عن الجُنيْد ، رحمه الله تعالى ، أنه كان يقول لأصحابه : لو علمتُ أن صلاة ركعتين أفضلُ من جلوسى معكم ما جلست عندكم .

وحُكى عن بشر الحافى ، رحمه الله تعالى ، أنه قد كان تعرّى فى يوم شديد البرد وهو ينتفض ، قلنا له : يا أبا نصر ما هذا ؟ فقال : ذكرتُ الفقراء وأن ليس لهم شىء ، ولم يكن لى ما أواسيهم به ، فأحببتُ أن أواسيهم بنفسى .

وسمعت الدُّقى يقول : كنت بمصر ، وكنا فى المسجد جماعة من الفقراء جُلوس ، فدخل الزقاق ، فقام عند أسطوانة يركع ، فقلنا : يفرغ الشيخ من صلاته ونقوم ونسلم عليه ، فقام وجاء إلينا ، وسلم علينا ، فقلنا : نحن كنا أولى بهذا من الشيخ، فقال : ما عذب الله تعالى قلبى بهذا قط .

وسمعت الوجيهى يقول : سمعت الجريرى يقول : وافيتُ من الحج ، فابتدأتُ بالجنيد رحمه الله تعالى وسلمت عليه ، وقلت : حتى لا يتعنّى ، ثم أتيتُ منزلى ، فلما صليت الغداة التفتُّ فإذا بالجنيد رحمه الله تعالى : خلفى ، فقلت : يا سيدى ، إنما ابتدأت بالسلام عليك لكى لا تعنى إلى هاهنا ، فقال لى : يا أبا محمد ، هذا حقك، وذاك فضل لك .

وقال أبو سعيد بن الأعرابى : كان شاب يعرف بإبراهيم الصايغ ، وكان لأبيه نعمة ، فانقطع إلى الصوفية ، وصحب أبا أحمد القلانسى ، فربما كان يقع بيد أبى أحمد شىء من الدراهم فكان يشترى له الدُّقاق والشواء والحلواء ويؤثره عليه .

وعن جعفر الخلدى قال : [دخل] رجل إلى الجُنَيْد رحمه الله تعالى ، فأراد أن يخرج من مِلْكه كلّه ويجلس معهم على الفقر ، قال : فسمعت الجنيد رحمه الله تعالى يقول له : لا تُخْرج كل ما معك ، احبسْ مقدار ما يكفيك ، ، وأَخْرج الفضل ، وتقوّتْ بما حبست ، واجتهدْ فى طلب الحلال ، لاتُخْرج كلما عندك ، فلستُ آمَنُ عليك أن تطالبك نفسك والنبيّ صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أن يعمل عملا أثبته .

سمعت الوجيهى يقول : سمعت أبا على الروذبارى رحمه الله تعالى يقول : كنّا فى البادية جماعة ، ومعنا أبو الحسن العطوفى ، فربما كانت تلحقنا الفاقة وتُظلم علينا الطريق فكان أبو الحسن يصعد تلاً ويصيح صياح الذئاب حتى يسمع كلاب الحى فينبحون ، فيمر على صوتهم ، ويحمل إلينا من عندهم معونة .

وقال أبو سعيد الخرّاز رحمه الله تعالى : دخلتُ الرَّمْلة ، فذهبت إلى أبى جعفر القصاب ، فبتُّ عنده ، ثم خرجت من الرملة إلى بيت المقدس ، فجاء إلى بيت المقدس خلفى وقد حمل معه كُسَيْرات وقال : اجعلنى فى حِلّ . كانت هذه فى البيت ولم أدْرِ .

باب فى ذكر آداب المريدين والمبتدئين

قال الشيخ رحمه الله تعالى : وجدت فى كتاب أبى تراب النّخشبى ، رحمه الله ، الحكمة جندٌ من جنود الله تعالى يُقوى بها آداب المريدين .

وحُكى عن الجُنَيْد ، رحمه الله تعالى ، أنه قد سأله بعض الفقراء أو بعض الشيوخ ، فقال له : ياسيدى ، ما للمريدين فى مجاراة الحكايات ؟ فقال : الحكايات جندٌ من جنود الله تعالى ، يُقوى بها قلوب المريدين . قال : فقلت: هل فى ذلك شاهد من كتاب الله تعالى ؟ فقال : نعم ، قال : « وكلا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرسُلِ ما نُثَبِّتُ بِهِ فؤَادَكَ »[1] وقال يحيى: الحكمة مِرْوَحة قلوب المريدين تروّح عنها وهج الدنيا .

وحُكى عن مِمْشاذ الدينورى ، رحمه الله تعالى ، أنه كان يقول : إن عينى لتقر بالفقير ، [الصادق] وإن قلبى ليفرح بالمريد المتحقق . وقال أبو تراب رحمه الله تعالى : رياء العارفين إخلاص المريدين .

وقال أبو على ابن الكاتب رحمه الله تعالى : إذا انقطع المريد الى الله تعالى : بكليته : أول ما يُفيده الله تعالى الاستغناء به عمن سواه .

وسُئل الشبلى رحمه الله عن المريد إذا وقعت به الحيرة ، فقال : الحيرة من وجهين ، حيرةٌ تقع من شدة خوف اقتراف الذنوب ، وحيرةٌ [تقع من] كشف التعظيم للقلوب .

وقال الشبلى رحمه الله تعالى : كنتُ فى أول بدايتى إذا غلبنى النوم أكتحلُ بالملح ، فإذا زاد علىّ الأمرُ أحميتُ الميل فأكتحلُ به .

وقال أبو سعيد الخراز رحمه الله تعالى : من أدب المريد ، وعلامة صِدْق إرادته،

---

(١) هود : ١٢٠

أن يكون الغالب عليه الرقة والشفقة والتلطف والبذل ، و احتمال المكاره كلها عن عبيده وعن خلقه حتى يكون لعبيده أرضاً يَمْشُوْن عليها ، و يكون للشيخ كالابن البار ، وللصبي كالأب الشفيق ، و يكون مع جميع الخلق على هذا ، يتشكى بشكواهم و يغتم لمصائبهم ، و يصبر على أذاهم ، فإن هذا مراد الله تعالى من المريدين الصادقين: أن يعطفوا على الخلق من حيث عطف الله تعالى عليهم ويتأدبوا بآداب الأنبياء والصدّيقين ، وآداب أوليائه وأحبابه حتى تُرْفع الحُجُب التى بينه و بين الله تعالى ، فما دام هو متمسكا بهذه الآداب ، ومتخلقاً بهذه الأخلاق ، و يكون مستعيناً فى ذلك بالله : متوكلاً على الله عز وجل راضياً عنه .

وقال سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى : شُغْلُ المريد فى قلبه ، إقامة الفرض ، والاستغفار من الذنب ، وطلب السلامة من الخلق .

وسُئل يوسف بن الحسين رحمه الله تعالى : ما علامة المريد ؟ فقال : تركُ كل خليط لايريد مثل مايريد ، و أن يَسْلم منه عدوه كما يسلم منه صديقه ، وعلامة المريد وجدانهُ فى القرآن كل ما يريد ، واستعمال ما يعلم ، وتعلم مالا يعلم وترك الخوض فيما لا يعنيه ، وشدة الحرص على إرادة النجاة من الوعيد مع الرغبة فى الوعد ، والتشاغل بنفسه عن غيره .

وقال أبو بكر البارزى رحمه الله تعالى : إذا سلك المريد الهوْلَ فى أول قدم فلا يبالى ، فإنه لن يلقاه بعد ذلك إلا راحة .

باب فى ذكر آداب من يتفرد ويختار الخلوة

قال الشيخ رحمه الله تعالى : حُكى عن بشر الحافى ، رحمه الله تعالى ، أنه كان يقول : ليتقِ الله تعالى عند [خلواته] ، وليَلْزم بيته ، وليَكن أنيسَهُ الله عزّ وجلّ وكلامُهُ .

سمعت الدقى يقول : سمعت الدرّاج يقول : كان أبو المسيب رجلا كبيراً ، وكان يتفرد فى المساجد الشعثة ، فصادفتهُ ليلة فى مسجد ، فقلت له : من أين أنت ؟ فقال لى : أنا من كل مكان ، فقلت : من كان من كل مكان فأيشَ علامته ؟ قال : لا يستوحش من شىء ، ولا يستوحش منه شىء ، قال : فحملتُ إليه الشبلى رحمه الله تعالى ، فنظر إليه ، وقال : ليس هذا من دواب الإصطبل والا فأينَ سِمَتُهُ ؟ قال : فصاح الشبلى رحمه الله تعالى ، ولطم وجهه ، وهام وهو يقول : صدق والله ، إن كان من دواب الاصطبل فأين سمته ؟

وسُئل الجُنَيْد رحمه الله تعالى عن الخلوة ، فقال : إن السلامه مصاحبة لمن[1] طلب السلامة فترَك المخالفة وترك التطلع إلى ما أوجب العلم مفارقته .

وحكى عن أبى يعقوب السوسى ، رحمه الله تعالى ، أنه قال : الانفراد لا يقوى عليه إلا الأقوياء من الرجال ، ولأمثالنا الاجتماع أنفع ، يعملون[2] بعضهم برؤية بعض .

وسمعت أبا حفص عمر الخياط رحمه الله تعالى يقول يقول : رأيت أبا بكر بن المعلم رحمه الله تعالى بأنطاكية [يقول] : طولبتُ شهادة أن لا إله إلا الله بعد ستين سنة ، فَسُئِلَ عن ذلك فقال : كنت ستين سنة أدعو الخلق إلى الله تعالى ، فلما انفردتُ ودخلتُ اللُّكَامَ إذا أردتُ أن أقوم إلى أورادى التى كانت عادتى بين الناس لم يتهيأ لى ، فوقع فى قلبى أنى ما آمنت بالله تعالى بعدُ فجددت إيمانى ،

(١) قوله : لمن . الأصح أن يقال : من .

(٢) قوله يعملون . لعل الصواب : يعلمون .

وأقمتُ هناك عشر سنين حتى صفا لى فى الخلوة أورادى كما كانت تصفو لى فى الأوقات التى كنت بين المعارف .

وحُكى عن إبرهيم الخواص ، رحمه الله تعالى ، أنه رأى رجلا فى البادية حسن الأدب حاضر القلب ، فسأله ، فقال : كنت أعمل بين الناس والمعارف فى التوكل والرضا والتفويض ، فلما فارقتُ المعارف لم يبق معى من ذلك ذرّة ، فجئت حتى أطالب نفسى ها هنا بدعاويها إذا انفردت عن المعلومات والمعارف .

باب فى ذكر آدابهم فى الصداقة والمودّة

قال الشيخ رحمه الله تعالى : قال ذو النون رحمه الله تعالى : ما بَعُدَ الطريق إلى صديق ، ولا ضاق مكان من حبيبٌ . وسمعت أبا عمرو إسماعيل بن نُجَيْد يقول : سمعت أبا عثمان يقول : لاتثقْ بمودة من لا يحبك إلا معصوماً .

وفيما حكى جعفر الخُلدى عن ابن السماك رحمه الله تعالى ، أنه قال له صديقٌ : الميعاد بينى و بينك غداً نتعاتب ، فقال له ابن السماك رحمه الله تعالى : [بل] بينى و بينك غداً نتغافر ، ويقال : إن كل مودة يزداد فيها باللقاء فهى مدخولة فى المودات .

وسئل عن حقيقة المودة فقال : هى التى لا تزداد بالبر ولا تنقص بالجفاء . وهذه الحكاية عن يحيى بن مُعاذ الرازى رحمه الله تعالى . وقال بعضهم : الإعراض عن الصديق إبقاء على المودة .

قال أبو العباس بن مسروق رحمة الله تعالى ، فيما بلغنى : وفى هذا سنة عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله لأبى هُرَيرة رضى الله عنه : زُرْ غِبًّا تزدد حبا وقيل ٢٢٨
ليحيى بن معاذ رحمه الله تعالى : كيف حالك ؟ فقال : كيف حالُ من يكون عدوه داؤه وصديقه بلاؤه ؟

وقال الجنَيد رحمه الله تعالى : لقد كنت أرى أقواماً تجزينى منهم النظرةُ فهى زادى من الجمعة إلى الجمعة .

وقال بعض المشايخ : إذا صح لى مودة أخ فلا أبالى متى لقيتهُ .

وعن النورى ، رحمه الله تعالى ، أنه قال : الصديق لا يحاسَبُ بشىء ، والعدو لا يُحتسَب له شىء .

وقال الجُنَيْد رحمه الله تعالى : إذا كان لك صديق فلا تسؤْهُ فيك بما يكرهه .

وعن جعفر الخُلْدى قال : سمعت أبامحمد المغازلى رحمه الله تعالى يقول : من أراد أن تدوم له المودّة فليحفظ مودة إخوانه القدماء .

باب فى ذكر آدابهم عند الموت

قال الشيخ رحمه الله تعالى : بلغنى عن أبى محمد المروى ، رحمه الله تعالى أنه قال : مكثتُ عند الشبلى ، رحمه الله تعالى ، ليلة غداة التى مات فيها ، فكان يقول طول الليل هاتين البيتين :

كُلُّ بَيْتٍ أَنْتَ سَاكِنُهُ غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَى السُّرُجِ
وَجْهُكَ المَأْمُولُ حُجَّتُنَا يَوْمَ يأتى الناسُ بالحُجَجِ

وحُكى عن ابن الفَرَجى ، رحمه الله تعالى ، أنه قال : رأيت حول أبى تُراب النخشبى رحمه الله تعالى ، أصحاب مائة وعشرين ركوة ، فما مات منهم على الفقر إلا نفسان قال بعضهم : أحدهما ابن الجلاء ، والآخر أبو عُبَيْد البُسْرى .

وورد على قلب ابن بُنان المصرى ، رحمه الله شىء ، فهام على وجهه ، فلحقوه فى وسط متاهة بنى إسرائيل فى الرمل ، ففتح عينيه ، ونظر إلى أصحابه ، وقال : ارتعْ فهذا مَرْتَعُ الأحباب ، وخرجتْ روحه . هذه الحكاية عن الوجيهى .

وسمعت الوجيهى ، رحمه الله تعالى ، يقول : سمعت أبا علىّ الروذبارى ، رحمه الله تعالى يقول : دخلتُ مصر ، فرأيت الناس مجتمعين ، فقالوا : كنَّا فى جنازة فتًى سمع قائلا يقول :

كَبُرَتْ هِمَّةُ عَبْدٍ طَمِعَتْ فى أن يراكا

فشهق شهقةً فمات .

وسمعت بعض أصحابنا يقول : قال أبو زيد رحمه الله عند موته : ما ذكرتُك إلا عن غفلة ، ولا قبضتَنى إلا عن فترة .

وحُكى عن الجُنَيْد ، رحمه الله تعالى ، أنه قال : جلست عند أستاذى ،

ابن الكُرَّينى ، رحمه الله تعالى ، عند موته ، فنظر إلى السماء ، فقال : بَعُدَ . فطأطأتُ رأسى إلى الأرض ، فقال : بَعُدَ : يعنى إنه أقربُ إليك من أن تنظر إلى السماء ، أو إلى الأرض ، وتشير إليه بذلك .

وقال الجَريرى رحمه الله تعالى : حضرتُ وفاة أبى القاسم الُجنَيْد رحمه الله تعالى ، فلم يزل ساجدا ، فقلت له : يا أبا القاسم ، أليس بلغتَ هذا المكان وبلغ منك ما أرى من الجهد لو استرحتَ ؟ فقال لى : يا أبا محمد ، أحْوَجُ ما كنتُ إليه هذه الساعة ، فلم يزل ساجداً ، حتى فارق الدنيا ، وأنا حاضره .

وقال بكران الدينورى ، رحمه الله تعالى : حضرتُ وفاة الشبلى : رحمه الله تعالى، فقال لى : على قلبى درهمٌ مظْلِمة ، تصدّقتُ عن صاحبه بالسوق ، فما علىَّ شغلٌ أعظم من ذلك ، ثم قال : وضئنى للصلاة ، ففعلتُ ذلك ، فنسيت تخليل لحيته ، وقد أُمسِكَ لسانهُ ، فقبض على يدى فأدخلتها فى لحيته ، ومات .

وكان سبب وفاة أبى الحسين النورى، أنه سمع بهذا البيت :

لازِلْتُ أَنْزِلُ مِنْ وِدادِكَ مَنْزِلا * تَتَحَيَّرُ الألْبَابُ عِنْدَ نُزُولِهِ

فتواجد ، وهام فى الصحراء ، فوقع فى أَجَمة قَصَب قد قطعت ، وبقيت أصولها مثل السيوف ، فكان يمشى عليها ، ويعيد البيت إلى الغداة ، والدم يسيل من رجلَيْه ، ثم وقع مثل السكران ، فورمت قدماه ، ومات رحمه الله تعالى ، وسمعت الدقى يقول : كنا عند أبى بكر الزقاق ، رحمه الله تعالى غداة ، فكان يقول : اللهم كم تُبقينى هاهنا ؟ فما بلغ الأولَى حتى مات .

وكان سبب موت ابن عطاء ، رحمه الله تعالى ، أنه أدخل على الوزير ، فكلمه الوزير بكلام غليظ ، فقال ابن عطاء : ارفقْ يا رجل ، فأمر بضرب خُفّه على رأسه ، فمات فيه .

ومات إبراهيم الخوّاص رحمه الله تعالى ، فى جامع الرىّ ، وكانت به علّة الجوف، فكان إذا قام مجلساً يدخل الماء ، ويغسل نفسه ، فدخل الماء مرةً فخرج روحه ، وهو فى وسط الماء .

وقال أبو عمران الإصْطخْرى ، رحمه الله تعالى : رأيت أبا تُراب النَّخْشَى ، رحمه الله تعالى فى البادية ، قائماً ميتاً لا يمسكه شىء.

وسمعت أبا عبد الله أحمد بن عطاء يقول : سمعت بعض الفقراء يقول : لمّا مات يحيى الإصْطخْرى ، رحمه الله تعالى ، جلسنا حوله ، فقال له رجل منّا : قل أشهدُ أن لا إله إلا الله ، فجلس جالساً ، ثم أخذ يد واحدٍ ، فقال : قل أشهد أن لا إله إلا الله وخلى يده ، وأخذ بيد الآخر الذى بجنبه ، وقال : قل أشهد أن لا إله إلا الله وخلّى يده ، وأخذ بيد الآخر الذى بجنبه ، حتى عرض الشهادة على كل واحد منّا ، ثم استلقى على قفاه ، وخرج روحه .

وقيل للجنَيْد : كان أبو سعيد الخراز ، رحمهما الله تعالى ، كثيراً ما كان يتواجد عند الموت ، فقال الجنيد رحمه الله : لم يكن بعجب أن تكون تطير روحه إليه اشتياقاً .

فهذا ما حضرنى فى الوقت من آدابهم ، والذى لم نذكره أكثر وبالله ، التوفيق .

كتاب المسائل واختلاف أقاويلهم فى الأجوبة

قال الشيخ رحمه الله تعالى : أذكرُ طرفاً من اختلافهم فى مسائل ، تفرّدوا بها ، بأجوبة شتى ، ببيان ما يُشكل من ذلك على العلماء والفقهاء ، وسائر الناس من أهل الظاهر ، الذين ليس هذا من شأنهم .

مسألة فى الجمع والتفرقة .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : الجمع والتفرقة اسمان ، فالجمع جَمعُ المتفرّقات ، والتفرقة تفرقة المجموعات ، فإذا جمعتَ قلت : الله ولا سواه ، وإذا فرّقت قلت : الدنيا والآخرة والسكون ، وهو قوله « شَهِدَ اللهُ أنَّهُ لاَ إلٰهَ إلا هُو »[1] فقد جمع ثم فرق فقال : « وَالْمَلائِكَةُ ، وأولوا الْعلم قَائِمَاً بِالْقسْطِ » كذلك قوله « قولُوا آمنّا بالله »[2] ، وقد جمع ثم فرق ، فقال : « وما أُنْزِل إلينا وما أُنزِلَ إلى إبراهِيم » الآية ، فالجمع أصلٌ والتفرقة فرعٌ ، فلا تُعْرف الأصول إلا بالفروع، ولا تثبت الفروع إلا بالأصول ، وكلّ جمع بلا تفرقة فهو زندقة ، وكلّ تفرقة بلا جمع فهو تعطيل .

وقد تكلّم فى معنى الجمع والتفرقة ، المشايخ المتقدّمون فقال أبو بكر عبد الله بن طاهر الأبهَرَى ، رحمه الله تعالى ، وسئل عن ذلك فقيل له : إلى ما ذا أشار القوم إلى معنى الجمع والتفرقة ؟ فقال : « أشار قوم إلى أن جَمْعهم فى آدم عليه السلام ، وفرّقهم فى ذريّته » . وأشار قوم إلى أن جمعهم فى المعرفة ، وفرقهم فى الأحوال .

وللجُنَيْد فى معرفة الجمع والتفرقة :

فَتحققْتكَ فى سِرّى فناجاكَ لِسانى فاجْتَمعْنا لِمَعانٍ وافْترَقْنا لِمَعانى
إنْ يَكنْ غَيّبكَ التّعْظيمُ عن لحظِ عِيانى فَلَقدْ صَيّرَكَ الوَجْدُ من الأحْشاءِ دانى

---

(١) آل عمران : ١٨ (٢) البقرة : ١٣٦

وقال ، أظنه النورى ، : الجمع بالحق تفرقةٌ عن غيره ، والتفرقة عن غيره جمعٌ به ، وقال غيره : الجمع اتّصال ، لا يشهد الإنابة متى يشهد الإنابة ، فما وصل والتفرقة شهود ؟ لمن شاهد المباينة وقال قوم : لا مجموع بحقّ إلا مفرقا عن نعت ، ولا مجموع بنعت إلا مفرقا عن حق ، وهما متنافيان ، لأن الجمع بالحق خروج عن حُجته ! وتفرقتُها ، والجمع بالحق حجْبٌ بالحق وتفرقةٌ عنه ، وقال قوم : « الجمع ما جمع البشرية فى شهود البشرية ، والتفرقة ما فرّقها عن تقسيم الرسوم»

وقد ذهب الجُنَيْدُ ، رحمه الله تعالى ، إلى أن قرْبه بالوجد جمعٌ ، وغيبته فى البشرية تفرقةٌ .

وقال أبو بكر الواسطى ، رحمه الله : « إذا نظرتَ إلى نفسك فرّقت ، وإذا نظرت إلى ربّك جمعت ، وإذا كنت قائماً بغيرك فأنت ميّت » وهـذه أحْرف مختصرة فى معنى الجمع والتفرقة ولمن يتدبّر فى فهمه إن شاء الله تعالى .

مسألة فى الفناوالبقاء ، قال الشيخ ، رحمه الله تعالى ، سئل أبو يعقوب النهرجورى ، عن صحة الفناء والبقاء ، فقال : هو فناء رؤية قيام العبد لله عزّ وجلّ ، وبقاء رؤية قيام الله تعالى فى أحكام العبودية .

وسئل أبو يعقوب ، رحمه الله تعالى ، عن صحة علم الفناء والبقاء ، قال : تصحبه العبودية فى الفناء والبقاء ، واستعمال علم الرضا ، ومن لم تصحبه العبودية فى الفناء والبقاء ، فهو مدّعٍ .

قال الشيخ رحمه الله تعالى ، الفناء والبقاء اسمان ، وهما نعتان لعبدٍ موحِّد ، يتعرّض الارتقاء فى توحيده من درجة العموم ، إلى درجة الخصوص . ومعنى الفناء والبقاء فى أوائله ، فناء الجهل ببقاء العلم ، وفناء المعصية ببقاء الطاعة ، وفناء الغفلة ببقاء الذكر ، وفناء رؤيا حركات العبد لبقاء رؤيا عناية الله تعالى فى سابق العلم .

وقد تكلم فى ذلك المشايخ المتقدّمون ، فقال سُمنون رحمه الله تعالى : العبد فى حال الفناء محمول وفى حال الحمل مورود ، وهى نعوت تؤدى إلى نعوت . وقال : أول مقامات الفناء الوجود والمشاهدات للبقاء .

وقال أبو سعيد الخراز ، رحمه الله تعالى ، فى معنى قوله « وما بِكُمْ من نعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ »[1] قال : « أخلاهم فى أفعالهم من أفعالهم ، وهو أول حال الفناء » .

وعن جعفر الخلدى ، قال : سمعت الجُنَيد رحمه الله تعالى ، يقول ، وسئل عن الفناء فقال : « إذا فنى الفناء عن أوصافه ، أدرك البقاء بتمامه » قال : وسمعت الجنيد رحمه الله تعالى يقول ، وقد سئل عن الفناء ، فقال : « استعجام كلك عن أوصافك ، واستعمال الكل منك بكليتك » .

وقال ابن عطاء : « من لم يفن عن شاهد نفسه بشاهد الحق ، ولم يفن عن الحق بالحق ، ولم يغِبْ فى حضوره عن حضوره ، لم يقع بشاهد الحق » .

وقال الشِبلى رحمه الله تعالى : « من فنى عن الحق بالحق ، لقيام الحق بالحق ، فنى عن الربوبية ، فضلاً عن العبودية » وقال ، أظنه رُوَيْم ، رحمه الله تعالى ، وقد سئل عن الفناء والبقاء ، فقال : « أول علم الفناء ، هو النزول فى حقائق البقاء ، وهو الأثرة لله تعالى على جميع ما دونه ، وتفقدُ كل حال معه حتى يكون هو الحظ ، وسقوط ما سواه حتى تفنى عبادتهم لله تعالى بأنفسهم ، ببقاء عبادتهم لله بالله ، وما بعد ذلك ، لا يُدركه المقول بالقول ، ولا تنطق به الألسُن .

وقد قال الله تعالى : « كل من عَلَيهاَ فَانٍ »[2] فأول علامة الفانى : ذهاب حظه من الدنيا والآخرة ، بورود ذكر الله تعالى ، ثم ذهاب حظه من ذكر الله تعالى :

---

(١) النحل : ٥٣ (٢) الرحمن : ٢٩

عند حظه بذكر الله تعالى له ، ثم تفنى رؤية ذكر الله تعالى له ، حتى يبقى حظه بالله ، ثم ذهاب حظه من الله تعالى برؤية حظه ، ثم ذهاب حظه برؤية حظه بفناء الفناء وبقاء البقاء .

والكلام فى هذا طويل ، وفيما ذكرناه كفاية إن شاء الله تعالى .

مسألة فى الحقائق :

قال الشيخ رحمه الله تعالى : أخبرنى جعفر قال : سمعت الجُنَيْد رحمه الله تعالى قال : سمعت سَرِيًّا يقول ، وقد وصف أهل الحقائق ، فقال : أكلُهم أكل المرضى ونومهم نوم الغرقى ، وسُئل الجُنَيْد رحمه الله تعالى عن الحقيقة ، فقال : « أذكرُهُ ثم أدَعُ هذا وهذا » وقال أبو تراب رحمه الله تعالى : « علامة الحقيقة البلوى »(١) وقال غيره : « علامة الحقيقة رفع البلوى »(٢) .

حُكى عن رُوَيم رحمه الله تعالى أنه قال : « أتم الحقائق ما قارن العلم » ، سمعت الوجيهى يقول: سمعت أبا جعفر الصَّيْدلانى رحمه الله تعالى يقول : « الحقائق ثلاث ، حقيقة مع العلم ، وحقيقة معها العلم ، وحقيقة تشطح عن العلم » ، وقال أبو بكر الزقّاق رحمه الله تعالى : كنت فى تيه بنى إسرائيل ، فوقع فى قلبى أن علم الحقيقة ، يخالف علم الشريعة ، فإذا بشخص تحت شجرة أم غيلان ، صاح : يا أبا بكر كلّ حقيقة تخالف الشريعة ، فهى كفر » .

وقيل لبعضهم ، وأظنه رُوَيم ، رحمه الله تعالى : ، والله تعالى أعلم ، متى يتحقق العبد بالعبودية ؟ قال : إذا سلم القياد من نفسه إلى ربه ، وتبرأ من حوله وقوته ، وعلم أن الكل له وبه .

---

(١) فى بعض النسخ : التلوين

(٢) فى بعض النسخ : التلوين

وقال رُوَيم رحمه الله تعالى : أصح الحقائق ، ما قارن العلم . وقال الجُنَيْد رحمه الله : أبت الحقائق أن تدع فى القلوب مقالة للتأويلات .

وقال المزين الكبير رحمه الله تعالى : « الذى حصل عليه أهل الحقائق فى حقائقهم ، أن الله تعالى غير مفقود فيُطلَبَ ، ولا ذو غاية فيُدْرَكَ ، فمن أدرك موجوداً فهو بالموجود مغرور ، وإنما الموجود عندنا معرفة حال ، وكشف علم بلا حال » .

وسمعت الحسين بن عبد الله الرازىّ ، رحمه الله تعالى ، يقول: سُئل عبد الله ، ابن طاهر الأبهرى ، رحمه الله تعالى ، عن الحقيقة ، فقال : « الحقيقة كلها علم ، فسئل عن العلم فقال : العلم كله حقيقة » ، وعن الشبلى رحمه الله تعالى ، أنه قال : « الألسنة ثلاثة : لسان علم ، ولسان حقيقة ، ولسان حق ، فلسان العلم ما تأدّى إلينا بالوسائط ، ولسان الحقيقة ما أوصل الله تعالى إلى الأسرار بلا واسطة ، ولسان الحق فليس له طريق » .

وحُكى عن أبى جعفر القروى ، رحمه الله تعالى ، أنه قال : حقيقة الإنسانية أن لا يتأذّى منك إنسان ، لأن حقيقة الاسم فى نفسه : أن يكون كل شىء بك مستأنساً .

وسُئل بعض الصوفية عن حقيقة الوصول ، فقال : ذهاب العقول .

وقال الجُنَيْد رحمه الله تعالى : إن الحقائق اللازمة والقصود القوية المُحْكَمة ، لم تُبق على أهلها سبباً إلا قطعته ، ولا معترَضاً إلا منعته ، ولا تأويلا مُوهما لصحة المراد إلا كشفته ، فالحق عندهم لصحة الحال مجرد ، والجد فى دوام السّير محدد ، على براهين من العلم واضحة ، ودلائل من الحق بيّنة . وقال الواسطى رحمه الله تعالى : « الحقائق المختزنة إذا بدت حجبت الحقائق المستترة » .

مسئلة فى الصدق .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : أخبرنى جعفر الخلدى ، رحمه الله تعالى ، قال :

سمعت الُجنيد ، رحمه الله تعالى ، يقول : ما من أحد طلب أمراً بصدق ، وجدّ إلا أدركه ، وإن لم يدركه الكل أدرك البعض .

قال أبو سعيد الخراز رحمه الله تعالى : « رأيتُ كأن مَلَكين نزلا علىّ من السماء ، فقالا لى : ما الصدق ؟ قلت : الوفاء بالعهد ، فقالا لى : صدقت ، فعرجا إلى السماء ، وأنا أنظرُ إليهما ، يعنى فى النوم » .

وقال يوسف بن الحسين رحمه الله تعالى : « الصدق عندى حُب الانفراد ، ومناجاة الرب جل وعلا ، وموافقة السر والعلانيـة مع صدق اللهجـة ، والتشاغل بالنفس دون رؤية الخلق بعد همة النفس ، وتعلم العلم والاتباع مع تصحيح المطعم والملبس ، وأخذ القوت » .

وسئل حكيمٌ : ما علامة الصادق ؟ قال : « كتمان الطاعة ، قيـل : ما أرْوَحُ الأشياء على قلوب الصادقين ؟ قال : استنشاق عفو الله تعالى ، وحسن الظن بالله تعالى » ، وقال ذو النون ، رحمه الله تعالى : الصدق سيف الله تعالى فى أرضه ، ما وُضع على شىء إلا قطعه » .

وُسُئل حارث ، رحمه الله تعالى ، عن الصدق ، فقال : « مصحوب على جميع الأحوال » ، وقال الُجنَيْد رحمه الله تعالى : « حقيقة الصدق تجرى بموافقة الله تعالى فى كل حال » .

وقال أبو يعقوب رحمه الله : « الصدق موافقة الحق فى السر والعلانية ، وحقيقة الصدق القول بالحق فى مواطن الملـكة » .

وُسُئل آخر عن الصدق ، فقال : « صحة التوجه فى القصد » .

مسألة فى الأصول ، يعنى أصول مذهب القوم .

حُـكى عن الُجنَيْد رحمه الله تعالى ، أنه قال : اتفق أهل العلم ، على أن أصولهم خمس خلال : صيام النهار ، وقيام الليل ، وإخلاص العمل ، والإشراف على الأعمال بطول الرعاية ، والتوكل على الله فى كل حال .

وحُكى عن أبى عثمان رحمه الله تعالى ، أنه قال : أصلنا السكوت والاكتفاء بعلم الله عز وجل . وقال الُجنيد رحمه الله تعالى : « النقصان فى الأحوال ، هى فروع لاتضر ، وإنما يضر التخلف مثقال ذرة فى حال الأصول ، فإذا أحكمت الأصول ، لم يضر نقصٌ فى الفروع » .

وقال أبو أحمد القلانسى ، رحمه الله تعالى : « بُنيتْ أصول مذهبنا على ثلاث خصال : لا نطالب أحداً من الناس بواجب حقنا ، ونطالب أنفسنا بحقوق الناس ، ونلزم أنفسنا التقصير فى جميع ما نأتيه » ، وقال سهل بن عبد الله رحمه الله : أصولنا سبعة أشياء التمسك بكتاب الله تعالى ، والاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأكل الحلال ، وكفُّ الأذى ، واجتناب الآثام ، والتوبة ، وأداء الحقوق » .

وسمعت الحصرى رحمه الله تعالى يقول : « أصولنا ستة أشياء : رفع الحدث ، وإفراد القِدَم ، وهجر الإخوان ، ومفارقة الأوطان ، ونسيان ما علم ، وما جُهل » وقال بعض الفقراء : « أصولنا سبعة أشياء: أداء الفرائض ، واجتناب المحارم ، وقطع العلائق ، ومعانقة الفقر ، وترك الطلب ، وترك الادخار لوقتٍ ثانٍ ، والانقطاع إلى الله تعالى ، فى جميع الأوقات » .

مسألة فى الإخلاص .

سُئل الُجنيد رحمه الله ، عن الإخلاص ، فقال : « ارتفاع رؤيتك ، وفناؤك عن الفعل » .

وقال ابن عطاء : الإخلاص ما تخلص من الآفات .

وقال الحارث المحاسبى رحمه الله تعالى : « الإخلاص إخراج الَخلق من معاملة الله تعالى ، والنفسُ أول الخلق » .

وقال ذو النون رحمه الله تعالى : « الإخلاص ما خلص من العدو أن يُفسده » .

قال أبو يعقوب السوسى رحمه الله : « الإخلاص ما لم يعلم به مَلَكٌ فيكتبه ،

ولا عدو فيفسده ، ولا تُعْجَب النفس به » ، وحُـكى عن سهل بن عبد الله ، رحمه الله تعالى ، أنه قال : « أهلُ لا إله إلا الله كثير ، والخاصون منهم قليل » .

وقال سهل بن عبد الله ، رحمه الله تعالى : « لا يعرف الرياء إلا المخلص » .

وسئل الُجنيد ، رحمه الله تعالى مرة أخرى عن الإخلاص ، فقال : « إخراج الخلق من معاملة الله تعالى ، والنفس أول الخلق » .

وعن بعض المشايخ قال : إذا قال لك قائل ، ما الإخلاص ؟ فقل : إفراد القصد إلى الله تعالى ، وإخراج الخلق من معاملة الله عز وجل ، بترك الحول والقوة مع الله عز وجل .

وعلامة المخلص ، محبة الخلوات لمناجاة الله تعالى ، وقلة التعرف إلى الخلق بعبودية الله عز وجل ، وكراهية علم الخلق فى معاملة الله تعالى .

وسُئل اظنُّهُ ، أبا الحسين النورى رحمه الله تعالى ، عن الإخلاص ، فقال : « ترك الموافقة للخلق » .

مسألة فى الذِكر .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : سمعت ابن سالم يقول ، وسئل عن الذكر ، فقال : « الذكر على ثلاث فذكرٌ باللسان ، فذاك الحسنة بعشرة ، وذكر بالقلب ، فذاك الحسنة بسبعمائة ، وذكر لا يوزن ثوابه ، ولا يُعدُّ ، وهو الامتلاء من المحبة ، والحياء من قربه » . قيل لابن عطاء رحمه الله تعالى ، ما يفعل الذكر بالسرائر ؟ فقال : ذكر الله تعالى ، إذا ورد على السرائر بإشراقه أزال البشرية فى الحقيقة برعوناتها . وقال سهل بن عبد الله ، رحمه الله تعالى : «ليس كل من ادعى الذكر ، فهو ذاكر» وسئل سهل بن عبد الله ، رحمه الله تعالى ، عن الذكر ، فقال : تحقيق العلم بأن الله تعالى مشاهدك ، فتراه بقلبك قريباً منك ، وتستحى منه ، ثم تؤثره على نفسك وعلى أحوالك كلها .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : قال الله عز وجل «فَاذْكُرُوا اللهَ كَذِكْرِكُمْ آباءَكُمْ

أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً »(١) ، ثم قال فى آية أخرى : « اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً »(٢) ، فهو أحصرُ من الأول . ثم قال فى آية أخرى : « فَاذْكُرُونِى أَذْكُرْكُمْ »(٣) ، فصار الذاكرون لله متفاوتين فى ذكرهم ، كتفاوتهم فى المخاطبة لهم فى الذكر . قال وسئل بعض المشايخ عن الذكر ، فقال : « المذكور واحد ، والذكر مختلف ، ومحل قلوب الذاكرين متفاوت » .

وأصل الذكر إجابة الحق من حيث اللوازم .

والذكر على وجهين : فوجهٌ منه : التهليل ، والتسبيح ، وتلاوة القرآن ، ووجهٌ منه : تنبيه القلوب على شرائط التذكير على إفراد الله تعالى ، وأسمائه ، وصفاته ، ونشر إحسانه ، ونفاذ تقديره ، على جميع خلقه ، فذكرُ الراجين على وعده ، وذكرُ الخائفين على وعيده وذكرُ المتوكلين على ما كشف لهم من كفايته وذكرُ المراقبين على مقدار ما طلع عليهم باطّلاع الله تعالى عليهم ، وذكرُ المحبّين على قدر تصفح النَّعْماء .

وسُئل الشبلى رحمه الله تعالى ، عن حقيقة الذكر ، فقال : نسيان الذكر . يعنى نسيان ذكرك لله تعالى ، ونسيان كل شىء سوى الله عز وجل .

مسألة فى الغناء .

سُئل الجنيد ، رحمه الله تعالى : أيما أتمّ ؟ الاستغناء بالله تعالى ، أم الافتقار إلى الله عزوجل ؟ فقال : الافتقار إلى الله عزّ وجل موجب للغنا بالله عز وجل ، فاذا صح الافتقار إلى الله عز وجل ، كمل الغنا بالله تعالى ، فلا يقال : أيهما أتم ؟ لأنهما حالان لا يتم أحدهما إلا بتمام الآخر ، ومن صح الافتقار صح الغناء . قال : وسُئل يوسف بن الحسين رحمه الله تعالى : ما علامة الغنا ؟ قال : « الذى يكون غِناه للدين لا للدنيا » قيل : ومتى يكون الغنىُّ محموداً فى غناه غير مذموم ؟ قال : إذا كان هذا الغنىّ آخذَ الشىء من

---

(١) البقرة : ٢٠٠ (٢) الأحزاب : ٤١ (٣) البقرة : ١٥٢

جهته ، غير مانع عن حقه ، متعاوناً فى كسبه ، على البر والتقوى ، لا متعاوناً فى تجارته على الإثم والعدوان ، ولم يتعلق قلبه بماله دون الله عز وجل ، ولا استوحش لفقده ، ولا استأنس بملكه ، وكان فى غناه مفتقراً إلى الله عز وجل ، وفى فقره مستغنياً بالله تعالى ، ويكون خازناً من خُزّان الله تعالى ، فكان غناه له لا عليه ، فاذا كان بهذه الصفة كان من أهل الفوز والنجاة ، ودخل الجنة بعد الفقراء بخمسمائة عام بخبر
١٤٢ رسول الله صلى الله عليه وسلم . « يدخل فقراء أمتى الجنة قبل أغنيائها بخمسمائة عام » .

وسُئل عمرو بن عثمان المكى ، رحمه الله عن الغنا الذى هو جامعٌ للغنا . فقال : « الغنا عن الغنا ، لأنك إذا استغنيت بالغنا ، كنت محتاجا إليه من أجل استغنائك وإذا كنت غنيا بالله عز وجل لا بالغنا ، تكون مستغنياً عن الغنا ، وغير الغنا » .

وقال الجُنيد ، رحمه الله تعالى : « النفس التى قد أعزها الحق بحقيقة الغنا تزول عنها موافقات الفاقات » .

مسألة فى الفقر .

قال الجُنيد رحمه الله تعالى : « الفقر بحر البلاء ، وبلاؤه كله عز » .

وسُئل عن الفقير الصادق ، متى يكون مستوجباً لدخول الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام ؟ فقال : « إذا كان هذا الفقير ، معاملاً لله عز وجل بقلبه ، موافقاً لله فيما مُنع ، حتى يعُدّ الفقر من الله نعمةً عليه ، يخاف على زوالها كما يخاف على زوال غناه ، وكان صابراً محتسباً مسروراً باختيار الله له الفقر ، صائناً لدينه ، كاتماً للفقر ، مظهراً للإياس من الناس ، مستغنياً بربه فى فقره ، كما قال الله عز وجل : « للفقراء الذين أُحصِرُوا فى سبيل الله »[1] الآية ، فإذا كان الفقير بهذه الصفة يدخل الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام ، ويُكفى يوم القيامة مؤونة الوقوف والحساب ، إن شاء الله تعالى .

---

(١) البقرة : ٢٧٣

وقال ابن الجلاء ، رحمه الله تعالى : « من لم يصحبه الورع فى فقره أكل الحرام النص وهو لا يدرى ».

وسئل الجنيد ، رحمه الله تعالى ، عن أعز الناس ، فقال « الفقير الراضى » .

وقال المزين رحمه الله: حد الفقر ، أن لاينفك الفقير من الحاجة . وقال المزين رحمه الله تعالى : إذا رجع الفقير إلى الله عز وجل ، كان موصوفاً مع العلوم فيتحير فى وجوده ، وقال الجنيد رحمه الله تعالى : « لا يتحقق الإنسان بالفقر حتى يتقرر عنده أنه لا يردُ القيامة أفقرُ منه » .

مسألة فى الروح ، وما قالوا فيه .

قال الشبلى رحمه الله تعالى : « بالله قامت الأرواح ، والأجساد ، والخطرات لا بذواتها » ، وقال الشبلى ، رحمه الله تعالى : « الأرواح تلطفت ، فتعلقت عند لدغات الحقيقة ، فلم تر معبوداً يستحق العبادة ، عن أن تتقرب إلى ذلك الشاهد بغير ذلك المشاهِد ، وأيقنت أن الحدث لا يدرك القديم بصفته المعلولة » .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : ورأيت فى كلام الواسطى ، رحمه الله تعالى ، فى الروح ، فقال : «الروح روحان : روح به حياة الخلق ، وروح به ضياء القلب ، وهو الروح الذى قال الله عز وجل: «وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً من أمرنا»[1]

وسُمى الروح روحاً للطافته ، وإذا أساءت الجوارحُ فى أوقاتها الأدب حُجِبَ الروح عن ملادغات السبب ، قال : وكلما وقع للروح من الملاحظات رقت[2] على الأيام والأوقات [و] عرفت المخاطبات ، وأشارت إلى المعاينات[3] ، وقال الواسطى ، رحمه الله تعالى : « إنما هما شيئان : الروح والعقل ، فالروح لا تُنْدى إلى الروح محبوباً ، ولا العقل يتهيأ له أن يدفع عن العقل مكروهاً » .

---

(١) الشورى : ٥٢
(٢) فى نسخة : ذاب
(٣) فى نسخة : الملاملات

وحُكى عن أبى عبد الله النِّباجى ، رحمه الله تعالى ، أنه قال : إن العارف إذا وصل فكان فيه روحان : روح لا يجرى عليه التغيير والاختلاف ، وروح يجرى عليه التغيير والتلوين .

وقال بعضهم : الروح روحان ، الروح القديمة، والروح البشرية . واحتج بقول النبىّ
صلى الله عليه وسلم: تنام عيناى ولا ينام قلبى ، قال : فظاهره ينام بروح البشرية ، ١٤٣
وباطنه يقظان لا يجرى عليه التغيير ، وكذلك قوله : إنما أُنَسَّى لِأَسُنَّ ، وقد أخبر ١٤٤
أنه لا يُنَسَّى ، وإنما هو خبرٌ عما هو فيه من الروح القديمة ، وكذلك قوله : لستُ ١٤٥
كأحدكم ، إنى أظل عند ربى ، وهو صفة الروح القديمة ، لأنه أخبر عنها بما ليس من وصف الأرواح ،

قال الشيخ رحمه الله تعالى : وهذا الذى قال القائل فى الروح لا يصح ، لأن القديم لا ينفصل من القديم ، والمخلوق غير متصل بالقديم ، وبالله التوفيق .

سمعت ابن سالم ، وقد سُئل عن الثواب والعقاب ، يكون للروح وللجسد ، أو للجسد وَحْده ؟ فقال : الطاعة والمعصية ، لم تظهر من الجسد دون الروح ، ولا من الروح دون الجسد ، حتى يكون الثواب ، والعقاب ، على الجسد دون الروح ، أوعلى الروح دون الجسد ، ومن قال فى الأرواح بالتناسخ ، والتنقل ، والقِدَم ، فقد ضلّ ضلالا بعيداً وخسر خسراناً مبيناً .

مسألة فى الإشارة :

قال الشيخ رحمه الله تعالى : إن سأل سائلٌ ، ما معنى الإشارة ؟ فيقال له : قول الله عز وجل : « تَبَارَكَ الذى[1] » و « الذى » كالكناية ، والكناية كالإشارة فى لطافتها ، والإشارة لا يدركها إلا الأكابر من أهل العلم ، وقال الشبلى رحمه الله تعالى :

---

(١) الفرقان : ١

كل إشارة أشار الخلق بها إلى الحق ، فهى مردودة عليهم ، حتى يشيروا إلى الحق بالحق ، ليس لهم إلى ذلك طريق .

وقال أبو يزيد رحمه الله تعالى : « أبعدُهم من الله تعالى ، أكثرهم إشارة إليه » قال : ودخل رجل على الجنيد ، رحمه الله تعالى : فسأله عن مسألة ، فأشار الجنيد بعينه إلى السماء ، فقال له الرجل : « يا أبا القاسم ، لا تُشِرْ إليه ، فإنه أقربُ إليك من ذلك ، فقال الجنيد رحمه الله تعالى : صدقت وضحك .

حُكِيَ عن عمرو بن عثمان المكىّ أنه قال : « أصحابنا حقيقتهم توحيد ، وإشارتهم شِرْك » . وقال بعضهم : كلٌّ يريد أن يشير إليه ، ولكن لم يجعل لأحد إليه سبيلاً .

وحُكى عن الجنيد رحمه الله تعالى ، أنه قال لرجل : « هو ذا تُشير يا هذا ؟ فكم تشير إليه ؟ دَعْهُ يُشِرْ إليك » .

وقال أبو يزيد رحمه الله تعالى : « من أشار إليه بعلم فقد كفر ، لأن الإشارة بعلم لا تقع إلا على معلوم ، ومن أشار إليه بمعرفة فقد ألحَدَ ، لأن الإشارة بالمعرفة لا تقع إلا على محدود » .

سمعت الدُّقى يقول : سُئل الزقاق ، رحمه الله عن المريد ، فقال : « حقيقة المريد أن يشير إلى الله تعالى ، فَيَجِدَ الله مع نفس الإشارة » وقيل له : فالذى يَسْتَوْعِبُ حالَهُ ؟ قال : « هو أن يجد الله تعالى بإسقاط الإشارة » وهذه المسألة تُعْرَف للجُنَيْد رحمه الله تعالى .

وقال النورى رحمه الله تعالى : قُرْب القُرْب ، فيما أشَرْنا إليه ، بُعْد البُعْد .

وقال يحيى بن مُعاذ رحمه الله تعالى : « إذا رأيْتَ الرجل يشير إلى العمل ، فطريقه طريق الورع ، وإذا رأيته يشير إلى العلم ، فطريقه طريق العبادة ، وإذا رأيته يشير إلى الأمن فى الرزق ، فطريقه طريق الزهد ، وإذا رأيته يشير إلى الآيات ، فطريقه طريق الأبدال ، وإذا رأيته يشير إلى الآلاء ، فطريقه طريق العارفين » .

وقال أبو علىّ الروذبارى رحمه الله تعالى : « عِلْمُنا هذا إشارةٌ ، فإذا صار عبارةً خَفِىَ » .

وسأل رجل أبا يعقوب السوسى ، رحمه الله تعالى ، مسألة ، وكان يشير فى سؤاله ، فقال له : « يا هذا نحن نبلغُ مجابك ، من غير هذه الإشارة ، كأنه يكره ذلك منه .

مسائل شتى :

مسألة فى الظرف : سئل الجُنَيْد رحمه الله تعالى ، عن الظرف ما هو ؟ فقال : « اجتناب كل خُلق دَنِىّ ، واستعمال كلّ خُلق سَنِىّ ، وأن تعمل لله ، ثم لا ترى أنك عملت .

مسألة فى المروءة : سُئل أحمد بن عطاء رحمه الله تعالى عن المروّة فقال : « أن لا تستكثر لله عملا عملته ، وكلما عملتَ عملا كأنك لم تعمل شيئاً ، وتريد أكثر من ذلك .

مسألة ، لم سميت هذه الطائفة بهذا الاسم ؟ يعنى الصوفية ، قال ابن عطاء : رحمه الله تعالى ، لصفائها من كدر الأغيار ، وخروجها من مراتب الأشرار .

وقال النورى رحمه الله تعالى : سميت بهذا الاسم ، لاشتمالها عن الخلق بظاهر العابدين ، وانقطاعها إلى الحق بمراتب الواجدين

وقال الشبلى رحمه الله تعالى : سميت بهذا الاسم ، لبقية بقيت عليهم من نفوسهم ، ولولا ذلك لما لاقت بهم الأسماء .

وقال بعضهم : سميت بهذا الاسم ، لتنسمها بروح الكفاية ، وتظاهرها بوصف الإنابة .

مسألة فى الرزق : قال يحيى بن مُعاذ رحمه الله تعالى : فى وجود العبد الرزقَ من غير طلب ، دلالة على أن الرزق مأمور بطلب صاحبه

وقال بعضهم : إن طلبتُ الرزق قبل وقته لم أجِدْه ، وإن طلبت الرزق بعد وقته لم أجده وإن طلبته فى وقته كُفيتهُ

وحكى عن أبى يعقوب ، رحمه الله تعالى ، أنه قال : اختلف الناس فى سبب الرزق ، فقال قوم : سبب الرزق التكلف والعناية ، وهو قول القدرية ، وقال قوم : سبب الرزق التقوى ، وذهبوا إلى ظاهر القرآن « وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ[(١)] » وغلطوا فى ذلك

والعلم عند الله تعالى ، أن سبب الرزق الخلقة ، لقوله عز وجل : « خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ »[(٢)] : فلم يخص مؤمناً دون كافر، وقال أبو يزيد رحمه الله: أثنيتُ على رجل من المريدين عند بعض العلماء خيراً . فقال العالم : من أين معاشهُ ؟ فقلت : لم أشك فى خالقه حتى أسأله عن رازقه ، فخجل العالم وانقطع .

مسألة: سُئِلَ الجنَيْد رحمه الله تعالى ، إذا ذهب اسم العبد ؛ وثبت حُكْمُ الله تعالى؟ قال : اعلم رحمك الله تعالى ، أنه إذا عظمت المعرفة بالله ذهبت آثار العبد ، وانمحت رسومه ، فعند ذلك يبدو علم الحق ، وثبت اسم حكم الله تعالى .

مسألة : سئل الجنَيْد رحمه تعالى ، متى يستوى عند العبد حامده وذامُّه ؟ فقال : إذا علم أنه مخلوق ، ويكون ثمّاً .

مسألة : سئل ابن عطاء رحمه الله تعالى ، متى ينال سلامة الصدر ؟ أو بم ينال سلامة الصدر ؟ قال : بالوقوف على حق اليقين وهو القرآن ، ثم يُعْطى علم اليقين ، ثم يطالع بعده عينَ اليقين فيسلم صدره عند ذلك ، وعلامة ذلك أن يرضى بقضائه وقدره ، عيبة بمحبة ، ويراه حفيظاً ووكيلا ، من غير تهمة اعترضت .

مسألة ، سئل أبو عثمان رحمه الله تعالى ، عن الغم الذى يجده الإنسان ، ولا يدرى من أيْشَ هو ، فقال أبو عثمان رحمه الله تعالى ، إن الروح تتحفظ الذنوب ،

(١) الطلاق : ٢ و ٣ (٢) الروم : ٤٠ نص الآية : الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شىء ؟ سبحانه وتعالى عما يشركون

والجنايات على النفس ، وتنساها النفس ، فإذا وجدت الروح صحواً من النفس ، عُرِضَ عليها جناياتها فيغشاها الانكسار والذوبان ، وهو الغم الذي يجده ، ولا يدرى من أين دخل عليه .

مسألة فى الفراسة ، سئل يوسف بن الحسين ، رحمه الله تعالى ، عن حديث
١٤٦ النبى صلى الله عليه وسلم « اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله تعالى ، فقال : هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم حق ، وخصوصية لأهل الإيمان . وزيادة كرامة لمن نوّر الله تعالى قلبه ، وشرح صدره ، وليس لأحد أن يحكم لنفسه بذلك ، وإن كثر صوابُهُ ، وقلّ خطؤه ، ومن لم يحكم لنفسه بحقيقة الإيمان والولاية والسعادة ، فكيف يحكم لنفسه بفضل الكرامة ؟ و إنما ذلك فضله لأهل الايمان ، من غير إشارة إلى أحد بعينه .

مسألة لإبراهيم الخواص رحمه الله تعالى فى الوهم ، سئل إبراهيم الخواص رحمه الله تعالى ، عن الوهم ، فقال : الوهم : هو قيام بين العقل : والفهم ، لامنسوب إلى العقل ، فيكون شيئاً من صفاته ، ولا منسوب إلى الفهم ، فيكون شيئاً من صفاته ، وهو قيام، وهو شبيه بضوء بين شمس وماء ، فلا ينسب إلى الشمس ، ولا ينسب إلى الماء ، وشبيه بوَسَن بين النوم واليقظة ، فلا نائم ولا يقظان ، فهذه صحوه[1] وهو نفاذ العقل إلى الفهم ، أو الفهم إلى العقل ، حتى لا يكون بينهما قيام ، والفهم صفوة العقل ، كما أن خالص الشيء لبّه .

مسألة: سُئل أبو يزيدرحمه الله تعالى عن معنى قوله تعالى : ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا »[2] الآية .

---

(١) فى رواية أخرى : محوه .

(٢) فاطر ٣٢ وتكملة الآية : فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير

قال أبو يزيد رحمه الله تعالى : السابق مضروب بسوط المحبة ، مقتول بسيف الشوق ، مضطجع على باب الهيبة ، والمقتصد مضروب بسوط الحسرة ، مقتول بسيف الندامة ، مضطجع على باب الكرم ، والظالم مضروب بسوط الأمل ، مقتول بسيف الحرص ، مضطجع على باب العقوبة » .

وقال غيره : الظالم لنفسه معاقب بالحجاب ، والمقتصد والجٌ داخل الباب ، والسابق بالخيرات ساجد على البساط الملك الوهاب .

وقال غيره : الظالم معاقب بالندامة على الإفراط ، والمقتصد مُشْتَمِلٌ بالكلاءة والاحتياط ، والسابق بالخيرات ساجد بقلبه للحق على البساط ، الظالم لنفسه بتلويح الإشارة محجوب ، والمقتصد بتصريح الإشارة مكنوف ، والسابق بالخيرات بتصحيح الإشارة محبوب .

وقال غيره : الظالم لنفسه د والمقتصد ب والسابق بالخيرات م .

مسألة فى التمنى .

سُئل رُوَيم بن أحمد رحمه الله تعالى ، هل المريد أن يتمنى ؟ فقال : ليس له أن يتمنى ، وله أن يأمل ، لأن فى التمنى رؤية النفس ، وفى الآمال رؤية السبق ، والتمنى من صفات النفس ، والتأمل صفة القلب ، والله أعلم .

مسألة فى سر النفس

قال سهل بن عبد الله رحمه الله ، وسئل عن سر النفس ، فقال : « النفس سِرٌّ ما ظهر ذلك السر على أحد من خلقه إلا على فرعون ، فقال: أنا رَبكم الأعلى ، ولها سبع حُجُب سماوية ، وسبع حجب أرضية ، فكلما يدفن العبد نفسه أرضاً أرضاً ، سما قلبه سماء سماء ، فإذا دفنتَ النفس تحت الثرى ، وصلت بالقلب إلى العرش .

مسألة : سُئل الشبلى رحمه الله تعالى عن الغيرة فقال : الغيرة غيرتان : غيرة البشرية ، وغيرة الإلهية ، فغيرة البشرية على الأشخاص ، وغيرة الإلهية على الوقت أن يضيع فيما سوى الله تعالى

مسألة : قال فتح بن شَخْرَف رحمه الله تعالى ، سألتُ إسرافيل أستاذ ذى النون رحمهما الله تعالى ، فقلت له : أيها الشيخ هل تُعَذِّبُ الأسرار[1] قبل الزلل ؟ فلم يجبنى أيّاماً ، ثم قال : يافتح إن نويت قبل العمل فتعذب الأسرار قبل الزلل ، قال ثم صرخ صرخة عاش ثلاثة أيام ثم مات .

مسألة : سُئل أبو بكر محمد بن موسى الفرغانى ، المعروف بالواسطى رحمه الله تعالى عن صفة القلوب فقال : القلوب على ثلاثة أحوال: قلوب ممتحنة ، وأخرى مصطلمة وأخرى منتسفة وأوائل أحوالها الانتساف ، وهو المتحقق بأوائله أنه لم يكن قبل شيئاً مذكوراً فإذا حضرتَ وقفتَ إلى الاصطلام ، وهو الموت ، ثم الطمس وهو : ذهابٌ . فهذا أوّلُك وآخرك ، كى لا تقول : أنا اقبلتُ وأدبرتُ ، وهذه الثلاثة أخرست الألسن عن النطق .

مسألة : سُئل الجريرى رحمه الله تعالى عن البلاء ، فقال البلاء على ثلاثة أوجه : على المخلصين نقم وعقوبات ، وعلى السابقين تمحيص وكفّارات ، وعلى الأنبياء والصديقين، من صدق الاختبارات

مسألة : فى الفرق بين الحب والود ، الحب فيه بُعد وفيه قرب ، والود لا فيه قطع ولا بُعد ولا قرب ، إن شاهدَ الحب حقُّ اليقين ، وشاهد الود عين اليقين ، وشاهد الصيانة علم اليقين ، والود وَصل بلا مواصلة ، لأنّ الوصل ثابت والمواصلة تصرُّف الأوقات

مسألة : فى البكاء

سُئل أبو سعيد الخراز رحمه الله تعالى عن البكاء ، فقال : « البكاء من الله وإلى

---

(١) الأسرار جمع سر ، السر قوة روحانية عذابها الحجاب ، يقول أحد الصوفية اللهم مهما عذبتنى بشىء فلا تعذبنى بذل الحجاب .

الله وعلى الله ، فالبكاء من الله لطول تعذيبه بالحنين عنه إذا ذكر طول المدة إلى لقائه ، والبكاء من خوف الانقطاع ، والبكاء من الفَرَقِ لما تواعده من المكافأة لمن قصّر ، والبكاء من الفزع إذا قام الإشفاق من الحادثات التى تحرم الوصول إليه والبكاء إليه ، وهو أن يتكلف سرُّهُ الهيجانَ إليه ، والبكاء من طيران الأرواح بالحنين إليه ، والبكاء من وَله العقل إليه ، والبكاء من التأوّه ، والبكاء من الوقوف بين يديه ، والبكاء برقة الشكوى إليه ، والبكاء بالتمرغ على بساط الذل طَلَبَ الزُّلفى لديه ، والبكاء عند المنافسة إذا توهّم أنه يُبطِّيء به عنه ، والبكاء خوفاً أن ينقطع الطريق ، فلا يصل إليه ، والبكاء خوفاً أن لا يصلح للقائه والبكاء من الحياء منه بأى عين ينظر إليه ، ثم البكاء عليه إذا يُبطِّيء به عنه ، فى بعض الأوقات مما عوّده والبكاء من الفرح فى نفس وصوله إليه ، إذا اكتنفه ببره ، كالصبى الرضيع يرتضع ثدى أمه وهو يبكى ، فهذا ثمانية عشر وجهاً »

مسألة : فى الشاهد .

سُئل الجنيد رحمه الله تعالى ، لِمَ سُمى الشاهد شاهداً؟ فقال : الشاهد الحق ، شاهد فى ضميرك وأسرارك مطلعاً عليها ، وشاهداً لجاله فى خلقه وعباده ، فإذا نظر الناظر إليه شهد علمَهُ بنظره إليه . وشاهدُ الصوفية هو : أن يقطع منزلَ المريدين ، فيشهد عمومَ العارفين ، وحَمَلةِ اسم الشاهد الحاضر فى الغيب ، لا يحرج ولا يفتر ولا يتغافل فإن غفل غفلة مريد فليس بشاهد ، وكلما يجرى فيه غير هذا فى ظاهر الخليقة فهو باطل ، فليس هو طريق الصوفية .

مسألة : فى صفاء المعاملة والعبادة .

قال : اجتمع مشايخ حرم الله تعالى ، على أبى الحسين على بن هند القرشى الفارسى رحمه الله تعالى ، فسألوه عن صفاء العبادة والمعاملة ، فقال : إن للعقل دلالة وللحكمة إشارة ، وللمعرفة شهادة ، فالعقل يدل ، والحكمة تشير ، والمعرفة تشهد أن صفاء

العبادات لا يُنال إلا بصفاء معرفة أربعة : فأول ذلك معرفة الله تعالى ، والثانى معرفة النفس ، والثالث معرفة الموت ، والرابع معرفة ما بعد الموت ، من وعد الله ووعيده ، فمن عرف الله تعالى قام بحقه، ومن عرف النفس استعد لمخالفتها ومجاهدتها ومن عرف الموت استعد لوروده ، ومن شهد وعيد الله تعالى ، ينزجر عن نهيه ، وينتدب لأمره ، فمراعاة حق الله تعالى على ثلاثة أوجه : على الوفاء ، والأدب ، والمروءة ، فأما الوفاء فانفراد القلب بفردانيته ، والثبات على مشاهدة وحدانيته بنور أزليته ، والعيش معه ، وأما الأدب فمراعاة الأسرار من الخطرات ، وحفظ الأوقات، والانقطاع عن الحسد والعداوات ، وأما المروءة فالثبات على الذكر نطقاً وفعلا ، وصيانة اللسان ، وحفظ النظر ، وحفظ المطعم والملبس ، وينال ذلك بالأدب ، لأن أصل كل خير فى الدنيا والآخرة الأدب . وبالله التوفيق .

مسألة: ما الكريم؟

قال حارث رحمه الله تعالى : « الكريم الذى لا يبالى لمن أعطى .

وقال الجنيد رحمه الله : الكريم من لا يُحوجك إلى وسيلة .

مسألة : فى الكرامة .

قال قوم : الكرامة أن يبلغ المراد قبلَ ظهور الإرادة .

وقال قوم: الإعطاء فوق المأمول .

مسألة : فى الفكر .

سُئل الحارث المحاسبي رحمه الله تعالى عن الفكر فقال : الفكر فى قيام الأشياء بالحق .

وقال قوم : التفكر صحة الاعتبار .

وقال آخرون : الفكر ما ملأ القلوب من حال التعظيم لله عز وجل .

والفرق بين الفكر والتفكر ، أن التفكر جولان القلب ، والفكر وقوف القلب على ما عرف .

مسألة: فى الاعتبار : قال الحارث المحاسبى أبو عبد الله بن أسد رحمه الله تعالى : الاعتبار استدلال الشىء على الشىء ، وقال قوم : الاعتبار ، ما وضح فيه الإيمان ، واستوفته العقول .

وقال قوم : الاعتبار ، ما نفذ فى الغيب ولم يردّه مانع .

مسألة : ما النية ؟ قال قوم : النية العزم على الفعل ، وقال قوم : النية معرفة اسم العمل .

وقال الجنيد رحمه الله تعالى : النية تصوير الأفعال ، وقال آخر : نية المؤمن ، الله عز وعلا

مسألة: ما الصواب ؟ قال قوم : الصواب التوحيد فقط

وقال الجنيد رحمه الله تعالى : الصواب كل نطق عن إذن

مسألة : سُئل الجنيد عن الشفقة على الخلق ما هو ؟ قال : تعطيهم من نفسك ما يطلبون ، ولا تُحملهم ما لا يطيقون ، ولا تخاطبهم بما لا يعلمون

مسألة : فى التقيّة ، قال قوم : استعمال الأمر والنهى ، وقال قوم : ترك الشبهات ، وقال قوم : التقيّة : حرَمُ المؤمن كما أن الكعبة حرَمُ مكة ، وقال قوم : التقية : نور فى القلب يفرق بها بين الحق والباطل

وقال سهل والجنيد والحارث وأبو سعيد رحمة الله تعالى عليهم أجمعين : التقيّة : استواء السر والعلانية

مسألة فى السر ، قال بعضهم السر : ما لا يحسّ به هاجسُ النفس ، السر ما غيّبه الحق ، وأشرف عليه به ، وقال قوم: السر سرّان ، سرٌ للحق ، وهو ما أشرف عليه بلا واسطة ، وسر للخلق ، وهو ما أشرف عليه الحق بواسطة ، ويقال : سر من السرّ للسرّ ، وهو حق لا يظهر إلا بحق ، وما ظهر بخلق فليس بسر .

وحكى عن الحسين بن منصور الحلاج رحمه الله تعالى ، أنه قال : أسرارنا بِكرٌ لا يفتضها وَهْمُ واهم

وقال يوسف بن الحسين ، رحمه الله تعالى : قلوب الرجال قبور الأسرار[1] .

وعنه أيضاً أنه قال : لو اطّلع زِرّى على سِرّى قامتهُ .

[وقال بعضهم] شعر :

حاسٌ بِسِرٍّ قد أسَرَّ نجيّهَا وكلاهُما في سِرِّها مَسْرُورُ

ما سِرُّ مَسْرُورٍ يُشِيرُ بِسِرِّهِ منهُ إليهِ مُساوِياً مَغْرُورُ

وقال آخر :

يا سِرُّ سِرٍّ يَدِقُّ حَتّى يَخْفَى عَلَى وَهْمِ كلِّ حَيٍّ

وظاهِرٌ باطِنٌ تَجَلَّى مِنْ كلِّ شَيْءٍ لِكُلِّ شَيْءٍ

وقال النورى رحمه الله تعالى :

لَعَمْرِي مَا اسْتَوْدَعْتُ سِرِّي وسِرَّها سِوانا حَذاراً أنْ تَشِيعَ السَّرَائِرُ

ولا لاحَظَتْهُ مُقْلَتَايَ بِلَحْظَةٍ فَتَشْهَدَ نَجْوَانا العُيُون النَّوَاظِرُ

وَلَكِنْ جَعَلْتُ الوَهْمَ بيني وبَيْنَهُ رَسُولاً فأدَّى ما تُكِنُّ الضَّمَائِرُ

فهذا ما حضرنى فى الوقت من مسائلهم ، ومسائل هؤلاء أكثرُ من أن يتهيّأ ذِكرُها .

وقد حُكى عن عمرو بن عثمان المكى ، رحمه الله تعالى ، أنه قال : العلم كلّه نِصْفان : نصفُهُ سؤال ، ونصفُهُ جواب ، وبالله التوفيق .

---

(١) وفى رواية : صدور الأحرار قبور الأسرار

كتاب المكاتبات والصدور والأشعار والدعوات والرسائل

باب فى مكاتبات بعضهم إلى بعض

سمعت أحمد بن علىّ الكرَجى رحمه الله تعالى يقول : كتب الُجنيْد إلى مِمْشاذ الدينورى رحمه الله تعالى كتاباً : فلما وصل الكتاب إليه ، قلبه وكتب على ظهره ، ما كتب صحيح إلى صحيح قط ، ولا افترقا فى الحقيقة . وكتب أبو سعيد الخراز إلى أبى العباس أحمد بن عطاء رحمهما الله : يا أبا العباس تعرفُ لى رجلا قد كملتْ طهارته ، و برىء من آثار نفسه عنه به له ، موقوف مع الحق بالحق للحق ، من حيث أوْقفه الحق ، حيث لا له ولا عليه ، فالحق يعلله امتحان له ، وامتحان للخاق به ؟ فإن عرفتَ لى هذا ، فدُلنى عليه حتى إن قبلنى كنت له خادماً .

وكتب عمرو بن عثمان المكى رحمه الله كتاباً إلى بغداد ، إلى جماعة الصوفية بها فكان فى كتابه : وإنكم لن تصلوا إلى حقيقة الحق ، حتى تجاوزوا تلك الطرُقات المنطمسة ، وتسلكوا تلك المفاوز المهلكة . فحضر عند قراءته الُجنيد والشبلى وأبو محمد الَجريرى رحمهم الله ، فقال الجنيد رحمه الله : ليت شعرى من الداخل فيها ؟ وقال الجريرى : ليت شعرى من الخارج منها ؟ وقال الشبلى : يا ليتنى لم يكن لى منها مشامُّ الريح .

وفيما ذكر عن الشبلى رحمه الله ، أنه كتب إلى الجنيد رحمه الله كتاباً ، فكتب فيه : يا أبا القاسم ، ما تقول فى حال علا فظهر ، وظهر فقهر ، وقهر فبهر ، فاستناخ واستقر ؟ فالشواهد منطمسة ، والأوهام خنسة ، والألسن خرسة ، والعلوم مندرسة ، ولو تكاثفت الخليقة على من هذا حاله ، لم يزدْه ذلك إلا توحشاً ، ولو أقبلت الخليقة إليه تعطفاً ، لم يزده ذلك إلا تبعداً ، فالحاصل فى هذا الحال قد صُفد بالأغلال

والأشكال ، وغلبه على عقله لحال وحادّ الحق بالحق ، وصار الخلق عقالا ، وكتب تحتها هذين البيتين :

يا هِلالَ السَّما لِطَرْفٍ[1] كليل فإذا ما بَدا أضا طَرَفَيْهِ
كُنْتُ أَبكى عَلَيَّ مِنْهُ فَلمّا أنْ تَوَلّى بَكَيْتُ منهُ عليهِ

قال : فترك الرقعة عنده من الأربعاء إلى الأربعاء ، وكتب تحتها : يا أبا بكر : الله الله فى الخلق ، كنا نأخذ الكلمة فنشقها ، ونقرظها ، ونتكلم بها فى السراديب وقد جئتَ أنت فخلعت العذار ، بينك و بين أكابر الخلق ألفُ طبقة ، فى أول طبقة يذهب ما وصفتَ .

قال الشيخ رحمه الله ، وكنتُ بالرّملة ، وكان بها إنسان هاشميٌّ ، وله جارية مشهورة بحسن الصوت ، والحذاقة فى القول ، فسألنا أبا علىّ الروذبارى ، أن يكتب إليه رقعةً ، يستأذن لنا بالدخول عليها ، حتى نسمع منها شيئاً ، فكتب إليه على البديهة بحضرتى :

بسم الله الرحمن الرحيم بلغنى ـ بلّغك الله سؤالك ، وأعطاك مأمولك ـ أن عندك من مناهل الوُرود ، منهلا يرِدُ عليه قلوب أهل الوجود ، فيشربون منه بعقد الوفاء ، شراباً يورثهم حقائق الصفاء ، فإن أذن لنا بالدخول عليه ، فلنا على رَبّ المنهل أن يزيّن المجلس بفقد الأغيار ، ويحجبه عن نواظر الأبصار ، ومجيئنا مقرون بإذنك والسلام .

وسمعت أبا على بن أبى خالد الصورى بصورَ يقول : كتبتُ إلى أبى علىّ الروذبارى رحمه الله كتاباً ، وكتبت فيه هذين البيتين :

إنَّ كَتمى أبا عَلِيّ لحُبّيك فِراراً مِنَ التشارُكِ فيهِ
حَبَّذا رُوذَبارُ ماذا علينا لكَ حَقٌّ وذاكَ منهُ بتيهِ

(١) فى رواية أخرى : كطرف (٢) فى رواية أخرى : السر

قال ثم استقبلنى بعد ذلك بأيام ، وكان فى يدى جزء ، وأخذه من يدى وكتب على ظهره :

أغراكَ بالحبِّ حُبٌّ فى تحبُّبه أُلطفُ الجنانِ وعطفٌ فى تعتُّبه
ياابنَ الصَّبَابَاتِ عن وِرْدٍ بلا صَدَر تجمَّتَ صفوَ الهوى فى غيرِ مَطلبهِ
قِفْ تحتَ صُفّتِهِ بالوُدِّ منكَ لهُ مُستهتَراً بتباريح الشجونِ بهِ

قال ومرض رجل من أصحاب ذى النون ، فكتب إليه : أن ادعُ الله لى ، فكتب إليه ذو النون رحمه الله : يا أخى سألتنى أن أدعو الله لك ، أن يزيل عنك النعم ؟ واعلم يا أخى أن المرض والعلة يأنس بها أهل الصفاء ، وأصحاب الهمم والضناء لأنها فى حياتهم دركٌ للشفاء ، ومن لم يعد البلاء نعمة فليس من الحكماء ، ومن لم يأمن الشفيق على نفسه ، فقد أمِنَ أهلَ التهمة على أمره ، فليكن معك يا أخى من الله حياء يمنعك من الشكوى والسلام .

وكتب رجل إلى ذى النون رحمه الله : آنسك الله تعالى بقربه . فكتب إليه ذو النون رحمه الله : أوحشك الله من قربه ، فإنه إذا آنسك بقربه ، فهو قدَرُك ، وإذا أوحشك من قربه فهو قدَرُه ، ولا نهاية لقدره حتى يتركك ملهوفاً إليه .

وسمعت جعفر الخُلْدى رحمه الله يقول : سمعت الُجنيد رحمه الله تعالى يقول : دفع إلىَّ سرى السقطى رقعةً ، قال : هذا مكان قضائك لحاجتى . ففتحتُ الرقعة فإذا فيها مكتوب : سمعتُ حادياً فى البادية يحدو ويقول :

أبْكى وَهَلْ تَدْرِينَ ما يُبْكِينِى
أبْكى حِذاراً أنْ تُفَارِقِينِى
وتَقْطَعى وَصْلى وتَهْجُرِينى

وقال الروذبارى رحمه الله ، كتب إلىّ بعض أصدقائى : كتابى إليك كودتى لك ، نورٌ منك دلّ عينى عليك ، وحجبها عن النظر إلا إليك ، والسلام .

وكتب أبو عبد الله أيضاً فى كتاب إلى بعض أصدقائه : ما الذى أدّاك إلى الصبوة ، بعد تمكنك من الحظوة ؟ وما الذى حداك على قطع حَبْل الوصال ، بعد المحافظة على الاتصال ؟ أوَما علمتَ أن لورود الكُتُب فرحة تعدل فرحة القُرْب ؟ .

وكتب شيخ من الأجلة إلى بعض المشايخ : وجدى بك حمانى عن الإشارة إليك ، وما بدا من قُرْبك غيب عنّى مؤنة الذِكْر لك ، فحقيقتك ظاهرة ، وأعلامك زاهرة ، وسطوتك قاهرة ، ظهرت سطوتك فخنست معرفتى عند ظهورها ، وذهل عقلى عند ورودها ، وقصّر علمى عند شرح بيان ظهورها ، وقصّرت عبارتى عند استيلاء حقيقتك والسلام .

سمعت أبا الطيب أحمد بن مقاتل المكّى يقول : كتب أبو الخير التيناتى إلى جعفر الخُلدى رحمه الله كتاباً ، فكان فيه : وِزْرُ جهلِ الفقراء عليكم ، لأنكم ركنتم إلى أبناء الدنيا ، واشتغلتم بأموركم فبقوا جَهَلة .

وقال يوسف بن الحسين رحمه الله : كتبت إلى بعض الحكماء ، وشكوتُ ركونى إلى الدنيا ، وما أجِدُ فى طبعى من الأخلاق التى استُ أرضاها من نفسى لنفسى ، فكتب إلىّ : بسم الله الرحمن الرحيم ، وصل كتابك ، وفهمتُ ماذكرتَ ومُخاطبك ـ أكرمك الله ـ شريكك فى شكواك ، ونظيرك فى بلواك ، إن رأيتَ أن تديم الدعاء وقَرْعَ الباب ، فإنه من قرع الباب ، ولم يعجز عن القرع دخل ، وإن تهيأ لك ما تريد من الصفاء ، والطهارة ، فدَعْ ما أنت فيه من البلاء ، من اقتراف مَساوىء لا تُجْدى عليك منفعةً فى دينك ، ولا دنياك ، وتجنّبْ قُرْبَ من لا تأمن

على نفسك فى مواصلته الغفلة ، والبطالة ، واستعن على ذلك كلّه بالقناعة والتجزى ، وسَله أن يمنّ عليك بتوبة طهرى لا عملى ، والسلام .

وقال يوسف بن الحسين رحمه الله ، كتب حكيم إلى حكيم ، يسأله عمّا يؤديه إلى صلاح نفسه ، فكتب إليه : إن فساد نفسى قد شغلنى عن صلاحك ، ولم أجد فى نفسى فضلةً لغيرها ، والسلام .

وقال : كتب أبو العباس أحمد بن عطاء رحمه الله إلى أبى سعيد الخرّاز رحمه الله كتاباً فقال فيه : وأُعلمك أن الفقراء وأصحابنا بعدك ، صاروا يناقرون بعضهم لبعض فكتب إليه أبو سعيد رحمه الله : وأمّا ما ذكرتَ أن أصحابنا بعدى ، صاروا يناقرون بعضهم لبعض ، فاعلمْ أن ذلك غيرةً من الحق عليهم ، حتى لا يسكن بعضهم إلى بعض .

وقال الروذبارى : كتب بعض المحبين إلى حبيبه يعاتبه : إن المودّة لم تزل موصولةً ، فزُرْ بلادى ، وأكثر ودادى ، واحذرْ عُداة الحىّ أن يلقوك ، وليَظُنّ العُدَاة أنك جافٍ .

وكتب بعض المشايخ كتاباً ، فكان فيه هذا الفصل ، وأنا وجدته بخط جعفر الُخلدِى : تفكّرِى فى مرارة البين يمنعنى من التمتّع بحلاوة الوصل ، وتكره عينى أن تقرّ بقُرْبك ، مخافةَ أن تسخن ببُعْدك ، فلى عند الاجتماع كبد ترجف ، وعند التنائى مقلةٌ تَكِفُ ، وأقول كما قال الشاعر :

وَما فى الدَّهْرِ أشْقَى مِنْ مُحِبٍّ * وإنْ وَجدَ الهوى حُلْوَ المَذَاقِ
تَراهُ باكِياً فى كلِّ حِينٍ * مَخافَةَ فُرْقَةٍ ، أوْ لاشْتِيَاقِ
فَيَبْكى إنْ نَأَوْا شَوْقاً إلَيْهِمْ * وَيَبْكى إنْ دَنَوْا خَوْفَ الفِرَاقِ
فَتَسْخَنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّنائى * وَتَسْخَنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّلاقِى

وحُكى عن حسين بن جبريل المَرَندى رحمه الله ، وكان من المشايخ الأجلة ، أنه قال : ورد علىّ كتاب من مكة ، فقرأت على جماعة من أصحابنا ، وكان من

بعض تلامذته ، فكان فى الكتاب : أعلمك يا شيخى أن أصحابك كلهم ترافقوا بعضهم مع بعض ، فبقيتُ بلا رفيق ، فرأيتُ يوماً فى الطواف غـــزالا يطوف فأعجبنى ذلك ، فرافقته وكان لى قرصان شعيرٌ فى كل ليلة ، قرصٌ لى وقرصٌ له ، فبقى معى أشهُراً ليلها ونهارها ، فليلةً من الليالى لم أتفرغ للإفطار وتأخر ذلك ، فلما أردت أن أفطر ، فإذا به قد أكل القرصين ، فقلت: وَيحك قد ظهرت منك الخيانة، فرأيت دموعه تسيل على خده ، فذهب حياء منى ، فسألتُك أن تدعو الله تعالى أنت وأصحابك ، أن يردّه علىّ

قال : وكتب شاه الكرْمانى رحمه الله ، إلى أبى حفص رحمه الله : إذا رأيتُ أمرى كله مصيبةً ، فكيف أكون فى مصائبى ؟ فكتب إليه أبو حفص رحمه الله : ألِفْ مصائبك ، ولا تكن مع إلفك لمصائبك .

وفيما حُكى عن ابن مسروق عن سَرِىّ السَّقَطى رحمه الله ، أنه قال : كتب إلىّ بعض إخوانى ، فكتبت إليه : يا أخى أوصيك بتقوى الله الذى يُسْعد بطاعته من أطاعه ، وينتقم بمعصيته ممن عصاه ، فلا تدعونّك طاعته إلى الأمْن من عذابه ، ولا تدعونّك معصيته إلى اليأس من رحمته ، جعلنا الله وإياكم حَذِرِين من غير قنوط ، وله راجين من غير اغترار والسلام .

وكتب الُجنيد رحمه الله كتاباً إلى على بن سهل الإصبهانى ، وكان فيه : واعلم يا أخى ، أن الحقائق اللازمة ، والقصود القوية المحكمة ، والعزائم الصحيحة المؤكدة ، لم تُبق على أهلها سبباً إلا قطعته ، ولا معترضا إلا منعته ولا أثراً فى خفىّ السرائر إلا أخرجته ، ولا تأويلا مُوهِماً لصحة المراد إلا كشفته ، فالحقُّ عندهم بصحة الحال مجرّداً ، والجد فى دوام السّير محدّداً على براهين من العلم واضحةٍ ، ودلائل من الحق بينةٍ .

قال الشيخ رحمه الله : فأما مكاتباتهم ، ومراسلاتهم أكثرُ من أن يتهيأ جمعها فى الأجزاء الكثيرة ، وإنما ذكرنا هذا طرفاً على حسب ما أمكن فى الوقت ، لأن

المراسلات الطوال نحوَ رسالة النورى إلى الجُنيْدَ رحمهما الله فى مسئلة البلاء ، ورسالة أبى سعيد الخراز إلى النورى ، ورسالة الجنيد الى يحيى بن مُعاذ ، و إلى يوسف بن الحسين ، ومجاوبَتيهما ، ورسالة عمرو المكى إلى ابن عطاء ، وغير ذلك ، لم يتهيأ لنا ذكْره ، ولكن نذكر رسالة واحدة للجنَيْد إلى أبى بكر الكسائى الديبورى رحمهما الله ، وهى مختصرة إن شاء الله تعالى .

رسالة الجنيد إلى أبى بكر الكسائى رحمهما الله تعالى : أخى أين محلك عند تعطيل العشار(١)؟ وأين دارك وقد خربت الديار ؟ وأين مَنزلك والمنازل قاعٌ صفصفٌ قفار ؟ وأين مكانك والأماكن عواف دوارسُ الآثار ؟ وما ذا خبرُك عند ذهاب جوامع الأخبار ؟ فيم نظرك عند اصطلام محاضر النظار ؟ فيم فكْرُك وليس بحين نظر ولا افتكار ؟ وكيف هدوؤك على ممر الليل والنهار ؟ وكيف حذَرُك عند وقوع فواجع الأقدار ؟ وكيف صبرك ولا سبيل إلى عزاء ولا اصطبار ؟ فابكِ الآن إن وجدت سبيلا إلى البكاء ، بكاء الوالهة الحزينة الموجعة الثكلى ، بفقد أعزة الألّاف وفناء أجلة الأخلاف ، و إبادة ما مضى من الاكتناف ، وذهاب مشايخ الاعتطاف وورود بداية الاختطاف ، وروادف عواصف الارتجاف ، وتتابع قواصف الانتساف ، و بواهر قواهر الاعتكاف ، وثواقب ملامح الاعتراف ، فإلى أين موئلك ، و إلى ما يبلغ مصدرك ، والأحلام متمزقة ، والقلوب متصدعة ، والعقول منخلعة ، والأنباء كلها مرتفعة ، وأنت فى أوابد مندمسة ، ونجوم منطمسة ، وسبل ملتبسة ، قد أضلك فى اختلاف مناهجها ظلموها ، وانطبقت عليك أرضها وسماؤها ، ثم أفضى بك ذلك إلى لجة اللجج ، والبحر الزاخر الغامر المختلج ، الذى كل بحر دونه أو لجة ، فهو فيه كتفلة أو مجة ، فقد قذف بك فى كثيف أمواجه ، وتلاطم عليك بعظيم هوله وارتجاجه ، فمن مستنقذك من متلفات المهالك أو مخرجك مما هنالك ؟ كتابى إليك

(١) يشير إلى الآية القرآنية التى جاءت ـ مع آيات أخر ـ فى وصف هول يوم القيامة وهى : وإذا العشار عطلت .

أبا بكر ، وأنا أحمد الله حمداً كثيراً ، وأسأله العفو والعافية فى الدنيا والآخرة ، وصل إلىَّ منك كتبٌ فهمتُ ما ذكرت فيها ؛ ولم يمنعنى من إجابتك عليها ما وقع فى وهمك ، وشق على ما ذكرت من غمك ، وليس حالك عندى حال معتوب عليه ، بل حالك عندى حال معطوف عليه ، وبحسبك من بلائك أن أكون سبباً للزيادة فى البلاء عليك ، وإنى عليك لمشفق ، وإنما منعنى من مكاتبتك ، لأنى حذرت أن يخرج ما فى كتابى إليك إلى غيرك بغير علمك ، وذلك أنى كتبت منذ مدة كتاباً إلى أقوام من أهل إصبهان ، ففتح كتابى ، وأخذت نسخته ، استعجم بعض ما فيه على قوم ، فأتعبنى تخلصهم ، ولزمنى من ذلك مؤنة عليهم ، وبالخلق حاجة إلى الرفق ، وليس من الرفق بالخلق ملاقاتهم بما لا يعرفون ، ولا مخاطبتهم بما لا يفهمون ، وربما وقع ذلك من غير قصد إليه ، ولا تعمد له ، جعل الله عليك واقية وجنة وسلمنا وإياك. فعليك ، رحمك الله ، بضبط لسانك ، ومعرفة أهل زمانك ، وخاطب الناسَ بما يعرفون ، ودعهم مما لا يعرفون ، فقلَّ من جهل شيئاً إلا عاداه ، وإنما الناس كالإبل المائة[1] : ليس فيها راحلة ، وقد جعل الله تعالى ، العلماء والحكماء رحمة من رحمته ، وبسطها على عباده ، فاعمل على أن تكون رحمة على غيرك ، إن كان الله قد جعلك بلاء على نفسك ، واخرج إلى الخلق من حالك بأحوالهم ، وخاطبهم من قلبك على حسب مواضعهم ، فذلك أبلغ لك ولهم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وقال الشيخ رحمه الله : وإنما وضعتُ فى هذا الكتاب هذه الحكاية والرسالة حتى يتأمل من ينظر فيه . ويستفيد منها بما فيها من الإشارات الصحيحة ، والعبارات الفصيحة ، ويقف على مقاصد القوم فى مكاتباتهم ، لأن بين كل طائفة من الناس مكاتبات ومراسلات ، على حسب ما يليق بهم . وبالله التوفيق .

---

(١) قوله : المائة لعلها : الهائمة

باب فى صدور الكتب والرسائل

صدرٌ للجُنَيْد ، رحمه الله : آثرك الله يا أخى بالاصطفاء ، وجمعك بالاحتواء ، وخصّك بعلم أهل النُّهى ، وأطلعك من المعرفة على ما هو أولَى ، وتمّم لك ما تريد منك له ، ثم أخلاك منك له ، ومنه له به يُفردك فى تقلّبه لك ، بما يشهدك ، من حيث لا يلحقك شاهدٌ من الشواهد يخرجك ، فذلك : أول الأول الذى محا به رسوم ما ترادف مما غيّبه به عنك بعلوّ ما استأثر به منه له ، ثم أفردك منك لك ، فى أول تفريد التجريد ، وحقيقة كائن التفريد ؛ فكذلك إذا انفرد بذلك أباد وأفنَى الإبادة ماسلف من الحقّ من الشاهد بعد إفناء محاضر الخلق ، فعند ذلك يقع حقيقة الحقيقة من الحق للحق ، ومن ذلك : ماجرى بحقيقة علم الانتهاء إلى علم التوحيد على علم تفريد التجريد ، فقد عزّزه الله وحجبه عن كثير ممن ينتحله ويدعيه ، ويتحققه ويصطفيه .

صدر آخر : موّتك حقيقة الاختصاص عن لوائح الانتقاص ، وآواك الحقّ فى خفىّ من الملاحظة لحظك شغلا بالإجلال له عن ذِكر نفسك وحالك فى أوان ذكره ، ثم أذكرك أنه ذكرك فى قديم الأزل قبل حين البلوى ، وقبل حال البلوى ، إنه فعالٌ لما يشاء ، وهو قدير .

صدر آخر : أكرمك بطاعته ، وخصّك بولايته ، وجلّلك بستره ، ووفّقك لسنة نبيّه صلى الله عليه وسلم ، وأطلعك على فهم كتابه ، وأنطقك بالحكمة ، وآنسك بالقرب ، وخصّك بالفوائد ، ومنحك الزيادات ، وألزمك بابه ، وكلّفك خدمته ، حتى تكون له موافقاً ، ولكأس محبته ذائقاً ، فيتصل العيش بالعيش ، والحياة بالحياة ، والروح بالروح ، فتتمّ النعمة ، وتسلم من المعتبة ، فتصح العافية ، وتكمل السلامة .

صدر آخر . بدت لك عجائب ما فى الغيوب من أنبائها ؛ وكشفت لك عن حقائق ما تكن من أكنانها ، وأوضحت لك عن سرّ غرائب إخفائها ، وخاطبتك بكل ما كمن من عطائها ، بلسانه الذى ينطق به عن خفىّ مكانه ، فأوضحُ مَنطق يوضح عن حُكم بيانه ، ليس بما صرّح به من الفَصْح من لسانه ، لكن بما أوقفه الحقّ من مراد إعلانه ، وذلك : غير كائن قبل حينه وأوانه ، والمراد بفهم ذلك : هو المفْرَد الموجود من أهل دهره وزمانه .

صدر آخر : حاطك الله بحياطته التى يحوط بها المستخلصين من أحبابه ، وثبّتك وإيانا على سُبل مرضاته ، وأولج بك قبابَ أنسه ، وأرقاك فى رياض فنون كرامته ، وكلأك فى الأحوال كلها كلاءة الجنين فى بطن أمّه ، ثم أدام لك الحياة المستخلصة من قيوميّة الحياة على دوام ديمومية أبديته ، وأفردك عمّا لك به وعمّا له بك ، حتى تكون فرداً به فى دوامها ، لاأنت ولا مالك ولا العلم به ، ويكون الله وحْدهُ .

هذه الصدور كلها للجُنَيْد ، رحمه الله ، وفيها إشارات لطيفة ، ورموز خفية ، تعبر عن الحقائق المشكلة وتُنبىء عن السرائر والخصوصية التى تنفرد بها هذه العصابة فى تجريد التوحيد ، وحقيقة التفريد ، فمن نظر فيه فليتأمّل ، فإن فيه لأهل الفهم فوائد ، ولأهل العناية بهذا العلم زوائد ، وعلى القلوب من المعرفة بذلك جميل عوائد ، والله الموفق للصواب .

ولغير الجنيد صدور حسنة ، أذكر من ذلك طرفاً إن شاء الله .

صدر لأبى علىّ الروذبارى ، رحمه الله : آنسك الله فى كمال الأحوال وتمامها ، وبلوغ الغايات ونظامها ، وآنس بك قلوب أهل مصافاتك وموالاتك ، فى دوام فضلك ومعافاتك ، وجعل لك ما اتّضح لك موصولاً بك فى حياتك ، وبعد وفاتك ، ومنّ علينا بما يقصر عنه بلوغ الآمال ونهاية الأحوال ، وزادك من فضله الذى عوّدك من برّه وألطافه وإحسانه ، والله يمنّ علينا فى ذلك بما نرجوه .

صدر لأبى سعيد ابن الأعرابى : كلأكم الله كلاءة الوليد ، وألحقنا وإياكم بصالح العبيد ، الذين كشف عن قناع قلوبهم ، فشاهدوا الوَعْد والوعيد ؛ فمن كان منهم خائفاً فالرجاء منهم غير بعيد ، ومن كان منهم راجياً فالخوف فى قلبه عتيد ، فهم بمحبّته صائلون ، ولهيبته خاضعون ، بسطتْهم المحبة والرجاء أن يكونوا قانطين ، وقبضهم الخوف أن يكونوا مخدوعين أو آمنين ، فهم بين الخوف والرجاء واقفون ، فقد أقلقهم الشوق ، وأزعجهم الذوق ، فحسْن الظنّ قائدُهم ، وخوف الفَوْت سائقُهم ، والتوفيق رائدُهم ، والحبّ مطيتهم ، طالبين مطلوبين ، منوّرة لهم أعْلام الطريق ، معمورة لهم المناهل تُلوّحُ لهم بالعوائد ، منقلبين بالطُّرَف والفوائد .

صدر آخر له : أماتك الله عنك ، وأحياك به وأيّدك بالفهم ، وفرغ قلبك من كل وهم ، وأفناك بالقرْب عن المسافة ، وبالأنس عن الوحشة .

صدر آخر له : كلأكَ الله كلاءة الوليد المرحوم ، وحفظك حِفظ الولى المعصوم ، ووهب لك معرفة ما أنعم به عليك ، واستخرج منك ما جبلك عليه ، وحجبك عن نفسك القاطعة دونه ، وكفاك عوائقها وبوائقها ورؤية عملك ؛ وآثار سعيك ، وتزكية نفسك ، وأعتقك من رقها ، وكفاك عوارض تحيرها ، وفضول تكلفها ؛ واستخصك لنفسه منها ، ليحقق فيك العبودية ، فيزكو عملك وإن خف ، وينمو سعيك وإن قل ، وتطيب حياتك وإن متّ ، حتى يوصلك بالحياة التى لا موت فيها ، والبقاء الذى لا فناء بعده ؛ وتولى أمْرَك بالحسنى فى عواقبها ، كما كفاك التحير فى أوائلها ؛ إنه ولى التمام لما ابتدأه .

صدر لأبى سعيد الخرازة : عصمك الله بذِكْره عن نفسك ، وكاشفك بشكره عن وصفك ، وقسم لك من العلم به فى فعلك ، حتى تكون ممن جمع له حبل الرشاد وأعلى فى ذلك مكانك ، وكوشفت فى ذلك بالبيان ؛ وأنا أسأل الله تعالى : أن يجمع لك من نفسك ما فرق ، ويبين عنك منها ما جمع ، إنه الولى لذلك والقادر عليه .

صـــــدر آخر له : حماك الله عن نفسك بذكره ، وصدقك فى ذلك بشكره ، ولا أخلاك فى ذلك بإقباله ، وقسم لك من جزيل نواله ، وأعاذك من شديد محاله ، إنه ولىّ ذلك والقادر عليه .

صدر آخر له ، وأظنه للخراز : قسم الله لك من العلم الرفيع ، وأفردك فى الذكر المنيع ولا أخلاك من رعايته ، وأفردك بولايته ، وتولاك فيما استرعاك ، وكان لك فى ذلك وكفاك ، وأقبل عليك وشفاك ، وقسم لك من ذكره ووالاك ، وآنسك بطاعته وأعلاك ، ولا وكلك إلى نفسك وهواك .

صدر للكردى الصوفى الأرموى : منحك الله بما به منحك ، وحماك عن طويات الصفات بالإنابة لمن رتب الرويات ، وحماك عنك ، بشاهد ما فيه بدأك ، وعظيم ما به ابتدأك ، وأحلك فى محل التجلية لما أراد ولما به أريد ، وأظلهم واقع براءة التسليم [التى] تحوى أسرارهم لمن يفانى ، فتسرى همومهم لمن يعانى ، قد باشروا منه ما له استبشروا ، وفى ميادين محبته انتشروا ، ألمأبهم سواطع أنوار التوحيد ، ولوامع التجريد ، بايغين عما له و به بانوا ، فهُمْ كالذى كانوا .

صدر كتاب للدُّقى ، رحمه الله : هنأك الله كرامته ، فأنت غيثٌ لأهل مودّته ، وكهفٌ لأهل موافقته ، ودالٌّ على معرفته ، ومنتسبٌ إلى وحدانيته ، ومُخْبِرٌ عنه به ، ومن اصطنعه لنفسه فى قديم أزليّته ، وأطلعه على مكنون سرّه ، وأشهده مجارى قدرته ، وأنطق لسانك بحكمته ، وأقامك لدلالته ، وجعلك معياراً على المريدين ، والمحقّقين البالغين ، المتأهّبين بحسن استبانته ؛ إنه ولىُّ ذلك ، ولا سبيل إليه إلا به ، والسلام .

صدر آخر للدُّقى : أكرمك الله وأعلاك ، وقرّبك ببطانه وأدناك ، وقسم لك من نواله وأرضاك ، وأعاذك من بلائه وشفاك ، وتولاك فيما ألزمك وكفاك ؛ إنه ولىٌّ قديرٌ ، ذو رأفة لمن التجأ إليه ، ومُهَيمن على من استند إليه ، نعوذ بالله لنا ولك من كل بلية ، ونستعيذه ونستغفره من كل خطية .

صدر آخر . تودّد الله إليك بعطفه ، ولا أخلاك من نائله ولطفه ، وأعاذك من بلائه وعنفه ، ولا حجبك بفعلك عن ذِكْره ، ولا سترك بعملك عن شُكْره ، إنه ولىٌّ قديرٌ .

صدر آخر ، عصمك الله بما عصم به المتقين ، وأودعك من العشق السليم ، وكاشفك بذكره الرفيع ، وآنسك بدوام إقباله عليك ، إنه ولى قدير .

قال الشيخ ، رحمه الله : والذى حملنا على جمع هذه الرسائل والصدور والمكاتبات فى هذا الكتاب : ما أودع فيها من المعانى والإشارات ، لينظر الناظر فيه ، ويستدل بذلك على مراتب القوم ، ولطائف إشاراتهم ، وطهارة أسرارهم ، وخصوصيتهم بالفهم ، والعلم ، والعقل ، والأدب ؛ لأن من عادة أهل المعرفة والأدب أن يعرفوا أشكالهم بمخاطباتهم ، وأشعارهم ، ومكاتباتهم ، إذا فاتهم المجالسة والمخالطة وبالله التوفيق .

باب فى أشعارهم فى معانى أحوالهم و إشاراتهم

حكى عن يوسف بن الحسين أنه قال : سمعت بعض الثقات يحكى عن ذى النون المصرى ، رحمه الله ، أنه قال :

إذا ارتحلَ الكرامُ إليكَ يوماً ليلتمسوك حالا بعد حالِ
فإنَّ رحالنا حُطَّتْ رِضاء بحكمكَ عن حُلول وارتحال
أنخنا فى فِنائكَ يا إلهى إليك مُفوَّضينَ بلا اعتلالِ
فَسُسنا كيف شئتَ ولا تَكِلنا إلى تدبيرنا يا ذا المعالى

ولذى النون ، رحمه الله أيضاً :

مَنْ لاذ بالله نجا بالله وَسَرَّهُ مَرُّ قضاء الله
إن لم تكنْ نفسى بكفِّ الله فكيف أنقادُ لحكم الله
لله أنفاسٌ جرتْ لله لاحول لى فيها بغير الله

أنشدنى أبو عمرو بن علوان للجنيد ، رحمه الله ، هذه الأبيات :

تغرَّب أمرى عند كلِّ غريبِ فصرْتُ عجيباً عند كل عجيبِ
وذاك لأنَّ العارفين رأيتهمْ على طبقاتٍ فى الهواء رُتوبُ
فأصبحَ أمرى ليسَ يُدركُ غوره سِوَى أننى للعارفينَ خطيبُ

وللجنيد ، رحمه الله ، فى الاحتراق والتعذيب :

يا مُوقِدَ النارِ فى قلبى بقدرَته لوشئتَ أطفأتَ عن قلبى بك النار
لا عارَ إن مِتُّ من خوف ومن حذرٍ على فعالك بى لا عارَ لا عارا

وله أيضاً :

يا مُشعرى أسفاً يا مُتلفى شغفاً لو شئتَ أزلتَ تعذيبى بمقدار
حاشاكَ من استغاثاتى فكيف وقد أوليتنى نعماً طاحتْ بأذكارِ

سمعت أحمد بن على الوجيهى بالرملة يقول : كتب أبو الحسين النورى كتاباً إلى أبى سعيد الخراز ، رحمه الله ، فكتب فيه هذه الأبيات :

لعمْرِى ما استودعتُ سرى وسرَّه ... سوانا حذاراً أن تشيعَ السرائر
ولا لاحظته مُقلتاىَ بنظـــرة ... فتشهدَ نجوانا القلوبُ النواظرُ
ولكن جعلتُ الوَهْمَ بينى وَبينهُ ... رسولا فأدى ما تكنُّ الضمائرُ

وأنشد القنّاد لأبى الحسين النورى ، رحمه الله ، يصف فقدَ حاله وينعاه :

أنعى إليكَ إشاراتِ القلوبِ معاً ... لم يبقَ منهن إلا دارسُ العلَمِ
أنعى إليكَ قلوباً طال ما هطلَتْ ... سحائبُ الجود منها أبحُرَ الحِكم
أنعى إليكَ نفوساً طاحَ شاهدُها ... فيما وَرا الحيثِ بل فى شاهدِ القدمِ
أنعى إليكَ لسانَ الحق مُذْ زمن ... أوْدى وأذكارُهُ فى الوهم كالعدَمِ
أنعى إليكَ بياناً تستكينُ لهُ ... أسماعُ كلِّ فصيحٍ مِقول فَهِم
أنعى وحقك أخـــلاقاً لطائفةٍ ... كانت مطاياهمُ فى مكمنِ الكظَم

قال الشيخ ، رحمه الله : أنشدنى جعفر الخُلدى للجنيد ، رحمهما الله ، هذين البيتين :

مالى جُفيتُ وكنتُ لا أُجفى ... ودلائل الهجرانِ لا تخفى ؟ !
وأراكَ تسقينى وتمزُجُنى ... ولقدْ عهدْتكَ شاربى صرفا !

وفيما ذكر عبد الله بن الحسين ، قال : سمعت أحمد بن الحسين البصرى يقول : حضرتُ مجلس الجنيد ، رحمه الله ، فسأله رجل مسألة ، فأنشد :

نمَّ على سر وَجْدِهِ النفسُ ... والدمع من مُقلتيهِ يَنبَجِسُ
مُدلَّهٌ هائمٌ لهُ حـــرَقٌ ... أنفاســهُ بالحنين تختلسُ
مُهـــذبٌ عارفٌ لهُ فطَنٌ ... من نور أنسِ الحبيبِ يُقتبسُ
يا ، بأبى الأشعث الغريبُ فتى ... ليسَ لهَ دونَ سؤلهِ أنِسُ

يا ، بأبى جسمهُ الزّكىُّ وإن كان عليـهِ خُلَيِّقٌ دنسُ

قال : وأنشدنى أبو بكر الدق بدمشق قال : أنشدنى أبو على ، أحمد بن محمد الروذبارى ، رحمه الله ، لنفسه :

حدُّ القناعةِ مَحْوُ الكل منكَ إذا لاحَ المزيدُ بجـــدٍّ عنه مُطّلع
فإنْ تحققَ وصفُ الوجدِ مُشتملاً على الإشارات لم يَلوى على الطمع

قال : وأنشدنى الوجيهى قال : أنشدنى أبو على الروذبارى لنفسه :

كتبتُ إليـكم بمـاء الجفون وقلبى بماء الهوى مُشرَبُ !
وكفِّى تخطُّ وقلبى يملُّ وعيناىَ تمحو الذى تكتبُ !

قال : وأنشدنى أبو عبد الله ، أحمد بن عطاء الروذبارى لخاله أبى علىّ ، رحمه الله :

تأمّلَ منْ بعدِ تأميلهِ حُلول فنائك صَفْوُ الوصالِ
موانعَ عنْ احتواء الوصال إليك عن الوصل فى كل حال
على أن يرُدَّ عليك الصفاتِ بنعتِ التمكن عندَ الـكمالِ
فاقنع بقنعته أنْ تراهُ فَتُتَّ مدى لحظه فى النوالِ

وله :

إنى أجِلُّكَ عن رُوحى وأبذلُهـــا فداه عبدِكَ رُوحٌ أنتَ واهبُها
وكيفَ تفديكَ روحٌ أنت واهبها وقد مَنَنْتَ على من يفتديك بها ؟!

قال : وأنشدنى أبو بكر : أحمد بن إبراهيم المؤدّب البيروتى بمصر للخواص رحمه الله :

صبرْتُ على بعضِ الأذى خوف كله ودافعتُ عنْ نفسى لنفسى فعزّتِ
وجرّعتها المكروه حتى تدرّبتْ ولوْ جرعتْهُ جملةً لا شمأزّتِ
ألا رُبَّ ذُلٍّ ساق للنفسِ عِزةً ويا رُبَّ نفس بالتعزُّز ذَلّتِ

إذا ما مددتُ الكفّ ألتمسُ الغنى   إلى غير مَنْ قال اسألونى فشلّتِ
سأصبرُ نفسى إنّ فى الصبرِ عزّةً   وأرضَى بدُنياى وإنْ هىَ قلّتِ

وأنشدنى أبو حفص عمر الشِّمْشاطى بالرّملة للخوّاص ، رحمه الله :

لقد وَضَح الطريقُ إليكَ قصداً   فما أحدٌ أرادكَ يَسْتَدِلُّ
فإنْ وَرَدَ الشتاء فأنت صيفٌ   وإن وَرَدَ المصيفُ فأنت ظِلُّ

قال عمر : معناه من كتاب الله تعالى قال : « كَلاَّ إن مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ »

ولسُمْنون ، وكان يقال له : سمنون المُحِبّ يصِفُ ، الوجد :

هَبْنى وجدْتُكَ بالملوم ووجدِها   مَنْ ذا يجدْكَ بلا وُجُودٍ يَظْهَرُ
أيقظتَنى بالعِلْمِ ثم تركْتَنى   حَيْرَانَ فيكَ مُلَدّداً لا أبصرُ
يا غائباً والدّهرُ يُبرِزُ عِزّهُ   ما لاحَ منك صغيرُهُ قد يُبهِرُ
قد كنتُ أطرَبُ للوُجُودِ مُرَوَّعاً   طوْراً يُغيِّبُنِى وطوْراً أحضرُ
أفنَى الوُجودَ بشاهد مَشهودُهُ   يُفنِى الوُجُودَ وكلّ معنًى يحضُرُ
وطرَحْتَنى فى بَحْرِ قُدْسِكَ سابحاً   أبغيكَ منكَ بِلا وُجُود يَظْهرُ

وله :

شَغَلْتُ قلبى عَنِ الدُّنيا ولَذَّتِها   فأنتَ فى القلبِ شىءٌ غيرُ مُفترِقِ
وما تطابقتِ الأجفانُ عن سِنَةٍ   إلا وجدْتُكَ بين الجَفنِ والحَدقِ

أخبرنى جعفر الخلدى ، رحمه الله ، فيما قرأتُ عليه ، قال : سمعت الجُنَيْد ، رحمه الله ، يقول : كان أبو الحسن سَرِىّ السَّقَطى ، رحمه الله ، كثيراً يُنشد هذه الأبيات :

ولمّا ادّعيتُ الحبّ قالتْ : كذَبْتَنى   فما لى أرَى الأعضاء منك كَواسِيا
فما الحبّ حتى يَلْصَقَ الجِلدُ بالحشا   وتَذْبلَ حتى لا تُجيبَ المُناديا

وتَنْحَلَ حتى لا يُبَقِّى لكَ الهوَى سوَى مُقْلةٍ تبكى بها أو تُناجِيا

قال الجنيد ، رحمه الله : دخلتُ غُرْفته وهو يكنس بيته بخرقة و يقول :

ومارُمْتُ الدخُولَ عليه حتى حَلَلْتُ مَحَلّةَ العبْدِ الذليلِ
وأغْضَيْتُ الجفُونَ عَلَى قَذاها وصُنْتُ النفسَ عَنْ قال وقيلِ

قال : وكان يقول كثيراً هذا البيت :

ما فى النهار ولا فى الليـل لى فَرَجٌ فما أبالِى أطالَ الليــلُ أمْ قَصُرا

أنشدنى أبو عمرو الزّنجانى ، بتبريز قال : كان الشبلى ، رحمه الله يقول : عند موته :

قالَ سلطانُ حُبّهِ : أنا لا أقبَلُ الرّشــا
فَسَــلُوه فَدَيْتُهُ لِمَ قَتْــلِى تحرّشا

وله :

أظلتْ عَلَيْنا منـــكَ يَوْماً غمـامةٌ
أضــاءتْ لَنا بَرْقاً ، وأبطَى رِشــاشُها
فلا غَيْمُها يَجْلُو فيأيَسَ طامِـعٌ ولا غَيْثُهـــا يأتى فيروَى عِطاشُها

ثم قال للنسّاج : أين موضعك من هذا ؟ قال : بحيث الذلّ ، فقال : آه تذكر الذلّ بحضرتى ، غيرةً منه على المكان ! ثم أنشأ يقول :

لقد فُضِّلَتْ لَيْلَى على النّاسِ كالتى على ألفِ شهر فُضِّلَتْ ليْلَة القدر
فيا حُبّهَا زدْنى جوًى كلّ ليلةٍ ويا سَلوَةَ الأيامِ مَوْعِدُكِ الحشرُ

وقال الشبلى ، رحمه الله ، فى مجلسه يوماً :

وعَينانِ قال الله : كونا فكانَتا فَعُولانِ بالألباب ما تفعل الخمرُ

ثم قال : لستُ أعنى العيون النُّجْلَ ولكنى أعنى عيون القلوب ذوات الصدور ! فطو بى لمن كان له عينٌ فى قلبه ، وأُذنٌ واعيةٌ ، وألفاظ مرضية .

قال الشيخ ، رحمه الله : وسألتُ بعض المشايخ عن الدعاء ، ما وَجْهه لأهل التسليم والتفويض ؟ فقال : يدعو الله ، عز وجل ، على وجهين : أحدهما يزيد بذلك تزيين الجوارح الظاهرة بالدعاء لأن الدعاء ضرب من الخدمة يريد أن يزين جوارحه بهذه الخدمة ، والوجه الثانى أن يدعو ائتمارا لما أمره الله تعالى بالدعاء

دعاء للجنيد ، رحمه الله تعالى ، إلٰهى ، وسيدى ، ومولاى ، من أحسنُ منك حُكما لمن ايقن بك ؟ ومن أوسع منك رحمة لمن اتّقاك وقصدك ؟ ومن أسرع منك عطفاً ورأفة لمن أرادك وأقبل على طاعتك؟ فكلهم فى نعمائك يتقلبون ، ولك بفضلك عليهم يعبدون ، سرت همومهم بك إليك ، وانفردت إرادتهم لديك ، وأقبلت قلوبهم بك عليك ، وفنيت حظوظهم من دونك واجتمعت لك وَحْدَك ، فهم إليك فى الليل والنهار متوجهون ، وعليك فى كل الأحوال مقبلون ، ولك على الأحوال مؤثرون ، فأنا أسألك إلٰهى وسيدى ومولاى أن تكون لى بفضلك كالئاً كافياً عاصما راحما ، فإنى إليك لاجئ ، وبك مستغيث ، وإليك راغب ، ومنك راهب وعليك فى أمور الدنيا والآخرة متوكل ، لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين .

فهذه طرف من دعواتهم فى معانى مقاصدهم وأحوالهم ، مختصرٌ لمن أراد أن ينظر فيها ، ويتبرك بذلك ، وبالله التوفيق .

باب فى وصاياهم التي أوصى بها بعض لبعض

قال بعض المشايخ : قلتُ لرُوَيم ، رحمه الله : أوصِنى بوصية ، فقال لى : يا بنىّ ليس غير بذل الروح ، فإن قدرت على ذلك و إلا فلا تشتغل بترهات الصوفية .

واجتمع أصحاب يوسف بن الحسين عند يوسف ، رحمه الله ، فقالوا له : أوصنا ، فقال : اقتدوا بجميع ما رأيتم منى إلا اشيئين : لا تستدينوا على الله تعالى ، ولا تصحبوا المردان .

وقيل لسرى السقطى رحمه الله : أو صنا بشىء ، فقال : لا تستدينوا على الله تعالى ولا تنظروا فى وجوه المُرْد .

وقال رجل لأبى بكر البارزى : أوصنى ، فقال : احذر أُلفتك ، وعادتك ، والسكون إلى راحتك .

وقال أبو العباس بن عطاء ، رحمه الله ، فى بعض وصاياه لإخوانه : احذروا أن تكون غمومكم من أجل ما يظهر لكم ، وعليكم بما شاء الله دون ما تشاءون

وعن جعفر الخلدى ، رحمه الله ، أنه قال : كان الجنيد رحمه الله يوصى لرجل ، و يقول : قدّمْ نفسك وأخّرْ عَزْمَكَ ، ولا تقدم عزمك وتؤخر نفسك فيكون فيها إبطاء كثير .

ووجدت فى كتاب لأبى سعيد الخراز ، رحمه الله ، يوصى مريداً أو صديقاً له فيقول : يا أخى ، خالص أصحابك مخالصة ، وخالط أهل الدنيا مخالطة ، شاهدهم بظاهرك ، وخالفهم بفعلك ، ودينك لا تثلب ، إن ضحكوا فَابْكِ ، و إن فرحوا فاحزن ، و إن استراحوا فَجِدّ ، و إن شبعوا فتجوّعْ ، و إن ذكروا الدنيا فاذكر الآخرة واصبر على قلة الكلام والنظر والحركة والطعام والشراب واللباس حتى يسكنك الله من الفردوس حيث يشاء برحمته ؟

وقال أبو سعيد الخراز ، يوصى بوصية لبعض أصحابه : احفظ وصيتى أيها المريد

سبعٌ ، ففتح رأس البئر ونزل ، فتعلق أبو حمزة برجله ، فأخرجه من البئر ، فسمع هاتفاً يقول : هذا حسنٌ يا أبا حمزة : نجّيناك من التلف بالتلف : من البئر بالسبع ، فقال عند ذلك :

نهاني حيائي منك أن أكتمَ الهوى ... وأغنيتني بالفهم عنك من الكشفِ
تلطفت في أمري فأبديتُ شاهدي ... إلى غائبي واللطفُ يُدرَك باللطفِ
تراءيتَ لي بالغيبِ حتى كأنما ... تُبشِّرُني بالغيبِ أنك في الكَفِّ
أراكَ وبي مِنْ هيبتي لكَ وحشةٌ ... فتؤنِسُني باللطفِ منك وبالعطفِ
وتُحْيي مُحبًّا أنت في الحبِّ حتفُه ... وذا عجبٌ كونُ الحياةِ مع الحتْفِ

ولأبي نصر بشر بن الحارث ، رحمة الله عليه :

لا تعجبَنَّ لوَحدتي وتفرُّدي ... ومِنَ التفرُّدِ في زمانِكَ فازددِ
ذهبَ الإخاءُ فليسَ ثَمَّ أخوَّةٌ ... إلا التملُّق باللسانِ وباليدِ
فإذا تكشَّفَ لي بما في قلبه ... عاينتُ ثَمَّ نقيعَ سُمِّ الأسود

وليوسف بن الحسين الرازي ، رحمة الله عليه :

أحبُّ مِنَ الإخوان كلَّ مُؤاتي ... وكل غضيضِ الطرْفِ عن عثراتي
يُوافقني في كلِّ أمرٍ أُحبُّهُ ... ويحفظني حيًّا وبعد وفاتي
فمن لي بهذا ليتني قد وجدتُهُ ... فقاسمتُه مالي ومِنْ حسناتي

ولأبي عبد الله القرشي ، رحمة الله عليه :

وأنتَ خليطُ النفس في كل شأنِها ... ولكنَّ نفسَ الذاتِ منك مُباينهْ
تُخامِرُها حتى كأنك أنها ... وتَنفي قواها فالقُوى بكَ فانيهْ
يُعارضها الواشُون فيك بكلِّ ما ... يُقلقُها في سرِّها والعلانيهْ
وتَبلغُها ما كنتَ أنت لها به ... فتعذِرُهم في كلِّ ما كان كائنهْ

لقدْ قَرِحتْ آماقُها فيــــكَ مرّةً وقد قرحتْ منها السُّوَيداء ثانيهْ

وكتب أبو عبد الله الهيكلى إلى أبى عبد الله القُرشى ، رحمه الله تعالى :

ذاتٌ هُوِيَّتُهُ تـكونُ مذكَّرَهْ معروفةٌ تحتَ الخواطرِ مُنكَرَهْ
لا تجتـلى عينُ العقولِ ضياءها فلها بها الأبصارُ عنها مُبصرَهْ
وأعزُّ ممتنعٍ مـُــكانُ تناوُلٍ منها عَلَى مَنْ لا يراها مُخبِرَهْ
سُبلُ المعـارفِ كلُّها إلا بهـا مسدودةٌ عنها المذاهبُ مُقفِرَهْ
فإذا عَلِقْتَ بهـا وغبتَ بعينهـا عنها تجلّتْ للعقولِ مُخبِّرَهْ

ولأبى سعيد الخرّاز ، رحمة الله عليه :

قلبٌ يُحِبُّك لا يُومِى إلى أحدِ تـكادُ هِمَّتهُ تلقاكَ بالخـــبرِ
فؤادُهُ بك مشغُوفٌ ومُهجتُهُ تَذوبُ منْ قلَقِ التقريبِ والنظر
قلبٌ بها تجتنى الأذهانُ فطْنَتَهُ إذا سَمَت بك يا عِزِى ومُفتخرِى
مُرَنَّحاتٍ منَ الشجوِ الدَّفين لما كوامِنٌ جُمِعَتْ فى السَّمع والبصر
سُبحانَ مَنْ لو يشا أبْدَى عجائبها حتى ترى سِرَّها فى الوجه كالقمر

جواب أبى عبد الله القرشى للهيكلى ، وهو فيما قيل : قول أبى سعيد الخراز :

إذا ألبسَ الحقُّ الحقَّ حقيقة مِنَ الوَجدِ بانت عَنْ نعوت السرائر
وليسَ لأنّ السرَّ سُمِّى بمــــا يَلى عليهِ به لـكنّ أوصافَ قادرِ
ولا تأبَ عَنْ مكنُونها لفظَ عارفٍ ولـكن بتمثيل اللطيفِ المـآثرِ
إذا طلعتْ شمسٌ عليهـــا بنورها فأنتَ خليط للشُّعاعِ المبـاشرِ
بَعيد منْ الذّاتِ العزيز مكانها ولم تَعرَ مِنْ نعتٍ لنعتِكَ قاهرِ

ولأبى الحديد كتبها إلى القرَشى :

أهابُكَ أنْ أقولَ هلـكْتُ وَجْداً عليك، وقدْ هلـكْتُ عليك وجدا
ولو أنّ الرُّقادَ دنا لِطَرْفى جلدْتُ جُفونَها بالدَّمْع جلْدا

جواب أبي عبد الله :

ولٰـكِنى أَقُولُ حَيِيتُ حَقًّا   إذا الوَجْدُ المُبَرِّحُ مِنْكَ بَهْدَا
و إنْ حَلَّ الرُّقَادُ بِجَفْنِ عَينى   رَقَدْتُ إجابَةً لَكَ لا لأهْدا

قال الشيخ ، رحمه الله : وهذه الأشعار فيها ما هى مشكلة ، وفيها ما هى جلية ، ولهم فيها إشارات لطيفة ، ومعان دقيقة ؛ فمن نظر فيها فليتدبرها حتى يقف على مقاصدهم ، ورموزهم ، حتى لاينسب قائلها إلى ما لايليق بهم ، و إذا أشكل عليه ولم يفهم فليبحث بالسؤال عن من يفهم لأن لـكل مقام مقالا ، ولـكل علم أهلا ، ولو اشتغلنا بشرحه لطال الـكتاب .

باب الدعوات التى كان يدعو بها المشايخ المتقدمون من أهل الصفوة

دعاء كان يدعو به ذو النون ، رحمه الله : اللهمّ الحوْل حَولُك، والطَوْل طَوْلُك، ولك فى كلّ خلقك مدد قوةٍ وحول ، وأنت الفعال لما يشاء لاالعجز ولا الجهل يعارضانك ، ولاالنقصان والزيادة يُحيلانك ، وأنى يعارضانك ، وهما ماأحدثتَ ؟ أو يرومان إحالتك ، وهما ماخلقتَ ؟ وكيف لايكونان مما أحدثتَ وماخلقتَ ، وأنت الموجود بالدلائل عليك ؟ فلن يخلق خلقك غيرك أنت ؟ فتباركتَ يامن كلُّ مدروك فمن خلقِهِ ، وكلُّ محدود المدروكات فمن صنعِهِ ، أنت الذى لايُدركك فى الدنيا العيان ، ولا يستغنى عنك مكان ، ولا يعرفك غيرُك إلاّ بإقراره لك بالوحدانية ، ولايجهلك من خلقك إلاّ ناقِصُ المعرفة ، ولا يُسهيك شىء عن شىء ، ولايحُدُّ قدرتك أحدٌ ، ولايخلو منك مكانٌ ، ولايشغلك شأنٌ عن شأن .

دعاء آخر لذى النون ، رحمه الله : اللهم اجعل العيون منا فوارات ٍ بالعَبرات ، والصدور منا محشوةً بالعبر والحُرُقَات ِ، واجعل قلوبنا غواصةً فى موج فَزَعٍ أبواب السموات، تائهةً من خوفك فى البوادى والفلوات افتحْ لأبصارنا باباً إلى معرفتك، ولمعرفتنا أفهاماً إلى النظر فى نور حكمتك ، ياحبيب قلوب الوالهين ، ومنتهى رغبة الراغبين . ولذى النون رحمه الله : اللهم أنت آنسُ المؤنسين لأوليائك ، وأقربُهُم بالكفاية من المتوكلين عليك لمشاهدهم فضمايرُهم تَطّلعُ على أسرارهم . إلهى ، سرى إليك مكشوف ، وأنا إليك ملهوف ، إذا أوحشنى الذنبُ آنسنى ذِكرُك عالماً بأن أزمة الأمور بيدك وأن مصدرها عن قضائك . إلهى ، من أوْلَى بالذل والتقصير منّى وقد خلقتنى ضعيفاً ؟ ومن أوْلَى بالعفو منك وعِلمُك بى سابقٌ وأمرك بى مُحيطٌ ؟ أطعتُك بإذنك والمنةُ لك علىّ ، وعصيتُك بعلمك والحجةُ لك علىّ .

أسألك بوجوب رحمتك وانقطاع حُجتى وتفقرى إليك وغناك عنى ، أن تغفر لى خطيّتى الظاهرة والباطنة .

دعاء ليوسف ابن الحسين رحمه الله : اللهم إنا نباتُ نعمك فلا تجعلنا حصائدَ نِقَمك . اللهم أعطنا ماتريده منا ، يامن أعطانا الإيمان به من غير سؤال لاتمنعنا عفوك مع السؤال فإنا إليك آيبون ومن الإصرار على معصيتك تائبون ، فإنا إليك داعنون تائبون . اللهم تقبلْ ما مننتَ به علينا من الإسلام والإيمان الذى به هدَيتنا ، واعفُ عنا . إلهى نِعماك محيطة بنا ، وأنت المذخور لشكرها ، وعِزتِك ماشكرك أحدٌ إلاّ بك .

وقال يوسف رحمه الله : سمعت حكيماً يقول فى دعائه : الحمد لله الذى شكر على ما به أنعمَ ، وذم على مالو شاء منه عَصمَ . شَكرَ نفسهُ بنفسه عن خَلقه ، لأنه الله الذى لاإله إلاّ هو .

قال : سمعت بعض المشايخ يقول فى مناجاته :

أيا جُودَ رَبى ناجِ رَبى بحاجَتى فما لى إلَى ربى سِواكَ شَفيعُ

دعاء للجُنَيْد ، رحمة الله عليه ، مستخرج من كتاب المناجاة ، اللهم إنى أسألك ياخير السامعين ، و بجُودك ومجْدك يا أكرَمَ الأكرمين ، و بكرمك وفضلك ياأسْمحَ السامحين ، و بإحسانك ورأفتك ياخير المعطين أسألك سؤال خاضع خاشع متذلل متواضع ضارع اشتدت إليك فاقتهُ ، وأنزَلَ بك على قدر الضرورة حاجتَهُ ، وعظمتْ فيما عندك رغبتهُ ، وعَلِمَ أن لايكون شىء إلا بمشيئتك ، ولايشفع شافع إليك إلا من بعد إذنك ، فكم من قبيح قد سترتَهُ ، وكم من بلاء قد صرفتهُ ، وكم من عثرة قد أقلتها ، وكم من زلة قد سهلتَ بها ، وكم من مكروه قد رفعتَه ، وكم من ثناء قد نشرتَه ، أسألك ياسامع أصوات المستغيثين ، وعالم خفىِّ إضمار الصامتين ، ومطّلع فى الخلوات على أفعال المتحركين وناظر إلى مادق وجل من آثار الساعين ،

أسألك أن لاتحجب ـ بسوء فعلي ـ عنك صوتي ، ولاتفضحني ـ بخفي ما اطلعتَ عليه من سري ، ولاتعاجلني العقوبة على ما علمتَه من خلواتي ، وكن بي في كل الأحوال رافقاً ، وعلي في كل الأحوال عاطفاً ، إلهي وسيدي وسَنَدي أنا بك عائذ لائذ مستغيث مستجير من تكاثف مخاوف علل سري ومن لزوم ذلك ضميري وقلبي ، حتى يكاد ذلك أن يملأ صدري ، ويُوقف على الانبساط إلى ذِكرك عقلي ولساني ، ويمنع من الحركة في الخدمة جسمي ، فأنا في حبس مايعارضني من ذلك من النقص والتقصير أسألك أن تخرج ذلك عن ذكري ، وتمنعه من قلبي ، واجعل أوقاتي من الليل والنهار بذكرك معمورةً ، وبخدمتك وعبادتك موصولةً ، حتى يكون الورود وروداً واحداً والحال حالاً واحداً لاسآمة فيه ولافتور ولامَلَل ولاتقصير ، حتى أسرع به إليك في حين المبادرة ، وأسرح بذلك إليك في ميادين المسابقة وأرزقني من طعم ذلك اللذائذ السابغة ياأكرَمَ الأكرمين .

سمعتُ أبا سعيد الدينوري بأطرابلس يدعو بهذا الدعاء في مجلسه : اللهم إني أسألك بحقك عليك فلا حق أحق من حقك ، عليك بحقك على أهل الحق ، وبحق أهل الحق عليك ، وبحق كل ذي حق بأن لك بقدَمك بعلمك بكل شيء وملكك لكل شيء وقدرتك على كل شيء ، صل على محمد وعلى آله وأن تفعل بي كذا وكذا .

وحُكي عن عمر بن بحر قال : هذا دعاء حفظتُهُ عن الشبلي أنه كان يدعو به ، اللهم لك الحمد ياضياء السموات والأرض ، ويا بهاء السموات والأرض ، وياقيوم السموات والأرض ، ويا نور السموات والأرض ، بحق أسمائك عليك ، وبحقك عليك فلا حق أجل منك عليك ، وبحق ماأنزلتَ وبحق من جعلتَ له فهماً فيما أنزلتَ يا الله ويامن لاسواك الله ، ويا من أنت الله : صلى على محمد ، وعلى آل محمد ، واجمعهم ولاتشتتهم ، وارحم ظواهرهم ، واغمرْ بواطنهم ، وقم لهم بالكلاءة

والكفاية ، وكن لهم عِوضاً من كل عِوض ، وارحمهم ، ولا تردّهم إليهم طرْفة عَين ولا أقلّ من ذلك ، بحق كل حق أنت ذلك الحق ، واجعلهم أتقياء وأجلّاء فى معانيك اللدُنيّة ، واجعلهم ممّن إذا قال ، قال على التحقيق ، وإذا سكت فلا سِواكَ .

ومن دعوات يحيى بن مُعاذ الرازى رحمة الله عليه : إلهى وسيدى وأمَلى ومن به يتم عملى . وكان يقول : إلهى أدعوك بلسان أملى حين كَلّ لسانُ عملى ، وإلهى ماأطيبَ واقعات الإلهام منك على خطرات القلوب ، وما ألذّ مناجاة الإسرار إليك فى وطئات الغيوب . إلهى ، إذا قلت لى فى القيامة : عَبدى ماغرّك بى ؟ فأقول : سيدّى ، برُّك بى . وإن أدخلتنى النار بين أعدائك لأخبرنّهم بأنى كنت فى الدنيا أحبك لأنك مولاى ومن جميع الأشياء مغناى . وكان يقول : اللهم إن نجيتنى نجّيتنى بعفوك وإن عذّبتنى عذّبتنى بعدلك رضيتُ مابى لأنك ربى وأنا عبدك ، إلهى أنت تعلم أنى لاأقوى على النار وأنا أعلم أنى لاأصلح للجنة فما الحيلة إلا عفوك ، وقال : إلهى وسيّدى وسرورى تكرّمك شغلنى عن قبيح عملى وإن كان فيه شقائى ، وسرورى بنعمتك شغلنى عن حسن عملى وإن كان فيه نجاتى ، وسرورى بك أنسانى السرور بنفسى . وكان يقول:اللهم إنى أتقرب إليك ، وبك أدلّ عليك، وحُجتى نِعمك لاعملى ، وماأظنك تحاسب غداً بعدلك من غشيتَه اليوم بفضلك ، وعفوك يستغرق الذنوب ، ورضوانك يستغرق الآمال، ولولا أنك بالعفو تجود ماكان عبدك بالذنب يعود .

وكان يقول ، إلٰهى وسيّدى ومولاى ومن جميع الأشياء مغناى ، ضيّعتُ نفسى بالذنوب فردُدّها على بالتوبة ، أنت تعلم أن الكريم من عبادك يعفو عمن ظلمه وقد ظلمتُ نفسى وأنت أكرم الأكرمين فاعفُ عنّى ، إلٰهى ، أنت تعلم أن إبليس عدوٌّ لك ولى ، وليس شىء أنكَى لكَبده وأقطعُ لكيده من غفرانك لى فاغفر

لى يا أرحم الراحمين . سمعتُ عمر الملطى بأنطاكيه يقول : قلتُ لبعض المشايخ ينبغى أن تدعو لى ، فقال يا فتى ، أنا أدعو لك ، ولـكن ينبغى لك أيضاً أن تـكون بالحضرة ، فإذا دعوتُ لك ولم تكن بالحضرة لم ينفع دعائى .

وحُـكى عن إبراهيم بن أدهم ، رحمه الله ، أنه كان فى سفينة ، فهاج البحر ، وأمروا الناس أن يرموا بأمتعتهم إلى البحر ، فقيل له : ياأبا إسحق ، ادع الله لنا فقال : ليس هذا وقت الدعاء ، هذا وقت التسليم .

وقال بعضهم : صِدْق الإجابة من ربك فى صدق الدعاء من قلبك ، قال : وسمعت جعفراً قال: سمعت الُجنَيْد رحمه الله قال : كان سَرى السقطى ، رحمه الله ، إذا دعا ، يقول : اللهم مهما عذبتنى بشىء فلا تعذبنى بذل الحجاب ، وعن أبى حمزة ، رحمه الله ، قال : قلت لسرى السقطى رحمه الله : ادع لى ، فقال : جمع الله بينى وبينك تحت شجرة طوبى ، فإنه بلغنى أنه أول ما يدخل الأولياء الجنة يستريحون تحت شجرة طوبى .

وفيما حُـكى عن أبى محمد الجريرى قال : سمعت إبراهيم المارستانى رحمه الله تعالى يقول : رأيت الخضر ، رحمه الله ، فى المنام ، فعلمنى عشر كلمات وأحصاها على بيده : اللهم إنى أسألك حسن الإقبال عليك ، والإصغاء إليك ، والفهم عنك ، والبصيرة فى أمرك ، والنفاذ فى طاعتك ، والمواظبة على إرادتك ، والمبادرة فى خدمتك ، وحسن الأدب فى معاملتك ، وبرد التسليم إليك ، والنظر إلى وجهك

وحـكى عن أبى عبيد البُسرى ، رحمه الله تعالى ، قال : رأيت عائشة ، رضى الله عنها ، فى المنام ، فقلت لها : يا أمى ، علمينى دعاء ، قال قالت :يا أبا عبيد ، قل : اللهم أقلل مؤنتى ، وأحْسنْ معونتى ، وأعنى على أمر دنياى وآخرتى ، قال قلت : يا أمى ، زيدينى ، قالت : يكفيك يا أبا عبيد .

وكان بعض المشايخ إذا دعا ، يقول فى دعائه : إلٰهى أدعوك فى الملأ كما تُدعَى الأرباب ، وأدعوك فى الخلاء كما تدْعَى الأحباب .

فقال أبو الفرج العُكبَرِيُّ : سألته عن الغَيرَة ، فقال : غيرة البشرية للأشخاص ، وغيرة الإلهية على الوقت أن يضيع فيما سوى الله ، ثم أنشأ وهو يقول :

ذابَ مما في فؤادي بَدَني وفؤادي ذابَ مما في البَدَنْ
فاقطَعوا حَبلي وإن شئتم صِلوا كل شيء منكم عندي حَسَنْ
صحَّ عند الناسِ أني عاشقٌ غيرَ أنْ لَمْ يعلَموا عِشقي لِمَنْ !

وجرى شيء من العلم فأنشأ يقول :

وشُغِلْتُ عنْ فَهْم ِالحديثِ سِوَى ما كان منكَ وحُبُّكُمْ شُغْلي
وأُديمُ نحوَ مُحدِّثي نظَري أنْ قد فهمْتُ وعندكم عَقلي

وكان يُنشد هذين البيتين كثيراً في مجلسه :

رآني فأوْراني عجائبَ لُطفهِ فهِمْتُ وقلبي بالفِراقِ يَذوبُ
فلا غائبٌ عني فأسلوا بِذِكْرِهِ ولا هُوَ عني معرِضٌ فأغيبُ

وله :

جَرَى السيلُ فاستبكاني السيلُ إذ جرَى وفاضَتْ له مِنْ مُقلتيَّ غُرُوبُ
يكونُ أجاجاً دُونكم فإذا انتهى إليكم تلقَّى طِيبَكم فيطيبُ

ويقال : إن هذه الأبيات لسهل بن عبد الله رحمه الله في الصبر على المكاره :

أتذكرُ ساعةَ ألقِيتَ فيها وأنت وليدُها عَلا وصبرا
لتعلمَ أنَّ هذا الدهر يُمسي ويُصبِحُ طعمُهُ حُلواً ومُرّا
فلا يَملأْكَ محبوبٌ سُرُوراً وإنْ وافاك مكروهٌ فصبرا
وإنْ فارَقْتَ في دُنياكَ ذنباً فقلْ في إثرِهِ ياربِّ غفرا

وليحيى بن مُعاذ الرازي ، رحمة الله عليه :

أموتُ بداء لا يُصاب دوائيا ولا فرجٌ مما أرَى في بلائيا

يقولونَ : يَحيى جُنَّ مِنْ بعد صحةٍ ولا يَعْلَمُ العذّالُ ما في حشائيا
إذا كانَ داء المرْء حُبُّ مليكهِ فمنْ غيرَهُ يَرْجُو طبيباً مداويا
مع اللهِ يقضي دَهْرَهُ مُتلذّذاً تراهُ ، مُطيعاً كان أو كان عاصيا
ذَرُوني وشأني لا تَزِيدُون كُرْبَتي وخَلوا عِناني نحوَ مولَى المواليا
ألا فاهجرُوني وارغبوا في قطيعتي ولا تكشِفوا عمّا يجُنُّ فؤاديا
كاوني إلى المَوْلى ، وكفوا مَلاَمتي لآنَسَ بالمولى على كل ما بيا

لأبي العباس بن عطاء في الشكر :

وكم يَدٍ لكَ عندي ما شكرْتُ لها حملْتَها أنت عني مَعْ بَوادِيكا
ضَعفتُ عن حملِها عَجزاً لتحمِلَها لكن أياديك تحملها أياديكا

وله :

كيفَ شكري لِمنْ به يحْسُنُ الشكرُ ومنه شكري له في الودادِ
إنما يشكرُ المُحِبون وَجْداً وصفاء مِنْ خاصّةِ الانفرادِ

وله :

حقّاً ، أقولُ لقدْ كلفْتنِي شَططاً حمْلي هواكَ وصبري إنَّ ذا لَعجيبُ
جمعْتَ شيئينِ في قلبي له خطرٌ نوْعين ضِدّينِ : تبريدٌ وتلهيبُ
نارٌ تُقَلْقِلني والشّوْقُ يُضرِمُها فكيفَ يجتمِعا : رَوْحٌ وتعذِيبُ
لا كنتُ إن كنتُ أدري كيفَ يُبْلِيني صبري عليك وصبري: صبرُ أيوبِ
لمّا تحققَ بالبلوَى أقْشَعَرَّ لها فظلّ مِنْ ثِقلِها عُرْيان مكرُوبا
قدمَسّني الضرُّ والشيطانُ يَنْصِبُ لي وأنت ذُو قوّة والعبدُ منكوبُ
فلا تَكِلني إلى نفسي فيظفرَ بي مَنْ كان يَقربُني إذ كنتُ محجوبا

ولأبي حمزة الصوفي ، رحمه الله ، يقال : إنه وقع في بئر فطمّوا رأسها فجاء

وارغب فى ثواب الله تعالى ، وإنما هو أن ترجع إلى نفسك الخبيثة فتذيبها بالطاعة ، وتفارقها وتميتها بالمخالفة ، وتذبحها بالإياس فيما سوى الله ، وتقتلها بالحياء من الله عز وجل ، ويكون الله حسبك ، وتسارع فى جميع الخيرات ، وتعمل فى جميع المقامات وقلبك وجلٌ أن لا يُقْبَلَ منك ، فهذا حقائق القبول والإخلاص والصدق ، حتى تتخلص وتصير إلى الله تعالى ، والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد .

وصية أوصى بها ذو النون لبعض إخوانه ، فقال : يا أخى ، اعلم أنه لاشرف أعلى من الإسلام ، ولا كرم أعزُّ من التقى ، ولا عقل أحرز من الورع ، ولاشفيع أنجح من التوبة ، ولا لباس أجل من العافية ، ولا وقاية أمنع من السلامة ، ولا كنز أغنى من القنوع ، ولا مال أذهب للفاقة من الرضا بالقوت ، ومن اقتصر على بلغة الكفاف فقد انتظم الراحة ، والرغبة مفتاح التعب ومطية النصب ، والحرص داع إلى التهجم فى الذنوب ، والشره جامع لمساوى العيوب ، وربَّ طمع كاذب وأمل خائب ورجاء يؤدى الى الحرمان وإرباح يئول إلى الخسران .

وقال الجنَيْد ، رحمه الله ، فى كلام له لبعض أصحابه : أوصيك بقلة الالتفات إلى الحال الماضية عند ورود الحال الكائنة ، قال : وقلت لأبى عبد الله الخياط الدينورى رحمه الله : أوصنى بشىء ، فقال : أوصيك بخصلة ما أعْلَمُ أن يكون خصلة لم تصحبه آفة غيرها ، قلت: وما هى ؟ قال : ذِكْرك لأخيك بالجميل فى ظهر الغيب ، ودعاؤك له.

وحكى عن أبى بكر الوراق رحمه الله ، أنه قال : بِعْتُ العز من شهوة العز ، واشتريت الذل من خوف الذل ، هذا جزاء من خالف وصية الله تعالى .

وأتى رجل ذا النون المصرى ، رحمه الله ، فقال له : أوصنى ، فقال له : أوصيك إن كنتَ أيِّدْتَ فى علم الغيب بصدق التوحيد فقد سبق لك قبلَ أن تخلقَ من لدنْ آدم عليه السلام إلى يومك هذا دعوة النبيين والمرسلين فذلك خير لك ، وإن تكن غير ذلك ،فأنى ينقذ النداء الغرق ؟!

سمعت أبا محمد المهلب بن أحمد بن مرزوق المصرى يقول : لما حضرت أبا محمد المرتعش رحمه الله ، الوفاةُ أوصى إلىّ بأن أقضى دينه ، وكان عليه ثمانية عشر درهما ، فلما دفناه قومتْ ثيابُ بدنه بثمانية عشر درهما فبعتها بثمانية عشر درهما ، فخرَجَ رأساً برأس ، وقضينا دَينه ، واجتمع المشايخ فأخذوا كِنْفَهُ ، وكان فيه قماشٌ مثل ما يكون فى الكنف ، فأخذ كل واحد منهم شيئاً وتفرقوا .

ودخل رجل على إبراهيم بن شيبان ، رحمه الله ، فقال له : أوصنى بشىء ، فقال له إبراهيم : اذكر الله ولا تنسه ، فإن لم تستطع ذلك فلا تنس الموت ، قيل لبعض المشايخ : أوصنى ، فقال : امْحُ اسمك من ديوان القراء[1] . وقيل لأبى بكر الواسطى رحمه الله : أوصنا ، فقال : عدوا أنفاسكم وأوقاتكم والسلام ، وقيل لآخر : أوصنى ، فقال : القلة والذلة واللحوق بالله عز وجل .

وقال ذو النون رحمه الله : بينا أنا أسير فى جبل المقطم إذا أنا برجل على باب كهف ، فسمعته يقول : سبحانَ من عطل قلبى من الإياس وعمرَه بالآمال فاليأس منه قد فارقنى والأمل فيه قد أوصلنى ، فتأملته ، فإذا هو رجل قد أكدته العبادة وأقرحته الزهادة ، فدنوت منه ، فتركنى وولى ، فقلت له : أوصنى ، قال : انظر أن لا تقطع أملك عن الله تعالى طرفة عين ، واجمع بين السراء والضرآء ، وصل بينك وبين الله تعالى ، تر السرور فى يوم يخسر فيه المبطلون .

قلت : زدنى ، قال : حسبك حسبك .

وقال رجل لذى النون رحمه الله : زودنى كلمة ، فقال : لا تؤثرنّ الشك على اليقين ، ولا ترض من نفسك بغير التسكين ، وإن تأتك نائبة الدهر ،

---

(١) كان هناك دواوين القراء يكتب فيها اسم القارىء ليأخذ أجرا شهريا وتكون له شهرة بأنه قارىء .

فتحمَّلْها بحُسْن الصبر ، وأرْمِ بآمالك نحو الدائم الخبير تجِدْه بآمالك قائماً ، واغتنمْ مواصلة الله تعالى فإن لله عباداً أَلِفوه فاستأنسوا به ، وعرفوه فأمَّلوه على معرفته ، وواصلوه على عَيْن يقين ، فَسَمَتْ أبصارهم نحو عظيمٍ ، جليلٍ قُدْرَتُهُ ، فسقاهم من حلاوة مواصلته ، وألعقهم من لذاذة مخالصته ، فلِبُكائهم حَوْلَ العرش دوىٌّ ، ولدُعائهم حنينٌ تتقعقع أبوابُ السماء لسرعة تفتُّحها لإجابة دعائهم .

وللجُنَيْد ، فى بعض وصاياه ، يقول : يا أخى ، فاعملْ ، ثم اعجلْ قَبْلَ أن يعجل الموت بك ، وبادرْ ، ثم بادرْ قَبْلَ أن يُبَادَرُ إليك ، وقد وعظك الله تعالى فى الماضين من إخوَانك ، والمنقولين من الدنيا من أقرانك وأخدانك ، فذاك حظُّك الباقى عليك ، والنافع لك ، وكلّ ما سوى ذلك فعليك لا لك ، وهذه موعظتى لك ، ووصيتى إيّاك ، فاقبَلْها تَحْمَد الأمر بقبولها وتفوز باستعمالها والسلام .

فهذا طرفٌ من وصاياهم ، وتخصيص مقاصدهم فى ذلك ، وبالله التوفيق .

كتاب السماع

باب فى حُسن الصوت والسماع وتفاوت المستمعين

قال الشيخ ، رحمه الله ، قال الله عزّ وجلّ : « يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاء »[1] قالوا فى التفسير : الْخُلُق الطيِّب ، والصوت الحَسَن .

١٤٧ ورُوى فى الحديث عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : ما بعث الله نبيًّا إلاّ حَسَنَ الصوت .

١٤٨ وعن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : ما أَذِنَ الله تعالى لشَىْء كأَذَنه لنبىّ حَسَنِ الصوت — الحديث .

وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : اللهُ أَشَدُّ أذاناً بالرجل الحَسَن الصوت بالقرآن من صاحب القَيْنة بقينته .

وفى الحديث : أن داود عليه السلام قد أُعْطِىَ من حُسْن الصوت حتى كان يستمع لقراءته إذا قرأ الزّبور الجنّ ، والإنس ، والوحش ، والطير . وكان بنو إسرائيل يجتمعون فيستمعون ، وكان يُحْمَل من مجلسه أربعمائة جنازة ممّن قد مات كما رُوى فى الحديث .

١٤٩ ورُوى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : لقد أُعطِىَ أبو موسى مِزْماراً من مزامير آل داود ، لِما أُعطِىَ من حُسن الصوت .

١٥٠ وفى الحديث : أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قرأ يوم الفتح فمدّ مدًا ، وأنه كان يرجِّع .

(١) سورة فاطر : ١

وعن مُعاذ بن جَبَل أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لو علمتُ أنك هو ذا تسمع لحبَّرْتُه (١) تحبيراً ، وقد رُوى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : زيِّنوا القرآن بأصواتكم .

قال الشيخ رحمه الله : يحتمل هذا معنيين ، والله أعلم ؛ أحدهما : أنه أراد بذلك ، أن يزين قراءته للقرآن ، وهو رَفْعُ صوته بقراءة القرآن ، فيحسّن الصوت عند قراءته ، ويطيب النغمة ؛ لأنّ القرآن كلام الله غير مخلوق فلا يزين ذلك بصوت مخلوق ونغمة مكتسبة . والمعنى الآخر : يحتمل أنه أراد بذلك أى زيّنوا أصواتكم بالقرآن ، فيكون مقدّماً ومؤخّراً فى المعنى ، كقوله : « اَلْحَمْدُ لِلهِ اَلَّذِى أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً قَيِّماً » (٢) معناه مقدّم ومؤخّر على معنى : أنزل الكتابَ على عبده قيّماً ولم يجعل له عوجاً . ومثل ذلك فى القرآن كثير .

وقد ذم الله تعالى الأصوات المنكرة بقوله عز وجل : إنّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ » (٣) . وفى ذمّه الأصوات المنكرة محمدةٌ للأصوات الطيّبة .

وقد تكلم الحكماء فى معنى الأصوات الحسنة ، والنغمات الطيّبة ، وأكثروا فى ذلك ، فقال ذو النون ، رحمه الله ، وقد سئل عن الصوت الحَسَن ، فقال : مخاطبات وإشارات إلى الحقّ ، أَوْدَعها كلّ طيّب وطيّبة .

وعن يحيى بن مُعاذ الرّازى ، رحمه الله ، أنه قال : الصوت الحسن رَوْحة من الله تعالى ، لقلب فيه حُبّ الله تعالى .

وقال آخَر : النغمة الطيّبة رَوْحٌ من الله تعالى ، يروّح بها قلوباً محترقةً بنار الله تعالى .

---

(١) وفى نسخة : لحبرته لك (٢) الكهف : ١ (٣) لقمان : ١٩

وسمعت أحمد بن على الوجيهى يقول : سمعت أبا على الروذبارى ، رحمه الله يقول : إن أبا عبد الله الحارث بن أسد المحاسبى ، رحمه الله ، كان يقول : ثلاث إذا وجدن مُتِّعَ بهن ، وقد فقدناهن أجمع : حسن الصوت مع الديانة ، وحسن الوجه مع الصيانة ، وحسن الإخاء مع الوفاء .

وعن بُنْدار بن الحسين ، رحمه الله : أنه كان يقول : الصوت الطيب حكمة عجيبة والة سلمية ، بصوت رخيم ، ولسان لطيف ذلك تقدير العزيز العليم .

ومن اللطيفة التى جعل الله فى الأصوات الطيبة : أن الطفل فى المهد يبكى لوجود ألم ، فيَسْمَعُ الصوت الطيب فيسكت وينام .

ومشهور : أن الأوائل كانوا يعالجون من به العلة من السوداء بالصوت الطيب ، فيرجع إلى حال صحته .

وقال الشيخ ، رحمه الله : ومن السر الذى جعل الله فى الأصوات الطيبة التى فيها إنداء : ترى فى البوادى إذا عييت الجمال ، وقصرت عن السير : يحدو لها الحادى ، فتستمع وتمد أعناقها وتصغى بآذانها نحو الحادى . وتجود فى السير ، حتى تتزعزع محاملها من شدة سيرها ، وربما تتلف أنفسها إذا انقطع عنها حدو الحادى من ثقل حملها وسرعة سيرها بعد ما كانت لاتحس بذلك من إصغائها إلى حَدْوِ حاديها واستماعها إلى حسن نغمته وطيب صوت حاديها .

قال الشيخ ، رحمه الله : وقد حكى لى فى هذا المعنى ، الدُّقِّىُّ بدمشق ، وقد كان سئل عن ذلك ، فقال : كنت فى البادية ، فوافيت قبيلة من قبائل العرب فأضافنى رجل منهم وأدخلنى خباءه ، فرأيت فى الخباء عبداً أسود مقيداً بقيد ، ورأيت جمالا قد ماتت بين يدى البيت ، ورأيت جَمَلا قد نحل وهو ذابل كأنه هو ذا ينزع روحه ، قال : فقال لى الغلام المقيد : أنت الليلة ضيف لمولاى ، وأنت عنده كريم ، فتشفع فِىَّ حتى يحل عنى هذا القيد ، فإنه لا يردك ، قال : فلما قدَّموا

لى الطعام ، أبيت أن آكل ، فاشتد ذلك على صاحبى ، فقال لى : ما لك ؟ فقلت : لا آكل طعاماً إلا بعد أن تهب لى جناية هذا الغلام وتحل عنه قيده ، فقال : ياهذا إن هذا الغلام قد أفقرنى ، وأهلك جميع مالى ، وأضرّبى و بعيالى ، فقلت له : مافعل؟ قال : إن هذا الغلام له صوت طيّب ، وكنت أعيش من ظهر هذه الجمال ، فحملهم أحمالا ثقيلة ، وَحدَا لهم حتى قطعوا مسيرة ثلاثة أيام فى ليلة واحدة ، من طيب نغمته فى حَدْوِه لهم ، فلما وافونا وحطوا أحمالهم ماتوا كلهم إلا هذا الجمل الواحد وأنت ضيفى ، ولكرامتك قد وهبته لك ، قال : فحل عنه قيده ، وأكلنا الطعام ، فلما أصبحنا أحببت أن أسمع صوته ، قال : فسألته أن يسمعنى صوته ، قال : فأمره أن يحدو على جمل كان يُسْنَى عليه الماء من بئرهناك ، قال : فتقدم هذا الغلام وجعل يسوق ذلك الجمل و يحدو ، قال : فلما رفع صوته هام ذلك الجمل وقطع حباله ووقعت أنا على وجهى ، وما أظن أنى قط سمعت صوتاً أطيب من صوته ، وكان مولاه يصيح ويقول : يا رجل أيش تريد منى ؟ قد أفسدت على جملى ! ! اذهب عنى

حكاه الدقى على هذا المعنى ، أو كما قال ، والله أعلم ؟

سمعت أحمد بن محمد الطّلْى بأنطاكية ، يقول : سمعت بشراً يقول : سألت إسحق بن إبراهيم الموصلى : من الحاذق فى القول ؟ يعنى فى الغناء ، فقال : من تمكن من أنفاسه ، وتفرغ فى إحباسه ، ولطف فى اختلاسه .

باب فى السماع واختلاف أقاويلهم فى معناه

قال الشيخ رحمه الله : بلغنى أنه سئل ذو النون ، رحمه الله ، عن السماع ، فقال : وارد حق يزعج القلوب إلى الحق ، فمن أصغى إليه بحق تحقق ، ومن أصغى إليه بنفس تزندق .

وعن أحمد بن أبى الحوارى ، رحمه الله أنه قال : سألت أبا سليمان الدارانى ، رحمه الله ، عن السماع واستماع القصائد التى تنشد بالألحان ، فقال : من اثنين أحبُّ إلىّ منه من واحد .

وسئل أبو يعقوب النهرجورى ، رحمه الله ، عن السماع ، فقال : حالٌ يبدى الرجوع إلى الأسرار من حيث الاحتراق .

وقال بعضهم : السماع لطف غذاء الأرواح لأهل المعرفة ، لأنه وصف يَدِقُّ عن سائر الأعمال ، ويدرك برقة الطبع لرقته ، ويدرك بصفاء السر لصفائه ولطفه عند أهله .

وعن ابى الحسين الدراج ، أنه كان يقول : جال بى السماع فى ميدان من ميادين البهاء ، فأوجدنى فى وجود الحق عند العطاء ، فأسقانى بكأس الصفاء ، فأدركت به منازل الرضا ، وأخرجنى إلى رياض النزهة والفضاء .

وسئل الشبلى ، رحمه الله ، كما بلغنى ، عن السماع ، فقال : السماع : ظاهره فتنة ، وباطنه : عبرة ، فمن عرف الإشارة حل له استماع العبرة ، وإلا فقد استدعى الفتنة وتعرض للبلية .

وحكى عن الجنيد ، رحمه الله ، أنه كان يقول : من سمع السماع يحتاج إلى ثلاثة أشياء ، وإلا فلا يسمع ، قيل له : وما تلك الثلاثة ؟ قال : الزمان ، والمكان ، والإخوان .

ويقال: إن كل من لا يحب السماع الطيب من الآدميين فلنقص فيه واشتغال قد ورد على خاطره فأذهله .

وحكى عن جعفر ، عن الجنيد ، رحمه الله ، أنه قال : تنزل الرحمة على الفقراء فى ثلاثة مواطن : عند السماع ، فإنهم لا يسمعون إلا عن حق ، ولا يقومون إلا عن وَجْد ، وعند مجاراة العلم ، فإنهم لا يتكلمون إلا فى أحوال الصديقين والأولياء ؛ وعند أكلهم الطعام ، فإنهم لا يأكلون إلا عن فاقة :

قال : وسئل أبو على الروذبارى ، رحمه الله ، عن السماع ، فقال : ليتنا خلصنا منه رأساً برأس .

وسئل أبو الحسين النورى ، رحمه الله ، عن الصوفى ، فقال : الصوفى الذى سمع السماع ، وآثر على الأسباب .

وسمعت أبا الطيب : أحمد بن مقاتل العكى يقول : قال جعفر : كان أبو الحسين بن زيرى من أصحاب الجنيد ، وكان شيخاً فاضلا ، فربما كان يحضر فى موضع يكون فيه السماع ، فإن استطابه فرش إزاره وجلس ، وقال : الفقير مع قلبه ، أين ما وجد قلبه جلس ، وإن لم يستطب قال : السماع لأرباب القلوب ، وأخذ نعله وانصرف .

وسمعت الحصرى ، رحمه الله ، يقول فى بعض كلامه : أيش اعمل بالسماع ؟ ينقطع إذا انقطع من يُسْمَعُ منه ، ينبغى أن يكون سماعك متصلا غير منقطع .

واسئل عن السماع فقال : ينبغى أن يكون ظمأ دائم وشراب دائم ، فكلما ازداد شربه ازداد ظمؤه .

باب فى وصف سماع العامة

و إباحة ذلك لهم إذا سمعوا ذِكر الترغيب والترهيب بالأصوات الطيبة ، و يحثهم ذلك على طلب الآخرة

قال بُندار بن الحسين ، رحمه الله : كل من لم يحب السماع الطيب من الآدميين فلنقْص ٍ فى حاسته ، لأن كل تمتع يتمتع به الإنسان فيه تكلفٌ و إن كان من المباحات إلا السماع ، فإنه إذا خلص من المقاصد الفاسدة إباحةٌ لاتحتاج إلى التكلف ، وكل من سمع السماع من طريق الطيبة والتلذذ بالنغمة واستحسان الصوت فليس ذلك محرّماً عليهم ولا محظوراً ، إن لم يكن قصدهم فى ذلك الفساد والمخالفة واللهو وترك الحدود ، إن شاء الله تعالى .

فصل

قال الشيخ ، رحمه الله : ومما يستدل بذلك على إباحة السماع قوله تعالى : « وفى أنفُسِكُمْ أفَلاَ تُبصِرُونَ »(١) ، وقوله تعالى : « سَنرِيهِمْ آيَاتِنَا فى الآفَاقِ وَفى أنفُسِهِمْ »(٢) ، وما أرانا الله فى أنفسنا ، وأبصرْنا ذلك فى الحواس الخمسة التى قد يميز بها بين الشيء وضده ، كالعين تميز بالنظر بين الحسن والقبيح ، والأنف يميز بين الرائحة الطيبة والمنتنة ، والفم يميز بالذوق بين الحلاوة والمرارة ، واليد تميز باللمس بين اللين والخشن ، وكذلك الأذن تميز بين الأصوات الطيبة وغير الطيبة والمنكرة . قال الله تعالى : « إنْ أنكرَ الأصوَاتِ لَصَوْتُ الحمِيرِ »(٣) فى مذمّته الأصوات المنكرة محمدةٌ للأصوات الحسنة ، ولا يميز بينهما إلا بالسماع وهو الإصغاء والاستماع بحضور القلب ، و إدراك الفهم ، و إزالة الوهم .

(١) الذاريات : ٢١ (٢) فصلت : ٥٣ (٣) لقمان : ١٩

فصل آخر

قال الشيخ ، رحمه الله : وذلك أن الله ، تعالى ، وصف ما أعد لأهل الجنة من النعيم ، فذكر ما ذكر فى كتابه من السدْر المخضود ، والطلح المنضود ، والفاكهة الكثيرة ؛ وذكر لحم الطير ، والحور العِين ، والسندُس ، والإستبرق ، والرحيق المختوم ، والأرائك ، والقصور ، والغرف ، والأشجار ، والأنهار ، وغير ذلك ، وذكر أنهم فى روضة يحبرُون . قال مجاهد : وهو السماع الذى يسمعونَ فى الجنة بأصوات شجية ، ونغمات شهية من الجوارى الحسان والحور العين ، يقلن بأصواتهن: نحن الخالدات فلا نموت أبداً . ونحن الناعمات فلا نبؤس أبداً ، كما جاء ١٥١
فى الحديث .

وقد ذكر الله ، تعالى ، تحريم الخمر من جميع ذلك ، فقال النبى صلى الله عليه ١٥٢
وسلم : من شربها فى الدنيا لم يشربها فى الآخرة ، إلا أن يتوب ، فقد دخل السماع فى جملة ما أباح الله تعالى للمؤمنين فى الدنيا من جميع ما ذكر من نعيم أهل الجنة ، وصار الخمر مخصوصاً من جميع ذلك بالتحريم بنص الكتاب والأثر وظاهر الخبر .

فصل آخر

وهو أن النبى صلى الله عليه وسلم ، دخل بيت عائشة رضى الله عنها فوجد ١٥٣
فيه جاريتين تغنيان وتضربان بالدف ، فلم ينههما عن ذلك ، وقال لعمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، حين غضب ، وقال : أمزمار الشيطان فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : دعهما يا عمر ، فإن لكل قوم عيداً .

ولو كان محظوراً لكان سواء فى العيد وغير العيد ، والأخبار فى مثل ذلك تكثر ،

ومثل ما رُوى عن أبى بكر الصديق ، رضى الله عنه ، حين دخل على عائشة ، رضى الله عنها ، وقد وعك ، وكان يقول :

كلُّ امرىء مُصبحٌ فى أهلهِ والموتُ أدنى مِنْ شراكِ نعله

ومثل بلال ، كان يرفع حنجرته إذا اشتد به الوعك و يقول :

ألاليتَ شِعرىهل أبيتَنَّ ليلة بوادٍ وحولى إذخِرٌ وجليلُ
وهلْ أردَنْ يوماً مياهَ مجَنةٍ وهل يبدون لى شامةٌ وطَفِيلُ

وكذلك عائشه رضى الله عنها ، كانت تقول شعر لَبِيد :

ذهبَ الذين يُعَاش فى أكنافهمْ و بقيتُ فى خلف كجلدِ الأجرَبِ

ثم قالت : رحمة الله على لبيد كيف لو أدرك زمانَنا هذا ؟ ! وقد أنشد الشِّعر جماعة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذِكره يطول ، أنشدنى أبو عبد الله الحسين بن خالوَيه النحوى ، قال : أنشدنى ابن الأنبارى بإنشاد رفعه قال : أنشد كعب بن زهير بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هذه الأبيات :

بانتْ سُعادُ فقلبى اليوم متبولُ مُتَيمٌ إثرَها لم يُفدَ مكبولُ
وما سعادُ غداة البَين إذ ظَعنوا إلا أغَنُّ غضيضُ الطرْفِ مكحولُ
شُجَّت بذى شَبمٍ مِن ماء محنية صافٍ بأبطحَ أضحى وهوَ مشمولُ
تَنفى الرِّياحُ القذَى عنه، وأفرطَه مِن صوْبِ سارية بيضٌ يعاليلُ
أكرمْ بهاخُـلةً لو أنها صدَقَتْ موْعودَها، أو لوأنّ النُّصحَ مقبولُ
لـكنها خلةٌ قد سِيط مِنْ دمِها فَجعٌ،وَوَلعٌ،و إعراضٌ، وتبديلُ
كانت مواعيدُ عرْقوب لها مثلا وما مواعيــدُهُ إلا الأباطيلُ
أرجو وآمُلُ أن يَعجلنَ فى أبد وما لهنّ إدخالُ الدهرَ تعجيلُ
ولا تُمَسِّكُ بالوصلِ الذى زعمَتْ إلا كما يُمسِكُ الماء الغرابيلُ
فلا يغرَّنكَ مامنَّت وما وعدتْ إن الأمانىَّ والأحلامَ تضْليلُ

أمستْ سُعادُ بأرْضٍ لن يُبلغها إلا العِتاقُ النجيباتُ المراسيلُ
ولنْ يُبلغَها إلا عُـذافرةٌ فيها عَلَى الأينِ إرقالٌ وتَبغيلُ
ضَخمٌ مُقلّدُها فَعمٌ مقيّدُها في خَلقِها عن بناتِ الفحل تفضيلُ
حَرْفٌ أخوها أبوها مِن مُهجّنةٍ وعَمُّها خالُها قوْداء شِمْليلُ

وقد رُوى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : إن من الشعر لحكمة ، وقد قيل : إن الحكمة ضالة المؤمن ، ولما صح جواز الإنشاد للشعر ، فسواء كان إنشاده بالنغمة الطيبة والصوت الحسن ، أو يكون إنشاده بالحدْو ، والحدْر ، والنَّصْب ، والرَّمَل ، والرَّجَز ، إذا لم يكن لذلك مقاصدُ فاسدة ، وإرادة باطلة ، ومجاوزة الحدّ ومخالفة ومعاندة ، والله أعلم .

فصل آخر

قال الشيخ ، رحمه الله : وقد رخص في السماع ، واستجازه جماعةٌ من أئمة العلماء والفقهاء ، منهم مالك بن أنس ، ذُكر عنه : أنه سمع رجلا في وقت الهاجرة مجتازاً بباب داره وهو يغني ويقول :

ما بالُ قومِكِ يا رَبابْ خُزْراً كأنهمُ غِضابْ ؟!

قال فقال له مالك : لقد أسأت التأدية ومنعتَ القائلة ، قال : فسأله ذلك الرجل عن تأديته ، فقال له : تريد أن تقول : أخذتُها من مالك بن أنس ؟ .

والمشهور عنه وعن أهل المدينة أنهم كانوا لا يكرهون ذلك ، وفي تجويز ذلك أخبار عن عبد الله بن جعفر رضى الله عنه ، وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنه ، وعن غيرهما من الصحابة والتابعين .

وقد أجاز الشافعي رحمة الله عليه أيضاً السماع والترنم بالشعر ما لم يكن فيه إسقاط المروءة .

وقد ذُكر عن ابن جُرَيج ، مع جلالته ، أنه قال : ما كان سبب قدومي من اليمن ومُقامي بمكة إلا بيتان من الشعر سمعتهما يوماً وهما :

باللهِ قُولِي له مِنْ غيرِ مَعتبةٍ ماذا أَرَدْتَ بطولِ المكثِ باليمنِ ؟
إن كنتَ أَلمَمْتَ ذنباً أَوْ همَمْتَ به فما وَجَدْتَ بتركِ الحج مِنْ ثَمن

وقد ذُكر عن ابن جُرَيج أيضاً : أنه كان يرخص في السماع ، فقيل له : إذا أُتِيَ بك يوم القيامة ، وتؤتى بحسناتك وسيئاتك ، ففي أي الجنبتين يكون سماعك ؟

قال ابن جريج : لا يكون في الحسنات ولا في السيئات ، لأنه شبيهٌ باللغو لا يدخل في الحسنات ولا في السيئات ، قال الله تعالى : « لا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ باللغوِ فِي أَيمانِكُمْ »[1] .

قال الشيخ رحمه الله : فهذه فصول مختصرة في إباحة السماع للعامة إذا لم يصحبهم في ذلك مَقاصدُ فاسدة .

ودخولٌ في نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم : سماعَ الأوتار والمزامير
١٠٤ والمعازف والكُوبة والطبل ، لأن ذلك سماع أهل الباطل ، وهو المحظور المنهي عنه بالأخبار الصحاح المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) البقرة : ٢٢٥

باب فى وصف سماع الخاصة

وتفاضلهم فى ذلك

سمعت أبا عمرو : إسماعيل بن نُجَيْـد ، قال : سمعت أبا عثمان سعيد بن عثمان الرازى الواعظ ، يقول : السماع على ثلاثة أوْجُه : فوجهٌ منها للمُرِيدين والمبتدئين ، يستدعون بذلك الأحــوال الشريفة ، ويُخْشَى عليهم فى ذلك الفتنة والمراءاة .

والوجه الثانى : للصدِّيقين يطلبون الزيادة فى أحوالهم ، ويسـمعون من ذلك ما يوافق أحوالهم وأوقاتهم .

والوجه الثالث : لأهل الاستقامة من العارفين ، فهم لا يعترضــون ، ولا يتأبون على الله فيما يَرِدُ على قلوبهم فى حين السماع من الحركة والسكون ، أو كما قال .

وحُـكى عن أبى يعقوب إسحاق بن محمد بن أيوب النهرجورى أنه قال : أهل السماع على ثلاث طبقات : فطبقةٌ منهم مُطَّرَحٌ بحـكم الوقت فى سكونه وحركته ، وطبقة منهم صامت ساكن الصفة ، وطبقة منهم متخبّط عند ذوقه فهو الضعيف منهم .

وعن بُنْدَار بن الحسين أنه قال : السماع على ثلاثة أوْجُه : فنهم مَنْ يسمع بالطبع ، ومنهم من يسمع بالحال ، ومنهم من يسمع بالحقّ .

قال الشيخ ، رحمه الله : فمن يسمع بطبعه اشترك فيه الخاصّ والعامّ وكلّ ذى رُوح يستطيب الصوت الطيِّب لأنه من جنس الروح روحانىٌّ وقد تقدّم ذكر ذلك ، ومن يسمع بحـاله فإنه يتأمّل إذا سمع حتى يَرِدَ عليه معْنًى من

ذِكْر عتاب أو خطاب ، أو ذِكْر وَصْل أو هَجْر ، أو قُرْب أو بُعْد ، أو تأسّفٍ على فائت أو تعطّشٍ إلى ما هو آتٍ ، أو ذِكْر طَمَعٍ أو يأس ، أو بسط أو استئناس ، أو خوف الافتراق ، أو وفاء بالعهد ، أو تصديق بالوعد ، أو نقض للعهد ، أو ذِكْر قلق واشتياق ، أو فَرَح الاتصال ، أو تَرَح الانفصال ، أو التحسّر على مالم ينل ، أو القنوط على الذى أمّل ، أو ذِكْر صفاء المحبّة ، أو التمكّن من المودّة ، أو ذِكْر اعتراض الصبوة بعد تمكّنه من الحظوة ، أو ذِكْر محافظة الرقيب عند ملاحظة الحبيب ، أو تباريح الشجون وفُنون الفُنون ، وإهمال الُجفون ، وسُكوب العَبَرات ، وتردّد الزَّفَرات ، وتجدّد الحَسَرات ، فإذا طرق سَمْعَهُ من ذلك حالٌ ممّا يوافق حاله فيكون كالقادح يقدح فى سِرِّه على قدر صفاء وَقْتِهِ ، وقوّة قادحِهِ ، فتشتعل نَارٌ ترمى بشَرَرِهَا ، فيَبين ذلك على الجوارح ، ويظهر على ظاهر صفاته التغيير والحركة والاضطراب والتهييج ، فعلى قدر طاقته يضبط ، وعلى قدر قوّة واردِهِ يعجز عن الضبْط ، فسبحان من يتولّى سياستهم وحفْظهم ، ولولا فَضْل عليهم ورحمته ورِفْقه بهم لطارت عُقولهم ، وتَلِفَتْ نفوسهم ، وذهبت أرواحهم .

ومن يسمع بالحقّ ومن الحقّ فإنه لا يترسّم بهذه الرسوم ، ولا يلتفت إلى هذه الأحوال ، ولا يشهد هذه الأفعال ؛ لأنها وإن كانت شريفةً فهى ممزوجة بحظوظ البشرية ، مرتبطة بحدود الإنسانية ، وهى مُنَقّاة مع العِلَل ، ولا يُؤْمَنُ عليها الزَّلَلَ ، حتى يكون سماعُهُ بالله ولله ومن الله وإلى الله ، وهُمُ الذين وصلوا إلى الحقائق ، وعبروا الأحوال ، وفَنُوا عن الأفعال والأقوال ، ووصلوا إلى محض الإخلاص ، وصفاء التوحيد ، فخمدت بشريتهم ، وفنيت حُظوظهم ، وبقيت حُقوقهم ، فشهدوا مَوَارِدَ الحقّ بالحقّ بلا علّة ولا حظّ للبشرية ولا تنعّم الروح بالنعمة ، فشهدوا من مَوَارِد السماع على أسرارهم

إظهار حكمته وآثار قدرته وعجائب لطفه وغرائب علمه « ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ »[1] .

وقال بعضهم : أهل السماع فى السماع على ثلاثة ضروب : فضربٌ منهم أبناء الحقائق ، وهم الذين يرجعون فى سماعهم إلى مخاطبة الحقّ لهم فيما يسمعون ، وضرب منهم يرجعون فيما يسمعون إلى مخاطبات أحوالهم وأوقاتهم ومقاماتهم ، وهم مرتبطون بالعلم ومطالبون بالصدق فيما يشيرون إليه من ذلك ، والضرب الثالث هم الفقرآء المجردون الذين قطعوا العلائق ولم تتلوث قلوبهم بمحبة الدنيا والاشتغال بالجمع والمنع ، فهم يسمعون بطيبة قلوبهم ، و يليق بهم السماع ، وهم أقرب الناس إلى السلامة ، وأسلمهم من الفتنه . والله أعلم .

---

(١) الحديد : ٢١

باب فى ذكر طبقات المستمعين

قال الشيخ رحمه الله : اختلف المستمعون فى السماع على طبقات ؛ فطبقة منهم اختاروا سماع القُرْآن ولم يَرَوْ غيرذلك ، واحتجوا بقوله تعالى : « وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً »[1] ، وقوله : « أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ »[2] ، وقوله : « مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ »[3] ، وقوله : « الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ »[4] ، وقوله : « لَوْ أَنْزَلْنَا هٰذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ » الآية[5] ، وقوله : « وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ »[6] ، وقوله : « الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ »[7] . والآيات فى ذلك تكثر .

واحتجوا بقول النبى صلى الله عليه وسلم : زيّنوا القرآن بأصواتكم ، وقول النبى صلى الله عليه وسلم لابن مسعود رضى الله عنه : اقرأ ، فقال : أنا أقرأ وعليك أُنزِلَ ؟ قال : أنا أحبُّ أن أسمع من غيرى . وقول البراء سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بالتين والزّيتون ، فما رأيت أحسن من قراءته ، وقوله عليه الصلاة السلام : شَيَّبَتْنِي هُودٌ وأَخَواتها ، وقوله لأبى موسى : لقد أُوتى مزماراً من مزامير آل داود ، وقوله حين سئل : مَنْ أحسنُ قراءةً ؟ قال : من إذا قرأ رأيت أنه يخشى الله تعالى ، وأن النبيّ صلى الله عليه وسلم مرّ على عصابة من أهل

---

(١) المزمل : ٤ (٢) الرعد : ٢٨ (٣) الزمر : ٢٣

(٤) الحج : ٣٥ (٥) الحشر : ٢١ وتكملة الآية : لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون.

(٦) الإسراء : ٨٢ (٧) الزمر : ١٨

١٦٢ الصُّفَّة يستر بعضهم بعضاً من العُرْى وقارىء يقرأ لهم ، وأن النبيّ صلى الله
١٦٣ عليه وسلم قرأ : « فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ »[1] فصعق ،
وأنه قرأ : « إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ »[2] ، فبكى . وأنه عليه السلام كان إذا
مر بآية رحمة دعا واستبشر ، وإذا مر بآية عذاب دعا واستعاذ .

١٦٤ والأخبار فى ذلك كثيرة ، فمن اختار استماع القرآن فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : لاخير فى قرآءة ليس بها تدبرٌ ، وقد ذكر الله تعالى المستمعين القرآن فى مواضع من كتابه على وجهين : فوجهٌ منها قوله عز وجل : « وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ »[3] إلى قوله « عَلَى قُلُوبِهِمْ » فهؤلاء كانوا يستمعون القرآن بآذانهم ولم يحضروا بقلوبهم ، فذمهم الله عز وجل بذلك ، وطبع على قلوبهم ، وهم الذين قال الله عز وجل « وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا : سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ[4] » .

والوجه الثانى : هم الذين وصفهم الله عز وجل فقال : وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ[5] الآية . فهؤلاء هم الذين سمعوا القرآن لأنهم حضروا بقلوبهم عند استماعهم القرآن ، فمدحهم الله تعالى بذلك . ومثل ذلك فى القرآن كثير .

ولو ذكرت ما يدخل فى هذا الباب ممن سمع القرآن فصعق وبكى ، ومن مات ومن انفصل بعض أعضائه ، ومن غُشِىَ عليه من الصحابة والتابعين وبعد التابعين إلى وقتنا هذا لطال به الكتاب ، وخرج عن حد الاختصار ، إن لو ذكرنا مثل

---

(١) النساء : ٤١ (٢) المائدة : ١١٨
(٣) محمد : ١٦ وتكملة الآية : قالوا للذين أوتو العلم : ماذا قال آنفا ؟ أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم
(٤) الأنفال : ٢١ (٥) المائدة : ٨٣ وتكملة الآية : ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا يقولون : ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين

زرارة بن أوفى من الصحابة ، أمّ بالناس فقرأ آية من كتاب الله فصعق ومات في مكانه ومثل أبى جهير من التابعين ، قرأ عليه صالح المرّى فشهق ومات .

وقد حكى عن الشبلى رحمه الله أنه سأله أبو على المغازلى رحمه الله فقال : ربما تطرق سمعى آيةٌ من كتاب الله تعالى فتُحذرنى على ترك الأشياء والإعراض عن الدنيا ، ثم أرجعُ إلى أحوالى وإلى الناس ، ثم لا أبقى على هذا وأدْفعُ إلى الوطن الأولى : فقال : ما طرق مَسامِعك من القرآن فاجْتذَبك به إليه فذاك عطفٌ منه بك ، وما رُددْتَ إلى نفسك فهو شفقة منه عليك : لانه لم يصح لك التبرّى من الحول والقوة فى التوجه إليه .

وقد حُـكى عن أحمد بن أبى الحوارى عن أبى سليمان الدارانى رحمهما الله أنه قال : ربما أبقى فى الآية خمس ليال ، ولولا أنى أترك الفكر فيها ما جُزْتُها أبداً ، وربمـا جاءت الآية من القرآن فيطير فيها العقل ، فسبحان الذى يردُّه بعد ذلك .

وقد حُـكى عن الجنيد رحمه الله أنه قال : دخلتُ على سرى السقَطى رحمه الله فرأيت بين يديه رجلا قد غشى عليه ، فقال لى : هذا رجل سمع آية من كتاب الله عز وجل فَغُشِيَ عليه ، فقلت : اقرأ عليه هذه الآية التى قرئت عليه ، فقرأ ، فأفاق ، فقال لى : من أين لك هذا ! فقلت : رأيت يعقوب عليه السلام كان عماهُ من أجْل مخلوق ، فبمخلوق أبصر ، ولو كان عماه من أجْل الحق ما أبصر بمخلوق ، فاستحسن منى ذلك .

وحـكى عن بعض الصوفية أنه قال : كنت أقرأ ليلة هذه الآية : « كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ »[1] فجعلتُ أُرَدّدُها وإذا أنا بهاتف يهتف : إلى كم تردّدُ هذه الآية ؟ وقد قتلتَ أربعة من الجن لم يرفعوا رُءوسهم إلى السماء منذ خلقوا .

---

(١) آل عمران : ١٨٥

سمعت أبا الطيب أحمد بن مقاتل العكّى يقول : كنت مع الشبلى رحمه الله فى مسجد ليلة فى شهر رمضان وهو يصلى خَلفَ إمام له وأنا بجنبه ، فقرأ الإمام هذه الآية : « وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ »[١] الآية ، فزعق زعقة قلتُ : قدطارت روحه ، ورأيته قد اخضر وهو يرتعد ، وكان يقول: بمثل هذا تخاطب الأحباب يردد ذلك مراراً .

فمن اختار سماع القرآن اختاره لما ذكرنا من هذه الآيات ، والأخبار .

والمعوَّل عند استماع القرآن حضور القلب ، والتدبر والتفكر والتذكر وعلى مايصادف قَلْبَه عليه من قرآءته فيكون الغالبَ على وقته فى استماعه القرآن ، فإذا لم يكن له حالٌ ولم يكن فى قلبه وَجْدٌ يطرقه ما سَمِعَه من القرآن و يوافقه و يزعجه فمثله « كَمَثَلِ الَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ »[٢] .

---

(١) الإسراء : ٨٦ (٢) البقرة ١٧١ وتكملة الآية: إلا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لا يعقلون

باب ذكر من اختار سماع القصائد والأبيات من الشعر

قال الشيخ رحمه الله : فأما الطبقة التى اختارت السماع : سماع القصائد وهذه
١٦٥ الأبيات من الشعر ، فحجتهم من الظاهر فى ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم : إن
١٦٦ من الشعر حكمة، وقوله : الحكمة ضالة المؤمن ، وزعمت هذه الطائفة : أن القرآن كلام الله وكلامه صفته ، وهو حق لا يطيقه البشر إذا بدا، لأنه غير مخلوق لا تطيقه الصفات المخلوقة ، ولا يجوز أن يكون بعضه أحسن من بعض ، ولا يزيّن بالنغمات المخلوقة ، بل به تزينُ الأشياء ، وهو أحسنُ الأشياء ، ومع حُسْنه لا تُسْتَحْسَن المستحسنات ، قال الله تعالى : « وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ »(١) وقال : « لَوْ أَنْزَلْنَا هٰذَا ٱلْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ »(٢) الآية ، فكذلك لو أنزله الله تعالى على القلوب بحقائقه ، وكُشِفَتْ للقلوب ذرةٌ من التعظيم والهيبة عند تلاوته لتصدعت وذهلت ودهشت وتحيرت .

ولما رأوا فى المتعارف بين الخلق ، أن أحدهم ربما يختم القرآن ختمات ولا يجد رقة فى قلبه عند التلاوة فإذا كان مع القراءة صوتٌ حسنٌ ، أو نغمة طيبة شجية وجد الرقة وتلذذ بالاستماع ، ثم إنه إذا كان ذلك الصوت الحسن والنغمة الطيبة على شىء غير القرآن أيضاً فوجد تلك الرقة وذاك التلذذ والتنعم ، علموا أن الذى هو ذا يظنون من الرقة والصفاء والتلذذ والوجد أنه من القرآن . لو كان كذلك لكان فى حين التلاوة ووقت القرآءة غير منقطع منهم على الدوام .

والنغمات الطيبة موافقة للطبائع ، ونسبته نسبة الحظوظ لا نسبة الحقوق ، والقرآن كلام الله ونسبته نسبة الحقوق لا نسبة الحظوظ ، وهذه الأبيات والقصائد أيضاً

---

(١) القمر : ١٧ (٢) الحشر : ٢١

نسبتها نسبة الحظوظ لا نسبة الحقوق ، وهذا السماع و إن كان أهله متفاوتين فى درجاتهم وتخصيصهم فإن فيه موافقة للطبع ، وحظا للنفس ، وتنعما للروح ، لتشاكله بتلك اللطيفة التى جُعلت فى الأصوات الحسنة ، والنغمات الطيبة ، وكذلك الأشعار فيها معان دقيقة ، ورقة وفصاحة ولطافة و إشارات ، فإذا عُلقت هذه الأصوات والنغمات على هذه القصائد والأبيات يشاكل بعضها بعضا بموافقتها ومجانستها ، ويكون أقرب إلى الحظوظ ، وأخف محملا على السرائر والقلوب ، وأقل خطراً لتشاكل المخلوق بالمخلوق .

فمن اختار استماع القصائد على استماع القرآن اختار لحرمة القرآن ، وتعظيم ما فيه من الخطر : لأنه حقٌّ ، والنفوس تخنس عندها ، وتموت عن حركاتها ، وتفنى عن حظوظها وتنعمها إذا أشرقت عليها أنوار الحقوق بتشعشعها وأبدت بها عن معانيها ، فقالوا : ما دامت البشرية باقية ونحن بصفاتنا وحظوظنا وأرواحُنا متنعمة بالنغمات الشجية والأصوات الطيبة فانبساطنا بمشاهدة بقاء هذه الحظوظ إلى القصائد أولى من انبساطنا بذلك إلى كلام الله عز وجل الذى هو صفته وكلامه الذى منه بدا و إليه يعود

وقد كره جماعةٌ من العلماء القراءة بالتطريب ، ووضعُ الألحان الموضوعة على القرآن غير جائز عندهم ، قال الله تعالى : « ورَتِّلِ الْقُرآنَ تَرْتِيلاً »(١) و إنما فعل من فعل ذلك لأن الطبائع البشرية متنافرةٌ عن سماع القرآن وتلاوته : لأنه حقٌّ ، فعلقوا على تلاوتهم هذه الأصوات المصوغة ليجتذبوا بذلك طبائع العامة إلى الاستماع ، ولو كانت القلوب حاضرةً ، والأوقات معمورةً ، والأسرار طاهرة ، والنفوس مؤدبة ، وطبائع البشرية منخنسة ، لما احتيج إلى ذلك . و بالله التوفيق .

---

(١) المزمل : ٤

باب فى وصف سماع المريدين والمبتدئين

قال الشيخ رحمه الله: سمعت أبا عمرو عبد الواحد بن علوان بالرّحبة ، رحبة مالك ابن طوق ، قال : كان شابٌ يصحب الجنيد رحمه الله ، فكان إذا سمع شيئاً من الذكر يزعق ، فقال له الجنيد يوما : إن فعلت ذلك مرة أخرى لم تصحبنى ، قال : فربما كان يتكلم الجنيد رحمه الله فى شىء من العلم ، فيتغير ، و يضبط عند ذلك نفسه حتى يقطر عن كل شعرة من بدنه قطرةٌ من الماء . وحكى لى أبو عمرو : أنه صاح يوما من الأيام صيحة فانشقّ وتلفت نفسه .

ورأيت أبا الحسين السيروانى صاحب الخواص بدمياط ، وكان يحكى عن الجنيد رحمه الله أنه قال : رأيت رجلا قد سمع السماع حتى تفسّخ ، ورأيت رجلا سمع الذكر حتى مات ، أو كما قال . وسمعت الدقى يقول : سمعت الدراج يقول : كنت أنا وابن الفُوَطى مارّيْنِ على الدجلة بين البصرة والأُبلّة و إذا بقصر حسن ، له منظر وعليه رجل بين يديه جارية تغنى وتقول :

كلَّ يوْمٍ تتلوّنْ ... غيرُ هذا بكَ أجملْ
فى سبيلِ اللهِ وُدٌّ ... كانَ مِنى لك يُبذَلْ

قال : وإذا شابٌ تحت المنظر بيده ركوة وعليه مرقّعة يتسمع ، فقال : يا جارية بالله و بحياة مولاك إلا أعدْتِ علىّ هذا البيت ، قال : فأقبلت الجارية عليه وهى تقول هذا البيت :

كلَّ يوْمٍ تتلوّنْ ... غيرُ هذا بكَ أجملْ

وكان الشابّ يقول : هذا والله تلوّنى مع الحق فى حالى ، قال فشهق شهقة ، ومدّ ، فتأملناه فإذا هو ميت ، قال : فقلنا : قد استقبلنا فرضٌ ، فوقفنا ، فقال صاحب القصر للجارية : أنتِ حرة لوجه الله تعالى ، قال ثم خرج أهل البصرة

وصلوا عليه ، فلما فرغوا من دفنه قام صاحب القصر وقال :أليس تعرفونى؟ أنا فلان ابن فلان أشهدكم أن كل شىء لى فى سبيل الله تعالى ، وكل جوارىَّ أحرارٌ ، وهذا القصر للسبيل ، قال : ثم رمى بثيابه ، واتّزر بإزار ، وارتدى بالآخر ، ومر على وجهه والناس ينظرون إليه حتى غاب عن أعينهم وهم يبكون ، فما رآه أحد بعد ذلك ولا سُمع له خبرٌ ، وما رأيت يوما أحسن من ذلك اليوم ، أو كلاما هذا معناه ، والله أعلم .

قال: وسمعت الوجيهى يقول : سمعت أبا على الروذبارى يقول : دخلت مِصر فرأيت الناس مجتمعين أو منصرفين من الصحراء ، فسألتهم ، فقالوا : كنا فى جنازة فتى سمع قائلا يقول :

كَبُرَتْ همــة عبدٍ طمعتْ فى أن تراكا

وزعق زعقة ومات . ومما حكى الدقى قال : سمعت أبا عبد الله بن الجلاّء يقول : رأيت بالمغرب شيئين عجيبين ، رأيت فى جامع قَيْرَوَان رجلا يتخطّى الصفوف ، و يسأل الناس ويقول: تصدقوا علىَّ فإنى كنت رجلا صوفيا فضعفتُ. والآخر أنى رأيت شيخين اسم أحدهما جَبَلَة والآخر زُرَيق ، ولكل واحد منهما تلامذة ومريدون ، فزار يوما من الأيام جبلة زريقٌ مع أصحابه ، فقرأ رجل من أصحاب زريق شيئا من القرآن ، فصاح من أصحاب جبلة رجل صيحة فمات ، فلما كان غداة يومئذ قال جبلة لزريق : أين صاحبك الذى قرأ بالأمس؟ فدعاه وقال له: اقرأ ، فقرأ شيئا فصاح جبلة صيحة فمات القارىء فى مكانه ، فقال : واحد بواحد والبادىء أظلمُ ، أو كلاما هذا معناه .

وحكى محمد بن يعقوب عن جعفر المبرقع ، وكان من الأجِلّة ، أنه حضر فى موضع فيه سماع ، فقام وتواجد وقال فى قيامه : خُتم بنا المريدون .

قال الشيخ رحمه الله : ولا يصح السماع المريد حتى يعرف أسماء الله تعالى وصفاته : حتى يضيف إلى الله ماهو أولى به ، ولا يكون قلبه ملوّثا بحب الدنيا وحب

الثناء والمحمدة ، ولا يكون فى قلبه طمع فى الناس ولا تشوّفٌ إلى المخلوقين ، مراعياً لقلبه ، حافظاً لحدوده ، متعاهداً لوقته ، فإذا كان كذلك يسمع ما يكون داخلا فى صفة التائبين والقاصدين والطالبين والمنيبين والخاشعين والخائفين ، ويسمع ما يحثه على المعاملة والمجاهدة ، ولا يسمع على الجملة ، ولا يتكلّف ، ولا يسمع للاستطابة والتلذذ : لكيلا يصير عادتَه فيشغله عن عبادته ورعاية قلبه ، فإن لم يكن كذلك يجب عليه ترك ذلك ، والاجتناب والتباعد عن المواضع التى يحضر فيها ذلك ، ولا يحضر السماع إلا فى مواضع يجرى ذكر ما يحثه على المعاملة ويجدد عليه ذكرَ الله تعالى والثناء على الله وما فيه رضا الله .

وإن كان مبتدئاً لا يعلم شرائط السماع فيقصد من يعلم ذلك من المشايخ حتى يتعلم منه ذلك ، حتى لا يكون سماعه لهواً ولعباً ، ولا يضيف إلى الله تعالى ما هو منزّه عنه فيكفر ولا يدرى ، ولا تدعوه نفسه وهواه إلى اتّباع الحظوظ ويخيّل إليه الهوى والشيطان أنه من الحقوق فيهلك عند ذلك . والله ولى التوفيق .

باب فى وصف المشايخ فى السماع وهم المتوسطون العارفون

قال الشيخ رحمه الله : سمعت الوجيهى يقول : سمعت الطيالسى الرازى يقول : دخلت على إسرافيل أستاذ ذى النون رحمهما الله وهو جالس ينكت بأصبعه على الأرض ويترنم مع نفسه بشىء ، فلما رآنى قال : أتحسن تقول شيئا ؟ قلت : لا ، قال : أنت بلا قلب . سمعت أبا الحسن علىّ بن محمد الصّيرفى قال : سمعت رُوَيماً ، وقد سئل عن المشايخ الذين لقيهم : كيف كان يجدهم فى وقت السماع ؟ فقال : مثل قَطيع الغنم إذا وقع فى وسطه الذئاب . قال : وسمعت قيس بن عمر الحِمْصى يقول : ورد علينا أبو القاسم بن مروان النهاوندى وكان قد صحب أبا سعيد الخرّاز رحمه وكان قد ترك الحضور عند السماع سنين كثيرة ، فحضر معنا فى دعوة فيها إنسان يقول أبياتاً فيها هذا البيت :

واقِفٌ فى الماء عَطْشاَ نَ وَلٰكِنْ لَيْسَ يُسْقَى (١)

قال : فكان أصحابنا يقومون ويتواجدون ، فلمّا سكتوا سأل كلٌّ واحد منهم عن معنى ما وقع له فى هذا البيت ، فكان أكثرهم يقولون على معنى التعطّش إلى الأحوال ، وأن يكون العبد ممنوعاً عن الحال الذى يتعطّش إليه ، فكان لا يُقنعه منهم ذلك ، فسألناه ، وقلنا : هات ما عندك ، فقال : يكون فى وسط الأحوال ويُكرّم بجميع الكرامات ، ولا يعطيهم الله منه ذرّةً . أو كما قال كلاماً هذا معناه ، والله أعلم .

وسمعت يحيى بن الرضا العلوى ببغداد يقول : وكتب لى هذه الحكاية بخطه ،

---

(١) ومما يشبه هذا المعنى قول بعضهم :

واعطشنا والما نخوض غماره واوحشتا والؤنسون كثير

قال : سمع أبو حُلمان الصوفى رجلاً يطوف وينادى : يا سَعْتَرا بَرّى[(١)] ، فسقط وغُشى عليه ، فلما أفاق ، سئل عن ذلك وقال : سمعته يقول : اسْعَ تَرَى بِرّى . قال الشيخ رحمه الله : فكذلك قال المشايخ الذين هم من العلماء بهذا الشأن وأهل الفهم بهذه القصّة : أن السماع على حسب ما يَقِرُ فى القلوب من حيث شُغله ووقته وحضوره ، ألا ترى أن صوت الصائت حيث أدّى إلى أبى حلمان سَمِعَه من حيث وقته وشُغله :

وما يُستدل بذلك على ما قلناه ، والله أعلم ، حكايةٌ حُكيت عن عُتْبة الغلام رحمه الله أنه سمع رجلا يقول :

سُبحانَ جبّارِ السّما * إنّ المُحِبَّ لَفى عَنا

فقال عتبة رحمه الله : صدقتَ . وسمعه رجل آخر فقال : كذبتَ . فقال بعض من هو عارفٌ بهذا الشأن : كلاهما أصابا ، أمّا عتبة رحمه الله صدّقه لوجود تعبه فى محبتا ، وأما الآخر فكذّبه لوجود راحته وأُنسه فى محبته . وعن أحمد بن مُقاتل أن ذا النون المصرى رحمه الله دخل بغداد ، فاجتمع إليه قوم من الصوفية ومعهم قوّال ، فاستأذنوه فى أن يقول شيئاً ، فأذن له فى ذلك ، فأنشأ يقول :

صَغيرُ هَوَاكَ عَذّبَنِى * فَكَيْفَ بِهِ إذا احْتَنَكا
وَأَنْتَ جَمَعْتَ فى قَلْبِى * هَوًى قَدْ كانَ مُشْتَرَكا
أَمَا تَرْثى لِمُكْتَئِبٍ * إذا ضَحِكَ الخَلِىُّ بَكَى

قال : فقام ذو النون رحمه ، الله ثم سقط على وجهه ، ثم قام رجل آخر ، فقال ذو النون رحمه : « الّذِى يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ[(٢)] » قال : فجلس ذلك الرجل .

---

(١) فى هامش إحدى النسخ : من يشترى زعتر آبرى والزعتر نبت معروف عند العطارين

(٢) الشعراء : ٢١٨

قال الشيخ رحمه الله : والمعنى فى قوله «الَّذِى يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ» أشار إلى قيامه ومزاحمته لغيره بالتكلف ، فعرّفه بأنْ اجلس فرجع إلى مجلسه ، ولو كان الرجل صادقاً فى قيامه لم يجلس ، وذلك أن المشايخ منهم مُشْرِفون على أحوال من هو دونهم بفضل معرفتهم ، ولا يجوز لهم أن يسامحوهم إذا جاوزوا حدودهم وادّعوا حال غيرهم . وعن أبى الحسين النورى رحمه الله أنه حضر مجلساً فيه سماع ، فسمع هذا البيت :

مَا زِلْتُ أَنْزِلُ مِنْ وِدَادِكَ مَنْزِلاً
تَتَحَيَّرُ الأَلْبَابُ عِنْدَ نُزُولِهِ

قال : فقام وتواجد وهام على وجهه ، فوقع فى أجمة قَصَبٍ قد كُسحت و بقى أصُولها مثل السيوف ، فأقبل يمشى عليها و يعيد البيت إلى الغداة والدم يخرج من رجليه ، ثم ورمت قدماه وساقاه وعاش بعد ذلك أياماً قلائل ومات :

وحُكى عن أبى سعيد الخرّاز رحمه الله أنه قال : رأيت علىّ بن الموفق ، وكان من أجلّة المشايخ ، وقد حضر فى وقت السماع ، وقد سمع شيئاً ، فقال : أقيمونى فأقاموه ، وتواجد ، ثم قال فى تواجده : أنا الشيخ الزّفان ، قال أبو نصر رحمه الله : والمعنى فى ذلك ، والله أعلم ، أنه يريد أن يغطّى بذلك حاله على جلسائه وقرنائه ، يقول: أنا الشيخ الزفان ، ومن حُسْنِ أدبه أنه يتكلم حتى يجتنب بذلك عن التساكن والذهاب ، لأنه من أحوال المريدين والمبتدئين .

وحَكى لى بعض إخوانى عن أبى الحسين الدراج أنه قال : قصدت يوسف بن الحسين من بغداد للزيارة والسلام عليه ، قال : فلما دخلت الرّىّ سألت عن منزله فكل من أسألُ عنه يقول أيْشَ تعملُ بذلك الزنديق ؟ فضيّقوا صدرى ، حتى عزمت على الانصراف ، فبتُّ تلك الليلة فى بعض المساجد ، فلما أصبحت قلت فى نفسى : قد جُبْتُ هذا الطريق كله لا أقلّ من أن أراه ، فلم أزل أسأل عنه حتى دفعت إلى مسجده ، فدخلت عليه وهو قاعد فى المحراب و بين يديه رجل وفى حجره

مصحف وهو يقرأ ، وإذا شيخ بهىّ حسن الوجه واللحية فدنوت إليه وسلمت عليه فردّ علىّ السلام ، وقعدت بين يديه ، فأقبل علىّ وقال لى : من أين أنت ؟ قلت : من بغداد ، فقال : وما الذى جاء بك ؟ فقلت : قصدت الشيخ للسلام عليه ، فقال لى : لو أن فى بعض هذه البلدان قال لك إنسان : تقيم عندنا حتى أشترى لك داراً وجارية ، أوكما قال ، كان يُقعدك عن هذا المجىء؟ قال: فقلت : ما امتحننى الله بشىء من ذلك ، ولو امتحننى ماكنت أدرى كيف أكون ، ثم قال : تُحْسِن أن تقول شيئاً ؟ فقلت : نعم ، قال لى : هات ، فابتدأت أقول :

رَأَيْتُكَ تَبْنِى دائِباً فى قَطِيعتى * ولَوْ كُنْتَ ذا حَزْمٍ لَهَدّمْتَ ماتَبْنى
كأَنّى بِكمْ واللَيتُ أفْضَلُ قَوْلِكُمْ * ألا لَيْتَنَا كُنّا إذِ اللَيْتُ لاتُغْنى

قال: فأطبق المصحف ، ولم يزل يبكى حتى ابتلّ لحيته وثوبه ، حتى رحمته مما بكى ، ثم قال لى : يا بنى تلوم أهل الرىّ يقولون يوسف زنديق ، من صلاة الغداة هو ذا أقرأ فى المصحف لم تقطر من عينى قطرة ، وقد قامت علىّ القيامة بهذين البيتين:

قال : وكان الشِبْلى رحمه الله يتواجد كثيراً ، إذا سمع هذا البيت :

وِدادُكُمُ هَجْرٌ ، وَحُبُّكُمُ قِلًى * وَوَصْلُكمُ صَرْمٌ ، وَسِلْمُكُمُ حَرْبُ

وقام الدُّقى ليلةً إلى شطر الليل وهو يتخبّط ويسقط على رأسه ويقوم ، والخلق يبكون ، والقوّالون يقولون هذا البيت :

بِاللهِ فَارْدُدْ فُؤادَ مُكْتَئِبٍ * لَيْسَ لَهُ مِنْ حَبِيبِهِ خَلَفُ

وأشباه ذلك كثير ، ولا يخفى على العاقل إذا تأمّل فى مقاصدهم واختلاف شِرْبِهم وأماكنهم فى السماع ، إذا تأمّل فى هذا القليل الذى ذكرت ويقفُ على مُرادى من ذلك إن شاء الله ، وبالله التوفيق .

باب فى وصف خصوص الخصوص
وأهل الكمال فى السماع

قال الشيخ رحمه الله : سمعت أبا الحسن محمد بن أحمد بالبصرة قال : سمعت أبى يقول : خدمتُ سهل بن عبد الله ستّين سنةً فما رأيته تغيَّرَ عند شيء كان يسمعه من الذِّكرِ والقرآن أو غير ذلك ، فلما كان فى آخر عمره قرأ رجل بين يديه هذه الآية : « فَالْيَوْمَ لاَ يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ »(١) الآية ، فرأيته قد ارتعد ، وكاد أن يسقط ، فلما رجع إلى حال صحوه سألته عن ذلك ، فقال : نَعَمْ يا حبيبى قد ضعفْنا .

وحكى ابن سالم أيضاً عن أبيه أنه قال : رأيت سهلاً مرّةً أخرى ، وكنت أصْطَلِي بين يديه بالنار ، فقرأ رجل من تلامذته سورة الفُرْقان ، قال : فلما بلغ إلى قوله تعالى : « المُلْكُ يَوْمَئِذٍ الحَقُّ لِلرَّحْمنِ »(٢) اضطرب ، وكاد أن يسقط ، قال : فسألته عن ذلك لأنه لم يكن عهدى به ذلك ، فقال : قد ضعفتُ .

وسمعت ابن سالم يقول : قلت لسهل بن عبد الله رحمه الله كلاماً هذا معناه والله أعلمُ : إن الذى ذكرتَ أنه ضعفتْ حالك تعنى تغيُّرك واضطرابك ، فما الذى يوجب قوّة الحال ؟ فقال : لا يَرِدُ عليه واردٌ إلا وهو يبتلعه بقوّة حاله ، فمن أجْل ذلك لا تُغَيّره الواردات وإن كانت قَوِيّةً .

قال الشيخ رحمه الله : وذلك أصلٌ فى العلم وهو قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه حين سمع رجلاً وهو يبكى عند قراءة القرآن فقال : هكذا كنّا حتى قَسَت القلوب ، يعنى اشتدّت وثبتت ، فلا يتغير إذا طرقه ضربٌ من السماع لأن حاله قبل السماع وبعده سواء .

---

(١) الحديد : ١٥ (٢) الفرقان : ٢٦

ومَعْنًى آخر : وذلك أن سهل بن عبد الله رحمه الله قد حُكى عنه أنه قال : حالى فى الصلاة وقبل الدخول فى الصلاة شىء واحد ، وذلك أنه يراعى قلبه ويراقب الله تعالى بسرِّه قبل دخوله فى الصلاة ، ثمّ يقوم إلى الصلاة بحضور قلبه وجَمْع هَمّه ، فيدخل فى الصلاة بالمعنى الذى كان به قبل الصلاة ، فيكون حاله فى الصلاة وقبل الصلاة واحداً ، وكذلك حاله قبل السماع وبعده بمعنًى واحد ، فيكون سماعه مُتّصِلاً ووجْده مُتّصِلاً وشِرْبه دائماً وعطشه دائماً ، وكلما ازداد شربه ازداد عطشه ، وكلما ازداد عطشه ازداد شرْبه ، فلا ينقطع أبداً .

وسمعت أحمد بن علىّ الكرجى المعروف بالوجيهى يقول : كان جماعة من الصوفية مستجمعين فى بيت حسن القزّاز ، وعندهم قوّالون يقولون ، وهم يتواجدون ، فأشرف عليهم مِمْشَاذ ، فلما نظروا إليه سكتوا جميعاً ، فقال لهم مِمْشَاذ : مالكم قد سكتم ؟ ارجعوا إلى ما كنتم فيه ، فلو جُمعتْ ملاهى الدنيا فى أذنى ما شغلتْ همّى ولا شفت بعض ما بى .

قال الشيخ رحمه الله : وهذا أيضاً من صفات أهل الكمال ، لا يكون فيهم فضلة لطارق يطرقهم ولوارد يَرِدُ عليهم ، ولم يبق من طبائعهم ونفوسهم وبشريتهم حاسّة إلا وهى مبدلة ومهذّبة لا تأخذ من النغمات حظوظها ولا تتلذّذ بالأصوات الطيّبة ولا تتنعّم بها ؛ لأن هومهم مفردة ، وأسرارهم طاهرة ، وصفاتهم لا يعارضها كدورة المحسوس وظلمات النفوس وتغيير البشرية ومقارنة الإنسانية « ذَٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ »(١) .

وبلغنى عن أبى القاسم الجُنَيْد رحمه الله أنه قيل له : كنتَ تسمع هذه القصائد وتحضر مع أصحابك فى أوقات السماع ، وكنت تتحرّك ، والآن فأنت هكذا

---

(١) الجمعة : ٤

ساكن الصفة ، فقرأ عليهم الجنيد هذه الآية : « وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ »[1] ، فكأنه يشير بذلك ، والله أعلم ، يعنى أنكم تنظرون إلى سكون جوارحى وهُدُوء ظاهرى ، ولا تدرون أين أنا بقلبى وهذه أيضاً صفة من صفات أهل الكمال فى السماع .

قال الشيخ رحمه الله : وهؤلاء ربّما يحضرون فى هذه المواضع التى فيها السماع لأحوالٍ شتّى ، وجهاتٍ مختلفة ، فربّما يجتمعون معهم من جهة مساعدة أخٍ من إخوانهم ، وربما يحضرون لِعلْمهم وثباتهم وكِبَر عقولهم حتى يعرِّفوهم ما لم وما عليهم من شرائط السماع وآدابه ، وربما يجتمعون مع غير أبناء جنسهم من سعة أخلاقهم وتحمّلهم فيكونون معهم بائنين منهم ومنفردين عنهم ببواطنهم وإن كانوا مع جلسائهم بظواهرهم ، وبالله التوفيق .

(١) النمل : ٨٨

باب فى سماع الذكر والمواعظ والحكمة وغير ذلك

قال : سمعت أبا بكر محمد بن داود الدينورى الدُّقى يقول : سمعت أبا بكر الزقاق يقول : سمعت من الجُنَيْد رحمه الله تعالى كلة فى التوحيد هيمتنى أربعين سنة ، سنة ، وأنا بعدُ فى غمار ذلك .

وقال ، جعفر الخُلْدى رحمه الله : دخل رجل من أهل خراسان على الجنيد رحمه الله وعنده جماعة من المشايخ فقال : يا أبا القاسم متى يستوى على العبد حامده وذامُّه ؟ فقال ، بعض أولئك المشايخ : إذا أدخل المارستان وقُيِّدَ بقيدَيْن ، فقال له الجنيد رحمه الله : ليس هذا من شأنك ، ثم أقبل على الرجل فقال: ياحبيبى إذا علم وتيقن أنه مخلوق ، فشهق الرجل شهقة وخرج .

وقال يحيى بن مُعاذ رحمه الله : الحكمة جُنْدٌ من جنود الله تعالى يُقَوَّى بها قلوب أوليائه ، ويقال : إن الكلام إذا خرج من القلب يقع على القلب ، وإذا خرج من اللسان لم يجاوز الأذنين .

قال الشيخ رحمه الله : ومثل هذا فى الأخبار كثير : من ذكر من سمع كلة أو ذكراً أو حكمة حسنة راقه ذلك وثار من ذلك فى سره وجداً أو فى قلبه احتراقاً ويقال : كل من لا يُزَهِّدُك لَحْظهُ عن لَفْظِهِ لم يُغْنِك وعظه عن لَفْظِهِ .

وقال أبو عثمان: فعلٌ من حكيم فى ألف رجل ، أنفعُ من موعظة ألف رجل ، وإنما هى مصادفات للقلوب من حيث صفاء القلوب عند ما يطرقها من واردات الغيوب من المسموعات والمنظورات ، فإذا اتفقت قويت ، وإذا اختلفت وتضادت ضعفت ، إلا لأهل الاستقامة والصدق والكمال فإنهم قد جاوزوا ذلك وسقطت عنهم رؤية التمييز فلا يتغيرون ، ولكن ربما تجدَّدُ لهم أذكارهم بما يسمعون وتصفو

لم المشاهدات وقتاً بعد وقت ، وذلك زيادات الصفاء تجدد لهم عند سماع الحكمة والإصغاء إلى طرائف الحكمة .

والمراد فيما ذكرتُ : أن مقصود القوم فى السماع الذى يسمعون من القرآن والقصائد والذكر وغير ذلك من أنواع الحكم ليس كله لحسن النغمة ولطيب الصوت والتنعم والتلذذ بذلك ، لأن الرقة والهيجان والوجد كامن فيهم أيضاً عند فُقْدان الأصوات والنغمات ، والسكونُ والهدوء كامن فيهم عند وُجْدان الأصوات والنغمات ، فعلمنا أن المقصود فى جميع ما يسمعون ما تصادف قلوبهم من خنس ما فى قلوبهم من المواجيد والأذكار ، فيقوى الوجد بما تصادفه بمشاكلته .

باب آخر فى السماع

قال الشيخ رحمه الله : قد ذكرنا أن المعوّل والمقصود فى ذلك على مقاصد المستمعين فيما يسمعون ، وعلى حسب مصادقات أسرارهم من ذلك ، ومن حيث أوقاتهم وما يكون الغالب على قلوبهم ، فإذا سمعوا شيئاً يوافق ماهم به فى الوقت تَقْوَى بذلك مُكْمَنات سرائرهم وما انضمّت عليه ضمائرهم ، فينطقون من حيث وجْدهم ، و يشيرون من حيث قصدهم وصدقهم و إلى ما يليق بحالهم ، ولا يخطر ببالهم قصدُ الشاعر فى شعره ومراد القائل بقوله ، وكذلك لاتصطلمهم غفلة القارئ عند قراءته إذا كانو منتبهين ، ولايُوحشهم تشتّت الذاكر عند ذكْره إذا كانوا مستجمعين ، وربّما تتفق الحالان ، ويتشا كل الوقتان ، وتتجانس الإرادتان ، فيكون القادح أقْوَى والوقت أصفَى والعِلَل أخفَى ، و إذا شملتهم العناية وصحبهم التوفيق فهم محفوظون عن الزلَل ومُبَرَّءونَ من العِلَل فى جميع أحوالهم .

و بيان ما ذكرتُ فى هذه الحكايات التى أذكرها إن شاء الله . ذُكر عن محمد بن مسروق البغدادى أنه قال : خرجتُ ليلةً فى أيّام جاهليّتى وأنا نشوان و كنت أغنّى بهذا البيت :

« بِطيزَناباذَ »[1] كَرْمٌ مامَرَرْتُ بِهِ إلاَّ تَعَجَّبْتُ مِمَّنْ يَشْرَبُ الماءا

قال فسمعت قائلاً يقول :

وَفى جَهَنَّمَ ماءٌ ما تَجَرَّعَهُ حَلْقٌ فَأَبْقَى لَهُ فى الجَوْفِ أمْعاءا

قال : فكان ذلك سبب توبتى واشتغالى بالعلم والعبادة أو كما قال ، ألا ترى أنه حين أدركته العناية امتحق الباطل الذى كان فيه بمصادفة الحقّ له وكان باطله سبباً لنجاته حين صحبه التوفيق وشملته الرعاية ، وقد حُكى أيضاً عن أبى الحسن بن رزعان أنه

(١) اسم بلدة

قال : كنت أمشى مع رجل من أصحابنا بين بساتين بالبصرة إذ سمعنا ضاربًا بالطنبور وهو يقول :

يا صِباحَ الوُجُوهِ ما تُنْصِفونا طُولَ ذا الدَّهْرِ كلُّكمْ تَظْلِمُونا
كانَ فى واجِبِ الحُقُوقِ عَلَيْكمْ إذْ بُلِينا بحُبِّكمْ تُنْصِفُونا

قال : فشهق صاحبى شهقة ثم قال : وما ذا عليك لو قلتَ ؟ :

يا صِباحَ الوُجُوهِ سَوْفَ تَمُوتُو نَ وَتَبْلَى خُدُودُكمْ والعُيُونا
وتَصِيرُونَ بَعْدَ ذلِكَ رَسْماً فَاعْلَمُوا ذاكَ إنَّ ذاكَ يَقِينا

ألا ترى أنه أجابه من حيث وقته وأبان عمّا فى ضميره ، ولم يحشمه قبح مقصد القائل فى قوله ، لاستيلاء الحقائق عليه وامتلائه بوجده ؟ وقد حُكى فى هذا المعنى أيضاً عن الشبلى رحمه الله : أنه سئل عن معنى قوله « وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ »[1] فقيل له : قد علمتُ موضع مكرهم فما موضع مكر الله بهم ؟ فقال : تركهم على ما هم فيه ولو شاء أن يغيّر لغيّر . قال : فشهد الشبلى رحمه الله فى السائل أنه لم يُغْنِه جوابُهُ فقال : أما سمعتَ بفلانةَ الطُّنْبُرانية فى ذلك الجانب تقول ؟ :

وَيَقْبحُ مِنْ سِواكَ الفِعْلُ عِنْدى وتَفْعَلُهُ فَيَحْسُنُ مِنْكَ ذاكَ

قال الشيخ رحمه الله : فانظرْ أين تقع إشارته من قصْدها ؟ وجميع ذلك داخلٌ فى الذى قيل : إن الحكمة ضالّة المؤمن .

وصاحب المسئلة والسؤال أبو عبد الله بن خفيف رحمه الله كما بلغنى ، والله علم .

(١) آل عمران : ٥٤

باب فيمن كره السماع ، والذى كره الحضور فى المواضع التى يقرءون فيها القرآن بالألحان ، ويقولون القصائد ويتواجدون ويرقصون

فقد كره ذلك من جهات شتى : فقومٌ كرهوا ذلك لأخبار رُويت عن بعض الأئمة المتقدمين والعلماء والتابعين أنهم كرهوا ذلك ، فكره من كره ذلك اقتداء بهم ومتابعةً لهم ؛ إذ كانوا هم الأئمة فى أحكام الدين والمقدّمين فى عصرهم على جماعة المسلمين .

وقوم كرهوا ذلك للمريدين والقاصدين والتائبين لِعظَم ما فيه من الخطر إن استلذّوا ذلك وتابعوا حظوظهم فتنحلُّ عند ذلك عقودهم وتنفسخ عزيمتهم ويركنوا إلى شهواتهم ويتعرّضوا للفتنة ويقعوا فى البليّة .

وطائفة أخرى كرهت ذلك وزعمت أن الذى يتعرّض لاستماع هذه الرُّباعيات لايخلو من أحد وجهَيْن : إمّا هم قوم متلهّون من أهل الدُّعابة والفتنة ، أو هم قوم وصلوا إلى الأحوال الشريفة وعانقوا المقامات الرضيّة وأماتوا نفوسهم بالرياضات والمجاهدات وطرحوا الدنيا وراءظهورهم وانقطعوا إلى الله عزّ وجلّ فى جميع معانيهم، قالوا : ولسنا نحن من هؤلاء ولا من هؤلاء فلا معنى لاشتغالنا بذلك وترْكُ ذلك أولى بنا ، والاشتغالُ بالطاعات وأداء المفترضات واجتناب المحرّمات يشغلنا عن ذلك .

قال : سمعت أحمد بن علىّ الوجيهى يقول : سمعت أبا علىّ الروذبارى رحمه الله يقول : قد بلغنا فى هذا الأمر إلى مكان مثل حدّ السيف فإذا ملنا كذى ففى النار .

قال : وأخبرنى جعفر الخُلْدى فيما قرأتُ عليه قال : سمعت الجنُيَدْ رحمه الله يقول : جئتُ إلى سَرىّ السَّقَطى رحمه الله يوماً فقال لى : أَيْشَ خَبَرَ أصحابك يقولون قصائد ؟

قلت : نعم

قال : يقولون عاشقٌ دَنِفٌ ؟ لو شئت أن أقول هذا الذى بى من هذا اللون لقلت .

قال الجنيد رحمه الله : وكان معه هذا كثيراً ، كان يستره وكان معوّلَهُ الخوف .

و كرهت طائفة أخرى ذلك من جهة أن العامّة لاتعرف مقاصد القوم فيمايسمعون ، فربّما غلطوا فى مقاصدهم وزلقوا ، فكرهوا ذلك : شفقةً على العامة وصيانةً للخاصّة وغيرةً على الوقت الذى إذا فات لايُدْرَك .

وطائفة أخرى كرهت ذلك : لِما قد فقد من إخوانه ، وعدم من أشكاله وقرنائه ومن كان يصلح لذلك ، ولما قد بُلى من الاختلاط بغير أبناء جنسه ولما قد دُفع إلى مجالسة الأضداد ومخالطة أهل العناد ، فقد ترك ذلك طلباً للسلامة : لإقباله على شأنه ومعرفته بأهل زمانه .

١٦٧ وطائفة أخرى كرهت ذلك لقول النبى صلى الله عليه وسلم فيما رُوى عنه أنه قال: « من حُسن إسلام المرء تركُهُ مالايعنيه » فقالوا : هذا مالايعنينا : لأنّا ما أُمرنا بذلك، وليس هو من زاد القبر ، ولامما يُطالب به النجاة فى الآخرة ، فكرهوا ذلك لهذا المعنى .

وطائفة أخرى من أهل المعرفة والكمال كرهوا ذلك ؛ لأنّ أحوالهم مستقيمة وأوقاتهم معمورة وأذكارهم صافية وأسرارهم طاهرة وقلوبهم حاضرة وهمومهم مجتمعة ، لم يخطر ببالهم خاطرٌ ولايجرى فى أفكارهم عارضٌ إلاّ وهم مُشْرِفون

عليه ، يعلمون من أين مَوْرده وإلى أين مَصْدره ، ليس فيهم فضلة لطوارق سمع الظاهر من معارضة طوارق سمع الباطن من دوام المناجاة ولطائف الإشارات وخفىّ المعاتبات والمخاطبات والمحاورات فينكره جليسه ولا يعرفه أنيسه ، فهم مع الله تعالى ببواطنهم، وإن كانوا مع الخلق بظواهرهم « ذَلِكَ فَضْلُ ٱللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يشاء »[1] .

فهذا مما حضرنى فى هذا الوقت وبالله التوفيق .

(١) الحديد : ٢١

كتاب الوجد

باب فى ذكر اختلافهم فى ماهية الوجد

قال الشيخ رحمه الله : اختلف أهل التصوّف فى الوجد : ما هو ؟ فقال عمرو ابن عثمان المكى رحمه الله : لا يقعُ على كيفية الوجد عبارة ؛ لأنها سِرُّ الله تعالى عند المؤمنين الموقنين .

وذُكر عن الجُنَيْد رحمه الله أنه قال : كما أظنُّ أن الوجد هو المصادفة بقوله عزّ وجلّ : « وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً »(١) يعنى صادفوا ، وقال : « وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوه عِنْدَ اللهِ »(٢) أى تُصَادفوا ، وقال : « حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً »(٣) يعنى لم يصادفه .

وكلّ ما صادف القلبُ من غم أو فرح فهو وجدٌ ، وقد أخبر الله تعالى عن القلوب : أنها تنظر وتبصر وهو وجدٌ لها ، قال الله تعالى : « فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِى فِى الصُّدُورِ »(٤) أى عن وجدها ، ففرّق بين التى تجد وبين التى لا تجد .

وقد قيل أيضاً : إن الوجد مكاشفات من الحق ، ألا ترى أن أحدهم يكون ساكناً فيتحرك ويظهر منه الزفير والشهيق ؟ وقد يكون من هو أقوى منه ساكناً فى وجده لا يظهر منه شىء من ذلك ، قال الله تعالى : « الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ »(٥) .

---

(١) الكهف : ٤٩ (٢) البقرة : ١١٠ (٣) النور : ٣٩

(٤) الحج : ٤٦ (٥) الحج : ٣٥

قال بعض المشايخ من المتقدمين : الوجد وجدان : وجدُ مُلك ، ووجد لقاء لقول الله عز وجل: «فَمَنْ لَمْ يَجِدْ» يعني من لم يملك ، وقوله تعالى : «وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً» يعني لقوا .

وقال بعضهم : كل وجد يجدك فيمالكك فذاك وجدُ مُلك ، وكل وجد تجده فذاك وجدُ اللقاء تلقى بقلبك شيئاً ولا يثبت .

وسمعت أبا الحسن الحُصْرى رحمه الله يقول : الناس أربعة ، مُدَّعٍ مكشوف ، ومعترضٌ تارة له وتارة عليه ، ومتحققٌ قد اكتفى بحقيقته ، وواجدٌ قد فنى بما يجد .

وحُكى عن سهل بن عبد الله رحمه الله أنه قال : كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل .

وقال أبو سعيد أحمد بن بشر بن زياد بن الأعرابى رحمه الله : أول الوجد رفع الحجاب ، ومشاهدة الرقيب ، وحضور الفهم ، وملاحظة الغيب ، ومحادثة السر ، وإيناس المفقود ، وهو فناؤك أنت من حيث أنت .

قال أبو سعيد رحمه الله : الوجد أول درجات الخصوص وهو ميراث التصديق بالغيب ، فلما ذاقوها وسطع فى قلوبهم نورها ، زال عنهم كل شك وريب .

وقال أيضاً : الذى يحجب عن الوجد رؤية آثار النفس والتعلق بالعلائق والأسباب ؛ لأن النفس محجوبة بأسبابها ، فإذا انقطعت الأسباب ، وخلص الذكر وصحا القلب ورق وصفا ، ونجعت فيه الموعظة والذكر وحل من المناجاة فى محل قريب ، وخوطب وسمع الخطاب بأذن واعية وقلب شاهد وسر طاهر ، فشاهَدَ ما كان منه خالياً ، فذلك هو الوجد ؛ لأنه وجد ما كان عنده عدماً معدوماً .

باب فى صفات الواجدين

قال الشيخ رحمه الله: قال الله عز وجل : مثانِيَ تقشَعِرُّ منهُ جلودُ الذينَ يخشوْن رَبهم ثم تلين جلودُهمْ وقلوبهم إلى ذِكرِ[1] اللهِ » هذه صفة من صفات الواجدين. وقوله تعالى : وَجِلَتْ قلوبهم[2] فالوجل صفة من صفات الواجدين ، وفى الحديث ١٦٨ أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ : فَكَيْفَ إذَا جِئْنا مِنْ كلِّ أمةٍ بشهيدٍ وَجِئْنا بك عَلَى هؤلاء شهيداً[3] فصعق ، فالصعقة صفة من صفات الواجدين .

والأخبار تكثر من مثل الزفير والشهيق والبكاء والغشية والأنين والصعقة والصراخ والصيحة فكل ذلك من صفات الواجدين .

وهم على طبقتين : واجدٌ ، ومتواجدٌ .

فأما الواجدون فهم على ثلاثة أصناف : فصنف منهم وجْدُهم مصحوبهم ، إلا أنه يعارضهم فى الأحايين دواعى النفوس والأخلاق البشرية ومزاج الطبع فيكدر عليهم الوقت ويتغير عليهم الحال ، والصنف الثانى وَجْدُهم مصحوبهم إلا أنه إذا طرأ عليهم ما يشا كل وجدهم من طوارق السمع تنعموا بذلك وعاشوا وانتعشوا ثم يتغير عليهم الوجد ، والصنف الثالث وجدُهم مصحوبهم على الدوام ، وقد أفناهم ذلك الوجد : لأن كل واجد قد فنى بما وجد ، فليست فيهم فضلة عن موجودهم ، لأن كل شيء عندهم كالمفقود عند وجدهم بموجودهم بذهاب رؤية وجدهم .

وأما المتواجدون فهم أيضاً على ثلاثة أصناف فى تواجدهم : فصنفٌ منهم المتكلفون والمتشبهون وأهل الدعابة ومن لا وزن له ، وصنفٌ منهم : الذين يستدعون الأحوال الشريفة بالتعرض بعد قطع العلائق الشاغلة والأسباب القاطعة ، فذلك التواجد يجمل

---

(١) الزمر : ٢٣ (٢) الحج : ٣٥ (٣) النساء : ٤١

منهم ، وإن كان غير ذلك أولى بهم ؛ لأنهم نبذوا الدنيا وراء ظهورهم ، فتواجدهم مطايبةً وتسلّياً وفرحاً وسروراً بما قد عانقوا من خلع الراحات وترك المعلومات .

قال الشيخ رحمه الله : فمن أنكر ذلك ويقول : ليس هذا في العلم . فيقال له : قد
١٦٩ روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : إذا دخلتم على هؤلاء المعذبين فابكوا ، فإن لم تبكوا فتباكوا » .

فالتواجد من الوجد ، بمنزلة التباكى من البكاء . والله أعلم .

وصنف ثالث : أهل الضعف من أبناء الأحوال ، وأرباب القلوب ، والمتحققين بالإرادات ، فإذا عجزوا عن ضبط جوارحهم وكتمان مابهم تواجدوا ونفضوا مالا طاقة لهم بحمله ولا سبيل لهم إلى دفعه عنهم وردّه ، فيكون تواجدهم طلباً للتفرج والتسلّى ، فهم أهل الضعف من أهل الحقائق .

قال : سمعت عيسى القصار يقول : رأيت الحسين بن منصور حين أُخرج من الحبس ليقتل فكان آخر كلامه أن قال : حسب الواجد إفراد الواحد . قال : وما سمع أحد من المشايخ الذين كانوا ببغداد هذا ، إلا استحسنوا منه هذه الكلمة.

وسئل أبو يعقوب النهرجورى رحمه الله عن صحة وجد الواجد وسقمه فقال : صحته قبول قلوب الواجدين له ، وكذلك سقمه إنكار قلوب الواجدين له ، وتبرّم جلسائه ؛ إذ كانوا أشكالا غير أضداد وليس ذلك لغير أبناء جنسهم .

باب فى ذكر تواجد المشايخ الصادقين

قال الشيخ رحمه الله : حُكى عن الشبْلى رحمه الله : أنه تواجد يوماً فى مجلسه فقال : آه ليس يدرى ما بقلبى سواهُ ، فقيل له : آه من أى شىء ؟ فقال : من كل شىء ، وذُكر عنه أيضاً أنه تواجد يوماً فضرب يده على الحائط حتى عمِلَت عليه يده قال : فعمدوا إلى بعض الأطباء ، فلما أتاه قال للطبيب : وَيْلك ! بأى شاهد جئتنى ؟ قال : جئت حتى أعالج يدك ، فلطمه الشبْلى رحمه الله وطرده ، قال : فعمدوا إلى طبيب آخر ألطفَ منه ، فلما أتاه قال له : ويلك ، بأى شاهد جئتنى ؟ قال : بشاهده ، قال : فأعطاه يده فبطَّها وهو ساكت ، فلما أخرج الدواء يجعله عليها ، صاح وتواجد ، وترك إصبعه على موضع الداء وهو يقول :

أنْبَتَتْ صَبَابَتُكُمْ قَرْحَةً عَلَى كَبِدِى
بِتُّ مِنْ تَفَجُّعِكُمْ كالأسِيرِ فى الصَّفَدِ

وذُكر عن أبى الحسين النورى رحمه الله : أنه اجتمع مع جماعة من المشايخ فى دعوة ، فجرى بينهم مسألة فى العلم ، وأبو الحسين النورى رحمه الله ساكت ، قال : ثمّ رفع رأسه فأنشدهم هذه الأبيات :

رُبّ وَرْقاء هَتُوفٍ فى الضُّحَى ذاتِ شَجْوٍ صَدَحَتْ فى فَنَنِ
فَبُكائى رُبّمَا أرّقَهَا وبُكاها رُبّمَا أرّقَنى
هِىَ إنْ تَشكو فَلا أفْهَمُها وإذا أشكو فَلا تَفْهَمُنى
غَيْرَ أنّى بالجَوَى أعْرِفُها وَهْىَ أيضًا بِالجَوَى تَعْرِفُنى

قال : فما بقى فى القوم أحد إلا قام وتواجد لما أنشد النورى هذه الأبيات :

وقال بعض الصوفية : هو ذى أشتهى منذ سنين أن أسمع كلمة فى المحبّة من رجل واحد يتكلم بها عن وجده .

ويقال : إن أبا سعيد الخرّاز رحمه الله : كان كثير التواجد عند ذكر الموت فسئل عن ذلك الجُنَيْد رحمه الله فقال : العارف قد أيقن أن الله لم يفعل شيئاً من المكاره بغضاً له ولا عقوبةً ، ويشاهد فى صنائع الله تعالى الحالة به من المكاره صفو المحبّة بينه وبين الله عز وجل : وإنما يُنزل به هذه النوازل ليردّ روحَهُ اليه اصطفاء له واصطناعا له ، فإذا كوشف العارف بهـذا وما أشبهه لم يكن بعجب أن تطاير روحه إليه اشتياقاً ، وتنقلب من وطنها اشتياقاً ، فلذلك ما رأيت من التواجد عند ذكر الموت ، وربّماَ أتى ذلك على قرب مُنْيته ؛ والله يفعل بوليّه ما يشاء وما يُحِبّ .

وسئل بعض المشايخ عن الفرق بين الوجود والتواجد فقال : الوجود بوادى الغيبة وإرسالات الحقيقة ، والتواجد داخل فى الاكتساب ، راجع إلى أوصاف العبد من حيث العبد .

والذى كره الوجد ، لمشاهدة علة فى الذى يتواجد . عن أبى عثمان الحيرى الواعظ حُـكى عنه أنه رأى رجلا قد تواجد فقال له : إن كنت صادقاً فقد أظهرتَ كتمانه وإن كنت كاذباً فقد أشركت ، والله أعلم بمقصده من ذاك . ويُشَبَّهُ أنه أراد بذلك شفقة عليه ، وحذراً من الفتنة والآفة ، والله أعلم .

باب فى قوة سلطان الوجد وهيجانه وغلباته

قال: أخبرنى جعفر بن محمد الخُلْدى رحمه الله فيما قرأت عليه قال : سمعت الجنيد رحمه الله يقول : قال : ذُكر يوماً عند سَرى السَّقَطى رحمه الله تعالى المواجيد الحادة فى الأذكار القوية وما جانس هذا مما يقوى على العبد فقال سرى رحمه الله وقد سألته فيه فقال : نَعَمْ يُضْرَب وجهه بالسيف وهو ولا يحسه .

قال أبو القاسم رحمه الله : كان عندى فى ذلك الوقت أن هذا لايكون ، فراجعته أنا فى ذلك الوقت فقلت له : يضرب بالسيف ولا يحس ؟ إنكاراً منى لذلك ! فقال : نعم ، يضرب بالسيف ولا يحس ، وأقام على ذلك .

وعن الجنيد رحمه أنه كان يقول : إذا قوى الوجد يكون أتم ممن يستأثر العلم . وذكر عنه أيضاً أنه قال : لايضر نقصان الوجد مع فضل العلم ، وفضل العلم أتم من فضل الوجد وقد ذكر عنه جعفر الخُلْدى رحمه الله أنه قال : الحملان فى الوجد بعد الغلبة أتمُّ من حال الغلبة فى الوجد ، والغلبة فى الوجد أتمُّ من المحمول قَبْلَ الغلبة ، فقيل له : كيف نزلْتَ هذا التنزيل ؟ فقال: المحمول عن حال غلبته بالحمل بعد القهر أتمُّ ، والمغلوب بعد خُلاَنِهِ عن نفسه وشاهده أتمُّ .

قال الشيخ رحمه الله ، و بيان ما قل والله أعلم : أن من يكون محمولا يعنى ساكناً بعد غلبات الوجود وقوة الوارد يكون أتمّ فى معناه ممن يغلبه حتى يظهر على ظاهر صفاته ، والغلبة لسلطان الوجد من قوة الوارد عليه والمصادفة لقلبه تكون أتمّ من حال الساكن الذى لا يقدح فيه القادح ولا ينجع فيه الوارد .

سمعت ابن سالم يقول عن أبيه : أن سهل بن عبد الله كان يقوى عليه الوجد حتى يبقى خمسة وعشرين يوماً أو أربعة وعشرين يوماً لا يأكل فيه طعاماً ، وكان يعرق عند البرد الشديد فى الشتاء وعليه قميص واحد ، وكانوا إذا سألوه عن شىء من العلم يقول : لا تسألونى فإنكم لا تنتفعون فى هذا الوقت بكلامى .

سمعت أبا عمرو بن علوان يقول : سمعت الجنيد رحمه الله يقول : الشبلى رحمه الله سكران ولو أفاق من سكره لجاء منه إمام يُنْتَفَع به .

وحُكى عن الجنيد رحمه الله أنه كان يقول : ذكرت المحبة بين يدى سَرى السقَطى رحمه الله فضرب يده على جِلْد ذراعه فمدها ثم قال : لو قلتُ إنما جف هذا على هذا من المحبة لصدقتُ قال : ثم أغمى عليه حتى غاب ، ثم تورَّد وجهه حتى صار مثل دارة القمر فما استطعنا أن ننظر إليه من حُسنه حتى غطينا وجهه .

وقال عمرو بن عثمان المكى رحمه الله : الذى يحل بالقلوب من الامتلاء والوجد حتى لم يبق فيه فضل لوجود حال كان يعرفها قبل ذلك ، إنما هى زيادة للنفوس فى معرفتها ؛ لعظم قدر الحق وقدر ما يستحق حتى يتبين لها عن الحال التى يكون هو منفرداً بها عن كل شىء حتى لا تجد غيره ، فعند ذلك انقطع عنها حس كل محسوس ، وإنما أدركت انقطاعه عن المحسوسات بما أوقعه الحق عليه منه فلم يكن فيه فضلٌ لغيره .

وعن أبى عثمان المزين رحمه الله أنه كان يقول :

فَسُكْرُ الوَجْدِ فى مَعْنَاهُ صَحْوٌ وَصَحْوُ الوَجْدِ سُكْرٌ فى الوِصَالِ

باب فى الواجد الساكن والواجد المتحرك أيهما أتم ؟

قال الشيخ رحمه الله : قال أبو سعيد بن الأعرابى رحمه الله فى كتابه فى الوجد إن سائلا سأل فقال : أيما أفضلُ وأتم ، الحركة فى الوجد أم السكون فيه ؟ وقد قال قوم : إن السكون والتمكن أفضلُ وأعلى من الحركة والانزعاج ، قال أبو سعيد : فالجواب فى ذلك والله أعلم : إن الواردات من الأذكار ، منها ما يوجب السكون ، فالسكون فيها أفضل من الحركة ، ومنها ما يوجب الحركة ، فالحركة فيها أتم : إذ حُكمها القهر لأهلها ، فإذا لم يَقُمْ بهذا القهر كان الوارد ضعيفاً فى وروده . ولو ورد بحقيقته لأوجب ضرورة الحركة والواردات من العلوم والأذكار السكائن عنها الوجد والاستهتار على القلوب فيشاهدها .

ورأيت جماعة يفضلون أهل السكون لكبر عقولهم وقوتها و إشرافها على ما ورد عليها وتمكنها فيه . وهذا لَعَمْرى كذلك ، ولكن ربما ورد ما لا يلاوم[1] العقول المخلوقة فيكون نوره أقوى و برهانه أقوى فيقوم شاهده منه و يعجز العقل عن إدراكه فيكون الوارد أقوى من العقل ، فحكم هذه الحركة أتمُّ .

قال أبو سعيد : ومن الواردات ما يكون للعقل ملاوماً[2] فيدركه و يساكنه فلا يظهر معَ ذلك حركة لتمكن العقل ، لأنه يشير إليه بما قد عرفه ، فمن شرّف أهلَ السكون إنما شرّفهم بفضل عقولهم وشدّة تمكنهم ، ومن فضّل المتحرّكين فضّلهم بقوّة الوارد من الذكر الذى ينخنس دون فهم العقل ، فكان أفضل لفضل الوارد ، و إذا كان العقلان مستويَيْن — ليس أحدهما أفضل — فالساكن أتمُّ ، وهذا مالا أحسبُه يكون : أن يستوى رجلان أو عقلان أو واردان ، وقد أبى ذلك أهل العلم ، و إذا بطل التساوى رَجَعْناَ إلى ما قلنا فى أوّل المسألة : أن لا معنى

(١) لايلاوم : أى . لايلائم (٢) فى نسخة : ملازما

لتفضيل الساكن على المتحرِّك ، ولا المتحرِّك على الساكن ؛ لاختلاف الحال الواردة التي توجب الحركة ، والحال التي توجب السكون ؛ لأن الواجدين لا يستوون فيما كوشفوا به ولا ما شاهدوه من حالة الذكر الموجبة إحدى الحالَتيْن من الحركة والسكون ، وفي الواردات التي توجب السكون ما هو أعلى من الواردات التي توجب الحركة ، وفي الواردات التي توجب الحركة ما هو أفضل من الواردات التي توجب السكون ، فليس الفضل ها هنا بالحركة ولا بالسكون حتى تعلم الحال الواردة على المتحركين وعلى الساكنين ، فإن كانت الحال توجب سكوناً فلم تُسكن صاحبها فهو ناقصٌ عن غيره ، وإن كانت توجب حركةً فلم تُحَرِّكه دلّ ذلك على نقص وارِدِهِ ، والمشاهدات الواردات على قدر صفاء القلوب ، وتخلّيها عن الحجُب المانعة لإدراك الواردات .

فهذه صفة الأذكار لأهل الأحوال وقيامهم بها من حيث ما يوجبه العلم .

فأما أهل الغلبات والسكر فلا يجوز عليهم شيء من هذا الكلام ، والله أعلم .

باب جامع مختصر من كتاب الوجد الذى ألفه أبو سعيد بن الأعرابى رحمه الله

قال أبو سعيد بن الأعرابى : الوجد مايكون عند ذِكر مُزْعِجٍ ، أو خوفٍ مُقلقٍ ، أو توبيخ على زلّة ، أو محادثة بلطيفة ، أو إشارة إلى فائدة ، أو شوق إلى غائب ، أو أسف على فائت ، أو ندم على ماضٍ ، أو استجلاب إلى حال ، أو داعٍ إلى واجب ، أو مناجاة بسرّ ، وهى مقابلة الظاهرِ بالظاهر والباطن بالباطن والغيب بالغيب والسِرّ بالسرّ ، واستخراج ما لك بما عليك مما سبق لك ؛ لتسعى فيه فيُكْتَبَ لك بعد كونه منك ، فيثبت لك قَدَمٌ بلا قدم وذِكر بلا ذكر ، إذ كان هو المبتدئ بالنِعَمَ والمتولّى لها ، ومُلهم الشكر عليها ، والمضيف إليك كسبها ، فيثبت لك بها درجة عاجلة ، وإليه يرجع الأمر كلّه ، فهذا جُملةَ ظاهرُ علم الوجود .

وقال أبو سعيد رحمه الله : الوجد مباشرة رَوْح ومطالعة مزيد ، لايُصْبَرُ عن قليله ولا يُقْدَرُ على كثيره ، التخييل منه متدارك ، والاستحثاث منه إليه متواتر ، فلذلك يقع اللهف وربما كان دونه التلف ، فأمّا البكاء والشهيق فلقُرْبه ما يزداد إذ كان لم يُعْرَف قَبْلَ وروده ولا أُنسَ به مع سرعة تقضّيه مع وقوعه . حتى كأنهما جميعاً معاً ، فلم يتم الاستبشار بوروده حتى لحق الأسف على تقضيه ، والرعدةُ والغشية وزوال الأعضاء والغلبة على العقل فلِعِظَم قدر الوارد وقوة سطوته ، وكذلك كل وارد مستغرب أو مُفزع مهوّل ، فى سرعة وروده مع سرعة تقضّيه حكمةٌ بالغة ونعمة ظاهرة ، ولولا أنه أمسك أولياءه وأبقى على كلّ قلب من ذلك ما أطاقه لطاشت عقولهم وذهلت نفوسهم ، ولكن لا حال معلومة ومناهل مورودة ، وذلك لايدوم لحظةً أو طرفةَ عين : رِفقاً منه بأوليائه حتى يُنْسيهم فيما أراد كما يريد .

وقال : الوجد فى الدنيا فليس بكشفٍ ولكن مشاهدة قلبٍ وتوهّم حق وظن يقين ، فيشاهد من رَوْح اليقين وصفاء الذكر لأنه منتبهٌ . فإذا أفاق من غمْرته فقَدَ ما وجد ، وبقى عليه عِلْمُهُ ، فتمتّع بذلك رُوحه مع ما زيد من اليقين بالمكاشفة ، وهذا من العبد على حسب قُرْبه وبُعْده ، وعلى ما يُشهده من ذلك خالقهُ .

ومنهم من ثبت فى وجده وشاهد من ذلك بتمكينه ، فوصف بعضَ ما شاهده ، فيكون ذلك حُجةً على غيرهم ، ولولا ذلك ما خَبَّروا به توقِّياً عليه وصيانةً له وإشفاقاً أن يضعوه غير موضعه فيُسْلَبوه ، وربما وقع بهم الوجد من المسموع قَبْلَ تدبره ، ومن المنظور إليه قبل الفكر فيه ، ولا يأمنون أن يكون ذلك من الطبع واستحسان النفس مع ما يجدون فيه من الرقة ويشهدون بعده من الزيادة فيلتبس عليهم تمييز الحق من الباطل ، ولا يجب لمن يدعى معرفة خالقه أن يسكن إلى سواه أو يشغل خاطره بناقص أو يقع وهمه على زائل ، وهذا وإن كان مشكلاً عليه لتشابهه ، فإنه عند أهل النظر والتحصيل مميَّز بالتفضيل ، إذ ليس ما تلقته القلوب بمشاهدتها كما توهّمته بظنونها ، ولا من كان متروكاً مُهْملاً كمن كان محفوظاً ، ولا ما أُستُجلب كونه كما فاض عن معدنه ، ولا ما نتج عن الفكر كما رشح عن الذكر ، وربما يختلط ذلك على أهل التمييز لعلةٍ وينكشف لهم بعد زوال العلة لأن المتميِّز بالفكر ليس كالمستهتِر بالذكر ولا المتخير المختار كمن غلب عليه الوجد والاستهتار ، وليس هذا صفة كل واجد لاختلاف أحوالهم ، فنهم من وجْده عن العلم ، ومنهم من وجْده بالعلم ، ومنهم من وجْده علمٌ .

فأما الوجد الذى يكون لأهل الثبات من السكون عن الحركة والمَنَعة بالخلوة لأن الأنس أفناهم عن الوحشة والقُرْب عن رؤية المسافة ، فربما بدا لهم بادٍ فيتغالون فى وجودهم ، وربما ردهم إلى صفاتهم بُقيا عليهم لما افتُطروا عليه من الحاجة إلى الغذاء والنساء فيحشمهم ذلك فينزعجون من رؤيتهم ذلك انزعاجاً يظنونها لعلة وقد

خافوه زماناً فيلحقهم عند ذلك الوله لطلب مافقدوه فيحملهم على الاقتحام على كل ما توهموه أنه يوصلهم ، غلبت رؤيتهم التمييز ، فبادروا مسرعين ، كلما رأوا سراباً ظنوه ماء ، وكلما رأوا ماء ظنوه سراباً لغلبة الطمع ، فهم على وجوههم ذاهبون فى كل وادٍ يهيمون ولكل بارق يتبعون ، سبق شيامهم مَطْرَمَهم وذِكْرُهم فكرَهم ، إلى كل سبب يُشْلون ، وعليه لايعولون ، والطمع يُطمح أبصارهم ، واليأس يزجرهم ، فلا يأسهم يدوم فينصرفوا ولا طمعهم يصح فيتلفوا ، أشْبَهَ شىء بالمجانين ، قد سمحت أنفُسُهم بتلف مُهجتهم عند ما يطلبون ، لو توهموه فى تيه سلكوه . أو وراء بحر سبحوه أو وراء نار تأججُ اقتحموها كالفَراش إذا رأى ضوء النار لايقصر عن تقحمها ، أوَما رأيتهم مشرّدين مهيمين بالمفاوز والمهالك والقفار ، لا يأوون ولا يُؤوون ؟ إلا أنهم فى ذلك محفوظون من الزلل بِصدقهم فى قصدهم ، فهم من العلم على سَنَن .

وأما من فارق العلوم الظاهرة فغير مأمون عليه الزلل ، ومن سلك غير المحجة كان من السلامة على خَطَر .

وكلما ذكرنا من علوم الوجد ظاهراً وما لحقته العبارة أوْمَينا[1] إليه بالإشارة أو بدليل قام عليه أو مثال قاربه ، فأما ما كان غير ذلك فإنه علمه منه ، وشاهده فيه ، وحقيقته كونه ، ووصفه ذوقه ، لأن حجج الله تعالى على عباده باهرة ، وأهله غير محتاجين إلى علمها ، لقيام الشاهد فيها ، وانتفاء كل وصف عنها ، لأنها مما تولى الله كونها ، وانفرد بعلم كُنْهها ، ومتّع أهل الإيمان بها ، لما كاشفهم فيها ، فلم يبحثوا عما وراء ذلك لغناهم بها عن غيرها ، لأن ما أبدى لهم منه فهم له مشاهدون ظاهراً وفيه مقيمون باطناً ، وهو الغيب الذى وصف الله [به] المؤمنين فقال : « الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ »[2] ، فهم فى غيبه مغيَّبون ، وهو وإن كان غيباً ، لا يلحقهم فى ذلك شكّ ولا رَيْب .

(١) أومينا : أى . أومأنا

(٢) البقرة : ٢

فإن سأل سائل عن الزيادة فى وصف الوجد فهيهات دون ذلك! فكيف يوصف من ليس له صفة غيره ولا يقام عليه شاهدٌ غيره؟ فهو شاهدُ نفسه، وحقيقته كونه، يعرفه من وجده، وينكره من لم يعرفه، ويعجز الجميع، من عرفه ومن لم يعرفه، فهو بالذوق محسوس وصاحبه بالمراد مكاشف، وهو عزيز موجود منيع مفقود محتجب بأنواره عن نوره، وبصفاته عن إدراكه، وبأسمائه عن ذاته: أعنى ذات الوجد واليقين والإيمان والحقائق وكذلك المحبة والشوق والقرب، كل ذلك يَدِقّ وصفه ولا يُدْرِكُ كُنْهَهُ إلا من ذاقه وتفضل عليه بارئه به فيخيّلون فيه ولا يصفونه ولا يدركونه، يلبسهم إلباساً ويُذهب عنهم الوحشة إيناساً، فكلما ازدادوا من صفته وصفاً كانوا من حقيقته أشد بُعْداً فخرسهم فيه أبلغُ من النطق، فلن يعرف أهله منه إلا ماعرَفوه، واعترافهم بالتقصير فيها نهاية العلم بها، فنطقهم عىٌ، وعيُّهم بلاغة ولُكْنَتُهُمْ فصاحةٌ.

فالسائل عن طعمه وذوقه يسأل عن مُحال؛ لأن الطعم والذوق لايدرك بالوصف دون التطعم والتذوق.

والسائل عن كنهه فسؤاله دليلٌ على جهله به، ولا سبيل للعالم إلى جواب كل سائل، إذ كان بعضهم يسأل عما له وبعضهم يسأل عما عليه، فقد أخذ الله على العلماء أن لا يكتموا العلم أهله كما أخذ الله على العلماء أن يصونوه عن غير أهله، وقد قلنا إن أهله غير مرتابين فيسألوا، ولا شاكين فيتعرفوا. وبالله التوفيق.

ولما كانت هذه الأحوال ليس لها نهاية كان الكلام فيها ليس له نهاية، فقطعناه فلو وصلناه لاتّصل إلى ما لا نهاية له، لأنها ازديادات فى المعارف وليست من كسب الآدميين بل هى داخلة فى قوله عز وجل: وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ[1] فهذا بعض عطاياه المعمومة[2]، لا نهاية لها، ولا يُبْلَغُ وصفُها فكيف باختصاصه أولياءه مما يورد

(١) ق: ٣٥ ونص الآية: لهم مايشاءون فيها ولدينا مزيد

(٢) فى نسخة: المغموضة

عليهم فى كلّ وقت وزمان وطرفة عين ؟ وأقلّ من ذلك من الأحوال التى هى مذكورة عندنا علماء بفضله معلومة « لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ »[1] ، وهذه وإن كانت ليست باكتساب الآدميين ، وإنما هى خصوص وبعضها مواريث الأعمال ، فالطالب من عند الله المزيد ، قد أحكم الأصل الذى يوجب المزيد ، فمن فرّط فيه فليس بمأمون عليه أن يُسْلَبَ الأصل الذى معه ، إذ لم يَرْعَهُ حقّ رعايته ، لأن التوقّف مع النفوس يقطع الهجوم ، والهجوم مع مفارقة العلوم خطأ بيّن ، فإذا قويت الرغبة عن التوقّف فالهجوم ربما أوصل . فأمّا من كان مطالباً بأصلٍ فخطأ تخطّيه إلى الفرع قَبْلَ إحكام الأصل ، لا يؤمن عليه الزلل ، وبالله التوفيق .

فهذا ما اختصرته من كتاب الوجد لابن الأعرابى ، وبالله التوفيق .

(١) سبأ : ٣

كتاب إثبات الآيات والكرامات

باب فى معانى الآيات والكرامات وذكر من كان له شىء من ذلك

قال الشيخ رحمه الله : حُكى عن سهل بن عبد الله رحمه الله أنه قال : الآيات لله ، والمعجزات للأنبياء ، والكرامات للأولياء ولخيار المسلمين .

وحُكى عن سهل بن عبد الله رحمه الله أنه كان يقول : من زهد فى الدنيا أربعين يوماً صادقاً مخلصا فى ذلك تظهر له الكرامات من الله عز وجل ، ومن لم يظهر له ذلك فلما عدم فى زهده من الصدق والإخلاص ، أو كلاماً نحو ذلك .

وعن الجنيد رحمه الله أنه قال : من يتكلم فى الكرامات ولا يكون له من ذلك شىء مَثَله مثلُ من يمضغ التبن . قيل لسهل رحمه الله فى الحكاية التى قبل هذه فيمن زهد فى الدنيا أربعين يوماً: كيف يكون ذلك ؟ فقال : يأخذ ما يشاء من حيث يشاء .

وسمعت ابن سالم يقول : الإيمان أربعة أركان : ركنٌ منه الإيمان بالقدر ، وركن منه الإيمان بالقدرة ، وركنٌ منه التبرّى من الحول والقوّة ، وركنٌ منه الاستعانة بالله عزّ وجلّ فى جميع الأشياء .

وسمعت ابن سالم رحمه الله وقيل له : ما معنى قولك الإيمان بالقدرة ؟ فقال : هو أن تؤمن — ولا ينكر قلبك — بأن يكون له عبدٌ بالمشرق ويكون من كرامة الله تعالى له أن يعطيه من القدرة وما يتقلّب من يمينه على يساره فيكون بالمغرب ، يعنى تؤمن بجواز ذلك وكونه .

والصحيح عن سهل بن عبد الله أنه كان يقول لشاب كان يصحبه : إن كنتَ تخاف من السبُع بعد ذلك فلا تصحبنى .

ودخلتُ مع جماعة بتُسْتَرَ قصر سهل بن عبد الله رحمه الله ، فدخلنا فى القصر بيتاً كان الناس يسمونه بيت السبُع فسألناهم عن ذلك فقالوا : كان تجىء السباع إلى سهل بن عبد الله رحمه الله فكان يُدخلها هذا البيت ويضيفها ويُطعمها اللحم ثم يخليها ، والله أعلم بذلك ، وما رأيتُ أحداً من صالحى أهل تستَرَ ينكر ذلك .

وسمعت أبا الحسين البصرى رحمه الله يقول : كان بعبادان رجل أسود فقير يأوى الخرابات ، فحملتُ معى شيئاً وطلبته ، فلما وقعت عينه علىّ تبسم وأشار بيده إلى الأرض ، فرأيت . يعنى الأرض كلها ذهباً تلمعُ ثم قال لى : هات ما معك ، فناولته ما كان معى ، وهربت منه ، وهالنى أمرُهُ .

وسمعت الحسين بن أحمد الرازى رحمه الله يقول : سمعت أبا سليمان الخواص رحمه الله يقول : كنت راكباً حماراً لى يوماً ، وكان يؤذيه الذباب فيطأطئْ رأسهُ فكنت أضرب رأسه بخشبة كانت فى يدى ، فرفع الحمار رأسه إلىّ وقال : اضربْ فإنك هو ذا تضرب على رأسك ، فقال أبو عبد الله : فقلت لأبى سليمان : يا أبا سليمان وقع لك ذلك أو سمعته ؟ فقال : سمعته يقول كما تسمعنى .

وسمعت أحمد بن عطاء الروذبارى يقول : كان لى مذهبٌ فى أمر الطهارة فكنت ليلة من الليالى أستنجى — أو قال كنت أتوضأ — إلى أن مضى من الليل رُبعه ولم يطب قلبى فضجرت ، وبكيت ، وقلت : يا رب العفو ، فسمعت صوتاً ولم أرَ أحداً يقول : يا أبا عبد الله العفو فى العلم ، وكان عند جعفر الخلدى رحمه الله فصٌّ ، وكان يوماً من الأيام راكباً فى سمارية فى الدجلة ، فأراد أن يعطى الملاح قطعته ؛ لحل الشُّسْتكة . وكان الفص فيها ، فوقع الفص فى الدجلة ، وكان عنده دعاء للضالة مجرَّبٌ فكان يدعو به فوجد الفصّ فى وسط أوراق كان يصفحها ، والدعاء اللهم يا جامع الناس ليوم لا ريْب فيه اجمع علىّ ضالتى ، قال : ثم أوْرانى

أبو الطيب المكّى جُزْءٌ قد جمع فيه ذِكْرَ كل ضالة رد الله إلى من دعا بهذا الدعاء فى مدة قليلة ، فنظرتُ فيه وكان أوراقاً كثيرة .

وسمعت حمزة بن عبد الله العَلَوى يقول: دخلت على أبى الخير التيناتى وكنت قد اعتقدت فى سِرّى فيما بينى و بين الله تعالى أن أسلم عليه وأخرج ، ولا أتناول عنده طعاماً ، ثم دخلت فسلمت عليه وودعته وخرجت من عنده ، فلما تباعدت من القرية فإذا به وقد حمل معه طعاماً فقال لى : يا فتى ، كل هذا ، فقد خرجتَ الساعة من اعتقادك ، أو كلاماً هذا معناه .

وهؤلاء القوم مشهورون بالصدق والديانة ، وكل واحد منهم إمام مُشار إليه فى ناحيته ، ومقتدى به فى أحكام الدين ، فقد صدقهم المسلمون فى أحكام دينهم ، وقبلوا شهادتهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رووا عنه وأسندوا إليه من الأخبار والآثار ، ولا يجوز أن يكذبهم أحدٌ ويتهمهم فى هذه الحكايات وما يشبه ذلك ، وإذا كانوا صادقين فى واحد ، ففى الجميع كذلك . وبالله التوفيق .

باب فى حجة من أنكر كون ذلك من أهل الظاهر والحجة عليهم فى جواز ذلك للأولياء والفرق بينهم و بين الأنبياء عليهم السلام فى ذلك

قال الشيخ رحمه الله : قال أهل الظاهر : لايجوز كون هذه الكرامات لغير الأنبياء عليهم السلام لأن الأنبياء مخصوصون بذلك ، والآيات والمعجزات والكرامات واحدة ، وإنما سُمّيت معجزات لإعجاز الخلق عن الإتيان بمثلها ، فمن أثبت من ذلك شيئاً لغير الأنبياء عليهم السلام فقد ساوى بينهم ولم يفرق بين الأنبياء وبينهم

قال الشيخ رحمه الله : من أنكر ذلك فإنما أنكرها احترازاً من أن يقع وهنٌ فى معجزات الأنبياء عليهم السلام ، وقد غلط قائل هذا القول لأن بينهم و بين الأنبياء عليهم السلام فى ذلك فرقاً من جهات شتى :

فوجهٌ منها أن الأنبياء عليهم السلام مستعبدون بإظهار ذلك للخلق ، والاحتجاج بها على من يدعونهم إلى الله تعالى ، فمتى ما كتموا ذلك فقد خالفوا الله تعالى فى كتمانها ، والأولياء مستعبدون بكتمان ذلك عن الخلق ، وإذا أظهروا من ذلك شيئاً للخلق لاتخاذ الجاه عندهم فقد خالفوا الله وعصَوْه بإظهار ذلك .

والوجه الآخر فى الفرق بينهم و بين الأنبياء عليهم السلام : أن الأنبياء عليهم السلام يحتجون بمعجزاتهم على المشركين لأن قلوبهم قاسية لايؤمنون بالله عزّ وجلّ والأولياء يحتجون بذلك على نفوسهم حتى تطمئن وتُوقن ولا تضطرب ولا تجزع عند فوت الرزق لأنها أمّارةٌ بالسوء ، جاحدة مشركة، مجبولة على الشك ، ليس عندها يقين بما ضمن لها خالقها من الرزق وذِكْر القَسْمْ عليها .

وقد سألت ابن سالم عن ذلك فقلت له : ما معنى الكرامات وهم قد أُكرموا حتى تركوا الدنيا اختياراً ؟ فكيف أُكرموا بأن يجعل لهم الحجارة ذهباً ، فما وجه

ذلك ؟ فقال : لا يعطيهم ذلك لقدرها ، ولكن يعطيهم ذلك حتى يحتجوا بكون ذلك على أنفسهم عند اضطرابها وجزعها من فوت الرزق الذى قسم الله لهم فيقولوا الذى يقدر على أن تصير لك الحجارة ذهباً كما هو ذا تنظر إليه ، أليس بقادر أن يسوق رزقك إليك من حيث لا تحسبه ؟ فيحتجوا بذلك على ضجيج نفوسهم عند فوت الرزق ، ويقطعوا بذلك حُجَجَ أنفسهم ، فيكون ذلك سبباً لرياضة نفوسهم وتأديباً لها .

وقد حكى لنا ابن سالم فى معنى ذلك حكايةً عن سهل بن عبد الله رحمه الله أنه قال : كان رجل بالبصرة يقال له إسحاق بن أحمد ، وكان من أبناء الدنيا ، فخرج من الدنيا — أعنى من جميع ما كان له — وتاب ، وصحب سهلاً رحمه الله فقال يوماً لسهل رحمه الله : يا أبا محمد ، إنّ نفسى هذه ليس تترك الضجيج والصراخ من خوف فوت القُوت والقوام ، فقال له سهل رحمه الله : خُذْ ذلك الحجر وسلْ ربّك أن يصيّره لك طعاماً تأ كله ، فقال له : ومن إمامى فى ذلك حتى أفعل ذلك ، فقال سهل : إمامك إبراهيم عليه السلام حيث قال :

« رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ؟ قَالَ : بَلَى وَلَٰكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِى »[1] .

فالمعنى فى ذلك أن النفس لا تطمئن إلا برؤية العين لأن من جبلتها الشك ، فقال إبراهيم عليه السلام : أرنى كَيْفَ تطمئن نفسى ، فإنى مؤمن بذلك ؛ والنفس لا تطمئن إلا برؤية العين .

فكذلك الأولياء يُظهر الله تعالى لهم الكرامات تأديباً لنفوسهم ، وتهذيباً لها ، وزيادةً لهم ، ويكون فى ذلك فرق بينهم وبين الأنبياء عليهم السلام ، لأنهم

(١) البقرة : ٢٦٠

يُعْطَوْن المعجزة للاحتجاج بها فى الدعوة ، والدلالة على الله تعالى ، والإقرار بوحدانيته تعالى .

والوجه الثالث : فى الفرق بينهم وبين الأنبياء عليهم السلام لأن الأنبياء كلما زيدت معجزاتهم ، وكثرت ، يكون أتمّ لمعانيهم وأثْبَتَ لقلوبهم كما كان نبيُّنا صلى الله عليه وسلم قد أُعطى جميع ما أعطى الأنبياء عليهم السلام من المعجزات ثم زيادة أشياء لم يُعطَ أحدٌ غيره مثل : المعراج ، وانشقاق القمر ، ونبع الماء من بين أصابعه .

وشرح ذلك يطول ، ومقصودنا من ذلك أن الأنبياء عليهم السلام كلما زيدت لهم من المعجزات يكون أتمّ لمعانيهم وفَضْلهم ، وهؤلاء الذين لهم الكرامات من الأولياء كلما زيدت فى كراماتهم يكون وَجَلُهم أكثرَ ، وخوفهم أكثرَ حذراً أن يكون ذلك من المكر الخفىّ لهم والاستدراج ، وأن يكون ذلك نصيبهم من الله عز وجل ، وسبباً لسقوط منزلتهم عند الله عز وجل .

باب فى الأدلة علي إثبات الكرامات للأولياء ، وعلة قول من قال لا يكون ذلك إلا للأنبياء عليهم السلام

قال الشيخ رحمه الله : والدليل على جواز ذلك ، الكتاب والأثر ، قال الله تعالى « وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تَسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا »(1) ومريم لم تكن نبية .

١٧٠ وحديث النبي صلى الله عليه وسلم فى قصة جُرَيج الراهب ، وكلام الصبي ، وجريج لم يكن نبيًّا .

١٧١ وقال النبي صلى الله عليه وسلم فى قصة الغار : بينا ثلاثة يمشون إذْ آواهم الليل إلى
١٧٢ غار . الحديث ، وما روى عنه صلى الله عليه وسلم بينا رجل يمشي ومعه بقرة فركبها فقالت : ياعبد الله ما خُلقنا لهذا إنما خلقنا للحرث فقال القوم : سبحان الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم: آمنت به أنا وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما وليس هما فى القوم ، ولم يذكر أن الراكب للبقرة كان نبياً ، وكذلك حديث الذئب الذى كلم الراعى ، ولم يُذكر أنه كان نبياً .

١٧٣ وقد رُوى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « إن فى أمتى مكلَّمون ومحدَّثون
١٧٤ وإن عمر بن الخطاب رضى الله عنه منهم » والمكلم والمحدث أتمُّ فى معناه من جميع الكرامات التى ذكر الله عز وجل على البدلاء والأولياء والصالحين ، وحديث عمر رضى الله عنه أنه قال فى خطبته : « يا ساريةُ الجبلَ » فسمع صوتَهُ بالعسكر على باب نهاوند .

وقد روى فى الحديث لعلى بن أبى طالب ولفاطمة رضى الله عنهما كرامات وإجابات كثيرة .

---

(1) مريم : ٢٥

وقد رُوى عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مثل ذلك ١٧٥
أشياء مثل حديث أُسَيْد بن حُضير وعتاب بن بشير أنهما خرجا من عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى ليلة مظلمة فأضاء لهما رأس عصا أحدهما كالسراج ، على حسب
ما رُوى فى الخبر .

وحديث أبى الدَّرداء وسلمان الفارسى رضى الله عنهما أنه كان بينهما قصعة ١٧٦
فسبحت حتى سمعا تسبيحها ، وقصة العلاء بن الحضرمى حيث بعثه رسول الله صلى ١٧٧
الله عليه وسلم فى غزاة فحال بينهم و بين الموضع قطعة من البحر فدعا الله تعالى باسمه ١٧٨
الأعظم ومشوا على الماء كما جاء فى الخبر ، وكذلك دعاؤه لما استقبله السبع .

وحديث عبد الله بن عمر رضى الله عنه حين لقى الجماعة الذين وقفوا على الطريق
من خوف السبع فطرد السبع من طريقهم ثم قال : إنما يُسَلَّطُ على ابن آدم من يخافه
ولو أن ابن آدم لم يخف شيئاً غير الله لم يسلط الله عليه شيئاً يخافه غيره ، ومثله فى
الأخبار كثير . والصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال : رُبَّ أشْعَثَ ١٧٩
أغْبَرَ ذى طِمرَين لو أقسم على الله لأبرَّ قسمَهُ و إن البراء بن مالك منهم : ولا
يكون فى الكرامات شىء أتم من أن يقسم العبد على الله تعالى فيبر قسمه وقد قال
الله عز وجل (ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُم) ولم يقل فى شىء دون شىء .

وقد روى أيضاً لجماعة من التابعين بالأسانيد الصحيحة كرامات و إجابات يطول ذكرها إن ذكرنا بعضها فكيف كلها ؟ ! وقد صنَّف العلماء فى ذكرها وروايتها عنهم مصنفات .

وقد روى أشياء فى الحديث من الكرامات كثيرة من ذلك لعامر بن عبدالقيس وللحسن بن أبى الحسن البصرى ولمسلم بن يسار ولثابت البنانى ولصالح المرّى ولبكر ابن عبد الله المزنى ولأوَيس القرَنِى ولهرم بن حيان ولأبى مسلم الخولانى ولصلة بن أشيم وللربيع بن خُثيم ولداود الطائى ولمطرّف بن عبد الله بن الشخير ولسعيدبن المسيب

واسطاء السُّلمى وأشباههم من التابعين ، قد رووا عن كل واحد من هؤلاء وغير هؤلاء كرامات كثيرة ، و إجابات وأشياء قد ظهرت لهم ، لا يتهيأ لأحد أن يدفع ذلك لصحتها عند أهل الرواية ، وكذلك لطبقة أخرى بعدهم، مثل مالك بن دينار وفرقد السبخى وعُتبة الغلام وحبيب العجمى ومحمد بن واسع ورابعة العدوية وعبد الواحد بن زيد وأيوب السختيانى وغير ذلك ممن كان فى عصرهم. فإذا روى عنهم العلماء والأئمة الذين كانوا فى عصرهم وقد صح عنهم ذلك عندهم وقد حدّثوا بهـا ، مثل أيوب السختيانى وحماد بن زيد وسفيان الثورْرى وغيرهم من الأئمة والثقات ولم ينكر ذلك واحد منهم ، وهم أئمتنا فى الدين . و بر واياتهم صح عندنا علمُ الحدود والأحكام وعلم الحلال والحرام ، فكيف يجوز أن نصدقهم فى بعض ما يروون ولا نصدقهم فى بعض ذلك ؟ !

وقد رأيتُ جماعة من أهل العلم جمعوا ما يشا كل هذا الذى ذكرنا من كرامات الأولياء والإجابات والذى ظهر لهم فى الوقت فى هذا المعنى ، فذكروا أنهم قد جمعوا فى ذلك أكثر من ألف حكاية وألف خبر ، فكيف يجوز أن يقال: ذلك كله كذب موضوع ؟ و إن صح من الجميع واحد فقد صح الكل فإن القليل والكثير فى ذلك سواء ، والذى يحتج بأن الذى كان قبل النبى صلى الله عليه وسلم من ذلك كان إكراما لنبي ذلك الزمان الذى كان ذلك فى وقته والذى كان لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ذلك إكراماً للنبى صلى الله عليه وسلم فيقال له : فالذى كان أيضاً للتابعين ولمن بعدهم وما يكون من مثل ذلك إلى يوم القيامة من الكرامات فكل ذلك إكراماً للنبى صلى الله عليه وسلم لأنه أفضل الأنبياء عليه السلام وأمته خير الأمم .

وكما استحال أن يكون لنبى من الأنبياء عليهم السلام شىء من المعجزات إلا وقد كان للنبىّ صلى الله عليه وسلم من مثل ذلك أو أتمّ من ذلك وأكثرُ ،

فكذلك يستحيل أن يكون فى الأمم السالفة لقوم منهم شىء من الكرامات إكراماً لأنبيائهم إلا ويكون فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم أيضاً لطائفة منهم أكثرُ من ذلك إكراماً لمحمد صلى الله عليه وسلم مَعَما إن فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم من لا يرى ذلك حالا ولا مرتبةً ولا كرامةً ويرى ذلك اختباراً ومحنةً موضوعةً على طرق أصفيائه والمخصوصين من أوليائه، فهم يخشون من ذلك إذا ظهر لهم سقوط منزلتهم عند الله تعالى ونكوصهم على عقبهم ونزولهم عن درجتهم ولا يعدون مَنْ ركن إلى ذلك ورضى به حالا أنه من أهل الخصوص ، ونحن نذكر فى ذلك باباً نبين فيه ذلك إن شاء الله . وإنما أردنا بذكر ذلك جواز كونه وبطلان قول من زعم أن كون ذلك غير جائز فى الأمة .

باب فى ذكر مقامات أهل الخصوص فى الكرامات
وذِكْر من ظهر له شىء من الكرامات فكره ذلك
وخشى من الفتنة

قال الشيخ رحمه الله : ذُكر عند سهل بن عبد الله رحمه الله الكرامات فقال : وما الآيات وما الكرامات شىء تنقضى لوقتها، ولكن أكبر الكرامات أن تبدل خُلقاً مذموماً من أخلاق نفسك بخلق محمود :

وعن أبى يزيد البسطامى رحمه الله أنه قال : كان فى بدايتى يرينى الحق الآيات والكراماتَ فلا ألتفتُ إليها ، فلما رآنى كذلك جعل لى إلى معرفته سبيلا .

وقيل لأبى يزيدرحمه الله : فلان يقال : إنه يمر فى ليلة إلى مكة فقال: الشيطان يمر فى لحظة من المشرق إلى المغرب وهو فى لعنة الله ، وقيل له : إن فلاناً يمشى على الماء فقال : الحيتان فى الماء والطير فى الهواء أعجبُ من ذلك .

سمعت طَيْفور بن عيسى يقول: قال موسى بن عيسى قال أبى: قال أبو يزيدرحمه الله: لو أن رجلا بسط مصلاه على الماء وتربع فى الهواء ، فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه فى الأمر والنهى .

قال الجنيد رحمه الله : حجاب قلوب الخاصة المختصة برؤية النعم والتلذذ بالعطاء والسكون إلى الكرامات .

سمعت ابن سالم يقول : سمعت أبى يقول : كان رجلٌ يصحب سهل بن عبد الله رحمه الله يقال له عبد الرحمن بن أحمد فقال يوماً لسهل : يا أبا محمد ، ربما أتوضأ للصلاة فيسيل الماء من يدى ، فيصير قُضبان ذهب وفضّة ، فقال له سهل : يا حبيبى أما علمتَ أن الصبيان إذا بكوا يُناوَلون خشخاشةً حتى يشتغلوا بها ، فانظرْ أيشَ هو ذا تعملُ .

وفيما حكاه جعفر الخلدي رحمه الله قال : حدثنى أبو بكر الكتانى قال : قال لى أبو الأزهر وغير واحد من إخواننا حكى عن أبى حمزة قال : اجتمعوا على باب يفتحونه فلم ينفتح لهم ، قال أبو حمزة : تنحّوا ، فأخذ الغلق بيده فحرّكه فقال : بكذا إلا فتحتهُ ، فانفتح الغلق .

وذُكر عن النورى رحمه الله أنه وافى ليلةً إلى الدجلة قال : فوجدتها وقد التزق الشط بالشط قال : فقلت : وعزّتك لا أعبرُها إلا فى زَوْرق .

وحُكى عن أبى يزيد البسطامى رحمه الله أنه قال : دخل علىّ أبو علىّ السِّنْدِى رحمه الله وكان أستاذه وكان معه جِرابٌ فصبه بين يدى فإذا هو ألوان الجواهر فقلت له ، من أين لك هذا ؟ قال : وافيتُ وادياً هاهنا فإذا هى تضىء كالسراج فحملتُ هذا منها قال فقلت له : كيف كان وقتك وقتَ ورودك الوادىَ ؟ قال: كان وقتى وقت فترة عن الحال الذى كنت فيه قبل ذلك ، وذكر الحكاية ، والمعنى فى ذلك : أن فى وقت فترته شغلوه بالجواهر .

قال: أملى علينا أحمد بن على الوجيهى بالرَّمْلة حكاية عن محمد بن يوسف البنّاء قال : كان أبو تراب النخشبى رحمه الله صاحب كرامات فسافرتُ معه سنة فاجتمع معنا أربعون رجلا وكان يظهر لهم من الإرفق ما شاء الله قال : ثم دلهم أبو تراب رحمه الله على الطريق وعدلْنا فلم يبق معنا إلا شابٌ نحيل فقال أبو تراب : ليس فيهم أقوى إيماناً من هذا قال : فِسْرنا أياماً واحتجنا إلى طعام نأكله ، قال : فعدل أبو تراب عن الطريق ساعة ثمَّ جاء ومعه عِذْقٌ من المَوْز ، فوضع بين أيدينا ونحن فى وسط الرمال ، قال : فجهد أبو تراب بهذا الفتى أن يأكل من ذلك الموز فلم يأكل ، فقلنا لهُ : لِمَ لاتأكل ؟ فقال : الحال الذى أعتقده فيما بينى و بين الله تعالى تَرْكُ المعلومات وأنت قد صرتَ معلومى ، فلا أصحبك من بعد ذلك ، قال محمد بن يوسف : قلتُ لأبى تراب رحمه الله : إن شئتَ أعزِمْ عليه ،

وإن شئتَ أترُكُه، فقال له أبو تراب : كنْ مع ما وقع لك من ذلك . أو كما قال ، والله أعلم .

سمعتُ ابن سالم يقول : لما مات إسحاق بن أحمد دخل سهل بن عبد الله صومعته فوجد فيها سَفَطاً فيه قارورتان ، في واحدة منهما شيء أحمر ، وفي الأخرى شيء أصفر ، ووجد شوشقة ذهب وشوشقة فضة ، قال : فأمر أبي حتى رمى بالشوشقتين في الدجلة وخلط ما في القارورتين بالتراب ، وكان على إسحاق بن أحمد دَيْنٌ ، قال ابن سالم : قال أبي : قلتُ لسهل رحمه الله : أيْشَ كان الذي في القارورتين ؟ قال : أما الأحمر فلو طُرِح وزن درهم منه على مثاقيل من النحاس لصار ذهباً ، وأما الأصفر فلو طرح وزن درهم منه على مثاقيل من النحاس لصار فضة، والشوشقتان كانت تجربة قال : فقلت له : أيش منعه من أن يعمل ذلك ويؤدى دَيْنه ؟ قال : خاف على إيمانه ، قلت أنا لابن سالم : فلو أدى من ذلك دينه سهلُ ابن عبد الله رحمه الله ألم يكن أوْلى من إفساده ؟ فقال ابن سالم : كان سهل رحمه الله أخْوَفَ على إيمان نفسه منه ، ثم قال : منعه من ذلك الوَرَعُ ، لأن ذلك يتغير بعد سبعين سنة .

وذكر عن أبي حفص أو عن غيره أنه كان جالساً وحَوْلهُ أصحابه ، قال : فنزل ظبيٌ من الجبل وبرك عندهم ، قال : فبكى أبو حفص أو الشيخ وسيَّب ذلك الظبي فسئل عن بكائه فقال : كنتم حولي فوقع في قلبي أن لو كان لي شاة لذبحتُ لكم فلما برك هذا الظبي عندنا شبهتُ نفسي بفرْعَوْن حين سأل الله تعالى أن يجرى معه النيل فأجراه ، فبكيتُ وسألتهُ الإقالة مما تمنيتُ وسيَّبتُ الظبي .

وقال بعض المشايخ : لا تتعجبوا ممن لم يضع في جيبه شيئاً فيدخل يده فيخرج من جيبه ما يريد، ولكن تعجبوا ممن وضع في جيبه شيئاً فيدخل يده في جيبه فلا يجده ، فلا يتغير .

قال ابن عطاء : سمعت أبا الحسين النورى يقول : كان فى نفسى من هذه الكرامات شىء ، فأخذتُ قَصَبَةً من الصبيان وقمت بين زَوْرقين ثم قلت : وعزّتك آئِن لم تخرج لى سمكةٌ فيها ثلاثة أرطال فلأُغرقنَّ نفسى ، قال : فخرج لى سمكة فيها ثلاثة أرطال ، قال : فبلغ ذلك الجنيد رحمه الله فقال : كان حُكْمُهُ أن يخرج له أفعَى تلدغه ، يعنى أنه لو لدغته حَيَّةٌ كان أنفعَ له فى دينه من ذلك لأن فى ذلك فتنةً ، وفى لدغ الحيَّة تطهير وكفارة .

قال يحيى بن مُعاذ رحمه الله : إذا رأيتَ الرجل يشير إلى الآيات والكرامات فطريقه طريق الأبدال ، وإذا رأيته يشير إلى الآلاء والنَّعْماء فطريقه طريق أهل المحبّة وهو أعلَى من الذى قَبْلُ ، وإذا رأيته يشير إلى الذِّكر ويكون معلقاً بالذكر الذى ذَكَرَهُ ، فطريقه طريق العارفين وهو أعلَى درجةً من جميع الأحوال .

باب في ذكر من كان له شيء من هذه الكرامات فأظهرها لأصحابه لصدقه وطهارته وسلامة قلبه وصحته

قال الشيخ رحمه الله : أخبرني جعفر الخُلْدي رحمه الله فيما قرأتُ عليه قال : حدثني الجنيد رحمه الله قال ، دخلتُ على سريّ السقَطي رحمه الله يوماً فقال لي : أُعجِبُك من عصفور يجيء فيسقط على هذا الرواق فآخُذُ لقمة فأفُتُّها في كفي فيسقط على أطراف أناملي فيأكل . فلما كان في وقت من الأوقات سقط على الرواق ففتتُّ الخبز في يدي فلم يسقط على يدي كما كان قبل ذلك ففكرتُ في سبب العلة في وحشته عنّي فذكرتُ أني أكلت مِلحاً بأبزار فقلت بسري : أنا تائبٌ من الملح المطيَّب فسقط على يدي فأكل وانصرف .

وعن أبي محمد المرْتَعش ، قال : سمعت إبراهيم الخواص رحمه الله يقول تهتُ في البادية أياماً فإذا بشخص وافاني ، فقال لي: السلام عليك ، فقلت : وعليك السلام فقال:تهتَ؟ فقلتُ : نعم، فقال لي : ألا أدُلك على الطريق؟ فقلت : نعم ، قال : فمشى بين يدي خطوات وغاب عن عيني فإذا أنا على الجادة ، ومنذ فارقتُ الشخص ما تهتُ ولا أصابني الجوع ولا العطش .

وفي حكاية جعفر الخلدي عن الجنيد رحمه الله ، قال : جاءني أبو حفص النيسابوري رحمه الله مرّةً ومعه عبد الله الرِّباطي رحمه الله وجماعة وكان فيهم رجلٌ أصلع قليل الكلام ، فقال يوماً لأبي حفص رحمه الله : قد كان فيمن مضى ، لهم الآيات الظاهرة ـ يعني به الكرامات ـ وليس لك شيء من ذلك فقال : له أبو حفص رحمه الله : تعالَ ، فجاء به إلى الحدادين إلى كور عظيم محمّى . فيه حديدة عظيمة فأدخل يده في الكور فأخذ الحديدة المُحماة فأخرجها فبردت في يده فقال له : يجزيك هذا ، فسئل بعضهم عن معنى إظهار ذلك من نفسه فقال : كان

مُشْرِفاً على حاله فخشي على حاله أن يتغير عليه إن لم يُظهِر ذلك له فخصه بذلك شفقة عليه وصيانة لحاله وزيادة لإيمانه .

وحُكي عن إبراهيم بن شيبان أنه كان في حداثته يصحب أبا عبد الله المغربي قال : فبعثني يوماً إلى موضع أحمل له الماء قال : فوافيت الماء وإذا أنا بالسبع قد قصد الماء قال : فالتقينا جميعاً في مضيق بيننا وبين الماء قال: فكنت مرة أزاحمه ومرة يزاحمني حتى سبقتهُ ووصلت إلى الماء قبله ، وعن أحمد بن محمد السلمي ، قال : دخلتُ على ذي النون المصري رحمه الله فرأيت بين يديه طشتاً من ذهب وحوله الندّ والعنبر يُسْجَرُ ، فقال لي : أنت ممن يدخل على الملوك في أوقات بسطهم ثم أعطاني درهما فأنفقتُ منه إلى بَلْخ ، وحُكي عن ذي النون رحمه الله أنه كان ربما يقضم الشعير قضماً مثل الدواب ، وعن أبي سعيد الخراز رحمه الله أنه ، قال : كان حالي مع الله عز وجل أن يطعمني في كل ثلاثة أيام ، قال: فدخلتُ البادية فمضى عليّ ثلاثة ما طعمت شيئاً ، فلما كان اليوم الرابع وجدت ضعفاً فجلستُ مكاني فإذا أنا بهاتف يقول : يا أبا سعيد أيما أحبُّ إليك سببٌ أو قوّى؟ قال: فصحتُ وقلتُ لا . إلا القوّى ، فقمتُ من وقتي ، وقد استقللت فمشيت بعد ذلك اثنا عشر يوماً ما طعمت شيئاً ، ولا وجدت ألماً لذلك

وعن أبي عمر الأنماطي ، قال : كنت مع أستاذي في البادية فأخذنا المطر فدخلنا مسجداً نسكنُ فيه من المطر ، وكان فيه خَسْفٌ في سقفه ، فصعدت أنا والشيخ لنصلحه وكانت معنا خشبة فذهبنا لنجعلها على الحائط فقصرتْ فقال لي الشيخ : مُدَّ ، فمددتها فركبت الحائط من هاهنا ومن هاهنا ، قال عمر : وكنت عند خير النساج رحمه الله فجاءه رجلٌ فقال: أيها الشيخ رأيتك يوم أمس وقد بعتَ الغزل بدرهمين جئتُ خلفك فحللتهما من طَرَف إزارك وقد صارت يدي منقبضة على كفي ، قال : فضحك وأومى بيده إلى يده ففتحها ثم قال : امض واشتر به شيئاً لعيالك ولا تَعُدْ لمثل ذلك .

باب فى ذكر الخصوص وأحوالهم التى لا تعد من الكرامات

وهى فى معانيها أتمُّ وألطفُ من الكرامات

قال : سمعت طلحة العصائدى البصرى بالبصرة يقول : سمعت المقحى صاحب سهل بن عبد الله ، رحمه الله يقول : كان سهل بن عبد الله يصبر عن الطعام سبعين يوماً وكان إذا أكل ضعف ، وإذا جاع قوى .

وعن أبى الحارث الأولاسى رحمه الله أنه قال : مكثتُ ثلاثين سنة ما سمع لسانى إلا من سرّى ثم حالت الحال فكنت بعد ذلك ثلاثين سنة لا يسمع سرى إلا من لسانى .

وعن أبى الحسن المزيّن قال : كان أبو عُبَيْد البُسْرى رحمه الله ، إذا كان أول يوم من رمضان يدخل البيت ويقول لامرأته : طينى علىّ الباب وألقِى لى كل ليلة رغيفاً فى الكوة فإذا كان يوم العيد رفس الباب ودخلت امرأته البيت فإذا بالثلاثين رغيفاً موضوعة فى زاوية البيت فلا أكل ولا شرب ولا تهيأ للصلاة ولا فاته ركعة من صلاة .

وحُكى عن أبى بكر محمد بن علىّ الكتانى رحمه الله قال : ما استودعتُ قط قلبى شيئاً فخاننى .

وعن أبى حمزة الصوفى قال : دخل علىّ رجل من أهل خراسان فسألنى عن الأمن ، قال : فقلت له : أعرفُ من لو كان على يمينه سَبُعٌ وعلى يساره مِشْورةٌ ما ميز على أيهما يتكىء ، قال : فقال الرجل : هذا علمٌ ، هاتِ حقيقةً لجواب مسألتى قال : فسكتُّ ، قال : فخذها يا أبا بذ نجْت ، أعرفُ من لو خرج من المغرب يريد المشرق ما تغير عليه سِرُّه بين ذلك . قال أبو حمزة : فبقيتُ أربعين يوماً وليلة لم آكل ولم أشرب ولم أنَمْ حتى تبين لى علم ما قال .

وسمعت أبا عمرو بن علوان يقول : كان شابٌ يصحب الجُنيَدْ رحمه الله ، وكان له قلب فطنٌ ، وربما يتكلم بخواطر الناس ، وما يعتقدون فى سرائرهم . فقيل للجنيد ذلك ، فدعاه وقال : أيْشَ هذا الذى يبلغنى عنك؟ فقال : لا أدرى ، ولكن اعتقدْ فى قلبك ما شئتَ ، قال الجنيد رحمه الله : اعتقدتُ ، فقال الفتى : اعتقدتَ كذا وكذا ، فقال الجنيد رحمه الله : لا ، فقال : اعتقدْ مرةً أخرى ، فقال الجنيد رحمه الله : اعتقدتُ ، فقال الشاب : هو كذا وكذا ، فقال الجنيد رحمه الله: لا ، قال : فاعتقدْ ثالثاً ، فقال الجنيد رحمه الله : اعتقدتُ ، فقال الشاب : هو كذا وكذا ، فقال الجنيد رحمه الله : لا ، فقال الشاب : هذا والله عجيب أنت عندى صادق ، وأنا أعرف قلبي وأنت تقول لا .

قال : فتبسم الجنيد رحمه الله ثم قال : صدقت يا أخى فى الأول وفى الثانى وفى الثالث ، وإنما أمتحنك هل تتغير عما أنت عليه .

وعن جعفر الخلدى رحمه الله : قال : سمعت جنيداً رحمه الله يقول: دخل الحارث المحاسبي رحمه الله دارى فلم يكن عندى شيء طيب أطعمه ، قال : فمضيت إلى دار عمى فأخرجت منها شيئاً وحملت لقمةً ففتح فمه فجعلت فى فمه فكان يحوله من جانب إلى جانب ولا يبتلعه ثم قام وخرج فألقاه فى الدهليز فذهبت خلفه وقلت : يا عمى رأيتك لم تبتلع ثم قمتَ وألقيتَه فى الدهليز قال : نعم بُنَى وذلك أن بينى و بين الله تعالى أنه إذا كان شيء من غير وجهه لا يتهيأ لى بلعه ، وكنت فتحت فمى لإدخال السرور عليك ولم يتهيأ لى أن أبلعه فقمتُ فألقيته فى الدهليز .

وعن أبى جعفر الحداد أنه قال : أشرف علىَّ أبو تراب رحمه الله فى البادية وأنا جالس على بركة ولى ستة عشر يوماً لم آكل ولم أشرب من البركة الماء وأنا جالس فقال لى : ما جلوسك هاهنا ؟ فقلت : أنا بين العلم واليقين أنتظر من يغلب ؟ فأكون معه قال : سيكون لك شأن .

قال أبو عبد الله الحصرى رحمه الله: رأيت إنساناً (يعنى من الصوفية) مكث سبع سنين لم يأكل الخبز، ورأيت رجلاً مكث سبع سنين لم يشرب الماء، ورأيت رجلا إذا مدَّ يده إلى طعام فيه شبهة جفت، وعن جعفر المبرقع أنه قال: منذ ثلاثين سنة ماعقدتُ مع الله عقداً مخافة أن يفسخ ذلك فيكذبنى على لسانى.

وقال أبو بكر الزقاق رحمه الله: سافرنا مع إسماعيل السُّلمى فوقع من رأس جبل فكسرت قصبة ساقه فبكينا فقال: مالكم؟ لاتغتموا إنما هو ساق من قطعة طين فإذا جف فركناه.

ومثل ذلك فى الحكايات كثير، وما لم نذكره أكثرُ، وجميع ذلك أحسن معانى وألطفُ من الكرامات التى ذكرناها، وفى ذلك كفاية لمن عقل وأنصف وفهم.

كتاب البيان عن المشكلات

باب فى شرح الألفاظ الجارية فى كلام الصوفية

مثل قول القائل الحق بالحق للحق ، ومنه به له ، والحال والمقام والمكان ، والوقت ، والبادى ، والبادهُ ، والوارد ، والخاطر ، والواقع ، والقادح ، والعارض ، والقَبْض ، والبَسْط ، والغَيْبة ، والحضور ، والصحو ، والسُّكر ، وصَفوُ الوَجْد ، والهجوم ، والغلبات ، والفناء ، والبقاء ، والمبتدئ ، والمريد ، والمراد ، والوجد ، والتواجد والتساكن ، والمأخوذ والمستلَب ، والدهشة والحيرة والتحيّر ، والطوالع ، والطوارق ، والكشف والمشاهدة ، واللوائح واللوامع ، والحق والحقوق والتحقيق والتحقّق والحقيقة والحقائق ، والخصوص وخصوص الخصوص ، والإشارة والإيماء ، والرمز والصفاء ، وصفاء الصفاء ، والزوائد والفوائد ، والشاهد والمشهود ، والموجود ، والمفقود ، والمعدوم ، والجمع ، والتفرقة ، والشَّطْح ، والصَّوْل ، والذهاب ، وذهاب الذهاب ، والنَّفَس والحِسّ ، وتوحيد العامّة ، وتوحيد الخاصّ والتجريد ، والتفريد .

وهَم مفرَّد ، وسِر مجرَّد ، والاسم ، والرَّسْم ، والوَسْم ، والمحادثة ، والمناجاة ، والمسامرة ، ورؤية القلوب ، والروح والتروح ، والنعت والصفة ، والذات والحجاب ، والدعوى ، والاختيار ، والبلاء ، واللسان ، والسرّ ، والعَقْد ، والهَمّ ، واللَّحْظ ، والمَحْو ، والمَحْق ، والأثَر ، والكَوْن ، والبَوْن ، والوَصْل ، والفَصْل ، والأصْل ، والفَرْع ، والطَّمْس ، والرَّمْس ، والدَّمْس ، والسبب ، والنِّسْبة ، وصاحب قَلْبٍ ، ورَبُّ حالٍ ، وصاحب مقامٍ ، وفلان بلا نَفَس ، وفلان صاحب إشارةٍ ،

وأنَا بلا أنَا ، ونَحْنُ بلا نَحْنُ ، وأنتَ أنتَ ، وأنَا أنَا ، وأنتَ أنَا ، وأنَا أنتَ ، وهو بلا هو ، وقَطْع العلائق ، و بادى بلا بادى ، والتجلّى ، والتخلّى ، والتحلّى ، والعلّة والأزل والأبد والأمد ، ووَقْتى مُسَرْمَد ، ونَحْرِى بلا شاطىء ، ونَحْنُ مسيَّرُون ، والتلوين ، وبَذْل المُهَج ، والتلَف ، والالجأ ، والانزعاج ، وجَذْب الأرواح ، والوطر ، والوطن ، والشرود ، والقصود ، والاصطناع ، والاصطفاء ، والمَسْخ ، واللطيفة ، والامتحان ، والحدث ، والكُلّيَة ، والتلبيس ، والشُّرْب ، والذّوْق ، والعَيْن ، والاصطلام ، والحُرّيّة ، والرّيْن ، والغَيْن ، والوسائط ، وما يشا كل هذه من الألفاظ.

باب بيان هذه الألفاظ

قال الشيخ رحمه الله : وأما معنى قولهم « الحقّ بالحقّ للحقّ » فالحقّ هو الله عزّ وجلّ ، وفى التفسير عن أبى صالح فى قوله عزّ وجلّ : « وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ »[1] قال : الحق هو الله تعالى .

قال أبو سعيد الخرّاز ، رحمه الله ، فى بعض كلامه : عبدٌ موقوف مع الحق بالحق للحق ، يعنى موقوف مع الله بالله لله ، وكذلك «منه به له» يعنى من الله بالله لله ، وربما يكون فى مواضع يُعنَى به ما يكون من اكتساب العبد بالعبد للعبد ، كما قال أبو يزيد رحمه الله : قال لى ، أبو على السِندى : كنتُ فى حال مِنّى بى لى ، ثم صرتُ فى حال منه به له .

والمعنى فى ذلك أن العبد يكون ناظراً إلى أفعاله ويُضيف إلى نفسه أفعاله فإذا غلب على قلبه أنوار المعرفة يرى جميع الأشياء من الله قائمةً بالله معلومةً لله مردودةً إلى الله ، والحال نازلةٌ تنزل بالعبد فى الحين ، فيحل بالقلب من وجود الرضا والتفويض وغير ذلك ، فيصفو له فى الوقت فى حاله ووقته ويزول ، وهذا كما قال : الجُنَيْدُ رحمه الله .

وعند غيره ، الحال: ما يحل بالأسرار من صفاء الأذكار ولا يزول ، فإذا زال فلا يكون ذلك حالا .

و«المقام» هو الذى يقوم بالعبد فى الأوقات مثل مقام الصابرين والمتوكلين وهو مقام العبد بظاهره وباطنه فى هذه المعاملات والمجاهدات والإرادات ، فمتى أقام العبد فى شىء منه على التمام فهو مقامه حتى ينتقل منها إلى مقام آخر كما ذكرته فى باب المقامات والأحوال .

---

(١) المؤمنين : ٧١

و«المكان» هو لأهل الكمال والتمكين والنهاية، فإذا كمل العبد فى معانيه تمكن له المكان لأنه قد عبر المقامات والأحوال فيكون صاحب مكان : قال بعضهم :

مكانُك من قلبي هو القلبُ كله فليس لشيء فيه غيرِك موضعُ

و«المشاهدة» بمعنى المداناة، والمحاضرة، والمكاشفة والمشاهدة، تتقاربان فى المعنى إلا أن الكشف أتم فى المعنى .

قال عمرو بن عثمان المكى رحمه الله : أول المشاهدة زوايد اليقين سطعت بكواشف الحضور غير خارجة عن تغطية الغيب وهو التماس القلب دوام المحاضرة لما وارته الغيوب ، قال الله تعالى : « إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ(١) » يعنى حاضر .

و«اللوائح» ما يلوح للأسرار الظاهرة لزيادة السمو والانتقال من حال إلى حال أعلى من ذلك

قال الجنيد رحمه الله : لقد فاز قوم دلّهم وإيّهم على مختصر الطريق فأوقفهم على محجة المناجاة ولوّح لهم على فهم الدعوة إلى المسارعة بالمناسبة إلى فهم الخطاب إذ يقول جل وعز « وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ(٢) » فنهضت العقول مستجيبةً بحسن التوجه لإقامة ما به يحظون عنده .

و«اللوامع» معناه قريب من «اللوائح» وهو مأخوذ من لوامع البرق إذا لمعت فى السحاب طمع الصادى والعطشان فى المطر .

قال عمرو بن عثمان المكى رحمه الله : إن الله تعالى يورد فى صفاء الأوهام كمثل لوامع البرق بعضها فى إثر بعض ويبدى ذلك لقلوب أوليائه بلا توهم بأصل ما عقدت عليه القلوب من التصديق والإيمان بالغيب وما بدا للقلوب لوامعه من زيادة النور حتى لا يمكن النفوسَ توهمُ ذلك النور فى صفاء الأوهام ولو توهمت انقطع ذلك ، وقال القائل :

---

(١) ق : ٣٧ (٢) آل عمران : ١٣٣

واغترّ ذو طمعٍ بلمعِ سرابِ

و«الحق» هو الله عز وجل قال الله عز وجل: «وَإِنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ»(١)، والحقوق معناه الأحوال والمقامات والمعارف والإرادات والقصود والمعاملات والعبادات، قال الطيالسي الرازي رحمه الله: إذا ظهرت الحقوق غابت الحظوظ، وإذا ظهرت الحظوظ غابت الحقوق.

ومعنى «الحظوظ» حظوظ النفس والبشرية لا تجتمع مع الحقوق لأنهما ضدّان لا يجتمعان.

والتحقيق تكلف العبد لاستدعاء الحقيقة جَهْدَه وطاقته.

قال ذو النون رحمه الله: قلت لبعض الحكماء الذين لقيتهم: لِمَ وقف سالكُ الطريق في كبد فجاج المضيق؟ فقال: من ضعفِ دعائم التصديق وأخذِ القلوب بالتحقيق.

و«التحقق» معناه معنى التحقيق وهو مثل التعلم والتعليم، و«الحقيقة» اسم و«الحقائق» جمع الحقيقة، ومعناه وقوف القلب بدوام لانتصاب بين يدى من آمن به، فلو داخل القلوب شك أو مخيلة فيما آمنت به حتى لا تكون به واقفة وبين يديه منتصبة لبطل الإيمان وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم لحارثة «لكل حق حقيقة فما ١٨٠
حقيقة إيمانك» فقال: عزَفَتْ نفسيْ عن الدنيا فأسهرتُ ليلي وأظمأتُ نهاري وكأني أنظرُ إلى عرش ربي بارزاً» و«كأني» يعبّر عن مشاهدة قلبه ودوام وقوفه وانتصابه بين يدى الله تعالى لما آمن به حتى كأنه رأيُ العين.

قال الجنيد رحمه الله: أبت الحقائق أن تدع للقلوب مقالة للتأويل.

و«الخصوص» أهل الخصوص هم الذين خصهم الله تعالى من عامة المؤمنين بالحقائق والأحوال والمقامات، وخصوص الخصوص هم أهل التفريد وتجريد التوحيد ومن

(١) النور: ٢٥ ونص الآية: يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين

عبرَ الأحوالِ والمقامات وسلكها وقطع مفاوزها، قال الله عز وجل «وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ »(١) فالمقتصد خصوص والسابق خصوص الخصوص.

حُكى عن الشبلى رحمه الله أنه قال: قال لى الجنيد رحمه الله: يا أبا بكر ماظنُّك بمعنى خصوص الخصوص فيما تجرى إليه من القول عموم ثم قال: خصوص الخصوص فى نعت الإيماء إليه عموم.

و«الإشارة» ما يخفى عن المتكلم كشْفه بالعبارة للطافة معناه.

قال أبو على الروذبارى، رحمه الله: علمُنا هذا إشارةٌ فإذا صار عبارةً خفى، و«الإيماء» إشارة بحركة جارحة.

قال الجنيد رحمه الله: جلستُ عند ابن الكرَّينى فأوميتُ برأسى إلى الأرض فقال: بُعْدٌ. ثم أوميتُ برأسى إلى السماء فقال: بُعْدٌ، وقال الشبلى: رحمه الله ومن أومى إليه فهو كعابد وثن لأن الإيماء لا يصلح إلا إلى الأوثان، وقال القائل:

ولى عندَ اللقاء وفيهِ عَتْبٌ   بإيماء الجفُونِ إلى الجفونِ
فَأُبهتُ خيفة وأذوبُ خوفاً   وأفنى عن حراكٍ أو سكونِ

و«الرمز» معنى باطن مخزون تحت كلام ظاهر لايظفر به إلا أهلهُ، قال القنَّاد:

إذا نطقوا أعْجَزَكَ مرْمى رُموزهم   وإن سكتوا هيهاتمنك اتصالُه

وقال بعضهم: من أراد أن يقف على رموز مشايخنا فلينظر فى مكاتباتهم ومراسلاتهم، فإن رموزهم فيها لا فى مصنفاتهم.

و«الصفاء» ماخاص من ممازجة الطبع ورؤية الفعل من الحقائق فى الحين قال الجريرى رحمه الله: ملاحظة ما صفا بالصفاء جفاء، لأن معه ممازجة الطبع ورؤية الفعل.

قال ابن عطاء رحمه الله: لاتغتروا بصفاء العبودية، فإن فيها نسيان الربوبية، لأنها ممازجة بالطبع ورؤية الفعل، والله أعلم.

وسئل الكتانى رحمه الله: عن الصفاء فقال: مزايلة المذمومات.

وسئل عن «صفاء الصفاء» فقال: مزايلة الأحوال والمقامات والدخول إلى النهايات،

(١) فاطر: ٣٢

« وصفاء الصفاء » إبانة الأسرار عن المحدثات لمشاهدة الحق بالحق على الاتصال بلا علة قال القائل :

صفوُ الصفا فى صفوِهِ إذعان   وصفاؤهُ فى كونه إيقانُ
مَنْ بانَ بيّنَ ما أبان به لهُ   حقّ البيانِ بواضح التبْيانُ
هذا حقيقةُ وجدِهِ مِنْ وجدِه   ولوجدِه هل فوق ذاك بيانُ

و« الزوايد » زيادات الإيمان بالغيبِ واليقين كلما ازدادت الإيمان واليقين زاد الصدق والإخلاص فى الأحوال والمقامات والإرادات والمعاملات .

قال عمرو بن عثمان المكى رحمه الله : زوائد اليقين إذا سطعت بكواشف الحضور عن تغطية القلوب لما وارته الغيوب ، والفوائد تُحف الحق لأهل معاملته فى وقت الخدمة بزيادة الفهم للتنعم بها .

قال أبو سليمان الدارانى رحمه الله : رأيت الفوائد ترِد فى ظلَم الليل .

و« الشاهد » ما يشهدك بما غاب عنك ، يعنى يُحضر قلبك لوجوده ، قال القائل :

وفى كلّ شىء لهُ شاهدٌ   يدلّ على أنهُ واحدُ

و« الشاهد » أيضاً بمعنى الحاضر .

وسئل الجنيد رحمه الله عن الشاهد فقال : « الشاهد الحق فى ضميرك وأسرارك مطلع عليها ، والمشهود ما يشهده الشاهد » .

قال أبو بكر الواسطى: الشاهد الحق و« المشهود » الكون ، قال عز وجل « وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ »(١) والموجود والمفقود اسمان متضادّان ، فالموجود: ماخرج عن حيز العدم إلى حيز الوجود ، والمفقود : ما خرج من حيز الوجود إلى حيز العدم .

قال ذو النون رحمه الله : « لا تحزنْ على مفقود ويكون ذِكراً لعبد موجود ، و « المعدوم » الذى لا يوجدُ ولا يمكن وجودُهُ ، فإذا عدمتَ شيئاً و يمكن وجوده فذاك مفقود وليس بمعدوم » .

(١) البروج : ٣

قال بعض أهل المعرفة: العالم وجودٌ من بين طرفيْ عدم ، لأنه موجود،كان عدماً معدوماً ، و يصير عدماً معدوماً ، ولا يشهده العارف إلا بعدم معدوم . فيجعل له عند رؤية عدمه معرفة وحدانية خالقه ، و«الجمع» لفظ مجمل يعبّر عن إشارة من أشار إلى الحق بلا خلق قبلُ ولا كوْن كان ، إذ السكون والخلق مسكوّنان لاقوام لهما بنفسهما لأنهما وجود بين طرفيْ عدم ، و«التفرقة» أيضاً لفظ مجمل يعبّر عن إشارة من أشار إلى السكون والخلق وهما أصلان لا يستغنى أحدهما عن الآخر ، فمن أشار إلى تفرقة بلا جمع فقد جحد البارىء ، ومن أشار إلى جمع بلا تفرقة، فقد أنكر قدرة القادر فإذا جمع بينهما فقد وحّد ، وقال القائل :

جمعْتُ وفرّقتُ عنى بهِ وفرْدُ التواصُل مثنى العدد

يعنى جمعت به وفرّقت عنى وفرد التواصل فى الجمع مثنى العدد فى التفرقة ، و«الغيبة» غيبة القلب عن مشاهدة الخلق بحضوره ومشاهدته للحق بلا تغيير ظاهر العبد و«الغَشْية» هى غيبة القلب بما يرِدُ عليه ويظهر ذلك على ظاهر العبد، و«الحضور» حضور القلب لما غاب عن عيانه بصفاء اليقين فهو كالحاضر عنده و إن كان غائباً عنه ، قال القائل :

أنت و إن غُيِّبْتَ عنى سيدى كالحاضر

وقال النورى :

إذا تغيبْتُ بدا وإن بدا غيبنى

وكذلك «الصحو» و«السكر» معناهما قريب من معنى الغيبة والحضور ، غير أن الصحو والسكر أقوى وأتم وأقهر من الغيبة والحضور ، وقد قال فى ذلك بعضهم :

فحالانِ لى حالانِ صحوٌ وسكرةٌ فلا زلتُ فى حالىَّ أصحو وأسكرُ

كفاك بأنَّ الصحوَ أوجد كأسِى فكيف بحال السكر والسكر أجدرُ

جحدْتُ الهوى إن كنت مُذجمل الهوى عيونك لى عيناً تَغُضُّ وتبصرُ

نَظرْتُ إلى شيء سِوَاكَ وَإنمَا   أرَى غيرَنَا أحلامَ نوْمٍ يُقدَّرُ

والفرق بين السكر والغشية ، أن السكر ليس نشأته من الطبع لا يتغير عند وروده الطبع ، والحواسّ ، والغشية ، نشأتها ممزوجة بالطبع تتغير عند ورودها الطبع والحواس ، وتنتقض منها الطهارة ، والغشية لا تدوم ، والسكر يدوم ، والفرق بين الحضور والصحو: أن الصحو حادث ، والحضور على الدوام .

ومعنى « صفو الوجد » أن لا يعارضه فى وجده شىء غير وجوده كما قال القائل :

تَحقَّقَ صَفوُ الوَجْدِ مِنَّا فما لَنَا   عَلَينا سِوانا مِنْ رَقيبٍ يُخبِّرُ

و« الهجوم والغلبات» متقاربا المعنى إلا أن الهجوم فعلُ صاحب الغلبات ، وذلك عند قوّة الرغبة ، والانفلات من دواعى الهوى والنفوس عند قوة رغبة الطالب إذا لاح له أعلام المزيد فى حال طلبه المطلوبَ ؛ فلو ظن أن مطلوبه وراء بحر سبحه أو فى تيه سلكه بالهجوم عند غلبات الإرادة وقوة سلطان المطالبة عليه لو رأى ناراً اقتحمها بالهجوم بتلف الروح وبَذل المُهْجة سواء أوصله ذلك إلى مطلوبه أو لم يُوصله ، فذلك معنى الهجوم والغلبات .

و« الفناء والبقاء » قد ذكرته فى بابه ، ومعنى « الفناء » فناء صفة النفس ، وفناء المنع والاسترواح إلى حالٍ وقع ، و« البقاء » بقاء العبد على ذلك ، وأيضاً فناء هو فناء رؤيا العبد فى أفعاله لأفعاله بقيام الله له فى ذلك ، والبقاء بقاء رؤية العبد بقيام الله له فى قيامه لله قبل قيامه لله بالله .

والمبتدئ هو الذى يبتدئ بقوة العزم فى سلوك طرقات المنقطعين إلى الله تعالى ويتكلف لآداب ذلك ويتأهب للتأدب بالخدمة والقبول من الذى يعرف الحال الذى ابتدأ به وأشرف عليه من بدايته إلى نهايته ، و« المريد » الذى صح له الابتداء وقد دخل فى جملة المنقطعين إلى الله تعالى بالاسم ، وشهد له قلوبُ الصادقين بصحة إرادته

ولم يترسم بعدُ بحال ولا مقام فهو فى السير مع إرادته ، و«المراد» العارف الذى لم يبق له إرادة ، وقد وصل إلى النهايات وعبر الأحوال والمقامات والمقاصد والإرادات فهو مراد أُريد به ما أُريد ، ولا يريد إلا ما يريد .

و«الوجد» مصادفة القلوب لصفاء ذِكر كان عنه مفقوداً ، و« التواجد ، والتساكر » قريبا المعنى ، وهو ما يمتزج من اكتساب العبد بالاستدعاء للوجد والسكر ، وتكلفه للتشبه بالصادقين من أهل الوجد والسكر ، و«الوقت» ما بين الماضى والمستقبل .

قال الُجنَيد رحمه الله : الوقت عزيز إذا فات لا يُدْرَكُ : يعنى نَفَسَك ووقتك الذى بين النفس الماضى والنفَس المستقبل ، إذا فاتك بالغفلة عن ذكر الله تعالى فلا تلحقه أبداً .

و«البادى» هو الذى يبدو على القلب فى الحين من حيث حال العبد، فإذا بدا بادى الحق يُبيد كل بادٍ غير الحق ، قال إبراهيم الخواص رحمه الله : إذا بدا بادى الحق أفنى كلَّ بادٍ .

و«الوارد» ما يرد على القلوب بعد البادى فيستغرقها والوارد له فِعلٌ وليس للبادى فعل ، لأن البوادى بدايات الواردات ، قال ذو النون رحمه الله : واردُ حق جاء يزعج القلوب .

و«الخاطر» تحريك السر لا بداية له ، و إذا خطر بالقلب فلا يثبت فيزول بخاطر آخرَ مثله ، و«الواقع» مايثبت ولا يزول بواقع آخر .

سمعت بعض المشايخ وهو أبو الطيب الشيرازى رحمه الله قال : سألت شيخاً من مشايخى مسألة فقال لى : أرجو أن يقع جوابُه ، قال الجنيد رحمه الله لخير النساج رحمه الله حين خرج إليه: هلاّ خرجت مع أول خاطرك ؟ وذلك أنه خطر بقلبه بأن

الجنيد رحمه الله على باب داره فكان يدفع خاطره مراراً ؛ فلما خرج قال له الجنيد ذلك .

ويقال : إن الخاطر الصحيح أولُ الخاطر ، أى أول ما يخطر ، ومعنى الخاطر أيضاً ما لا يكون للعبد نسبةٌ فى ظهوره فى الأسرار ، و«الخاطر» أيضاً قهرٌ يستوعب الأسرار .

و«القادح» قريب من الخاطر إلا أن الخاطر لقلوب أهل اليقظة ، والقادح لأهل الغفلة ؛ فإذا تقشع عن قلوبهم غُيوم الغفلة قدح فيها قادحُ الذكر ، وهى لفظة مأخوذة من قَدَحَ النارَ بالزِّناد ، والقادح الذى يستوقد النار ، قال القائل :

* يا قادِحَ النارِ بالزِّنادِ *

وقال بعضهم : ليس ما قدحتْه الحقيقة كما ساكنتْه البشرية .

و«العارض» ما يعرض للقلوب والأسرار من إلقاء العدو والنفس والهوى ، فكل ما يكون من إلقاء النفس والعدوّ والهوى فهو العارض ، لأن الله تعالى لم يجعل لهؤلاء الأعداء طريقاً إلى قلوب أوليائه إلا بالعارض دون الخاطر والقادح والبادى والوارد، قال أنشد :

يُعارِضُنى الواشون قلبى بكلما يُقَلقِلُهُ فى سِرِّهِ والعَلانيهْ

و«القبض» و«البسط» حالان شريفان لأهل المعرفة إذا قبضهم الحق أحشمهم عن تناول القوام والمُباحات والأكل والشرب والكلام ، وإذا بسطهم ردهم إلى هذه الأشياء وتولى حِفظهم فى ذلك ، فالقبض حال رجل عارف ليس فيا فضل لشىء غير معرفته والبسط حال رجل عارف بسطه الحق وتولى حفظه حتى يتأدب الخلق به ، قال الله تعالى : « واللهُ يَقبِضُ ويَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ »(١) .

(١) البقرة : ٢٤٥

وقال الجنَيد رحمه الله فى معنى «القبض» و«البسط» : يعنى الخوف والرجاء ؛ فالرجاء يبسط إلى الطاعة، والخوف يقبض عن المعصية ، وقد قال القائل فى صفة حال العارف المنقبض ، وصفة حال العارف المنبسط فقال :

معارفُ الحقِّ تحويها إذا نشِرَتْ ثلاثةٌ بعدها الأرواح تُختلَسُ
فعارفٌ بحُظوظِ الحقِّ ليس له عنه سواه ولا منه له نفَسُ
وعارفٌ بِوَلا المَليكِ معترفٌ يحثُّهُ الوجد ما ولّى لهُ الغلسُ
وعارفٌ غاب عنه العُرْف فاعتسفتْ منه السرائر معطوىُّ الذرّى شرِسُ
حتى استكانَ وغاب الوَعث فى مَهَل فطار شيثانِ عنه النُّطق والخرسُ
أغاثه الحقُّ عما دُونه فله منه إليه سِرارٌ وخبْهما خَنِسُ

يذكر أن العارفين على ثلاثة أصناف : صنف منهم ليس لهم منه نفَس ، وصنف منهم يحثهم الوجد إلى الحال الذى يتولاهم الحق بالكلاية[1] فيها ، وصنف منهم غاب عنهم العرف والعادة واستوى عندهم النطق والصمت وغير ذلك بعناية الحق لهم ، فإن سكتوا فلله يسكتون ، و إن نطقوا فمن الله ينطقون .

والغيبة ، والحضور ، والصحو ، والسكر ، والوجد ، والهجوم ، والغلبات ، والفناء ، والبقاء . فاعلم أن ذلك من أحوال القلوب المتحققة بالذكر والتعظيم لله عز وجل .

و«المأخوذ» و«المستلَب» بمعنى واحد ، إلا أن المأخوذ أتمّ فى المعنى وهم العبيد الذين
١٨١ وصفُهم فى الحديث المروىّ عن النبى صلى الله عليه وسلم الذى قال : « يظن الناس أنهم قد خولطوا وما خولطوا ولكن خالط قلوبهم من عظمة الله تعالى ما أذهَبَ بعقولهم » .

---

(١) الكلاية يعنى الكلاءة ، وهو الحفظ

وفى الحديث رُوى أيضاً عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يظن الناس أنه مجنون ، وقد رُوى عن الحسن فى الخبر كنتُ إذا رأيتُ مُجاهِداً كأنه خرْبَنْدَجٌ قد ضل حمارُهُ لِما كان فيه من الوله ، والأخبار تكثر فى وصف المأخوذ والمستلَب وقال القائل . ١٨٢

فَلا تَلُمْنِى عَلَى ما كانَ مِنْ قَلَقِى ... إنّى بِحُبِّكَ مأخُوذٌ وَمُسْتَلَبُ

و « الدهشة » سطوة تَصْدِمُ عقلَ المحِبّ من هيبة محبوبه إذا لقيه عند الإياس لم يجد لها عاهة إذا انقضت ، وقد رُوى عن بعضهم أنه قال : « اللهم إنك لا تُرَى فى الدنيا فهَبْ لى من عندك ما يسكن إليه قلبى » قال : فغشى عليه فلما أفاق قال : سُبْحانَ الله . فقيل له : م سبحت ؟ قال : ألْقَى إلىّ سكينتَهُ بدلا من النظر إليه وهل لذلك من بدل ؟ فقلت : يا رب دهشتُ من حُبك فلم أتمالك أن قلتُ ما قلتُ ، ولبعضهم يقول :

إنّ مَنْ أهْواهُ قَدْ أدْهَشَنِى ... لاخَلَوْتُ الدَّهْرَ مِنْ ذاكَ الدَّهَشْ

وكان الشبلى رحمه الله يقول : يادَهِشاً كلهُ معناه كل شىء مع الخلق منك دَهِشٌ كله .

و « الحيرة » بديهةٌ تَرِدُ على قلوب العارفين عند تأملهم وحضورهم وتفكرهم تحجبهم عن التأمل والفكرة ، قال الواسطى رحمه الله : حيرة البديهة أجلُّ من سكون التولّى عن الحيرة .

و « التحير » منازلة تتولى قلوب العارفين بين اليأس والطمع فى الوصول إلى مطلوبه ومقصوده لاتطمعهم فى الوصول فيرتجوا ولا تؤيسهم عن الطلب فيستريحوا فعند ذلك يتحيرون ، وقد سئل بعضهم عن المعرفة ما هى؟ فقال : التحير ثم الاتصال ثم الافتقار ثم الحيرة ، قال : قائل .

قَدْ تَحَيَّرْتُ فيكَ خُذْ بِيَدِى ... يادَلِيلا لِمَنْ تَحَيَّرَ فيكْ

و«الطوالع» أنوار التوحيد تطلع على قلوب أهل المعرفة بتشعشعها فيطمثن ما فى القلوب من الأنوار بسلطان نورها كالشمس الطالعة إذا طلعت يخفى على الناظر من سطوة نورها أنوارُ الكواكب وهى فى أماكنها ، قال الحسين بن منصور فى هذا المعنى .

قَدْ تَجَلَّتْ طَوالِعٌ زاهِراتٌ يَتَشَعْشَعْنَ فى لَوامِعِ بَرْقِ
خَصَّنى واحدى بتَوْحيد صِدْقٍ ما إليها مِنَ المسالِكِ طُرْقُ

و«الطوارق» ما يطرق قلوب أهل الحقائق من طريق السمع فيجدد لهم حقائقهم ، حُكى عن بعض المشايخ أنه قال : يطرق سمعى علمٌ من علوم أهل الحقائق فلا أدَعُ أن يدخل قلبى إلا بعد أن أعْرِضَها على الكتاب والسنة .

و «الطوارق» فى اللغة ما يطرق بالليل .

١٨٣ ورُوى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو : وأعوذُ بك من شَرِ طوارق الليل والنهار إلا طارقاً يطرق بخير .

و«الكشف» بيان ما يستتر على الفهم فيكْشَفُ عنه للعبد كأنه رَأْىُ عَين ، قال أبو محمد الجريرى : « من لم يعمل فيما بينه و بين الله تعالى بالتقوى والمراقبة لم يصلْ إلى الكشف والمشاهدة » وقال النورى رحمه الله : « مكاشفات العيون بالإبصار ومكاشفات القلوب بالإتصال » .

و«الشطح» كلام يترجمه اللسان عن وَجْد يفيض عن مَعْدنه مقرونٌ بالدعوى إلا أن يكون صاحبه مستلباً ومحفوظاً ، قال أبو حمزة : سألنى رجل خراسانى عن الأمن فقلتُ : أعرفُ من لو كان على يمينه سَبُعٌ وعلى يساره مِشْوَرةٌ ما ميّز على أيهما اتّكى ؟ فقال لى : هذا شطحٌ فهاتِ العلم .

وكان بعضهم إذا سأله إنسان مسألة فيها دعوَى يقول : أعوذُ بالله من شطح اللسان .

وقد فسّر الجُنَيْد رحمه الله شطحات أبي يزيد رحمه الله : ولو كان أبو يزيد رحمه الله في ذلك عنده معلولاً ما فسّرها ، وقد قال القنّاد :

شَطْحُ الحَقِيقَةِ والأَحْوَالِ بَيْنَهُمَا ... شَطْحٌ لِذَا البَيْنِ يَزْهُو بَيْنَ هاتين

فالحالُ كالحالِ في التَّلْوِينِ شاطِحُها ... والعَيْنُ تُدْنِى إلَى شَطْحِ القَائِـلِين

و« الصَّوْل » : الاستطالة باللسان من المريدين والمتوسّطين على أبناء جنسهم بأحوالهم وهو مذموم .

قال أبو علي الروذباري رحمه الله : « إنّ من أعظم الكبائر أن تخون اللهَ في نفسك وتتوهّم أنّ الذي أنالك لم ينل غيرَك فتجعل دعواك صَوْلَكَ على من يستحي من الله تعالى أن يخبرك بحاله ، وتأنفُ من الصَّوْل لأنه قِحَةٌ إذا كان على من فوقك وقلّة معرفة إذا كان على من هو دونك وسوء أدب إذا كان على من هو مثلك ، فأمّا الصادقون وأهل النهايات يصولون بالله لقلّة المساكنة إلى ما سوى الله .

١٨٤ ورُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول في دعائه : « اللهمّ بك أصولُ وبك أحولُ » وقال إبراهيم الخوّاص رحمه الله في كتاب له : « ثمّ إنّي أقولُ وبالله أصولُ » وقال القائل :

وَكَيْفَ يَطِيبُ العَيْشُ مِنْ بَعْدِ مَنْ بِهِ ... عَلَى نائباتِ الدَّهْرِ كُنْتُ أَصُولُ

و« الذهاب » بمعنى الغَيْبَة إلا أن الذهاب أتمّ من الغيبة ، وهو ذهاب القلب عن حسّ المحسوسات بمشاهدة ما شاهدَ ، ثمّ يذهب عن ذهابه « والذهاب عن الذهاب » هذا مالا نهاية له .

قال الجُنَيْد رحمه الله في تفسير قول أبي يزيد رحمه الله في كلامه لَيْسَ بِلَيْسَ قال : هو ذهاب ذلك كله عنه وذهابه عن ذهابه وهو معنى قوله لَيْسَ في لَيْسَ يعني قد غابت المحاضرُ وتلفت الأشياء فليس يوجَدُ شيء ولا يُحَسُّ ، وهو الذي

يسميه قومٌ الفناء والفناء عن الفناء « وفَقْد الفَقْد فى الفَقْد » فهو الذهاب عن الذهاب ، و« النَّفَس » تروُّحُ القلب عند الاحتراق ، قال بعض الشيوخ : « النفس » رُوحٌ من رِيح الله المسلطة على نار الله تعالى : وكذلك « التنفس » ، قال ذو النون رحمه الله :

مَنْ لاذَ بِاللهِ نَجا بِاللهِ ... وَسَرَّهُ مَرُّ قَضاء اللهِ
لِلهِ أنفاسٌ جَرَت لِلهِ ... لاحَوْلَ لى فيها بِغَيْرِ اللهِ

و« النفس » أيضاً نَفَسُ العبد ، قال الجُنَيْدُ رحمه الله : « أحَقُّ على العبد حِفظَ أنفاسه على ممر أوقاته » قال : القائل :

وَما تَنَفَّستُ إلا كُنْتَ معْ نفسى ... تَجْرى بِكَ الرُّوحُ مِنّى فى مَجاريها

و« الحس » رَسمُ ما يبدو من صفة النفس ، وقال عمرو المكى ، رحمه الله : من قال : إنى لم أجِدْ حسًّا عند غلبات الوجد فقد غلط لأنه لم يُدْرِك فقد المحسوس إلا بحس .

و« الوجد » و« الفقد » يُدْرَكان بحاسة وهما محسوسان ، و« توحيد العامة » معناه توحيد الإقرار باللسان والتحقيق بالقلب لما يقر بهِ اللسان بإثبات الموحَّد بجميع أسمائه وصفاته بإثبات ما أثبت ونَفْيِ ما نَفى بإثبات ما أثبت الله لِنفسه ونَفْيِ ما نفى الله عن نفسه .

و« توحيد الخاصة » قد ذكرْنا فى باب التوحيد ، وهو وجودُ عظمة وحدانية الله تعالى ، وحقيقة قُرْبه بذهاب حس العبد وحركته لقيام الله تعالى له فيما أراد منه ، وقد حُكى عن الشبلى ، رحمه الله أنه قال لرجل ، وقد جرى ذِكرُ التوحيد فقال : هذا توحيدك أنتَ قال : فأيْشَ عندى غيرُ ذا ؟ فقال الشبلى ، رحمه الله : توحيد الموحَّد وهو أن يوحدك اللهُ به ، ويُفردك له ويُشْهِدك ذلك ويغيبك به عما يُشْهِدك ، وهذا صفة توحيد الخاص .

و«التفريد» إفراد المُفرَد برَفْع الحدث و إفراد القِدَم بوجود حقائق الفردانية ، قال : بعضهم « الموحّدون لله من المؤمنين كثير والمفرّدون من الموحّدين قليل » قال : الحسين بن منصور ، رحمه الله : فى بعض ما تكلم به عند قتله : حَسْبُ الواجد إفراد الواحد .

و«التجريد» ما تجرّد للقلوب من شواهد الألوهية إذا صفا من كدورة البشرية ، وقال : بعض الشيوخ وقد سئل عن التجريد ، فقال : « إفراد الحق من كل مايُجْرِى و إسقاط العبد فى كل ما يُبدى .

و « التجريد » و «التفريد» و «التوحيد» ألفاظ مختلفة لمعانٍ متّفقة وتفصيلها على مقدار حقائق الواجدين و إشاراتهم ، قال : القائل .

حَقِيقَةُ الحق حَقٌّ لَيْسَ يَعْرِفهُ   إلاّ المُجَرَّدُ فيهِ حَقٌّ تَجْرِيدِ

و«الهَمّ المفرّد» و «السِرّ المجرّد» بمعنى واحد ، وهو همّ العبد وسِرّه إذا تجرّد من جميع الأشغال وتفرد بمراقبة ذى الجلال فلا تُعارضه خواطر قاطعة ولا عوارض مانعة عن التوجّه والإقبال والقُرْب والاتّصال .

قال : الجُنيدُ ، رحمه الله : قال لى إبراهيم الآجُرّى : يا غلام لأن تَرِدَ بِهَمِّك إلى الله طرفةَ عين خيرٌ لك مما طلعت عليه الشمس .

وقال الشبلى ، رحمه الله لرجل : هيمانُ الهمّ فى فضاء العدم ، همُّك همُّ هايج ، وهمّى همُّ هايم ، و«المحادثة» وصفٌ لنهاية الصديقين ، سئل : أبو بكر الواسطى عن أعلى حال لنهاية الصديقين فقال : هو الطالع والمحدَّث ، وقال : النبى صلى الله عليه ١٨٥
وسلم ، فيما رُوى عنه « إن فى أمّتى مكلَّمون ومحدَّثون وأن عمرَ رضى الله عنه لمنهم » وقال : سهل بن عبد الله ، رحمه الله : خلق الله الخلق ليُسارّهم و يسارُّوه ، قال ٨٦
الله عز وجل : خلقتكم لتسارونى فإن لم تفعلوا فكلمونى وحدثونى فإن لم تفعلوا فناجونى فإن لم تفعلوا فاسمعوا منى .

و«المناجاة» مخاطبة الأسرار عند صفاء الأذكار للملك الجبّار ، قال أبو عمرو بن علوان سمعت الجُنَيْد رحمه الله ليلةً إلى الصباح يقول فى مناجاته : إلٰهى وسيّدى تريد أن تقطعنى عنك بوصلك أو تريد أن تخدعنى عنك بتركك هَيْهات قلت لأبى عمرو : ما معنى هيهات ؟ قال : التمكين .

و«المسامرة» عتاب الأسرار عند خفىّ التذكار ، قال الروذبارى :

سامَرْتُ صَفْوَ صَبابتى أشجانَها حَرَقُ الهَوَى وغَليلُها نيرانُها

وسئل بعض المشايخ عن المسامرة فقال : استدامة طول العتاب مع صحة الكتمان ، ورؤية القلوب هو نَظَرُ القلوب إلى ما توارت فى الغيوب بأنوار اليقين عند حقائق الإيمان ، وهو على معنى ما قال أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه حين سئل: هل ترى ربنا ؟ فقال : وكيف نعبد من لم نَرَهُ ، ثم قال : لم تَرَهُ العيون يعنى فى الدنيا بكشف العيان ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان ، قال الله تعالى : « ما كَذَبَ الفُؤادُ ما رَأى »[1] فأثبت الرؤيةَ بالقلب فى الدنيا .

١٨٧ وقال النبى صلى الله عليه وسلم : أعبُد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، و«الاسم» حُروف جعلت لاستدلال المسمىّ بالتسمية على إثبات المسمّى فإذا سقطت الحروف ، معناه لا ينفصل عن المسمّى .

حُكى عن الشبلى رحمه الله أنه كان يقول : ليس مع الخلق منه إلا اسمه وكان يقول : هَاتِ من يقول الاسم باستحقاقه قولا ، وكان أبو الحسين النورى رحمه الله يَسْتشهد فى إشارته بهذا البيت :

إذَا أمُّ طِفْلٍ مَسَّها جُوعُ طفلِها
غَذَتْهُ بِاسْمِ الطِّفْلِ فاسْتَعْصَمَ الطِّفْلُ

وكان الشبلى رحمه الله يقول : أُريدُ من قال الاسم وهو يتحقق ما يقول ، وكان يقول : تاهت الخليقة فى العلم وتاه العلم فى الاسم وتاه الاسم فى الذات ،

(١) النجم : ١١

و«الرَّسْم» ما رُسِمَ به ظاهر الخلق برسم العلم ورسْم الخلق فيمتحى بإظهار سلطان الحق عليه .

سئل الجُنَيْد عن رجل غاب اسمه وذهب وصفه وامتحى رسومه فلا رسْم له قال نَعَمْ عند مشاهدته قيام الحق له بنفسه لنفسه فى مُلْكه ، فيكون ذلك معنى قوله : امتحى رسومه ، يعنى عِلْمُهُ وفِعْلُه المضاف إليه بنظره إلى قيام الله له فى قيامه ، قال القائل :

بِرُسُومٍ دارِساتٍ وطَلَلْ

و«الوَسْم» ما وَسَمَ الله به المخلوقين فى سابق عِلمه بما شاء كيف شاء فلا يتغيّر عن ذلك أبداً ولا يطّلع على علم ذلك أحدٌ ، قال أحمد بن عطاء رحمه الله : يظهر الوسمان على المقبولين والمطرودين لأنّهما نعتان يجريان على الأبد بما جريا فى الأزل .

و«الروح» و«الترَوّح» نسيم تَنَسَّمُ به قلوب أهل الحقائق فيتروح من تَعَبِ ثِقل ما حُمِّلَ من الرعاية بخُشْن العناية ، قال يحيى بن مُعاذ رحمه الله : الحكمة جُنْدٌ من جنود الله يُرسلها إلى قلوب العارفين حتى تُرَوِّحَ عنها وَهَجَ الدنيا ، وقال : روح ولىّ الله فى القُدْس تشغله بمولاه ، وقال سُفْيان : مجال قلوب العارفين بروضة سماوية من دونها حُجُبُ الرب مُمْسْكِرُهَا فيها ويُجْنَى ثمارها بنعيم رَوْح الأُنْس بالله من القُرْب .

و«النعت» إخبار الناعتين عن أفعال المنعوت وأحكامه وأخلاقه ويُحتمل أن يكون النعت والوصف بمعنى واحد إلا أن «الوصف» يكون مُجْمَلاً و«النعت» يكون مبسوطاً ، فإذا وصف جَمَعَ وإذا فرّقَ .

و«الصفة» مالا ينفصل عن الموصوف ولا يقال هو الموصوف ولا غير الموصوف .

و«الذات» هى الشىء القائم بنفسه و«الاسمُ» و«النعتُ» و«الصفة» مَعالِمُ للذات فلا

يكون الاسم والنعت والصفة إلا لذى ذات ، ولا يكون ذو ذوات إلا مسمًّى منعوتاً موصوفاً وذلك أن القادر اسمٌ من أسماء الله تعالى ، والقدرة صفة من صفات الله تعالى ، و التقدير نعت من نعوت الله تعالى ، والمتكلم اسم من أسماء الله عز وجل والكلام صفة من صفات الله تعالى ، والغفران نعت من نعوت الله تعالى .

قال الواسطى : ليس مع الخلق منه إلا اسم أو نعت أوصفة ، والخلق محجوبون بأسمائه عن نعوته و بنعوته عن صفاته و بصفاته عن ذاته ، فمتى ماذكر العبد تدبيره وتصويره وفضله وطَوْله ذَكَرَ نعوته ونعته بنعوته و إذا ذكر علمه وقدرته وكلامه ومشيئته ذكر صفاته وَوَصَفَهُ بصفاته وقال :

إذا طَلَعَتْ شَمسٌ عَلَيْكَ بنُورِهَا وأَنْتَ خَلِيطٌ لِلشُّعاعِ المُبَاشِرِ
بَعيدٌ مِنَ الذَّاتِ العَزِيزِ مَكانُهَا وَلَمْ تَعْرَ مِنْ نَعْتٍ لِنَفْسِكَ قَاهِرِ

و«الحجاب» حائلٌ يحول بين الشيء المطلوب المقصود و بين طالبه وقاصده ، كان سَرِىٌّ السَّقَطى رحمه الله يقول : اللهمَّ مَهْما عذَّبتَنى بشىء فلا تعذِّبْنى بذُلِّ الحجاب .

وقال محمد بن علىّ الكَتّانى رحمه الله : رؤية الثواب حجاب عن الحجاب ورؤية الحجاب حجاب عن الإعجاب ، معناه والله أعلم : أن رؤية العبد الثواب لعبادته وذِكره حجاب له عن الحجاب المَنْهىّ عنه ورؤيته للحجاب حجاب له عن إعجابه بعلمه .

و«الدعوى» إضافة النفس إليها ما ليس لها ، قال سهل بن عبد الله : أغلظ حجاب بين العبد و بين الله الدعوى ، وقال :

وَلَمّا ادَّعَيْتُ الحُبَّ قَالَتْ كَذَبْتَنى فَما لِى أَرَى الأَعْضَاءَ مِنْكَ كَوَاسِيا

وكان أبو عمرو الزجّاجى رحمه الله يقول : من ليس له دعوى فليس فيه معنى

وكان يعنى بذلك أن تُضيف النفس إليها من الطاعات التى ليست من أخلاقها وتكون معها بيِّنةً لما تدّعى ، و« الاختيار » إشارة إلى ما يختار الله للعبد ؛ ويختار العبد ذلك بعناية الله له ، حتى يختار باختيار الله له لا باختيار نفسه .

قال يحيى بن مُعاذ رحمه الله : مادام العبد يتعرّف يقال له : لاتختر فإنك لست بأمين فى اختيارك حتى تعرف فإذا عرف يقال له : إن شئتَ فاخترْ وإن شئت فلا تختر ، فإنك إن اخترتَ فبنا اخترتَ وإن تركتَ اختيارك فباختيارنا تركت : فأنت بنا فيما تختار وفيما لا تختار .

و« الاختبار » : امتحان الحقّ للصادقين ، ليعمر بذلك منازل المخصوصين ، ويستخرج بامتحانه لهم منهم صِدْقَهم ، إثباتاً لحُجّته على المؤمنين ؛ ليتأدب بهم المريدون .

ورُوى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أَخْبُرْ تَقْلِهْ » يعنى اخبرْ
١٨٨ من شِئت وامتحنْه حتى تَقْلاَ عند استخراجك بالامتحان صِدْقَهُ عن الحال الذى هو فيه .

و« البلاء » : ظهور امتحان الحقّ لِعَبْدِه فى حقيقة حاله بالابتلاء ؛ وهو : ماينزل به من التعذيب .

قال : أبو محمد الحَريرى رحمه الله الإنسان حيث ما كان بلاءٌ .

١٨٩ ورُوى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « نَحْنُ مَعاشِرُ الأنبياء أشدُّ الناس بلاءً » الحديث ، وقال بعضهم فى البلاء :

دائِراتُ البَلا عَلَىّ تَدُور ... وَإِلَى ما تَرَى علىّ تثُورْ ؟!
ما أَرَى لِلْبَلاَ بَلاءً سِواى ... وَبَلاَئى عَلى البَلاَءِ كَدُورْ !
فأنا مِحْنَةُ البَلا ؛ وَبلاَئى ... حاضِنٌ لِلْبَلا عَلَيْهِ غَيُورْ
يا بلاَئى عَلَى البَلا لا تَمَدَّى ... كُنْ بِهِ مالِكاً رَحِيماً غَفُورْ
يا مُعِينَ البَلاَ عَلىّ أَعِنِّى ... فى البَلا ؛ فالبَلا عَلىّ سَعِيرْ

و « اللسان » معناه : البيان عن علم الحقائق .

كتب أبو الحسين النورى رحمه الله إلى الجُنيد كتاباً ، فقال فيه : ياسيّدى لك فى علم البلاء لسان ، وفى علم بلاء البلاء سِنان — يعنى بيان عن علمه —

وسئل الشِبْلى رحمه الله عن الفرق بين لسان العلم ولسان الحقيقة فقال : لسان العلم ماتأدّى إلينا بواسطة ، ولسان الحقيقة ما تأدى إلينا بلا واسطة .

فقيل له : ولسان الحق ما هو ؟

قال : ما ليس للخلق إليه طريق — يريد به إذا قال : اللسان ، يعنى بيان علمه والكشف عنه بالعبارة —

و« السِرّ » : خفَاء بين العدم والوجود موجود فى معناه .

وقد قيل : السر ما غيّبه الحق ولم يُشرِفْ عليه الخلق ؛ فسِرُّ الخلق ما أشرف عليه الحق بلا واسطة ، وسرُّ الحق ما يطلع عليه إلا الحق ، « وسِرُّ السِرّ » ما لا يحس به السر ، فإن أحسّ به فلا يقال له : سر

قال سهل بن عبد الله رحمه الله : للنفس سرٌّ ما أشاعها الحق إلا على لسان فِرْعَوْن فقال : أنا رَبُّكم الأعلى ، وقال القائل :

يا سِرُّ سِرّ يَدِقُّ حتّى يَخفَى على وَهْمِ كلّ حَىّ

وظاهِرٌ باطِنٌ تجَلّى مِنْ كلّ شىْء لِكُلّ شىْء

و« العقد » عَقْدُ السر ، وهو ما يعتقد العبدُ بقلبه بينه و بين الله تعالى أن يفعل كذا أو لا يفعل كذا .

قال الله تعالى : « يا أيُّها الّذينَ آمَنُوا أوْفُوا بالعُقُود[1] »

وقيل لحكيم : بِمَ عرفت الله تعالى ؟ فقال : بحل العقود وفَسْخ العزائم.

وقال محمد بن يعقوب الفَرَجى فيما حُكى عنه : منذ ثلاثين سنة ما عقدت بينى و بين الله عز وجل عقداً مخافة أن يَفْسَخَ علىّ ذلك فيكذبنى على لسانى

(١) المائدة : ١

ويقال : إن الفرق بين الخاص والعام : أن العامة من المؤمنين قد أوجب الله عليهم الوفاء إذا عهدوا بألسنتهم عهداً ، والخاص : قد أوجب الله عليهم الوفاء إذا عقدوا بقلوبهم عقداً ؛ و« الهم » إشارة إلى جمع الهموم فيجعلها هماً واحداً .

قال أبو سعيد الخراز رحمه الله : اجمع همك بين يدى الله تعالى .

وذكر عن بعضهم أنه قال : ينبغى للعبد أن يكون همُّهُ تحت قدمه ، يعنى لا يهم بحال ماض ولا بحال مستقبل ، ويكون مع وقته فى وقته

و« اللحظ » : إشارة إلى ملاحظة أبصار القلوب لما يلوح لها من زوائد اليقين بما آمن به فى الغيوب .

قال الروذبارى :

لا حظتُهُ فرآنى فى مُلاحظتى   فغبتُ عن رؤيتى منى بمعناهُ
وصادفتْ همتى لُطفَ الخفىِّ بما   تمكنتْ من تمكّنِه دون منشاه
فلا إلى أحـدٍ همى ولا فطَنى   ولا إلى راحةٍ أسلو فأنساهُ
اللهُ يعلمُ أنى لستُ أذكرُهُ   وكيفَ أذكرهُ؟ إذ لست أنساه !

و« المحو » : ذهاب الشيء إذا لم يبق له أثرٌ ، وإذا بقى له أثرٌ فيكون طمساً .

قال النورى رحمه الله : الخاص والعام فى قميص العبودية ، إلا من يكون منهم أرفع جذَبَهم الحق ومحاهم عن نفوسهم فى حركاتهم وأثبتهم عند نفسه .

قال الله تعالى : « يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ »(1) .

معنى قوله : جذبهم الحق : يعنى جمعهم بين يديه ، ومحاهم عن نفوسهم : يعنى عن رؤية نفوسهم فى حركاتهم وأثبتهم عند نفسه بنظرهم إلى قيام الله لهم فى أفعالهم وحركاتهم .

و« المحق » : بمعنى المحو ؛ إلا أن المحق أتمُّ ، لأنه أسرعُ ذهاباً من المحو .

---

(1) الرعد : ٣٩

قال رجل للشبلي رحمه الله : ما لي أراك قَلِقاً أليس هو معك وأنت معه ؟ فقال الشبلي رحمه الله : لو كنتُ أنا معه فاتني ، ولكني محوٌ فيما هو .

يعني : ليس مني شيء ، ولا بي شيء ، ولا عني شيء ، والكل منه ، و به ، وله كقول القائل :

كلٌّ له وَ به ومنــــه فأينَ لي شيءٌ فأوثِرَهُ فطلحَ لسانها

و«الأثر» : علامةٌ لباقي شيء قد زال .

قال بعضهم : من مُنع من النظر استأنس بالأثر ، ومن عدِم الأثر تطلل بالذكر .

قال القائل :

فما عنـــدي لكم أثرٌ ولم أسمع لكم خبرْ

ويقال : إنه وُجد على قصر لبعض الملوك مكتوبٌ .

إنّ آثارَنا تدلُّ علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

وقال الخواص رحمه الله : في معنى الأثر ، وسئل عن توحيد الخاص فقال : التفريد لله عز وجل في كل الأشياء بالإعراض عما يلحق نفوسهم من آثار الأشياء ، وقال :

لو أنّ دونك بحرَ الصينِ معترضاً لخِلْتُ ذاك سراباً ذاهبَ الأثر

و«الكون» : اسم مجمل لجميع ما كوّنه المكوِّن بين الكاف والنون.

و « البَوْن » معناه البينونة .

و«الكون والبون» : معناهما في علم التوحيد : ما قال الجنيد رحمه الله في جواب مسألة في التوحيد يصف الموحدين فقال : كانوا بلا كون و بانوا بلا بوْن .

معناه : أن الموحدين يكونون في الأشياء كأنهم لا يكونون ، و يبينون عن الأشياء كأنهم لا يبينون ؛ لأن كونهم في الأشياء بأشخاصهم و بونهم عن الأشياء بأسرارهم فهذا معنى الكون والبون قال :

لقدْ تاهَ في تيه التوحُّدِ وحــدَهُ وغاب بعزّ منك حين طلبْتَهُ

ظهرتَ لمنْ أبقيتَهُ بعد بوْنهِ فكان بلا كونٍ كأنك كنتَهُ

والوصل : معناه لحوق الغائب .

قال يحيى بن معاذ رحمه الله : من لم يعمِّ عينيه عن النظر إلى ما تحت العرش لم يصلْ إلى ما فوق العرش .

يعنى : لم يلحق ما فاته من مراقبة الذى خلق العرش .

وقال الشبلى رحمه الله : من زعم أنه واصلٌ فليس له حاصل .

وقال بعضهم : إنما حُرِموا الوصول لتضييع الأصول ، وقال :

وَوَصْلُكمُ هجرٌ وودُّكمُ قِلاً وقرْبُكمُ بُعْدٌ وسِلْمُكمُ حرْب

و«الفصل» : فوت الشىء المرجوّ من المحبوب .

ذُكر عن بعض الشيوخ : أنه كان يقول: من زعم أو ظن أنه قد وصل فليتّقِنْ[1] أنه قد انفصل ، وقال آخر : فرَحُ اتصالك ممزوج بترَح الانفصال ، وقال القائل :

فلا وصلٌ وَلا فصلٌ ولا يأس ولا طمعْ

و«الأصل» : هو الشىء الذى يكون له تزايدٌ ، فأصْل الأصول الهداية .

و«الأصول» : أصول الدين : مثل التوحيد ، والمعرفة ، والإيمان ، واليقين ، والصدق ، والإخلاص .

و«الفرع» :ما تزايدمن الأصل ، فإذا تزايد من الفرع زيادةٌ تسمى باسم الأصل .

فالأصل : حُجةٌ للزيادات التى هى الفروع، والزيادات التى هى الفروع : مردودة إلى الأصول ؛ والأصل : الهداية والتوحيد والمعرفة ، والإيمان والصدق والإخلاص ، زياداتها بزيادة الهداية ، والأحوال ، والمقامات ، والأعمال ، والطاعات : زيادات هذه الأصول وفروعها ، وهى مسماة باسم «الأصول» لتزايدها وتزايد فروعها .

قال عمرو بن عثمان المكى رحمه الله : إقْرارنا بالأصول لزوم الحجة علينا فى التقصير ، ولزوم الحجة بالإنكار بعد الإيمان ، والإقرار بالأصول .

(١) قوله فليتقن . هكذا فى الأصل ولعل الصواب : فليتيقن

وقال بعض العلماء : ما دعا إليه الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهو الأصل ، وما تزايد عن ذلك الأصل فهو فرعٌ مردود إلى الأصل .

و« الطمس » : مَحْوُ البيان عن الشيء البيِّن .

وقال الجنيد رحمه الله فى رسالته إلى أبى بكر الكسائى : وأنت فى سُبل ملتبسة ونجوم منطمسة .

قال الله تعالى : فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ [1] ، يعنى : ذهب ضوْؤُها .

وقال عمرو المكى رحمه الله : وإنك لا تصلَ إلى حقيقة الحق حتى تسلك تلك الطرُقات المنطمسة ، يعنى : تُنازل تلك الأحوال التى لم ينازلها أحدٌ غيرك ؛ وقد ذهب أثرُها .

و«الرمس» و«الدمس» : يعنى الدفن ، ويقال للمقبرة : الدّيماس .

قال الجنيد رحمه الله ، فى رسالته إلى يحيى بن مُعاذ رحمه الله : ثم أدْمَسَ شاهده فى دمس الاندماس ، وأرمس مَرْمسَهُ فى غيب غافر الارتماس ، وأخفى فى إخفائه عن إخفائه ، ثم قطع النسبة عن الإشارة إليه وعن الإيماء بما تفرّد له منه به .

وهذه إشارة إلى حقيقة التوحيد بذهاب الخلق فيما كان ، كأنه لم يكن .

وقال سهل رحمه الله : إذا دفنتَ نفسك تحت الثرَى وصل قلبك فوق العرش يعنى : إذا خالفتها وفارقتها .

و « القصم » : الكسر .

حكى عن أبى بكر الزقاق رحمه الله : أنه قال : لو أن المعاصى كانت شيئاً اخترتُهُ لنفسى ما أحْزننى ذلك ؛ لأن ذلك يشهينى ، وإنما قصمَ ظهرى حينَ سبقَ لى منه ذلك .

وقال الواسطى : ظهرت الأمور كلها فى حقائقها على الدهور ، فمن شاهدها بشاهد القِدَم انقصم مقابلته لذلك .

و« السبب » : الواسطة .

---

(١) المرسلات : ٨ .

والأسباب والوسائط التي بين الخلق و بين الله تعالى .

قال أحمد بن عطاء رحمه الله : من شهد صُنعَ المسبِّب في السبب أوصله مشاهدة صنع المسبِّب إلى السبب ؛ لأن من شهد السبب امتلأ قلبُهُ من زينة الأسباب ، ومن عرف الأسباب الشاغلة عن الطاعات انقطع عنها واتصل بالأسباب الداعية إلى صالح الأعمال .

ولأبي عليّ الروذباري رحمه الله :

مَنْ لم يكنْ بكَ فانياً عنْ حبهِ   وعنِ الهوَى والأنسِ بالأحبابِ
أوْ تيَمّتْه صَبابةٌ جمعتْ لهُ   ما كان مُفترِقاً منَ الأسبابِ
فكأنَّهُ بينَ المراتبِ واقفٌ   لمنَالِ حظ أو لِحسنِ مآبِ

و«النسبة» : الحال الذي يتعرف به صاحبه ، بمعنى : انتسابه إليه .

قال جعفر الطيالسي الرازي رحمه الله : النسبة نسبتان : نسبة الحظوظ ، ونسبة الحقوق ؛ إذا غابت الخليقة ظهرت الحقيقة ، و إذا ظهرت الخليقة غابت الحقيقة .

وسئل القنّاد عن الغريب فقال : الذي ليس له في العالم نسيب .

وقال النوري رحمه الله : كلما رأته العيون نُسب إلى العلم ، وكلما علمته القلوب نسب إلى اليقين .

فلذلك قلنا : معنى النسبة الاعتراف .

وقال عمرو بن عثمان رحمه الله : صفة المكشوف الأسرار : أن لا يكون قائماً في رؤية ولا متجلياً في نسبة ، يعني في الاعتراف .

وفلان «صاحبُ قلبٍ» معناه : أن ليس له عبارة اللسان وفصاحة البيان عن العلم الذي قد اجتمع في قلبه .

حُكي عن الجنيد رحمه الله أنه كان يقول : أهلُ خُرسان أصحاب قلوب .

و «رَبُّ حال» معناه : أنه مربوط بحال من الأحوال التي ذكرنا من المحبة

والخوف والرجاء والشوق وغير ذلك ؛ فإذا كان الأغلبَ على العبد حالٌ من هذه الأحوال يقال له : رَبُّ حال .

و«صاحبُ مقام» معناه : أن يكون مقيما فى مقام من مقامات القاصدين ، مثل التوبة ، والورع ، والزهد ، والصبر ، وغير ذلك ؛ فإذا عُرف بالمقام فى شىء من ذلك يقال له : صاحب مقام .

حُكى عن الجُنَيْد رحمه الله أنه قال : لا يبلغ العبد إلى حقيقة المعرفة وصفاء التوحيد حتى يعبر الأحوال والمقامات .

وذُكر عن بعض المشايخ أنه قال : وقفتُ على الشبلى ، رحمه الله ، غير مرة فما رأيته تكلم إلا فى الأحوال والمقامات .

و«فلان بلا نفس» معناه : أنه لاتظهر عليه أخلاق النفس ، لأن من أخلاق النفس الغضب ، والحدة ، والتكبر ، والشَّرَه ، والطمع ، والحسد

فإذا كان عبدٌ قد سلِمَ من هذه الآفات وما شا كلَ ذلك يقال له : بلا نفس ، يعنى كأنه ليس له نفس .

قال أبو سعيد الخراز رحمه الله : عبدٌ رجع إلى الله عز وجل فتعلق بالله وركد فى قرْب الله : فقد نسى نفسه وما سوى الله تعالى ، فلو قلتَ له : من أنت ؟ وإلى أينَ ؟ لم يكن له جواب غير أن يقول : الله ؛ لأنه لا يعرف سوى الله تعالى ، لما قد وجد فى قلبه من التعظيم لله عز وجل .

و«فلان صاحبُ إشارة» معناه : أن يكون كلامه مشتملا على اللطائف والإشارات وعلم المعارف .

قال الروذبارى :

فإنْ تحقّقَ صَفْوُ الوَجْدِ مُشْتَمِلاً عَلَى الإشارات لا يَلْوى عَلَى أَحَدِ

وأما قول القائل : أنا بلا أنا ، ونحن بلا نحن . يعنى بذلك تخليَةُ من أفعاله فى أفعاله .

سئل أبو سعيد الخراز ، رحمه الله عن معنى قوله : « وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ » .

قال : أخلاهم من أفعالهم فى أقوالهم .

وأما قول القائل لصاحبه : أنا أنت وأنت أنا ، فمعناه : معنى الإشارة إلى ما أشار إليه الشبلى ، رحمه الله : حيث قال فى مجلسه : يا قوم هذا مجنونُ بنى عامرٍ كان إذا سئل عن لَيْلَى ، فكان يقول : أنا لَيْلَى ، فكان يغيب بلَيْلى عن ليلى حتى يبقى بمَشْهَد ليلى ، ويُغيبهُ عن كلّ معنى سوى ليلى ويَشْهَدُ الأشياء كلها بليلى ، فكيف يدّعى من يدّعى محبّته ، وهو صحيحٌ مُمَيِّزٌ يرجع إلى معلوماته ومألوفاته وحظوظه ! فهيهات أنى له ذلك ، ولم يزهد فى ذرّة منه ، ولا زالت عنه صفةٌ من أوصافه ؟ ! مَعَما[1] أن بَذْلَ المجهود للمعبود أدنى رُتْبَةٍ عند القوم .

قال الشبلى ، رحمه الله : إن متحابين ركبا بعض البحار ، فسقط أحدهما فى البحر وغرق ، فألقى الآخر نفسه إلى البحر ، فغاص الغوّاصون ، فأخرجوهما سالمين ، فقال الأول لصاحبه : أما أنا ، فقد سقطت فى البحر ، أنت لِمَ رميت نفسك فى البحر ؟ فقال له : أنا غائب بك عن نفسى ، توهّمت أنى أنت.

وقال بعضهم : وقف غلام على حلقة الشبلى ، رحمه الله فقال : يا أبا بكر أخذنى منّى وغيّبنى عنّى وردّنى إلىّ كما أنا بلا أنا !

فقال له الشبلى رحمه الله : ويلك من أين لك هذا ؟ أعماك الله ؟ فقال الغلام : يا أبا بكر من أين لى ، أن أعمى فيه ؟ ثم هرب من بين يديه .

وقال بعضهم :

ذَكَرْنا وما كنا نَسِينا فَنَذْكرُ ... وَلَـكِنْ نَسِيمُ القُرْبِ يَبْدُو فَيَبْهَرُ
فَأفْنَى بِهِ عَنّى وأَبْقَى بِهِ لَهُ ... إذِ الحقُّ عنه مُخْبِرٌ ومُعَبِّرُ

(١) قوله : معما . لعل الصواب أن يقال : مع أن الخ

وقال بعضهم :

أنا مَنْ أهْوَى وَمَنْ أهْوَى أنا فإذا أبْصَرْتَنى أبصَرْتَنا
نَحْنُ رُوحانِ مَعاً فى جَسَدٍ ألبسَ اللهُ عَلَيْنا البَدَنا

وقال غيره :

يا مُنْيَةَ المُتَمَنِّى أفنَيْتَنى بِكَ عَنِّى
أدْنَيْتَنى منْك حَتَّى ظَنَنْتُ أنكَ أنِّى

وهذه مخاطبة مخلوقٍ لمخلوق فى هواه ، فكيف لمن ادَّعى محبّة من هو أقربُ إليه من حَبْلِ الوَرِيد ؟!

وأما قول القائل : «هو بلا هو» : فهى إشارة إلى تفريد التوحيد ، كأنّه يقول : هو بلا قول القائل : هو ، ولا كتابة الكاتب ، هو ، وهو بلا ظهور هذيْن الحرفين ، يعنى الهاء والواو ، بمعنى : هو .

قال الجُنَيْدُ ، رحمه الله : فى وصف التوحيد ، فقال : حُكْمُها على ما جَرَتْ عليه جارٍ ، وسلطانها على كلّ حق عالٍ ، ظهرت فقهرت ، وخفيت فاستترت ، وصالت فنالت ؛ هى هى بلا هى ، تُبْدِى فتبيدُ ما بَدَتْ عليه ، وتُفْنِى ما أشارت إليه ، قريبها بعيدٌ ، وبعيدُها قريبٌ ، وقريبها مُريبٌ .

وقد أشار الجُنَيْدُ ، رحمه الله : إلى معنى ما ذكرتُ ، والله أعلم .

وأما «قطْعُ العلائق» فمعنى العلائق : الأسباب التى قد علّق على العبد وشغله بذلك حتى قطعه عن الله تعالى .

قال أبو سعيد الخراز ، رحمه الله : أهل التوحيد قطعوا منه العلائق ، وهجروا فيه الخلائق ، وخلعوا الراحات ، وتوحّشوا من كل مأنوس ، واستوحشوا من كل مألوف .

و «بادى بلا بادى» : يريد بذلك ما يبدو على قلوب أهل المعرفة من الأحوال والأنوار وصفاء الأذكار ؛ فإذا قال : «البادى» أشار إلى ذلك ، فإذا قال : «بلا بادى» أشار إلى أن البادى مُبْدِئٌ ، هو يُبْدِى هذه البوادى على القلوب .

قال الله تعالى : « إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ »(١) فإذا شاهد الحال الذى أبدأ به هو المبدئ ، فقال : بادى وأثبته ، وإذا شاهد المبدئ الذى منه البوادى يقول بلا بادى .

قال الخواص : رحمه الله ، فى كتاب معرفة المعرفة : الحق إذا بدا ، بدا بلا بادى ، ولا بادى ، من حيث ، لا بادى ؛ لأن البادى أفنى كل بادى ، من حيث البادى ، فلا بادى ، وهو بادى ، من حيث لا بادى ؛ وإنما ذلك على قرب مشاهدة الحقّ منهم .

و « التحلى » : التلبس ، والتشبه بالصادقين ، بالأقوال ، وإظهار الأعمال .

١٩٠ رُوى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ليس الإيمان بالتحلى ولا بالتمنى ، ولكن ما وقر فى القلب وصدقته الأعمال»

وقال بعضهم :

مَنْ تَحَلَّى بِغَيْرِ ما هُوَ فيه فَضَحَتْهُ شَواهِدُ الامْتِحانِ

و«التَّجلى» : إشرق أنوار إقبال الحقّ على قلوب المقبلين عليه .

وقال النورى ، رحمه الله : تجلى لخلقه بخلقه ، واستتر عن خلقه بخلقه .

وقال الواسطى ، رحمه الله : فى قوله تعالى : « ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ »(٢) قال : تغابن أهل الحق على مقادير الفناء والرؤيه والتجلى .

وقال النورى رحمه الله : بتجليه حسنت المحاسن وجملت ، وباستتاره قبحت وسمجت .

---

(١) البروج : ١٣ (٢) التغابن : ٩

وقال بعضهم :

قَدْ تَجَلَّى لِقَلْبِهِ مِنْهُ نورٌ فاسْتَضاءَتْ بِهِ منَ الظُّلماتِ

و«التخلِّي» : هو الإعراض عن العوارض المشغلة ، بالظاهر والباطن ، وهو اختيار الخلوة ، و إيثار العزلة ، وملازمة الوحدة .

قال الجُنَيْد ، رحمه الله : القلوب المحفوظة لا يعرضها وليُّها ؛ لمجانبة محادثة غيره ، ضنًّا منه بها ، ونظراً منه لها ، و إبقاء عليها ؛ ليُخلِّصَ لهم ما أصفاهم به وما جمعهم له ، وما عاد به عليهم .

وهذه بعض صفات من أراده الله للخلوة به ، وجمعه للأُنس ، وحال بينه و بين ما يكرهه له .

وعن يوسف بن الحسين ، رحمه الله : فى معنى التَّخَلِّى قال : هو العزلة ، لأنه لم يَقوَ على نفسه وضعف ، فاعتزل من نفسه إلى ربه .

وقال بعضهم :

إنَّ قَلْبَ الفَتى وَلَوْ عاشَ دَهْراً فى الهوَى لا يَكادُ أنْ يَتَخَلى

و«العلة» : كناية عن بعض ما لم يكن فكان .

حُكى عن الشبلى ، رحمه الله : أنه كان يقول فى صفة الخلق : إن العلل كَوْنُهُمْ ، والعلة كَوْنُهُمْ .

وقال ذو النون المصرى ، رحمه الله : علة كلّ شىء : صُنعه ، ولا علة لصُنعه ، معناه — والله أعلم — : أن وجود النقصان فى كل شىء مصنوع كائن ؛ لأنه لم يكن فكان ، وليس فى صُنع الصانع لمصنوعاته علةٌ .

وقال بعضهم :

يا شِفائى مِنَ السَّقا مِ و إنْ كنتَ عِلتى

و «الأزل» : معناه معنى القِدَم ؛ لأن القديم يسمى به غير البارىء ؛ و يقال :

شيء أَقْدَمُ من شيء ؛ والأزل والأزلية لله تعالى لا يتسمى بالأزل شيء غير الله جل جلاله ، و«الأزل» اسم من أسماء الأولية ، فهو الله الأول القديم الذى لم يزل ولا يزال ، و«الأزلية» صفة من صفاته .

قال بعض المتقدمين : الحق فيما لم يزل كهو فيما لا يزال ؛ فقومٌ استحسنوا هذه المقالة ، لنفى التغيير عن الحق ؛ لأنه بجميع أسمائه وفعاله لم يزل ، وقومٌ قالوا : يَلْزَمُ القائلَ لهذا ، القولُ بِقِدَم الأشياء ؛ وفرقوا بين أسماء الفعل وأسماء الذات ، وصفات الفعل وصفات الذات ، والله أعلم .

و«الأبد» و«الأبدية» : نعت من نعوت الله تعالى ، والفرق بين الأزلية والأبدية : أن الأزلية لا بداية لها ولا أولية ، والأبدية لا نهاية لها ولا آخرية .

وسئل الواسطى عن الأبد فقال : إشارة إلى تَرك انقطاع فى المدد ومَحْوِ الأوقات فى السَّرْمَد .

وقال : الوسم والرسم : نعتان يجريان فى الأبد بما جريا فى الأزل .

وقال آخر : الأزل والقِدَم والأبد غير مرتفعة فى حقيقة الأحدية ؛ لأنها عبارات وإشارات تعرّفَ بذلك إلى خلقه لخلقه .

وحُكى عن الشبلى رحمه الله : أنه قال : سُبْحان من كان ولا مكان ، ولا زمان ، ولا أوان ، ولا دهر ، ولا أبد ، ولا أزل ، ولا أول ، ولا آخر ؛ وهو فى حال ما أَحْدَثَ الأشياء ، غيرُ مشغول عنهم ، ولا مستعين بهم ، عدلٌ فى جميع ما حكم عليهم .

وقال عمرو بن عثمان المكى رحمه الله : سبحان الصمد ، القديم فى أزل ، لم يزل فى سَرْمَد الأبد .

و«وقتى مُسَرْمَدٌ» وأما قول القائل : وقتى مسرمد ، يعنى بذلك أن الحال الذى بينه وبين الله لا يتغير فى جميع أوقاته ، وهو كلام واجدٍ خبّر عن نعت سره لا عن

نعت صفاته ؛ لأن الصفات كائنة التغيير ، وهى متغيرة إذا لم تتغير لأنها إذا لم تتغير فقد تُغُيِّرَ عن الحال الذى جُبلتْ عليه .

قال بعضهم ، وهو الشبلى :

تَسَرْمَدَ وَقْتِى فيكَ وَهوَ مُسَرْمَدٌ   وَأفنيتنى عَنِّى فصِرْتُ مُجرَّدا

«بَحْرى بلا شاطىء» وقول القائل : بحرى بلا شاطىء ، معناه أيضاً قريب من المعنى الذى ذكرنا فى الوقت المسرمد ؛ وهذه لفظة قد حُكيت عن الشبلى رحمه الله تعالى أنه قال — يوماً فى مجلسه فى عقيب كلام جرى له — قال : أنتم أوقاتكم مقطوعة ، ووقتى ليس له طرَفان ، وبحرى بلا شاطىء . يعنى بذلك أن الحال الذى خصنى الله تعالى به من التعظيم لله ، وخالِصِ الذكر له ، والانقطاع إليه ، لا نهاية لها ولا انقطاع ؛ والشىء إذا لم تكن له نهاية ولا غاية ، فلا يُعَبَّرُ عنه بأكثر من ذلك .

قال : الله عز وجل : « قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّى لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَاداً »[1] لم يجعل لها غاية لأن الموصوف بها ليس له نهاية .

وقال بعضهم : من عرف الله أحبَّهُ ، ومن أحبه غرق فى بحر الهم .

وقال آخر :

لَوْ أنَّ دُونكَ بحرَ الصينِ مُعترضاً   لخلْتُ ذاكَ سراباً ذاهبَ الأثرِ

وقول القائل : «نحن مُسَيَّرُونَ» يريد بذلك تسيير القلوب وسيرها عند انتقالها من حال إلى حال ، ومن مقام إلى مقام .

وقال يحيى بن مُعاذ رحمه الله : الزاهد سيَّار ، والعارف طيَّار ؛ يعنى فى سرعة الانتقال فى المقامات والأحوال عند الزوائد وطُرَفِ الفوائد .

---

(١) الكهف : ١٠٩

قال بعضهم ، وهو الشبلي :

لَسْتُ مِنْ جُمْلةِ المُحِبِّينَ إنْ لَمْ   أجْعَلِ القَلْبَ بَيْتَهُ والمقاما
وَطَوافِى إخالُهُ السِّرَّ فيهِ   وَهوَ رُكْنِى إذا أرَدْتُ أسْتلاما

يريد بذلك : سير القلوب .

و «التلوين» معناه : تلوُّنُ العبد فى أحواله ، قال قومٌ : علامة الحقيقة التلوين ؛ لأن التلوين ظهور قدرة القادر ويُكْتَسَبُ منه الغيرة ؛ ومعنى التلوين : معنى التغيير .

فمن أشار إلى تلوين القلوب وتغير الأحوال فقال : علامة الحقيقة رَفْعُ التلوين ، ومن أشار إلى تلوين القلوب والأسرار الخالصة لله تعالى فى مشاهدتها وما يرِدُ عليها : من التعظيم والهيبة وغير ذلك من تلوين الواردات فقال : علامة الحقيقة التلوين ؛ لأنهم فى كل سير مع الله تعالى فى زيادة من تلوين الواردات على أسرارهم وأما تلوين الصفات فهو كما قال القائل :

كلَّ يَوْمٍ تَتَلوَّنْ   غيرُ هٰذا بكَ أجْمَلْ

قال الواسطى : رحمه الله : من تخلق بِخُلُقِهِ لم تقع به طوارق التلوين فى طبعه .

ولبعضهم هذان البيتان فى صفة المسيَّرين :

زَجَرْتُ فؤادِى فلم ينزَجِرْ   وَيطلبُ شيئاً ومنهُ يفِرْ
يسيرُ إلى الحقِ مُستظهراً   وإنى عَلَيهِ شفيقٌ حَذِرْ

« وبذْل المهج » معناه : بذْلُ مجهود استطاعة العبد على قدر طاقته فى توجهه إلى الله تعالى وإيثاره الله عز وجل على جميع محابِّه .

قال : الخواص رحمه الله : وكل متوجه يتوجه إلى الله عز وجل ، ومَواضِعُ الاستراحة فيه قائمة ، فلا ينفذ فى توجهه .

قال القائل :

يامَلِيحَ الدَّلِّ والغُنُجِ   لَكَ سُلْطانٌ عَلَى المُهَجِ

ومعنى «المُهَج» : جميع المحبوبات إليك ، من النفس ، والمال ، والولد .

و«التلف» معناه: معنى الحتف ؛ والحتف والتلف : ما يُنتَظَرُ منه الهلاك في حينه.

وقد حكى عن أبي حمزة الصوفي أنه قال : وقعتُ في بئر فطمّوا رأسها ، فأيستُ من نفسي وسلمت الأمر إلى الله تعالى واستسلمت ؛ فإذا بسبع قد نزل البئر فتعلقتُ برجله فأخرجني من البئر ، فسمعت هاتفاً يقول : يا أبا حمزة هذا حسَنٌ ، نجّيناك من التلف ، فقال أبياتاً وفيها هذان البيتان :

أراكَ وبي من هيْبتي لكَ وحْشةٌ فتُؤْنِسُني باللطف منكَ وبالعطف

وَتُحْيِي مُحباً أنتَ في الحبِّ حتفُهُ وذا عجبٌ: كَوْنُ الحياة مع الحتف

قال الجريرى رحمه الله : من يَقفْ على علم التوحيد بشاهد من شواهده زلّ به قَدَمُ الغرور في مهواةٍ من التلف .

و«اللجأ» : توجّه القلوب إلى الله تعالى بصدق الفاقة والرجاء .

قال الواسطى رحمه الله : من لم يكن في صدق الفاقة واللجأ إلا عند الموت ، بقيَت الفاقة عليه على دوام الأوقات .

وقال بعض أهل الفهم في معنى قوله: «وقُلْ: رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ »[1] قال : أظْهَرَ محمد ، صلى الله عليه وسلم ، من نفسه صدق اللجأ بصدق الفاقة بين يدى الله تعالى ، وبصدق اللجأ ترتبت السرائر

و « الانزعاج » : تحرُّكُ القلب للمراد باليقظة من سنة الغفلة .

ذُكر عن الجنيد رحمه الله أنه قال في بعض كلامه : كيف لا تسمو إليه السرائر، وتنزعج بما فيها إليه الضمائر ! وكيف لا تسرع إليه الأقدام بالطاعة ، وتنهض إليه بالجد والمبادرة ، أنساً منها ببلاياه وسروراً بعظيم عطاياه ! .

و«الانزعاج» و«الازدعاج» بمعنى الانكساب والاكتساب .

(١) الإسراء : ٨٠

وقد قيل لبعض المشايخ ، أظنه إبراهيم الخواص رحمه الله : أصحابك يقولون : نحن نأخذ من الله إذا أخذنا ، ولا نراهم إلا يأخذون من الناس ، فقال: من ذا الذى يُزعج قلوب الناس حتى يُعْطوهم من غير أن يطلبوا منهم شيئاً ويسألوهم ؟

و« جذب الأرواح » .

فأما جذب الأرواح وسُمُوُّ القلوب ومشاهدة الأسرار والمناجاة والمخاطبة وما يشاكل ذلك ؛ فإن أكثر ذلك عباراتٌ تُعبر عن التوفيق والعناية ، وما يبدو على القلوب من أنوار الهداية على مقدار قرب الرجل و بُعده وصدقه وصفائه فى وجده .

قال أبو سعيد الخراز : إن الله تعالى جذب أرواح أوليائه إليه ، ولذذها بذكره والوصول إلى قربه ، وعجل لأبدانهم التلذذ بكل شىء ؛ فعيشُ أبدانهم عيش الحيوانيين ، وعيش أرواحهم عيش الربانيين .

وقال الواسطى رحمه الله : إنما أشهدَهم ألطافهُ التى بها جذب سرائرهم إلى نفسه

وقال : إذا جذب الأرواح عن الأشباح ، ثبت الأشباح مع العقول والصفات ؛ لأنه حجبها بشرط العقول ، وآيسهم أن يكون لهم شىء من غير سرائرهم بقوله تعالى: « قُلْ بِفَضْلِ اللهِ »(١) .

و« الوَطر » : مُنيةٌ وتمتع محمودة خارجة عن نعت البشرية وحظوظ النفسانية ، ويقال : فلان هو المتمكن فى وطنه والمعلّى فى وَطَرِه .

قال القائل :

ترحّلْتُ يا ليلى ولم أقضِ أوطارى ... وما زلتُ محزوناً أحنُّ إلى دارى

وقال ذو النون رحمه الله :

أموتُ وما ماتتْ إليكَ صبابتى ... ولا قُضيتْ عن وِرْدِ حُبِّكَ أوطارى

مُناى المنى كلُّ المنى أنت لى مُنًى ... وأنت الغنا كلُّ الغنا عند إقتارى

وقيل لحكيم : أىُّ المواطن أحبُّ للسكون والتوطن فيه ؟

---

(١) يونس ٥٨ ونص الآية : قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون .

فقال : أحبّ المواطن إلى صاحبه : موطن إذا دعا فيه أوطارَه أجابته ، والوطن وطن العبد حيث انتهى به الحال واستقر به القرار .

ويقال : قد توطن فى حال كذا ومقام كذا .

قال الجنيد رحمه الله فى كلام له : إن لله عباداً على وطنات مطىّ خُلانه يركبون، وبالسرعة والبدار إليه يستبقون .

وقال النورى رحمه الله :

أما ترَى هَيَّمنِى شرَّدنى عنْ وطنى
إذا تغيَّبْتُ بدا وإنْ بدا غَيَّبنى
يقولُ لا تَشْهدُ ما تشهدُ أو تَشْهدَنى

وقال أبو سليمان الدارانى رحمه الله : الإيمان أفضلُ من اليقين ؛ لأن الإيمانَ وطنات واليقين خطرات .

وإنما وصفَ قدرَ ماشاهد من يقينه ، ووصف نفسه بذلك ، وأراد بذلك غرْبته عنده ، لأن اليقين صفاء العلم فى القلب واستقراره فيه ، والناس فيه متفاوتون .

و«الشرود» : نفرُ الصفات من منازلات الحقائق وملازمة الحقوق .

قال ابن الأعرابى رحمه الله : أوَما تراهم مشرَّدين ، فى كل وادٍ يهيمون ، ولكل بارق يتّبعون ؟! .

قال الواسطى : غذاهم بتربية الأحوال ، ونعمّهم بالملاحظة لهم فى الأعمال .

يجب على المرء أن يكون فى صدق الفاقة واللجأ فى أيام حياته ؛ لئلا يردَ عليه ذلك الشرود ، فيحس بذُلّ الشرود ، ويطلب من كل أحد عوناً بدعاه ويكلمه ؛ ولو كانت صحة الوجد فى الأوقات مصحوبه ، ماأصابه ذلك الشرود .

و«القصود» : معناه : الإرادات والنيات الصادقة ، المقرونة بالنهوض إليه .

حُكى عن أحمد بن عطاء رحمه الله أنه قال : من قصد فى قصوده غير الحق فقد عظمت استهانته بالحق .

وقال الواسطى رحمه الله: خواطر القصود، جُحود للمعبود ، وكيف يشهد القصود من هو فى معانى المقصود ؟ معناه : أن من يشاهد المقصود فى قصده سقط عنه رؤية قصده فى قصده .

و« الاصطناع »: مرتبة خُصّ بها الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والصديقون.

وقال قوم : الاصطناع خصّ به موسى من جميع الأنبياء عليهم السلام لقوله : « وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي »(١) .

وقال قوم : هى مرتبة الأنبياء عليهم السلام دون غيرهم .

قال أبو سعيد الخراز رحمه الله : أول بادٍ من الحق قد أخفاهم فى أنفسهم وأمات أنفسهم فى أنفسهم ، واصطنعهم لنفسه ؛ وهذا أول دخول فى التوحيد من حيث ظهور التوحيد بالديمومية .

وسئل بعضهم عن قوله جل جلاله : « وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي » ، « وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي »(٢) فقال : ما نجا نبيٌّ ولا ولىٌّ من محنته ، ولا سلم أحد فى مِنّته من فتنته .

و« الاصطفاء » معناه : الاجتباء فى سابق العلم ، وهو اسم مشترك . قال الله تعالى: « واجْتَبَيْنَاهُمْ وهَدَيْنَاهُمْ »(٣)، وقال الله تعالى: « اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ »(٤) .

وقال الواسطى رحمه الله : ابتدأك بنفسه ، واصطفك لنفسه ، فمن استعظم ذلك حسّنت إخطار نفسه فيما بذلت ؛ فإن قابلته بنفس العناية تضمّنك ما منه من الهداية .

---

(١) طه : ٤١
(٢) طه : ٣٩
(٣) الأنعام : ٨٧
(٤) الحج : ٧٥

و«المسْخ» : معناه مسخُ القلوب ؛ وذلك للمطرودين من الباب ؛ كانت لهم قلوب متوجهةٌ فسخَت بالإعراض عنها ، وجعلت توجهها إلى الحظوظ دون الحقوق ؛ فإذا قال القائل : فلان قد مُسخ به معناه : أى أعرَض بقلبه .

و«اللطيفة» : إشارة تلوحُ فى الفهم وتلمعُ فى الذهن ، ولا تَسَعُها العبارة لدقة معناها قال أبو سعيد ابن الأعرابى ، رحمه : الحق : يريدك بلطيفة من لدُنْه تُدْرِكُ بها ما يريد بك إدراكهُ .

وقال أبو حمزة الصوفى ، رحمه الله :

تلطّفتَ فى أمرى فأبدأتَ شاهدى إلى غائبى واللطفُ يُدْرَكُ باللطف

و«الامتحان» : ابتلاء من الحق يحل بالقلوب المقبلة على الله تعالى ، و«محنتُها» : انقسامها وتشتُّتُها .

حُكى عن خير النساج رحمه الله أنه قال : دخلتُ بعض المساجد ، فتعلق بى شابٌ من أصحابنا فقال لى : ياشيخ ، تعطف علىّ فإن محنتى عظيمة . فقلت : وما محنتك ؟ فقال : افتقدت البلاء وقورنت بالعافية ، وأنت تعلم أن هذه محنةٌ عظيمة .

و«الامتحان» على ثلاثة ، لقوم منهم عقوبة ، ولقوم منهم تمحيص وكفّارة ، ولقوم استدعاء الزيادة ، وارتفاع درجة .

و«الحدَث» : اسم لما لم يكن فكان .

قال بعضهم : إذا أراد الله ، تعالى تنبيه العامة أحْدَث فى العالم آيةً من آياته ، وإذا أراد تنبيه الخاصة أزال عن قلوبهم ذِكرَ حَدَثِ الأشياء .

و«الكلية» : اسم لجاع الشىء الذى لم يبق منه بقيةٌ ؛ فإذا قال القائل : الكل ، يريد بذلك : أن لم يبق منه بقية إلا بمعناه .

قال بعضهم : لا يكون العبد عبداً بالكلية ويكون منه لغير الله بقيةٌ .

وقال آخر : إن أقبلتَ عليه بكايتك أقبلَ عليك بكل الكل ، وقال :

بل كل ما كل مِنْ كُلِّى عليكَ كما بكلٌ كلك كُلِّى كانَ مَنشاهُ

و«التلبيس»: تحلِّى الشىء بنعت ضدّه .

حُكى عن الواسطى ، رحمه الله . أنه قال : التلبيس عين الربوبية ، ... : أن المؤمن يُظهره فى زىّ الكافر ، والكافر فى زىّ المؤمن ، قال الله تعالى : ولَلَبَسْنا عَلَيهِمْ ما يَلْبِسُونَ »[(1)].

وقال الجُنَيْد ، رحمه الله : امتزج بالالتباس واختلط متلونًا بالإحساس ، وما يتغير عنها فى الالتباس يُؤخَذ عنه كأسرع مأخوذٍ ،مُختلَسٍ ، وللقنّاد فى هذا المعنى :

بِنا يُكشَفُ التَّلبيسُ فى كل ما كرٍ ... إذا طاح فى الدَّعوى وطاحَ انتحالهُ

و«الشرب»: تلقى الأرواح والأسرار الطاهرة ما يَردُ عليها من الكرامات وتنعمها بذلك ، فشبه ذلك بالشُّرْب ، لتهنّيه وتنعمه بما يردُ على قلبه من أنوار مشاهدة قُرْب سيده .

قال : ذو النون ، رحمه الله : وردتْ قلوبهم على بحرَ المحبة فاغترفتْ منه رِيًّا من الشراب ، فشربت منه بمخاطرة القلوب فسهل عليهم كلُّ عارضٍ عرض لهم دون لقاء المحبوب .

وقال القائل فى هذا المعنى :

شَرِبْتُ كأساً عَلَى ذِكْراكَ صافِيَةً ... فما يُمَلُّ فِيكَ القَلْبُ تَعْلِيلُ
فما وَجَدْتُ لِشَىْءٍ عَنْكَ لى شُغُلاً ... لاعِشْتُ إنْ قُلْتُ : إنِّى عَنْكَ مَشْغُولُ

« الذَّوْق » : ابتداء الشُّرْب .

قال ذو النون رحمه الله : لمَّا أراد أن يسقيهم من كأس محبّته ذَوّقهم من لذاذته وألعقهم من حلاوته .

قال القائل فى هذا المعنى :

يَقُولُونَ تَشكَّلَى ومَنْ لَمْ يَذُقْ ... فِرَاقَ الأحِبَّةِ لَمْ يَثْكَلِ

(1) الأنعام : ٩

«والعَيْن» : إشارة إلى ذات الشيء الذى تبدو منه الأشياء .

قال الواسطى رحمه الله : وقومٌ علموا مصادر الكلام من أين ، فوقعوا على العَيْن فأغناهم عن البحث والطلب .

وقال الجُنَيْد رحمه الله : حكايات أبى يزيد البسطامى رحمه الله تدلُّ على أنه كان قد بلغ إلى عَيْنِ الجَمْع ، و«عين الجمع» : اسم من أسماء التوحيد ، له نعتٌ ووصفٌ يعرفه أهلُهُ .

وقال النورى :

مَضَى الجميعُ فلا عينٌ ولا أثَرٌ مُضِىَّ عادٍ وفِقْدَانَ الأُلَى إرَمِ

و«الاصطلام» : نعت غَلَبَةٍ تَرِدُ على العقول فيستلبها بقوّة سلطانه وقهره .

قال بعضهم : قلوب ممتحنة وقلوب مصطلَمة ، وإن وقع الاصطلام فهو ذهابُهُ وطَمْسُهُ ، قال :

إذا ما بَدَتْ لى تعاظَمْتُها فأَصْدُرُ فى حالِ مَنْ لَمْ يَرِدْ
فَيُصْطلَمُ الكلُّ مِنِّى بها ويُحْجَبُ عَنِّى بها ما أجِدْ

و«الحُرِّية» : إشارة إلى نهاية التحقّق بالعبودية لله تعالى ، وهو أن لا يملكك شىءٌ من المكونات وغيرها ، فتكون حُرًّا إذا كنتَ لله عبداً ، كما قال بِشْرٌ لِسَرِىّ رحمهما الله فيما حُكى عنه أنه قال : إنّ الله تعالى خلقك حُرًّا ، فكن كما خلقك ، لا تُرَائى أهلك فى الحضَر ، ولا رُفقتك فى السَّفَر ، اعملْ لله ودَعِ الناس عنك .

قال الجُنَيْد رحمه الله : آخِرُ مقام العارف ، الحُرِّية .

وقال بعضهم : لا يكون العبد عبداً حقًّا ويكون لما سوى الله مُسْتَرَقًّا .

و«الرَّيْن» : هو الصَّدَأ الذى يقع على القلوب .

قال الله تعالى : «كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُون»(١) .

---

(١) المطففين : ١٤

وقال بعض أهل العلم : حُجُبُ القلوب على أربعة أوْجُه : فمنها الختم والطبع ، وذلك لقلوب الكفّار ، ومنها الرَّيْن والقَسْوة ، وذلك لقلوب المنافقين ، ومنها الصدأ والغشاوة ، وذلك لقلوب المؤمنين .

سئل ابن الجلاّء : لِمَ سُمّى أبوك الجلاء ؟ فقال : ما كان بجلاء الحديد ، ولكن كان ، إذا تكلم على القلوب جلاها من صدأ الذُّنوب .

١٩١ و«الغَيْن» : قد أكثروا فى وصفه وهو خَبَرٌ ضعيفٌ ، قد رُوى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : إنَّه لَيُغَانُ على قلبى فأستغفرُ الله وأتوبُ إليه فى اليوم مائة مرة » فقالوا : الغَين الذى كان يعارض قلبَ النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان يتوب منه ، مَثَلُه مثلُ المرآة إذا تنفس فيها الناظر فينقص من ضوئها ثم تعود إلى حالة ضوئها .

وقال قوم : هذا مُحال ؛ لأن قلب النبى صلى الله عليه وسلم لا يلحقه قهرٌ من الخلق ، لأنه مخصوص بالرؤية .

قال الله تعالى : « مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى »(١) ، وليس لأحد أن يحكم على قلب النبى صلى الله عليه وسلم ، بوصف ، أو نعت ، أو يشبهه بشىء ، أو يضرب له مثلاً ، أو يعلّله بعلة خفيّة أو جلية .

وقال أبو على الروذبارى رحمه الله فى معنى الإغانة :

الغَينُ يُحبَسُ عَنْ تَحْصيلِ لُبْستِهِ ... لِقَلْبِ لابِسِ حقٍّ بانَ عن عِلَلِهْ
فإن تَرَاءتْ بِسَبْقِ الحَقِّ رُؤْيَتُهَا ... كان التَغَيُّنُ فى التصريف عن ثِقَلِهْ
لٰكننى قُلْتُ ما لاحَتْ طَوَالِعُهُ ... مِنَ المُؤَمِّلِ تَنْبيهٌ إلى أَمَلِهْ
والثَّوْبُ مِنْهُ عَلَى مَعْنَى الوِفَاقِ وَمَا ... تُبْدِى سَرَائِرُها غَيْناً لِمُحْتَمِلِهْ

وهذه الألفاظ قد شرحناها على حسب ما فتح الله به على قلبى فى الوقت ،

---

(١) النجم : ١١

والذى بقى أكثرُ ، وإن استقصيت فى شرحها يطول به الكتاب ، ويخرج عن الاختصار .

ونذكر بعد ذلك شرح الشطحيات من كلامهم الذى يكون ظاهره مستشنعاً ، وباطنه صحيحاً مستقيماً ، والله الموفق للصواب .

و«الوسائط» : الأسباب التى بين الله تعالى وبين العبد من أسباب الدنيا والآخرة .

سئل بعض المشايخ عن الوسائط فقال : الوسائط على ثلاثة أوْجُه : وسائط مواصلات ، ووسائط متّصلات ، ووسائط منفصلات .

فالمواصلات بَوَادى الحق ، والمتّصلات العبادات ، والمنفصلات حظوظ النفس .

وقال أبو على الروذبارى رحمه الله : وهو الذى جعل الوسائط رحمةً للعارفين ؛ ليُؤْثِرُوه عليها .

كتاب تفسير الشطحيات والكلمات التى ظاهرها مستشنع وباطنها صحيح مستقيم

باب فى معنى الشطح والرد على من أنكر ذلك برأيه

إن سأل سائلٌ فقال : ما معنى الشَّطح ؟

فيقال : معناه عبارةٌ مستغربَةٌ فى وَصْف وَجْدٍ فَاضَ بقوَّته ، وهاجَ بشدَّة غليانه وغلبته .

وبيان ذلك : أن الشطح فى لغة العرب : هو الحرَكة ، يقال : شَطَحَ يَشْطَحُ إذا تحرَّك ، ويقال للبيت الذى يحوزون فيه الدَّقيقَ ، المِشْطَاحُ ، قال الشاعر :

قِفْ بشط الفراتِ مشرعةِ الخيـــلِ قُبَيْل الطريقِ بِالمشْطاحِ
بالطواحِينِ مِنْ حِجارةِ بِطَريـــقٍ بِدَيْرِ الغِزلانِ دَيْرِ المِلاحِ
وإذا لاحَ بِالمُسَنّاةِ ظَبيٌ قَد كَساهُ الإشراقُ ضَوْءَ الصَّباحِ
فاقرِ ذاكَ الغَزالَ منى سَلاماً كلما صاحَ صائحٌ بِفَلاحِ

وإنما سمى ذلك البيت «المشطاح» من كثرة ما يحركون فيه الدقيق فوق ذلك الموضع الذى ينخلونه به ؛ وربما يفيضُ من جانبيه من كثرة ما يحركونه ؛ فالشطح : لفظة مأخوذة من الحركة ؛ لأنها حرَكةُ أسرار الواجدين إذا قَوِىَ وجْدُهم فعبَّروا عن وجدهم ذلك بعبارة يستغرب سامعها ؛ فمفتون هالك بالإنكار والطعن عليها إذا سمعها ، وسالم ناج برفع الإنكار عنها والبحث عما يشكل عليه منها بالسؤال عمن يعلم علمها ، ويكون ذلك من شأنها .

ألا ترى أن الماء الكثير إذا جرى فى نهر ضيق فيفيض من حافتيه ؟ ! يقال شطح الماء فى النهر ! فكذلك المُرِيد الواجد : إذا قوى وَجْدُهُ ، ولم يطقْ حَمْلَ

ما يردُ على قلبه من سطوة أنوار حقائقه ، سطع ذلك على لسانه ، فيترجم عنها بعبارة مستغربة مُشكلة على فهوم سامعيها ؛ إلا من كان من أهلها ، ويكون مُتبحّراً فى علمها ، فَسُمّىَ ذلك على لسان أهل الاصطلاح : شَطحاً .

وبَعْدُ فإن الله تعالى فتح قلوب أوليائه وأذِنَ لهم بالإشراف على درجات متعالية ، وقد جاد الحق تعالى على أهل صفوته والمتحققين بالتوجه والانقطاع إليه بكَشف ما كان مستتراً عنهم قَبلَ ذلك من مراتب صفوته ودرجات أهل الخصوص من عباده .

فكلٌ واحد منهم ينطق بحقيقة ماوجد ويصدق عن حاله ، ويصف ما ورد على سره بنطقه ومقاله ؛ لأنهم لايرون حالاً أعلَى من حالهم حتى يحكموها ، فإذا أحكموها فعند ذلك يَسْمون بهممهم إلى حالة أعلى من ذلك حتى تنتهى الطرُق والأحوال والأماكن إلى غاية ونهاية ، هى أعلى النهايات وغاية الغايات .

قال الله تعالى : « وَفَوْقَ كل ذى عِلْمٍ عَلِيمٌ »(١)

وقال : « وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْض دَرَجات»(٢)

وقال : « أنظرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْض »(٣)

وليس لأحدٍ أن يبسط لسانهُ بالوقيعة فى أوليائه ويقيسَ بفهمه ورأيه ما يسمع من ألفاظهم وما يُشكِلُ على فهمه من كلامهم ، لأنهم فى أوقاتهم متفاوتون ، وفى أحوالهم متفاضلون ومتشاكلون ومتجانسون بعضهم لبعض ، ولهم أشكالٌ ونظراء معروفون ، فمن بان شَرَفه وفضله على أشكاله ، بفضل علمه وسعة معرفته ، فله أن يتكلم فى عللهم وإصابتهم ، ونقصانهم وزيادتهم ، ومن لم يسلك سبلهم ، ولم ينحُ نحوَهم ، ولا يقصد مقاصدهم ؛ فالسلامة له فى رفع الإنكار عنهم ، وأن يكل أمورهم إلى الله تعالى ، ويتّهم نفسه بالغلط فيما ينسبهم إليه من الخطأ . وبالله التوفيق

---

(١) يوسف : ٧٦ (٢) الزخرف : ٣٢ (٣) الإسراء : ٢١

باب تفسير العلوم و بيان ما يُشْكل على فهم العلماء من
علوم الخاصة وتصحيح ذلك بالحجة

قال الشيخ رحمه الله : إعلم أن العلم أكثر من أن يحيط به فهمُ الفهماء أو يدركه عقول العقلاء ، وكفاك بقصة موسى والخضر عليهما السلام مع جلالة موسى عليه السلام وما خصه الله به من الكلام والنبوة والوحى والرسالة .

وقد ذكر الله تعالى فى المحكم الناطق على لسان نبيه الصادق ، عَجْزَ موسى عليه السلام عن إدراك علم عبدمن عباده إذ قال تعالى: «فَوَجَدَا عبداً مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاه رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا »[(١)] الآية ، حتى سأله فقال :

« هَلْ أتَّبِعكَ »[(٢)] الآية ؟ مع تأييد موسى عليه السلام وشرفه وعصمته من الإنكار عليه ؛ على أن الخضر عليه السلام لم يلحق درجة موسى عليه السلام فى فى النبوة والرسالة والتكليم أبداً .

١٩٢ وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « لو تعلمون ما أعلمُ لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً ولما تلذذتم بالنساء ، ولا تقاررتم على فرُشكم ، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى ، والله لوددتُ أنى كنت شجرةً تُعْضَدُ » رواه إسرائيل عن إبراهيم بن مُهاجر عن مجاهد عن مورّق عن أبى ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم .

وفى هذا الخبر دليل على أن قوله : « يا أيها الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ »[(٣)] ولم يقل ماتعرّفنا به إليك .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « لو تعلمون ما أعلم » اوكان من العلوم التى أمر بالبلاغ لبلغهم ، ولو صلح لهم أن يعلموه اعلّمهم ؛ لأن الله تعالى خص النبى صلى الله عليه وسلم بعلوم ثلاث :

---

(١) الكهف : ٦٥ (٢) الكهف : ٦٦ (٣) المائدة : ٦٧

عِلم بَيِّن للخاصة والعامة ، وهو : علم الحدود والأمر والنَّهي .

وعلم خُصّ به قومٌ من الصحابة دون غيرهم : هو العلم الذى كان يعلم حُذَيفة بن اليمان رضى الله عنه حتى كان يسأله عمر بن الخطاب رضى الله عنه مع جلالته وفضله ويقول : ياحذيفة ، هل أنا من المنافقين؟

١٩٣ وكذلك رُوى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : « علمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين بابا من العلم لم يعلم ذلك أحد غيرى » ، قال: « وكان أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إذا أشكل على أحدهم شىء يلتجئون فى ذلك إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه

وعِلم خُص به رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لم يشاركه فيه أحد من أصحابه : وهو العلم الذى قال : لو تعلمون ما أعلم

فمن أجل ذلك قلنا : لاينبغى لأحد أن يظن أنه يحوى جميع العلوم حتى يُخَطِّىء برأيه كلام المخصوصين ويكفّرهم ويزندقهم وهو متعرٍّ من ممارسة أحوالهم ومنازلة حقائقهم وأعمالهم .

وعلوم الشريعة على أربعة أقسام :

فالقسم الأول منها : علم الرواية والآثار والأخبار ، وهو العلم الذى ينقله الثقات عن الثقات .

والقسم الثانى : علم الدارية وهو : علم الفقه والأحكام ، وهو : العلم المتداول بين العلماء والفقهاء .

والقسم الثالث : علم القياس والنظر والاحتجاج على المخالفين ، وهو : علم الجدل وإثبات الحجة على أهل البدع والضلالة نصرةً للدين .

والقسم الرابع : هو أعلاها وأشرفها ، وهو : علم الحقائق والمنازلات ، وعلم المعاملة والمجاهدات ، والإخلاص فى الطاعات، والتوجه إلى الله عز وجل من جميع الجهات،

والانقطاع إليه فى جميع الأوقات ، وصحة القصود والإرادات ، وتصفية السرائر من الآفات ، والاكتفاء بخالق السموات ، و إماتة النفوس بالمخالفات ، والصدق فى منازلة الأحوال والمقامات ، وحُسْن الأدب بين يدى الله فى السر والعلانية فى الخطوات ، والاكتفاء بأخذ البُلغة عند غلبة الفاقات ، والإعراض عن الدنيا وترك ما فيها ، طلباً للرفعة فى الدرجات ، والوصول إلى الكرامات .

فمن غلط فى علم الرواية غلطاً لم يسأل عن غلطه أحداً من أهل الدراية .

ومن غلط فى علم الدراية شيئاً لا يسأل عن غلطه أحداً من أهل علم الرواية .

ومن غلط فى شىء من علم القياس والنظر فلا يسأل عن غلطه أحداً من أهل علم الرواية والدراية .

وكذلك من غلط فى شىء من علم الحقائق والأحوال فلا يسأل عن غلطه إلا عالماً منهم كاملا فى معناه .

ويمكن أن توجَد هذه العلوم كلها فى أهل الحقائق ، ولا يمكن أن يوجد علم الحقائق فى هؤلاء إلا ما شاء الله ؛ لأن علم الحقائق ثمرة العلوم كلها ، ونهاية جميع العلوم ، وغاية جميع العلوم إلى علم الحقائق ؛ فاذا انتهى إليها وقع فى بحر لا غاية له ، وهو علم القلوب ، وعلم المعارف ، وعلم الأسرار ، وعلم الباطن ، وعلم التصوف ، وعلم الأحوال ، وعلم المعاملات ، أىّ ذلك شئت ، فمعناه واحد .

قال الله تعالى : « قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّى لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً »(١) .

الا ترى أن هؤلاء لا ينكرون شيئاً من علومهم ، وهم ينكرون علوم هؤلاء إلا ما شاء الله ؟

وكل صنف من هؤلاء إذا تبحّر فى علمه ، فصار مُتقناً فى فهمه فهو السيد لأصحابه لابد لهم من الرجوع إليه فيما يشكل عليهم .

(١) الكهف : ١٠٩

فإذا اجتمعت هذه الأقسام الأربعة فى واحد فهو الإمام الكامل ، وهو القطب والحجة والداعى إلى المنهج والمحجّة .

كما روى عن على بن أبى طالب ، رضى الله عنه أنه قال ، فى كلام له لكُمَيل ابن زياد : اللهم بَلى ، لا تخلو الأرض من قائم لله بحججه لئلا تبطلَ آياته وتدْحضَ حُجته ، أولئك الأقلون عدداً ، الأعظمون عند الله تعالى قدراً .

وقد رجعتُ إلى معنى الشطح وتفسير الشطحيات ، وأقلُّ ما يوجَدُ لأهل الكمال الشطح ؛ لأنهم متمكنون فى معانيهم ، وإنما وقع فى الشطح من كان فى بداية ، وكان مراداً بالوصول إلى الكمال والغاية ، فتكون بدايتهُ نهاية الإرادات ، وهى فى معناها : بداية الغايات والكمال والنهايات .

والله أعلم بالصواب .

باب فى كلمات شطحيات تحكى عن أبى يزيد

[قد فسر الجنيد] طرفاً منها

قال الشيخ رحمه الله : قد فسر الجنيد رحمه الله شيئاً قليلا من شطحات أبى يزيد رحمه الله ، والعاقل يستدل بالقليل على الكثير ، ومن المحال أن أجدَ للجنيد رحمه الله تفسيراً لكلامه ، فأدَعَ ذلك وأتكلمَ من عندى له جواباً غيره .

قال الجنيد رحمه الله : الحكايات عن أبى يزيد مختلفة ، والناقلون عنه فيما سمعوه مفترقون ؛ وذلك ، والله أعلم ، لاختلاف الأوقات الجارية عليه فيها ، ولاختلاف المواطن المتداولة بما خص منها ؛ فكلٌ يحكى عنه ما ضبط من قوله ، ويؤدى ما سمع من تفصيل مواطنه .

وقال الجنيد رحمه الله : وكان من كلام أبى يزيد رحمه الله ، لقوته وغوره وانتهاء معانيه ، مغترَفٌ من بحر قد انفرد به ؛ وجُعل ذلك البحر له وحده .

قال الجنيد رحمه الله : ثم إنى رأيت الغاية القُصْوى من حاله ، يعنى من حال أبى يزيد رحمه الله ، حالا قلّ من يفهمها عنه أو يعبّر عنها عند استماعها ؛ لأنه لا يحتمله إلا من عرف معناه وأدرك مُستقاه ، ومن لم تكن هذه هيئته عند استماعه فذلك كله عنده مردود .

وقال الجنيد رحمه الله : رأيت حكايات أبى يزيد رحمه الله ، على ما نَعَتَهُ ينبىء عنه : أنه قد غرق فيما وجد منها وذهب عن حقيقة الحق ، إذا لم يرد عليها ، وهى معانٍ غرّقته على تارات من الغرق ، كلٌ واحد منها غير صاحبتها .

وقال الجنيد رحمه الله : أما ما وصف من بدايات حاله فهو قَوِىٌ مُحكم ، قد بلغ

منه الغاية ، وقد وصف أشياء من علم التوحيد صحيحة ، إلا أنها بدايات ، فيما يُطلب منها المرادون لذلك .

وهذه الكلمات التى أريد أن أذكرها ليست هى مما يُكتبُ فى المصنفات ؛ لأنها ليست من العلوم المبثوثة عند العلماء ، ولكن رأيت الناس قد أكثروا الخوض فى معانيها : فواحد قد جعله حُجة لباطله ، وآخر قد اعتقد فى قائلها الكفر ، والجميع قد غلطوا فيما ذهبوا إليه ، والله الموفق للصواب .

باب فى ذكر حكاية حكيت عن أبى يزيد البسطامى

رحمه الله تعالى

وقد شاع فى كلام الناس أنه قال : ذلك ، ولا أدرى : يصح منه ، ذلك أم لا ؟

ذكر عن أبى يزيد أنه قال : رفعنى مرةً فأقامنى بين يديه ، وقال لى : يا أبا يزيد ، إن خلقى يحبون أن يروك .

فقلت : زيِّنى بوحدانيتك ، وألبسنى أنانيتك ، وارفعنى إلى أحديتك ، حتى إذا رآنى خلقك قالوا : رأيناك ، فتكون أنت ذاك ، ولا أكون أنا هنا .

فإن صح عنه ، ذلك فقد قال : الجنيدُ ، رحمه الله ، فى كتاب تفسيره لكلام أبى يزيد ، رحمه الله : هذا كلام من لم يُلبسه حقائق وجْد التفريد فى كال حق التوحيد ، فيكون مستغنياً بما ألبسه عن كون ما سأله .

وسؤاله لذلك يدل على أنه مقارب لما هناك ، وليس المقارب للمكان بكائن فيه على الإمكان والاستمكان .

وقوله : ألبسنى وزينى وارفعنى : يدل على حقيقة ما وجده مما هذا مقدارُهُ ومكانُهُ ، ولم ينَل الحظوة إلا بقدر ما استبانه .

قلت : فهذا الذى فسر الجنيدُ ، رحمه الله ، فقد وصف حالهُ فيما قال : و بين مكانَهُ فيما أشار إليه أبو يزيد ، رحمه الله .

فأما ما يجدُ المتعنت والمعاند مقالا بالطعن على من يقول مثل ذلك فلم يبين .

و إلى ذلك المعنى والمقصد و بالله التوفيق .

وقوله: رفعنى مرةً ، فأقامنى بين يديه ، يعنى أشهدنى ذلك وأحضر قلبى لذلك ؛ لأن الخلق كلهم بين يدى الله تعالى ، لايذهب عليه منهم نفَسٌ ولاخاطر ، ولكن

يتفاضلون فى حضورهم لذلك ومشاهدتهم ، ويتفاوتون فى صفاتهم من كدورة ما تَحْجُبُ بينهم و بين ذلك من الأشغال القاطعة والخواطر المانعة .

١٩٤ وقد روى فى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أن يدخل فى الصلاة يقول : وقفتُ بين يدى الملك الجبار .

وأما قوله : قال لى ، وقلتُ له ، فإنه يشير بذلك ، إلى مناجاة الأسرار وصفاء الذكر عند مشاهدة القلب لمراقبة الملك الجبار فى آناء الليل والنهار .

فقِسْ على ما بيَّنتُ لك ، فإن الجميع يشبه بعضُهُ بعضاً ، واعلم أن العبد إذا تيقن بقُرْب سيده منه ، ويكون حاضراً بقلبه مراقباً لخواطره ؛ فكل خاطر يخطر بقلبه فكأن الحق يخاطبه بذلك ، وكل شىء يتفكر بسره فكأنه يخاطب الله تعالى به ؛ إذ الخواطر وحركات الأسرار وما يقع فى القلوب ، بَدْوهُ من الله وانتهاؤهُ إلى الله .

فهذا على هذا المعنى ، والله أعلم بالصواب .

وقد قال القائل :

مَثَّلتهُ المنَى فَظَلَّ نَديمى فتَنَعَّمتُ قاصداً لِلنَّعيمِ
مَثَّلتهُ حتى كأنى أُناجيـــهِ بِسِرِّى وَسِرِهِ المكتُومِ

وقال آخر :

قال لى حِينَ رِمْتهُ كلُّ ذا قَدْ عَلِمْتُهُ
لوْ بَكَى طولَ عُمْرِهِ بِدَمٍ ما رَحِمْتُهُ

يريد مناجاة الأسرار ، ومثلُ ذلك كثير فى الشعر وغيره .

وأما قوله : زَيِّنى بوحدانيتك ، وألبسنى أنانيتك ، وارفعنى إلى أحديتك : يريد بذلك الزيادة والانتقال من حاله إلى نهاية أحوال المتحققين بتجريد التوحيد والمفردين لله بحقيقة التفريد .

١٩٥ وقد ذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما روى عنه : سبق المفرّدون قيل : يا رسول الله ، ومن المفردون ؟ قال : الحامدون الله فى السراء والضراء .

وأما قوله : ألبسنى أنانيتك حتى إذا رآنى خلقك قالوا : رأيناك ، فتكون أنت ذاك ، ولا أكون أنا هناك : فهذا وأشباه ذلك تصف فناءه ، وفناءه عن فنائه ، وقيام الحق عن نفسه بالوحدانية ، ولا خَلْقَ قَبْلُ ، ولا كون كان .

١٩٦ وكل ذلك مستخرج من قوله صلى الله عليه وسلم : يقول الله تعالى : « مازال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببتُهُ كنتُ عَينه التى يبصر بها ، وسمعه الذى يسمع به ، ولسانه الذى ينطق به ، ويده التى يبطش بها ، كما جاء فى الحديث » .

وقد قال القائل فى وجده بمخلوق مثلهُ ، وقد وصف وجده بمحبوبه حتى قال :

أنا مَنْ أَهْوَى وَمَنْ أَهْوَى أنا فإذا أبصَرْتَنى أبصَرْتَنا
نَحْنُ رُوحانِ معاً فى جَسَدٍ ألبسَ اللهُ عَلَيْنا البَدَنا

فإذا كان مخلوقٌ يجدُ بمخلوق ، حتى يقول مثل ذلك ، فما ظنك بما وراء ذلك ؟

وبلغنى عن بعض الحكماء أنه قال : لا يبلغ المتحابان حقيقة المحبة حتى يقول الواحد للآخر : يا أنا .

وشرحُ ذلك يطول إن استقصيتُ ، وفيما ذكرتُ كفاية . وبالله التوفيق .

باب آخر فى تفسير حكاية ذكرت عن أبى يزيد رحمه الله

قال الشيخ رحمه الله : قلتُ : وقد حُكى أيضاً عنه أنه قال : أوّل ما صِرْتُ إلى وحدانيته ، فصِرْتُ طَيْراً جسمه من الأحدية ، وجناحاه من الدَّيمومية ؛ فلم أزَلْ أطيرُ فى هواء الكَيفية عشر سنين ، حتى صرتُ إلى هواء مثل ذلك مائةَ ألف ألف مرة ، فلم أزل أطيرُ إلى أن صرتُ فى مَيدان الأزلية ، فرأيت فيها شجرة الأحدية .

ثم وَصَفَ أرضها وأصلها وفَرْعها وأغصانها وثمارها ، ثم قال : فنظرتُ فعلمتُ أن هذا كله خُدْعة .

قال الجنيد ، رحمه الله : أما قوله : أول ما صرتُ إلى وحدانيته : فذاك أول لحظه إلى التوحيد ، فقد وصف ما لاحظ من ذلك ، ووصف النهاية فى حال بلوغه ، والمستقَرّ فى تناهى رُسوخه .

وهذا كله طريقٌ من طريق المطلوبين بالبلوغ إلى حقيقة علم التوحيد بشواهد معانيها ، منظوراً إليها ، متوهماً بأهلها فيها ، مُرْسلين فى حق ما لاحظوه مما شهدوه .

وليس لذلك إذا كان كذلك غاية كُنْهٍ يقْوَى عليه المطلوبُ به ، ولا رُسوبٌ فى إرْماسٍ يصيرون إليه ، بل ذلك على شاهد التأبيد فيه ، و إيثار التخليد فيما وجدوا منه .

وقال الجنيد ، رحمه الله : وأما قول أبى يزيد ألف ألف مرة فلا معنى له ؛ لأن نعته أجلُّ وأعظمُ مما وصفه وقاله ، و إنما نَعَتَ من ذلك على حسب ما أمْكَنَهُ ،

ثم وصف ما هناك، وليس هذا، بَعْدُ، الحقيقة المطلوبة، ولا الغاية المستوعبة، وإنما هذا بعضُ الطريق.

فهـذا ما فسره الجنيد، رحمه الله، وفيه بُلغة وكفاية لمن يفهم والله الموفق للصواب.

قال الشيخ رحمه الله: غير أن الجنيد قد تكلم على حال أبي يزيد، رحمه الله، فيما شطح به وما نطق بذلك عن وجده.

فأما ما يجدُ المتعنِّت مطعناً فيما قال أبو يزيد فلم يذكره؛ وهو قوله صرتُ طيراً، ولم أزل أطيرُ، فكيف يتهيأ للمرء أن يصير طيراً ويطير؟

والمعنى، فيما أشار إليه، سمو الهمم وطيران القلوب، وذلك موجود في لغة العرب: أن يقول القائل: كدُتْ أطيرُ من الفرح، وقد طار قلبي وكاد يطيرُ عقلي.

وقال يحيى بن معاذ رحمه الله: الزاهد سيار، والعارف طيار، يريد بذلك: أن العارف — في قصده إلى مطلوبه — أسْرَعُ من الزاهد، وهذا جائز.

وقد قال الله تعالى «وَكُلَّ إنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ»(١).

روى عن سعيد بن جبير رحمه الله عليه في معنى تفسيره: ألحقنا به ما سبقَ له من السعادة والشقاوة.

وقال الشاعر:

رُبَّ يوم كأنهُ يومَ بَانُوا مِنْ دموع الفراق يومٌ مطيرُ
لوْ تراني رأيتَ يومَ تولَّوْا جسداً واقفاً وَقلبا يطيرُ

«وأما قوله»: وما يضيف جناحيه وجسمه إلى الأحدية والديمومية. يريد

(١) الإسراء: ١٣

بذلك تَبَرِّيه من حوله وقوته فى طيرانه ، يعنى فى قصده إلى مطلوبه ، وأن يضيف فعله وحركته ، فى قصده إلى الأحد الدائم ، بلفظة مستغربة .

ومثل ذلك موجودٌ فى كلام الواجدين والمستهترين ، وإذا كان الغالبُ على سر الواجد وقلبه ذكرُ من يجدُ به ، يصفُ جميع أحواله بصفات محبوبه ، مثل مجنون بنى عامر : كان إذا نظر إلى الوحش يقول: ليلى ! وإن نظر إلى الجبال يقول: ليلى ! وإن نظر إلى الناس يقول : ليلى ! حتى إذا قيل له : ما اسمك وما حالك ؟ يقول : ليلى . وفى ذلك قال :

أمُرُّ على الديار ديار ليلى أُقبِّلُ ذا الجدارَ وَذا الجدارا
وَما حُبُّ الديار شغفنَ قلبى ولكنْ حُبُّ منْ سكنَ الديارا

وقال غيره :

أُفَتِّشُ سرى عنْ هَواكُمْ فلا أرَى سِوايَ وَأنى عنكَ والكنهُ أكبرُ
فإنْ وَجدَتْ أنى فنى الوَجْد أنّها فإنْ عَبَّرَتْ عنى فعنها تعبرُ

ومثل ذلك كثير ومستحسن من القائلين فى معنى ما قالوا فى وصف وجدهم بمخلوق وفى هوى باطل ، والإشارة فى معنى المراد من ذكر ذلك تغنى عن العبارة وبالله التوفيق .

وأما معنى قوله : عشر سنين ، وألف ألف مرة ، وميدان الأزلية ، وهواء الكيفية : فذاك قد قال الجنيد رحمه الله : أنه وصف بعض الطريق .

فيما قال الجنيد رحمه الله : كفاية عن كلامنا وتكرارنا فى هذا .

وأما قوله فنظرت فعلمت أن ذلك كله خدعة ، معناه ـ والله أعلم ـ : أن الالتفات والاشتغال بالملاحظة إلى الكون والملكة : خدعة عند وجود حقائق التفريد وتجريد التوحيد .

فمن أجل ذلك قال الجنيد رحمه الله : لو ن أأبا يزيد ، رحمه الله ، على عظم إشارته خرج من البداية والتوسط ! ولم أسمع له نطقاً يدل على المعنى الذى ينبىء عن الغاية ! وذلك ذكره للجسم ، والجناح والهواء ، والميدان .

وقوله : فعلمت أن ذلك كله خدعة ؛ لأن عند أهل النهاية أن الالتفات إلى أى
شىء سوى الله خدعة ، فمن أنكر ذلك فقد قال سيد الأولين والآخرين ، صلى ٩٧٠
الله عليه وسلم ، أصدق كلمة قالتها العرب قَوْلُ لبيد :

ألا كلُّ شىْء ماخَلا اللهَ باطِلُ[1]

---

(١) وتمامه : وكل نعيم ـ لا محالة ـ زائل

باب أيضاً في شرح كلام حُكى عن أبي يزيد

رحمه الله تعالى

قال الشيخ رحمه الله : وقد ذُكر عن أبي يزيد أيضاً أنه قال : أشرفتُ على ميدان الليْسية ، فما زلتُ أطير فيه عشر سنين، حتى صرت من ليس في ليس بليس ، ثم أشرفت على التضييع ، وهو ميدان التوحيد ، فلم أزل أطير بليس في التضييع ، حتى ضعت في الضياع ضياعاً ، وضعت فضعت عن التضييع بليس في ليس في ضياعه التضييع ، ثم أشرفت على التوحيد في غيبوبة الخلق عن العارف ، وغيبوبة العارف عن الخلق .

قال الجنيد ، رحمه الله : هذا كله وما جانسه داخلٌ في علم الشواهد على الغيبة عن استدراك الشاهد ، وفيها معان من الفناء بتغيُّب الفناء عن الفناء .

ومعنى قوله: أشرفت على ميدان الليسية ، حتى صرت مِن ليس في ليس بليس : فذاك أول النزول في حقيقة الفناء ، والذهاب عن كل ما يُرَى ولا يُرَى ، وفي أول وقوع الفناء انطماس آثارها .

وقوله : ليس بليس ، هو ذهاب ذلك كله عنه وذهابه عن ذهابه ، ومعنى ، ليس بليس : أى ليس شيء يُحَسُّ ولا يوجد ، قد طُمِسَ على الرسوم ، وقُطِعَتِ الأسماء ، وغابت المحاضر ، وبُلِعت الأشياء عن المشاهدة ، فليس شيء يوجد ، ولا يحس بشيء يُفقد ، ولا اسم لشيء يُعهد ، ذهب ذلك كله بكل الذهاب عنه ، وهو الذى يسميه قومٌ الفناء ، ثم غاب الفناء في الفناء ، فضاع في فنائه ، فهو التضييع الذى كان في ليس به ، وبه في ليس .

وذلك حقيقة فقد كل شىء، وفقد النفس بعد ذلك، وفقد الفقد فى الفقد، والارتماس فى الانطماس، والذهاب عن الذهاب، وهذا شىء ليس له أمد ولا وقت يُمْهَد.

وقال الجنيد، رحمه الله: ذِكرُهُ لعشر سنين: هو وقتُه، ولا معنى له؛ لأن الأوقات فى هذا الحال غائبة، وإذا مضى الوقت وغاب بمعناه عمن غُيِّبَ عنه، فعشر سنين ومائة وأكثر من ذلك كله، فى معنًى واحد.

قال الجنيد، رحمه الله، فيما بلغنى: ثم قال أبو يزيد، رحمه الله: أشرفت على التوحيد فى غيبوبة الخلق عن العارف، وغيبوبة العارف عن الخلق: يقول: عند إشراف على التوحيد تحقق عندى غيبوبة الخلق كلهم عن الله تعالى، وانفراد الله عز وجل، بكبريائه عن خليقته.

ثم قال الجنيد، رحمه الله: هذه الألفاظ التى قال أبو يزيد، رحمه الله: معروفة فى إدخال المراد فيما أُريد منها.

فهذا ما بلغنى عن الجنيد، رحمه الله فى تفسير هذه الكلمات لأبى يزيد، رحمه الله: والذى فسر الجنيد، رحمه الله أيضاً: مشكل إلا عند أهله؛ فإنما يشكل ذلك وأشباهه على من لم يتبحر فى العلم، ولم ينظر فى الروايات، وما دُوِّن فى الكتب عند العلماء، فى وصف عظمة الله تعالى، وكبريائه؛ حتى يستدل بذلك على ما لم يدوَّن فى الكتب مما انفرد، وخُصَّ به قلوب أوليائه وخاصته وخالصته.

على أن الفهماء من العلماء بالله: يعلمون أن كل من شاهد زيادته فى حاله الذى خص به من أحوال المنقطعين إلى الله، تعالى، فهو فى زيادة الحال مع الله، عز وجل، فى كل نَفَس وطرفة عين من المزيد، كائنة فى كل نفس فيما رُبط به من الحال،

فهو فى الانتقال فى كل نَفَسٍ من حال إلى حال ، إلى مالانهاية له ، حتى يبلغ وطنهُ فى مكانه إلى محله الذى هو مراد بذلك ، فكل حال هو منقول إليه ، فهو : فانٍ به عن الحال الذى انتقل منه .

وهذا معنى قوله : الفناء ، والفناء عن الفناء ، والذهاب ، والذهاب عن الذهاب، وَضِمتُ فَضِمْتُ عن التضييع ضياعاً ، وإن كانت عباراته مختلفة ، فإن معانيه متفقة، وحقائقه متسقة .

وبيان ذلك ، فيما رُوى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنه ، فى قوله تعالى : « ثمَّ اسْتَوى إلى السماءِ وَهِيَ دُخانٌ فقالَ لها وَللأرْضِ : ائتيا طَوْعاً أوْ كَرْهاً قالتَا : أتَيْنا طائعينَ »[1] .

قال : فقالت الملائكة : يارب ، فلو لم تأتك ، ما كنت صانعا بهما؟

قال : كنت أُسلط عليهما دابة من دوابّى تبتلعهما فى لُقمة .

قالت : يارب ، وأين تلك الدابة ؟

قال : فى مرج من مروجى .

قالت : يارب ، وأين ذلك المرج ؟

قال : فى غامض عِلمى .

ألا ترى أن فى الدابة واللقمة ذهاب السموات والأرض ، وفى المرج ذهاب الذهاب ، وفى الذهاب تنبيه قلوب العارفين ؟ ! فما شاهد بقلبه ذلك ، فكيف يشهد نفسه ، والمُلك ، وجميع ما خلق الله تعالى ؟ .

---

(١) فصلت : ١١

ويقال : إن فى بعض الكتب أن الله أوحى إلى جهنم : إن لم تأتمرى ما آمرُك به لأحرقنَّك بنيرانى الكبرى .

فقيل لبعض العارفين : ما معنى قوله : لأحرقنك بنيرانى الكبرى ؟

قال : يطالع بذرّة من حبه قَدَمَهُ ، فيكون مَثَل جهنم فيها كتنور خباز فى حريق الدنيا ، بل أقل من ذلك .

ومعنى قوله : ليسَ بليس فى ليس : فإنه يشير إلى ليسيته فيما هو فيه ؛ إذ الأشياء كلها فى معانيها ، ووجودها أشباح فيما لله تعالى ، فهى ، وإن كانت بالإيجاد مرسومة فى حقائقها بالعدم والتلاشى، مرسومة ، ولأهل الحقائق فى مشاهدتها مراتب مقسومة ، « واللهُ يَقبِضَ وَيَبْسُط وَإليهِ تُرْجَعونَ »[1] .

(١) البقرة : ٢٤٥

باب آخر فى شرح ألفاظ حكيت عن أبى يزيد رحمه الله
وكان يكفره فى ذلك ابن سالم بالبصرة
وَذِكْرُ مناظرة جرت بينى وبينه فى معنى ذلك

قال الشيخ رحمه الله : سمعت ابنُ سالم يقول فى مجلسه يوماً : فِرْعَوْنُ لم يقل ما قال أبو زيد رحمه الله ، لأن فرعون قال : أنا ربكم الأعلى ، والرب يسمَّى به المخلوق ، فيقال : فلان رَبُّ دارٍ وربُّ مالٍ ، وربُّ بيتٍ ، وقال أبو يزيد رحمه الله : سُبْحانى سُبْحانى . وسُبُّوح ، وسبحان اسمٌ من أسماء الله تعالى الذى لا يجوز أن يسمى به غير الله تعالى .

فقلت له : هذا الكلام قد صحّ عندك عن أبى يزيد ، رحمه الله ، وصح عندك أن اعتقاده فى ذلك : كان كاعتقاد فرعون فى قوله : أنا ربكم الأعلى ؟ فقال ابن سالم : قد قال ذلك حتى يصح عندى : أنه أيشَ أراد بذلك ؟ يلزمه الكفر .

فقلت : إذا لم يتهيأ لك أن تشهد عليه بما اعتقدَ عند قوله ذلك فبطل أن تكفره ، لأنه يَحْتَمِلُ أن يكون لهذا الكلام مقدماتٌ ، فيقول : يعقبه سبحانى سبحانى : يحكى عن الله تعالى يقول : سبحانى سبحانى ، لأنا لو سمعنا رجلا يقول : لا إله إلاّ أنا فاَعْبُدُون ، ما كان يختلج فى قلوبنا شىء غير أن نعلم : أنه هو ذا يقرأ القرآن ، أو هو ذا يصف الله تعالى بما وصف به نفسه .

وكذلك لو سمعنا دائباً ، أبا يزيد ، رحمه الله أو غيره ، وهو يقول : سبحانى سبحانى : لم نشك بأنه يسبّح الله تعالى ، ويصفه بما وصف به نفسه .

وإذا كان الأمر هكذا وعلى ما قلناه ، فتكفيرك لرجلٍ مشهور بالزهد ، والعبادة ، والعلم ، والمعرفة : من أعظم المُحالات .

وقد قصدتُ بسطام وسألت جماعة من أهل بيت أبى يزيد رحمه الله عن هذه الحكاية : فأنكروا ذلك وقالوا : لا نعرف شيئاً من ذلك ؛ ولولا أنه شاع فى أفواه الناس ودوّنوه فى الكتب ما اشتغلت بذكر ذلك .

وسمعت ابن سالم أيضاً ، وهو يحكى فى مجلسه عن أبى يزيد رحمه الله ، أنه قال : ضربت خيمتى بإزاء العرش أو عند العرش وكان يقول هذه الكلمة كفرٌ ، ولا يقول مثل هذا إلا كافرٌ .

وكان يقول أيضاً : إن أبا يزيد ، رحمه الله ، اجتاز بمقبرة اليهود ، فقال : معذورون ، ومرّ بمقبرة المسلمين فقال : مغرورون .

ومع جلالة ابن سالم كان يُسْرف فى الطعن على أبى يزيد رحمه الله ، وكان يكفره من أجل أنه قال ذلك .

فقلت : له عافاك الله ! إن علماء نواحينا يتبركون بتربة أبى يزيد ، رحمه الله ، إلى يومنا هذا ، ويحكون عن المشايخ المتقدمين أنهم كانوا يزورونه وكانوا يتبركون بدعائه ، وهو عندهم من أجِلّة العُبّاد والزُّهاد وأهل المعرفة بالله ، ويذكرون أنه فاق أهل عصره بالورع والاجتهاد ودوام الذكر لله تعالى ؛ حتى حكى عنه جماعة أنهم رأوه قد ذكر الله تعالى ، حتى بال الدم من خشية الله تعالى ودوام تعظيمه لله عزّ وجلّ .

وكيف يجوز أن نعتقد فيه الكفر بحكاية تحكى عنه ولم نعرف إرادته فيما قال ، ولا نطلع على حاله فى الوقت الذى قال ؟ ! وهل يجوز لنا أن نحكم عليه فيما يبلغنا عنه إلا بعد أن يكون لنا حال مثل حاله ، ووقت مثل وقته ، ووجد مثل وجده ؟ أوَليس قد قال الله تعالى :

« يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ » (١)

(١) الحجرات : ١٢

فهذا كلام جرى بيني وبين ابن سالم في مجلسه في الحكايات التي حكاها عن أبي يزيد رحمه الله ، أو كلام هذا معناه أو قريب من معناه .

فأما قوله : ضربت خيمتي بإزاء العرش أو عند العرش : فإن صح عنه أنه قال ذلك : فهذا غير مجهول أن الخلق كلهم ، والكون ، وجميع ما خلق الله ، تعالى : تحت العرش ، و بإزاء العرش .

ومعنى قوله : ضربت خيمتي بإزاء العرش ، يعني : وجّهت خيمتي نحو مالك العرش ، ولا يوجد في العالم موضع قديم إلا وهو بإزاء العرش ، فلا سبيل للمتعنّت في هذا بالطعن .

وأما قوله عند اجتيازه بمقبرة اليهود ، وقوله : معذورون أي : كأنهم معذورون ، فكأنه : لما نظر إلى ما سبق لهم من الله بالشقاوة واليهودية من غير فعل ، كان موجوداً في الأزل ، وأن الله تعالى جعل نصيبهم منه السخط عليهم ، فكيف يتهيأ لهم أن يكونوا مستعملين إلا بعمل أهل السخط ؟ ! فقال : كأنهم معذورون ، وهم غير معذورين ، من حيث مارسم القلم ، ونطق به الكتاب ، وما وصفهم الله تعالى بقولهم:

« عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ (١) » و « نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ (٢) »

والله عدل في جميع ما حكم ، حكيم في جميع ما رسم « لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفعلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ » (٣)

وأما قوله لما مر بمقبرة المسلمين فقال : مغرورون ، إن صح عنه ذلك ، كأنه لما نظر إلى التعارف بين عامة المسلمين في نظرهم إلى أعمالهم وطمعهم في النجاة باجتهادهم ، وقلة من تخلص من ذلك ، فسمّاهم : مغرورين ؛ لأن أعمال الخلق كلها

---

(١) التوبة : ٣٠ (٢) المائدة : ١٨ (٣) الأنبياء : ٢٣

لو جُملت بإزاء نعمه مما أنعمَ الله تعالى على الخلق : بأن دلهم عليه وزين قلوبهم بالإيمان به ، والمعرفة بوحدانيته لبطل واضمحلّ ذلك .

وليس من جميع الخلق حركة ولا نَفَس إلا وبَدْؤها من الله سبحانه وانتهاؤها إلى الله عزّ وجلّ .

فمن ظن أن أحداً ينجو إلا بفضل الله وسعة رحمته : فهو مغرور هالك .

ألا ترى سيد الأنبياء ، وإمام الأتقياء صلى الله عليه وسلم ، يقول : « ليس منا أحدٌ يُنجيه عمله ، قالوا . ولا أنت يارسول الله فقال : ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله منه برحمة » . ١٩٨

فالتعنّت والجسارة بالطعن والوقيعة من العلماء فيمن تكون جوارحه مضبوطة مقيدة بالعلم والأدب ، بحكاية أو بكلام لايحيط به الفهم فى الوقت : زَلّةٌ من العالم، وهَفوةٌ من الحكيم ، وخطأ بيّن من العاقل ؛ لأنه ربما تَصَحّفَ على الحكيم ، لأن الحكمة ربما تجرى وتحضُرها من لا يقفُ على معانيها ، ولا يلحق فَهْمه مَقاصدَ المتكلم بها ، فعند ذلك تجرى على الألسنة بضد معناها ، فيلحق الحكيمَ عند ذلك نقصٌ عند من لا يقف على مراميه ، وَيُشْكِلُ عليه معانيه ، ولم يُشْرِف على مكانه ، ولا يَسْأل عن بيانه ؛ لأن الغامض من العلوم لا يُدْرَك إلا بالغامض من الفهوم.

والتصحيف الذى يقع فى الحكمة يقع من وجهين : فوجهٌ منها تصحيف الحروف ، وذلك أيسَرُهُ ، والوجه الثانى تصحيف المعنى ، وهو : أن يتكلم الحكيم بكلمة ، من حيث وقته وحاله ، فلا يكون للمستمع لذلك الحالُ ، والوقت ، فيصحف معناه ، فيعبّر عنها من حيث ما يليق بحاله ووقته ومقامه ووجْده فيغلط فى ذلك ويهلك .

سمعتُ أبا عمرو بن علوان يقول : سمعتُ الجنيد ، رحمه الله ، يقول : كنتُ أصحبُ هذه الطائفة ، وأنا حَدَثٌ ، فكنت أسمعُ منهم كلاماً لم أفهم عنهم ما يقولون ، إلا أن قلبى قد سلم من الإنكار عليهم ، فبذلك نلت ما نلت .

ومما يُقوِّى هذا الذى ذكرتُ : أنى كنت فى مجلس ابن سالم بالبصرة بعد هذا الخوض الذى جرى بينى وبينه فى كلام أبى يزيد ، رحمه الله ، فحكى يوماً عن سهل بن عبد الله ، رحمه الله ، أنه قال : ذِكْر الله تعالى باللسان : هَذَيان ، وذِكْرُ الله تعالى بالقلب : وسوسة ، فسئل عن ذلك ، فقال: كأنه أراد بذلك : أن يكون قائما بالمذكور لا بالذكر .

ثم حكى فى مجلس آخر عن سهل بن عبد الله رحمه الله أيضاً أنه قال : مَوْلاى لا ينام وأنا لا أنام ، فقلتُ لبعض أصحابه ممن كان يخصه : لولا أن الشيخ أمْيَلُ إلى سهل بن عبدالله ، رحمه الله ، منه إلى أبى يزيد ، رحمه الله ، لكان يُخَطِّئه أيضاً فيما قد حُكِيَ عنه ، كما خطأ أبا يزيد ، رحمه الله ، وكفره بين يديك ، فى الكلام الذى حكى عنه ؛ لأن فى هذا الذى قد حكى عن سهل رحمه الله ، وهو إمامه ، وأفضلُ الناس عنده . يَجِدُ المتعنِّت مقالا ، إن قصد إلى ذلك ، والذى يعلم أن لهذا الذى حكاه عن سهل بن عبد الله ، رحمه الله ، وجهاً غير مايجد المتعنّت فيه مطعناً ، فكذلك يجوز أن يكون لكلام أبى يزيد ، رحمه الله الذى حكاه عنه وجهٌ غير الوجه الذى هو ذا يكفِّره به ويخطئه فيما قال ، فلم يكن له جواب عند ذلك أو كلام هذا قريب من معناه ، وبالله التوفيق .

ويقال : لولا ما خَصّ الله تعالى موسى عليه السلام بالعصمة والتأييد وما شملته من أنوار النبوة والكلام والرسالة حتى وُفِّقَ وسُدِّدَ من الإنكار على الخضِرِ مما كان يرى منه : من قتل النفس التى حرم الله تعالى ، وهى من أعظم الكبائر ! فما يرضى أن يقول له :

« أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا »[1] ، حتى كان يردّ عليه :

---

(١) الكهف : ٧٤

« أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً »[١] ، فيقول :

« إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْراً »[٢] بعد ما عاين منه قَتْلَ النفس التي حرم الله تعالى ، وأمر فيه بالقصاص ، فكان يجبُ على موسى عليه السلام أن يطالبه بالقَوَد ويهجره ، ولا يستحلُّ مجالسته ومصاحبته[٣] ؛ غير أن عناية الله تعالى ، وتخصيصه وتسديده ، وتوفيقه الذي كان مصحوبَهُ حجز بينه وبين ذلك .

فكذلك دأبُ كل ولي وصدِّيق إلى يوم القيامة ، ولا يجوز لواحد منهم أن يلحق درجةً من درجات النبوّة ، والله الموفق للصواب .

وحُكي عن أبي يزيد رحمه الله : أنه لم يستند قط إلى جدار إلا أن يكون جدارَ مسجدٍ أو رباط ، ويقال : إنه ما رأَوْهُ مُفطراً قط إلا أيامَ العيد ، حتى لحق بالله عز وجل ، ويكثر في مثل هذا عنه الأخبار .

---

(١) الكهف : ٧٥ (٢) الكهف : ٧٦

(٣) قد يجاب بأن لينه معه ، كان لأمر الله له بمصاحبته له وتعلمه منه بقوله

باب في ذكر كلام حكى عن الشبلي رحمه الله
وشرحه عن ذلك

قال الشيخ رحمه الله : سمعتُ أبا عبد الله بن جابان يقول : دخلتُ على الشبلي رحمه الله ، في سنة القحط ، فسلّمت عليه ، فلما قمتُ على أن أخرج من عنده ، فكان يقول لي ولمن معي ، إلى أن خرَجْنَا من الدار : مُرُّوا أنا معكم حيث ما كنتم ، أنتم في رعايتي وفي كلاءتي ، قلتُ : أراد بقوله ذلك : إن الله تعالى معكم حيث ما كنتم ، وهو يرعاكم ويكلؤكم ، وأنتم في رعايته وكلاءته .

والمعنى في ذلك : أنه يرى نَفْسَهُ مُحقاً فيما غلب على قلبه : من تجريد التوحيد ، وحقيقة التفريد ، والواجد إذا كان وَقْتُهُ كذلك ؛ فإذا قال : أنا ، يعبّر عن وَجْده ويترجم عن الحال الذي قد استولى على سرّه ، فإذا قال : أنا ، يشير بذلك إلى ما غلب عليه من حقية صفة مشاهدته قُرْبَ سيِّده .

وسمعت الحُصْري رحمه الله يَحْكي عنه : أنه كان يقول : لو عرضتُ ذُلّي على ذُلّ اليهود والنصارى لكان ذُلّي أذَلّ من ذُلّهم ، فإن قال القائل : أيْنَ تقع هذه الحكاية من ذلك ؟ فيقال له : الحكايتان صحيحتان ، والوقتان مختلفان ؛ فوقتاً خُصَّ بصفاء المشاهدة ، فنطق عن وجده وحقيقته بمحض الإخلاص وخالص التوحيد ، ووقتاً رُدَّ إلى صفته ، وعجزِ بشريته ، وذُلّ آدميته ، فنطق بما وجد من ذلك .

كما قال يحيى بن مُعاذ الرازي رحمه الله : العارف إذا ذكر ربَّه افتخر ، وإذا ذكر نفسه افتقر واحتقر ، وهذا المعنى موجود في العلم .

١٩٩ روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لي وَقْتٌ لا يسعني شيء غير الله ، وأنا سَيِّدُ وَلَدِ آدم ولا فَخر » .

٢٠٠ ورُوِى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تفضلونى على يونس بن مَتّى عليه السلام ، أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد » .

فكم بين الخبرين وتفاوت ما بين الوقتين ؟! والله أعلم .

ومما يضاهى هذا الذى قلناه ما حُكى عنه ، يعنى عن الشبلى رحمه الله : أنه أخذ من يد إنسان كسرة خُبْز فأكلها ، ثم قال : إن نفسى هذه تطلب مِنّى كسرة خبز ، ولو التفت سِرّى إلى العرش والكُرْسى لاحترق ، أو كما قال ، يريد بذكر الالتفات بسرّه إلى العرش والكرسى : أن يَجِدَ له فى سرّه أثراً فى الوحدانية والقدم ؛ لأن العرش والكرسى محدثان مخلوقان مما لم يكن فكان .

وحُكى عن الشبلى ، رحمه الله : أنه سئل عن أبى يزيد البسطامى رحمه الله وعرض عليه ما حكى عنه : مما ذكرناه ، وغير ذلك ، فقال الشبلى ، رحمه الله : لو كان أبو يزيد ، رحمه الله : هاهنا لأسلم على يد بعض صبياننا ، وقال : لو أن أحداً يفهم ما أقول لشددتُ الزنانير .

قلتُ : قد أشار إلى ما قال الجنيد ، رحمه الله : إن أبا يزيد ، رحمه الله : مع عظم حاله وعلوّ إشارته : لم يخرج من حال البداية ، ولم أسمع منه كلمة تدل على الكمال والنهاية .

والمعنى فى ذلك : أن هؤلاء المخصوصين بهذا العلم : فكأنه قد أخذ عليهم أن كل واحد منهم يُرَى أن حاله أعلَى الأحوال ، وذلك غيرة من الحق عليهم ، حتى لا يسكن بعضهم إلى بعض .

ألا ترى أن أبا يزيد ، رحمه الله : تكلم بأشياء عجز عن فهم ذلك فهماء زمانه وأهل عصره .

ثم قال الجنيد ، رحمه الله : إنه لم يخرج من حد البداية ، ولم أسمع له لفظاً يدل على أنه وصل إلى النهاية .

ثم يقول الشبلى ، رحمه الله : لو كان أبو يزيد ، رحمه الله : عندنا لأسلم على يد بعض صبياننا ، يعنى لاستفادَ من المريدين الذين هم فى وقتنا .

وحكى عن بعض المشايخ أنه قال : وقفتُ على الشبلى عشرين سنة ما سمعتُ منه كلمة فى التوحيد ، كان كلامه كله فى الأحوال والمقامات .

وهذا كله قليل فى عِظم ما أشاروا إليه من الحقيقة ؛ لأن حقيقة التوحيد لا غاية لها ولانهاية ، وكل واحد منهم قد غرق فى بحر لايوصَفُ حَدُّه ولايُدْرَكُ منتهاه : وذلِكَ فَضْلُ اللهِ يؤتيهِ مَنْ يشاء واللهُ ذُو الفضل العظيم .

باب فى معنى حكاية حكيت عن الشبلى رحمه الله

قال الشيخ ، رحمه الله : قال بعضهم : وقفت على الشبلى ، رحمه الله فسمعته يقول : أمر الله تعالى الأرض أن تبتلعنى إن كان فىّ فضل منذ شهر أو شهرين لذكر جبريل وميكائيل ، عليهما السلام .

وسمعت الحصرى يقول : كان الشبلى ، رحمه الله يقول لى : إن مرّ بخاطرك ذكر جبريل وميكائيل عليهما السلام أشرَكتَ .

فرأيت جماعة قد أنكروا هذا مع تخصيص جبريل وميكائيل عليهما السلام من الملائكة المقرّبين .

٢٠١ وفى الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « رأيت جبريل ، عليه السلام مثل الحلس البالى فعلمت به فضل علمه وخشيته علىّ » ، أو كما قال .

فقالوا : إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفضله على نفسه ، فكيف يجوز لقائل أن يقول مثل ذلك .

فأقول ، وبالله التوفيق : إن كلام الواجدين والمستهترين بذكر الله تعالى ، يكون مُجْملا وتفصيلا ، وإنما يجد المتعنت فرصة بالوقيعة والطعن فى الكلام المجمل دون المفصّل ؛ لأن المجمل ربما يكون له مقدمات لم تبلغ المستمع ، والمفصّلَ يكون مشروحاً مُبيَّناً محترزاً ، والمجمل لا يكون كذلك ، وهذا الكلام الذى حُكى عن الشبلى ، رحمه الله : كلام مجمل له مقدّمات ، فإذا سمع العاقل مقدماته لم يتشنع عليا ما قال الشبلى ، رحمه الله ، وإذا لم يسمع بالمقدمات التى قد تقدمت قبل هذا الكلام ، فأحْرَى أن يتشنع عليه وينكر قلبه ذلك .

وبيان ما ذكرتُ فى حكاية حكاها أبو محمد النساج ، وهو الذى ذكر مقدمات هذه الحكاية بتمامها ، حتى أوضح معناها وأزال الإنكار عنها ، وذلك أنه قال :

وقف رجل على الشبلى ، رحمه الله ، فسأله عن صورة جبريل عليه السلام فقال الشبلى ، رحمه الله : سمعت فى الرواية : أن لجبريل عليه السلام سبعمائة لغة وسبعمائة جناح : منها جناحان ، إذا نشر واحداً غطى به المشرق ، وإذا نشر الآخر غطى به المغرب ، فأيشَ تسأل عن ملكٍ تغيب الدنيا بين جناحيه رآه على صورته قد سد الأفق ؟ ثم قال الشبلى رحمه الله للرجل : نعم .

٢٠٢ وروى عن ابن عباس رضى الله عنه : أن صورة جبريل عليه السلام فى قائمة الكرسى : مَثَلُ الزَّرَدة فى الجوْشن ، والكرسى وجبريل والعرش ، كل ذا مع الملكوت الذى ظهر لأهل العلم مَثَلُ الرملة فى أرض فلاة .

ثم قال : أيها السائل ، هذه علوم أظهرَها ، فهل تحملها الأجساد ، أو تطيقها البنية ، أو يحويها المعقول ، أو تحدُّها الأبصار ، أو تخرق فى الأسماع ؟ يدل بها منه ، وعليه وإليه ، استأثر الحق بمُلك هوله غيب ، لا يسع سواه ، لو كُشف منه ذرةٌ ما وقف على الأرض دَيّار ، ولا حملت الأشجار ، ولا جرت البحار ، ولا أظلم ليل ولا أشرق نهار ، ولكنه حكيم عليم ، أنهم لا يطيقون هذا .

ثم قال : أيها السائل : إنك سألتنى عن جبريل عليه السلام وأحواله ، فأمر الله تعالى الأرض أن تبتلعنى إن كان فىَّ فضل ، منذ شهر ولا شهرين لذكر جبريل وميكائيل عليهما السلام ، فإذا كان كلاماً يحتاج أن يكون له مثل هذه المقدمات التى ذكرنا ؛ حتى يتبين معناه ، فيقصد المتعنّت إلى آخر الكلام منها ، وينقلها إلى من لا يفهم ذلك ، حتى يبسط لسانه بالوقيعة والطعن فى أولياء الله تعالى وأهل خاصته ، فيكون ذلك من أكبر الكبائر وأعظم الإثم .

وبالله التوفيق .

باب آخر

فى معنى أحوال كانوا ينكرون بها على الشبلى ، رحمه الله

قال الشيخ رحمه الله : ومما ينكرون على الشبلى ، رحمه الله ، أيضا : أنه كان ربما يلبس ثياباً مُثمنة ، ثم ينزعها و يضعها فوق النار .

وذكر عنه أنه أخذ قطعة عنبر فوضعها على النار ، فكان يبخر بها تحت ذنب حمار ، وأنه كان يقول : لو كانت الدنيا لقمة فى فم طفل لرحمنا ذلك الطفل .

وقال بعضهم : دخلت عليه ، فرأيت بين يديه اللوز والسكر وهو يحرقهما بالنار

وحكى عنه أيضاً أنه كان يقول : وددتُ أن لو كانت الدنيا لقمةً ، والآخرة لقمة ، أجعلَهما فى فى ، حتى أترك هذا الخلق بلا واسطة .

وحكى عنه أيضاً : أنه باع عقاراً بمال كثير ، فما قام من موضعه حتى نثرها وفرّقها على الناس ، وكان له عيال لم يدفع إليهم شيئاً من ذلك .

٢٠٣ فقالوا : هذا وأشباه هذا مخالفة للعلم ، وقد نهى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عن إضاعة المال ، ومَنْ إمامه فى الذى كان يدفع إلى الناس ولم يترك لعياله ؟

فيقال : إمامه أبو بكر الصديق ، رضى الله عنه ! إنه خرج من جميع ما كان يملك، فلما قال الرسول ، صلى الله عليه وسلم : ما خلفت لعيالك ؟ قال : الله ورسوله ، فلم ٢٠٤ ينكر عليه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ذلك .

و إضاعة المال أن يُنفقها فى معصية الله تعالى ، فلو أنفق رجل دانقاً فى معصية يكون ذلك من إضاعة المال ، ولو أنفق مائة ألف درهم فى غير المعصية لم يكن ذلك من إضاعة المال .

وأما الذى كان يحرقه بالنار فلأنه كان يشغل بقلبه عن الله تعالى .

وقد ذكر الله تعالى فى قصة سليمان بن داود ، عليه السلام ، فقال : « وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ * فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ * رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ[1] » ، يقال : إنه كان له ثلاثمائة فرس عربيات لم يكن لأحد من الملوك مثلها قبله ولا بعده ، فكان يُعْرَضُ عليه ذلك ، فاشتغل قلبه لذلك ، حتى فاتته صلاة العصر عن وقتها ، فعند ذلك قال : « رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ[2] » ، فعرقب الجميع وضرب أعناقهم ، فشكر الله له ذلك ، وردّ له الشمس إلى موضعها الذى تكون فيه وقت العصر ، حتى صلاها كما جاء فى الخبر[3] .

٢٠٥ وقد روى أيضاً عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فى هذا المعنى : أنه لما فاتته صلاة العصر يوم الخندق ، وجد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لذلك وَجْداً شديداً ، حتى قال : « شغلونا عن الصلاة الوسطى : صلاة العصر ، ملأ الله قلوبهم و بيوتهم ناراً » ، وكانوا قد آذوه قبل ذلك أذى كثيراً ، وضربوه ، وطردوه ، وشتموه ، وطرحوا عليه الكرش والدم ، ولم يدع ، صلى الله عليه وسلم ، ولم يزد على أن قال « اللهم اغفر لقومى فإنهم لايعلمون » فلما اشتغل قلبه بما فاته من الصلاة عن وقتها ، دعا عليهم من شدة وَجْدِه بذلك .

وهذا أتم فى معناه مما فعل سليمان عليه السلام .

فإن سأل سائل فقال : أيْشَ المعنى فى رد الشمس لسليمان إلى موضعها ولم تُرَدَّ للنبى صلى الله عليه وسلم ؟

---

(١) ص : ٣٠ — ٣٣

(٢) المطلوب شرعا نفع الناس به لا هذا الإهلاك بدون فائدة ، وتلك حكاية لاتنهض دليلا .

فيقال : لأن النبي صلى الله عليه وسلم ، بعث بالحنيفية السمحة ، فسومح له بذلك ، لأن فرضاً منعه عن الفرض ، لأن حفر الخندق كان من أمر الجهاد فى سبيل الله ، فلما حبسه فرض الجهاد عن فرض الصلاة سومح له بذلك ، وسليمان عليه السلام لم يحبسه عن فرض الصلاة فرض ولا تطوع ، فمن أجل ذلك لم يسامح له ، وإكرام نبينا ، صلى الله عليه وسلم بالمساحة له أتم من رد الشمس لسليمان عليه السلام ، ولو سامحه لم تُرَدُّ عليه الشمس .

و بعد فإن عند أهل الحقائق أن كل شيء شغلهم عن الله تعالى ، من الدنيا والآخرة ، فذاك عدوهم ، يطلبون الخلاص منه بجميع مايمكنهم ، ولا ينبغى أن يكون فيهم فضل لسواه ، فهذا على هذا المعنى . وبالله التوفيق .

والذى قال : وددت أن الدنيا لقمة أجعلها فى فم يهودى فذاك من هوانها عنده وقد روى فى هوان الدنيا عن النبى ، صلى الله عليه وسلم أكثر من ذلك .

٢٠٦ وروى عنه ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « الدنيا ملعونة ملعون مافيها » .

٢٠٧ وروى عنه ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « لو أن الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ماسقى كافراً منها شربة من ماء . الحديث » .

باب آخر فى شرح كلام تكلم به الشبلى رحمه الله
وهو مما يشكل فهمه على قلوب العلماء والفقهاء ، وألفاظ جرت بينه وبين الجنيد رحمه الله

قال الشيخ ، رحمه الله : حكى عن الشبلى ، رحمه الله أنه قال ، يوماً لأصحابه : ياقوم أمرُّ إلى مالا وراء فلا أرى إلا وراء وأمر يميناً وشمالا إلى مالا وراء ، فلا أرى إلا وراء ، ثم أرجع فأرى هذا كله فى شعرة من خنصرى .

قال : فأشكل على جماعة من أصحابه ، إشارته فيما قال .

قال الشيخ أبونصر : إشارته فيما قال ، والله أعلم ، إلى الكون ، لأن الكرسى والعرش محدث . . . ، وليس فى الدنيا وراءه وراء ، ولا تحته تحت لا نهاية له ، ولايقدر أحد من الخلق أن يحده أو يصفه إلا بما وصفه الله تعالى به ، ولايحيط بذلك علم الخلق ، قد انفرد بعلم ذلك خالقه وصانعه .

ثم قال : أرجع فأرى هذا كله من شعرة من خنصرى ، يريد بذلك : أن قدرة القادر فى خلق هذا كله وفى خلق شعرة من خنصرى واحد .

ويحتمل وجهاً آخر وهو أن يقول : إن الكون وجميع ماخلق ، وإن كانت مسافته بعيدة ، وطوله وعرضه عظيا ، فى كبرياء خالقه وعظمة صانعه كشعرة من خنصرى بل أقل من ذلك .

وحكى عنه أنه قال : إن قلت كذا فالله ، وإن قلت كذا فالله ، وإنما أتمنى منه ذرة كأنه يشير إلى قوله : « وَهُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا[1] » وأنه حاضر لا يغيب ، وهو بكل مكان لا يسعه مكان ، ولا يخلو منه مكان .

---

(١) المجادلة : ٧

وقوله : إنما أعنى منه ذرة ، يعنى الخلق محجوبون عنه بأسمائه وصفاته ، وما أعطاهم منه غير اسمه وذكره ؛ لأنهم لا يطيقون أكثر من ذلك .

وفى ذلك كان ينشد الشبلى رحمه الله ويقول :

فقلت : أليس قد قضوا كتابى   فقال : نعم ، فقلت فذاك حسبى

وله أيضاً :

أليس من السعادة أن دارى   مجاورة لدارك فى البلاد ؟

وأنشد :

أظلت علينا منك يوماً غمامة
أضاءت لنا برقاً وأبطى رِشَاشُهَا
فلا غيمها يجلو فيأيس طامع
ولا غيثها يأتى فَيَرْوَى عِطَاشُهَا

وقال الشبلى رحمه الله : كتبْتُ الحديث والفقه ثلاثين سنة حتى أسفر الصبح ، فجئت إلى كل من كتبت عنه فقلت : أريد فقه الله تعالى ، فما كلمنى أحد .

ومعنى قوله : حتى أسفر الصبح ، يعنى به حتى بدت أنوار الحقيقة ومنازلة مادعت إليه حقيقة الفقه والعلم والمعرفة .

ومعنى قوله : هات فقه الله تعالى ، يعنى التفقه فى علم الأحوال الذى بين العبد والله تعالى ، فى كل لحظة وطرفة عين .

قال : وقال الشبلى للجنيد رحمه الله : ياأباالقاسم ماتقول فيمن كان الله حسبه قولا وحقيقة ؟ فقال له الجنيد ، رحمه الله : يا أبابكر ، بينك وبين أكابر الناس فى سؤالك هذا عشرة آلاف مقام ، أوله مَحْوُ مابدأتَ به .

والمعنى فى ذلك : أن الجنيد رحمه الله ، كان متشرفاً على حاله بفضل علمه وتمكينه فأوراه موضع مايخشى عليه من الدعوى فيما يقول ؛ لأن من كان الله حسبه قولا وحقيقة يستغنى عن السؤال ، فسؤاله للجنيد ، رحمه الله ، عن ذلك ينبىء عن أنه مقارب لما هناك .

وهكذا سمعت ابن علوان يقول : كان الجنيد ، رحمه الله ، يقول : قد أوقف الشبلى ، رحمه الله ، فى مكانه ، فما بعد ، ولو بعد لجاء منه إمام .

وقال أبو عمرو : ربما كان يجىء الشبلى ، رحمه الله ، إلى الجنيد ، رحمه الله ، فيسأله مسألة ، فلا يجيبه ، و يقول : ياأبا بكر ، هو ذا أشفق عليك وعلى ثباتك ؛ لأن هذا الاضطراب ، والانزعاج ، والحدة ، والطيش ، والشطح : ليست هى من من أحوال المتمكنين ، وهى منسوبة إلى أحوال أهل البدايات والإرادات .

وكذلك حكى عن الشبلى ، رحمه الله ، أنه قال : قال الجنيد يوماً : ياأبابكر أيشَ تقول ؟

فقلت : أنا أقول، الله

فقال : مُرّ ، سلمك الله

يعنى بذلك : إنك فى خطر عظيم ، فإن لم يسلمك الله فى قولك : الله ، من الالتفات إلى شىء سوى الله ، فيا أسوأ حالك !!

وكان الشبلى ، رحمه الله ، يقول : ألف عام ماضية فى ألف عام واردة ، هو ذا الوقت ، ولاتغرنكم الأشباح .

وكان يقول : أنتم أوقاتكم مقطوعة ، ووقتى ليس له طرفان !!!

وربما كان يشطح و يقول : أنا الوقت ، ووقتى عزيز ، وليس فى الوقت غيرى ، وأنا محق .

وكان ينشد هذين البيتين :

مَكِينٌ فى مُعامِلِهِ مَكِينُ ... أمينُ الحقِّ آمَنَهُ أمينُ
تَعازَزَ عِزُّهُ فاعْتَزَّ عِزًّا ... فَقَدْ فاتَ اليقينُ مِنَ اليقينِ

وربما كان يقول : نظرتُ فى كلّ عزّ فزاد عزّى عليهم ، ورأيت عزهم ذلك فى عزّى ، ثم كان يتلو فى إثره : « مَنْ كانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً »(1) ثم يقول :

مَنِ اعْتَزَّ بِذِى العِزِّ ... فَذُو العِزِّ لَهُ عِزُّ

قال الشيخ ، رحمه الله : أما قوله : الوقت ، فإنه يشير إلى النفَسِ الذى بين النَّفَسَيْنِ ، والخاطر الذى بين الخاطرين ، إذ كان بالله ولله ، وهو الوقت ، وإذا فات نَفَسٌ ، ولو فى ألف سنة ، فقد فات ما لا يُلْحَقُ ولا يُدْرَكُ بالتأسُّف عليه .

يعنى : أن ألف عام ماضية ، وألف عام واردة ، وفيك الذى بين نفسيك ، يجب أن لا تفوتك ، والعزيز : من أعزه الله به ، فلا يلحقه أحدٌ فى عزه ؛ وكذلك الذليل : من شغله الله عنه بغيره ، لا يلحقه أحدٌ فى ذُلّه .

وقوله : لا تغرنكم الأشباح . فكل شىء سوى الله تعالى : أشباح ، إن سكَنْتَ إليه فقد غرّك .

وقوله : أنا مَحقٌ ، يعنى فى قولى : أنا الوقت ، أنا المحق ؛ لأن قوله : أنا لا يشير بذلك إلى إياه .

وقوله : وقتى ليس له طرفان ؛ لأن فى كل شىء مسامحة إلا فى الوقت ؛ فإن الاشتغال بغير الله ، والسكون إلى جميع ما خلق الله تعالى : فى الوقت ، ليس فيه مسامحة ولو فى نَفَسٍ فى ألف سنة .

وحُكى عن الشبلى : أنه قال ، أيضاً : اللهم إن كنت تعلم أن فىّ بقية لغيرك فأحرِقنى بنارك ، لا إله إلا أنت .

فهذا وما يُشبه ذلك : غلبات وجدٍ عبَّر عنه على حسب ما وجد فى وقته ، ولا يكون ذلك على الدوام ؛ لأن ذلك : حال ، فيه الحال نازلة ، تنزل بالعبد فى الحين ، ولا تلبث به على الدوام ، وذلك رِفقٌ من الله ، عز وجل ، بأوليائه وخاصته ، ولو دام ذلك ابطلوا عن الحدود والحقوق ، وتعطلوا عن الآداب والأخلاق ومعاشرة الخلق .

٢٠٨ ألا ترى أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سألوا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : « يا رسول الله ، إنا إذا كنا عندك وسمعْنا منك ترقُّ قلوبنا ، فإذا خرجْنا من عندك نرجع إلى الاشتغال بالأهل والولد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو بقيتم على الحال الذى تكونون عندى لصافحتكم الملائكة » كما جاء فى الحديث .

وذكر عن الشبلى ، رحمه الله : أنه كان يقول : لو خطر ببالى أن الجحيم بنيرانها وسعيرها تحرق منى شعرة لكنت مُشركا ، أو كما قال .

فكذلك نقول : نحن أيضاً : إن جهنم ليس إليها شىء من الإحراق ، لأنها مأمورة ، وإنما يوصل ألم الاحتراق إلى أهل النار بقدر ما قسم لهم (١) .

فأما ما حُكى عنه أيضاً أنه قال : أَيْشَ أعملُ بلَظَى وسَقَرَ ؟ عندى : أن لَظَى وسَقَرَ فيها تسكن ، يعنى فى القطيعة والإعراض ؛ لأن من عرفه الله بالقطيعة فهو أشدُّ عذاباً ممن عذبه بلظى وسقر .

وذكر عنه : أنه سمع قارئاً يقرأ هذه الآية « اخْسَأُوا فيها ولاَ تُكَلِّمُونِ » (٢) فقال الشبلى : ليتنى كنت واحداً منهم ، كأنه أشار إلى رد جوابه إليهم ، فقال : ليتنى كنت ممّن يُرَدُّ جوابى ، ولو فى النار ، من شدة وجله ؛ لأنه لايدرى ماسبق له منه بالسعادة والشقاوة والإعراض عنه أو بالإقبال عليه .

---

(١) هذا من أدق الأوصاف لجهنم وينبغى أن يفهم (٢) المؤمنون : ١٠٨

وذكر عنه ، أيضاً ، أنه قال في مجلسه : إن لله عباداً لو بزقوا على جهنم لأطفوها[1] ، فصعب ذلك على جماعة ممن كان يسمع ذلك .

٢٠٩ وقد رُوى عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال : تقول جهنم يوم القيامة المؤمن: جُزْ يا مؤمن ، فقد أطفأ نورُك لَهبي .

وفيما يحكى عن الشبلي ، رحمه الله : مثل هذا كثير لا يتهيأ ذكره لكراهة التطويل ، والعاقل يستدل بالقليل على الكثير .

وبالله التوفيق

(١) قوله : لأطفوها : أى . لأطفأوها

باب في ذكر أبي الحسين النوري ، رحمه الله
وماشهدوا عليه بالكفر عند الخليفة ، وغير ذلك

قال أبو نصر : وفيما بلغنى أن أبا الحسين أحمد بن محمد النورى ، رحمه الله ، كان فى أيام الموفّق ، وكان ينكر عليه غلام الخليل ، فرفع إلى الموفق ، وهو يومئذ ، أمير المؤمنين ، أن ببغداد رجلا من الزنادقة دمه حلال ، فإن قتله أمير المؤمنين ، فدمه فى عنقى ، قال فبعث الخليفة فى طلبه ، فحمل إليه ، فشهد عليه « غلام الخليل » : أنا سمعته يقول : أنا أعشق الله وهو يعشقنى ، فقال النورى ، رحمه الله : سمعت الله تعالى ذكره يقول : « يحبهم ويحبونه » ، وليس العشق بأكثر من المحبة ؛ غير أن العاشق ممنوع ، والمحب يتمتع بحبه . قال فبكى الموفق من رقة كلامه !

وشهدوا عليه أيضاً : أنه سمع أذان المؤذن فقال : طعنة وسم الموت ، وسمع نباح الكلاب فقال : لبيك وسعديك .

ـ فقيل له فى ذلك ، فقال : « أما المؤذن فأنا أغار عليه أن يذكر الله وهو غافل ، ويأخذ عليه الأجرة ، ولولا الأجرة ؛ القليل من حطام الدنيا ، التى يأخذها ، لما ذكر الله ؛ فلذلك قلت له : طعنة وسم الموت ! وقد قال الله جل ذكره : «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَـكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ [1] » فالكلب ، وكل شىء يذكرون الله بلا رياء ولا سمعة ، ولا طلب للعوض ؛ فلذلك « قلت ماقلت » .

قال : وحمل النورى مرة أخرى إلى الخليفة وشهدوا عليه بأنه قال : « كنت البارحة فى بيتى مع الله» فسئل عن ذلك ؟ فقال : صدق ! وأنا الساعة مع الله ، وإذا

(١) الإسراء : ٤٤

كنت في البيت فأنا مع الله ، وإذا كنت في بَرِّيَّة فأنا مع الله ومن كان في الدنيا مع الله فهو في الآخرة مع الله ! أليس يقول الله جل ذكره : « وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ[1] » .

قال : فغلفه الخليفة بيده وقال: تكلم بما شئت ! فتكلم النوري بكلام لم يسمعوا به قط ، فبكى الخليفة وبكوا جميعاً وقالوا : « هؤلاء أعرف بالله من غيرهم ! » .

وسمعت أبا عمرو بن علوان يقول: حمل إلى أبي الحسين النوري «ثلاثمائة دينار» ثمن عقار بيع له فقصد قنطرة الصراة ، وكان يرمي واحداً واحداً منها إلى الماء ويقول: « حبيبي تريد أن تخدعني منك بمثل هذا ؟!! » .

فقال بعض الناس : بئس مافعل ؟ لو أنفقها في سبيل الخير كان خيراً له . فقلت إن علم أن تلك الدنانير كانت تشغله عن الله طرفة عين لكان الواجب عليه أن يرميها في الماء بدفعة واحدة ؛ حتى يكون أسرع بخلاصه من فتنته كما أخبر الله جل ذكره عن سليمان عليه السلام حيث يقول: « فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ[2] » ، وقد ذكرت ذلك في موضعه .

قال أبو نصر : « وأبو الحسين النوري من الواجدين ، ومن أهل الإشارات اللطيفة ، وله كلام مشكل وأشعار كثيرة وكان يغرف من بحر كبير .

ذكر عنه أنه قال : قرب القرب ، في معنى ماأشرنا إليه نحن : « بعد البعد » هذا كلام معناه مفهوم عند أهله وهو قريب من قول القائل : « ذنوب المقربين حسنات الأبرار »[3] ، وقول القائل : « إخلاص المريدين رياء العارفين » .

ولأبي الحسين النوري أبيات كتبها إلى أبي سعيد الخراز :

---

(١) ص : ٣٣ (٢) ق : ١٦

(٣) والمحفوظ : حسنات الأبرار سيئات المقربين

لعمرى ما استودعت سرى وسره سواء[١] حذاراً أن تشيع السرائر
ولا لاحظته مقلتاى بنظرة ؛ فتشهد نجوانا العيون النواظر !
ولكن جعلت الوهم بينى و بينه رسولا : فأدى ماتكن الضمائر !

وفيه إشارات غريبة ومعان عجيبة يشير إلى سره الذى هو مخصوص به و ينطق عن وجده الذى لا يضيف ذلك إلى صفته ولا ينسبه إلى مكان ليس ذلك من نعته .

وللنورى مثل ذلك كثير ، وفيما ذكرنا كفاية ؛ و بالله التوفيق !

---

(١) من معانى السواء : الغير

باب فى ذكر أبى حمزة الصوفى ، رحمه الله

فأما أبو حمزة الصوفى : فكان من أجلة المشايخ ، وكان من أهل الإشارة والعبارة ، وله أيضاً كلام وألفاظ مشكلة ، سمعت أحمد بن على الوجيهى يقول : سمعت أبا على الروذبارى ، رحمه الله يقول : أطلق على أبى حمزة أنه حلولى ؛ وذلك أنه كان إذا سمع صوتا مثل هبوب الرياح ، وخرير الماء ، وصياح الطيور فكان يصيح و يقول : « لبيك ! » فرموه بالحلول ؛ لبعد فهمهم فى معنى إشارته . وذلك أن أرباب القلوب ، ومن كان قلبه حاضرا بين يدى الله ، و يكون دائم الذكر لله فيرى الأشياء كلها بالله ، ولله ، ومن الله ، و إلى الله فإذا سمع كلامه فكأن ذلك سمعه من الله ، ولا يكون ذلك الحال إلا لعبد مجموع على الله ! لا ينصرف منه جارحة إلى سوى الله ؛ فعند ذلك يقع له حقائق الفهم عن الله فى جميع ما يسمع وجميع ما يرى من الأشياء ! .

و بلغنى عن أبى حمزة أنه دخل دار حارث المحاسبى ، وكان لحارث دار حسن وثياب نظاف ، وفى داره شاه مرغ . فصاح الشاه مرغيا ، فشهق أبو حمزة شهقة وقال : « لبيك ياسيدى » قال : فغضب الحارث وعمد إلى سكين ، فقال : « إن لم تتب من هذا الذى أنت فيه أذبحك » . قال : فقال له أبو حمزة : أنت إذا لم تحسن أن تسمع هذا الذى أنت فيه فلم لا تأكل النخالة بالرماد ؟ أيش بينك و بين أكل الطيبات والتوسع فى الدار والثياب ، يريد بذلك : أن إنكارك علىّ يشبه أحوال المريدين والمبتدئين ، وتوسعت على نفسك و بسطك فى الدخول فى السعات ، يشبه حال الأنبياء والصديقين « الذين لا يضرهم الدخول فى السعات »

و بلغنى عن أبى حمزة رحمه الله أنه دخل عليه رجل من أهل خراسان ، فسأله عن مسألة فى الأمن ، فشطح أبو حمزة ، وقال : « أعرف رجلا لو كان على يمينه

مسورة[١] وعلى يساره سبع لم يبال على أيهما يتكىء ، وكأنه أشار إلى نفسه بذلك ، وزعم أن الأمن لايصح إلا لمن يكون بهذه الصفة .

قال : فقال له الخراسانى : هذا شطح هات العلم . ثم قال : خذها يابدبخت[٢] أعرف من لو كان بالمغرب وهو يريد المشرق لم يتغير سره فيما بين ذلك ، ثم خرج ، قال : قال أبو حمزة : فبقيت أربعين ليلة لا آكل ولا أنام ؛ حتى يتبين لى علم ماقال ذلك الرجل ، فكأنه أشار بأن الأمن لا يصح إلا لمن يكون حاله كذلك . فزاد فى المعنى على ماقال أبو حمزة ! فإن قال قائل : هذا دعوى من الجميع ، فيقال له : لم لايجوز أن تَعَلّ[٣] أقوال المتقدمين ، ويوجد لما يذكر عنهم وجه . وقد قال الله جل ذكره : «وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ»[٤] وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « إذا أنعم ٢١٠
الله على عبد نعمة ، أحب أن يرى أثرها عليه » وهذا من أعظم النعم — فيجوز أنهم قد تحدثوا بما أنعم الله عليهم . ومن قال غير ذلك فيحتاج إلى بيان ودليل .

(١) متكأ من جلد (٢) عظيم (٣) قوله : تعل : أى تعلل (٤) الضحى : ١١

باب ذكر جماعة المشايخ الذين رموهم بالكفر

ونصبو العداوة معهم ورفعوهم إلى السلطان قال أبو نصر : « فأما الذين نصبوا العداوة مع هؤلاء القوم ، واعتقدوا فيهم الباطل فعلى وجهين :

فمنهم قوم لم يفهموا معانى ما أشاروا إليه فى كلامهم من غامض العلم وجليل الخطب ، ولم يكن لهم زاجر من العقل ولا واعظ من الدين أن يستبحثوا عن المعانى التى أشكلت عليهم و يسألوا ذلك عن أهلها ، وقاسوا مايسمعون من ذلك بما علموا من العلوم المبثوثة بين عوام الناس حتى هلكوا ، فمنهم من رجع عن ذلك وتاب وأناب ، ومنهم من مات على ذلك فأمره إلى الله إن شاء عذبه و إن شاء عفا عنه .

ومنهم من علم مقاصدهم ومعانيهم فيما قالوا أو قد صحبهم برهة من الدهر فلم يصبر على حالهم ودعاه شيطانه وهواه إلى طلب الرياسة وجمع الدنيا وأكل أموال الناس بالباطل ، فجعل المعاداة والمناوأة معهم ، والطعن والوقيعة فيهم والسفاهة والإنكار عليهم ؛ سُلّماً إلى جمع الدنيا وسببا إلى قبول[1] قلوب الجهلة من العامة، فلايبالى بعد ماأسرته أهواؤه ، واستحوذته شياطينه : أن يسفك الدماء و يأكل الحرام ، و يركب المآثم ، و يشهد بالزور ، و يكذب على الله وعلى رسوله ، و يبسط بالوقيعة والطعن على على أوليائه وأصفيائه ؛ و ينسبهم إلى الكفر والزندقة والبدعة والضلالة ، و يهيج على سفك دمائهم : الفاغة[2] ، والجهلة من العامة . فكم من ولىّ لله قد قتلوا من هؤلاء وكم جمع فى طاعة الله ورضاه قد فرقوه !! وما خلق الله على وجه الأرض قوما شراً من هؤلاء .

ولو ذكرت قصص هؤلاء وما أعلم من اعتدائهم على هذه الطائفة قديما وحديثا يطول[3] ... ولكن نذكر من ذلك طرفا على الاختصار والإيجاز إن شاء الله .

(١) قبول : أى إقبال قلوب الجهال إليه

(٢) الفاغة : الغوغاء من الناس ، كما يستفاد من القاموس

(٣) الأولى أن يقال : لطال الكلام

فمنها ماوقع لذى النون المصرى ، رحمه الله ، حيث شهدوا عليه بالكفر والزندقة ورفعوه إلى السلطان حتى أشخص وشيل وأجاب عما سئل وردّوه إلى موضعه عزيزاً[1] مكرماً .

ذكر عن ابن الفرجى أنه قال : كنت مع ذى النون فى الزورق ، وإذا بزورق آخر فيه جماعة من الناس فقيل لذى النون : « هؤلاء هم ذا يمضون ليشهدوا عليك عند السلطان بالزندقة . فقال ذو النون : « اللهم إن كانوا كاذبين فخذهم ! » ، قال : ابن الفرجى : فما استتم كلامه حتى انقلب الزورق وغرق القوم ، قال : فقلت لذى النون : أحسب أن القوم فسقوا فى مشاهم فما ذنب الملاح ؟ . قال : لم حمل الفساق ؟ ثم قال : إذا قام هؤلاء يوم القيامة ، شهداء الغرق ، خير لهم من أن يقوموا شهداء الزور ! . قال : ثم انتفض انتفاضة ، وقال : « وعزتك وجلالك لا أدعو على خلقك أبدا » .

فصل آخر

وسمنون : كان يقال له : « سمنون المحب » ، وكان موصوفا بحسن الوجه وحسن الكلام فى المحبة وعذوبة المنطق . بلغنى أن امرأة مالت إليه وهويته . فلما علم سمنون بذلك طردها من مجلسه ، قال : فجاءت هذه المرأة إلى الجنيد ، رحمه الله ، فقالت : ماتقول فى رجل كان طريقى إلى الله ؟ فذهب الله وبقى الرجل ؟! .

فعلم الجنيد أيش مرادها، فلم يجبها وقال : « حسبنا الله ونعم الوكيل ! » ثم عرضت نفسها بالتزويج على سمنون فأبى ذلك عليها سمنون .

فعلمت أن غلام الخليل هو منكر على هؤلاء — وهو يعاديهم — فقصدت إليه وقالت . إن هؤلاء صوفية فلان وفلان وذكرتهم « يجتمعون معى كل ليلة على الحرام »

(١) الأولى : أن يقال : معززا ليناسب مابعده

فشهد عليهم غلام الخليل بذلك وقال : « هؤلاء زنادقة ودمهم فى عنقى » فبلغنى أن السلطان أمر بضرب أعناقهم ؛ حتى كشف الله عنهم ذلك ونجاهم وخلصهم ! .

وأما أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز ، أنكر عليه جماعة من العلماء ونسبوه إلى الكفر بألفاظ وجدوها فى كتاب صنفه وهو : كتاب السرّ ، فلم يفهموا معناه ؛ وهو قوله : « عبدٌ رجع إلى الله وتعلق بالله وسكن فى قرب الله وطابع ما أذن له من التعظيم لله ونسى نفسه وما سوى الله ! فلو قلت له : من أين أنت وأين تريد ؟ لم يكن له جواب غير قول « الله ! » .

وأشباه ذلك موجود فى كتبه وكلامه ، وقد شرحت ذلك فى بابه .

فصل آخر

وأما عمرو بن عثمان المكى : كان عنده حروف فيه شىء من العلوم الخاصة . فوقع فى يد بعض تلامذته فأخذ الكتاب وهرب فلما علم بذلك عمرو بن عثمان قال : سوف يقطع يديه ورجليه ويضرب رقبته يقال : إن الغلام الذى سرق منه ذلك الكتاب ، كان « الحسين بن منصور الحلاج » وقد هلك فى ذلك وفعل به ماقال عمرو بن عثمان

فصل آخر

وأما سهل بن عبد الله مع علمه وشدة اجتهاده فقال : « التوبة فريضة على العبد مع كل نفس » ، وكان فى ناحية رجل ممن ينسب إلى العلم والعبادة فيهيج عليه العامة وكفره ونسبه إلى القبائح عند العامة حتى وثبوا عليه ؛ وكان ذلك سبب خروجه عن تُسْتَر وانتقاله إلى البصرة رحمه الله .

فصل آخر

وكذلك أبو « عبد الله الحسين بن مكى الصبيحى » تكلم فى شىء من علم الأسماء والصفات وعلم الحروف ، فكفره « أبو عبد الله الزبيرى » وهيج عليه العامة فقال : إن سهل بن عبد الله قال له : نحن فتحنا للناس جراب الحلتيت فلم يصبروا علينا ! فلِمَ كلمهم أنت مما لايعرفون ؟ فكان ذلك سبب خروجه من « البصرة » ومات بمدينة « شوشتر » وبها قبره .

بلغنى عن أبى عبد الله الصبيحى : أنه لم يخرج ثلاثين سنة من بيت من تحت الأرض من كثرة اجتهاده وتعبده ، وكان إذا تكلم بعلوم المعارف يدهش العالم ؛ فحسدوه على ذلك ! !

فصل آخر

وأما « أبو العباس أحمد بن عطاء » مع جلالته وسعة معرفته وكثرة علمه وحسن ألفاظه رفع إلى السلطان ونسب إلى الكفر والزندقة فدعاه الوزير وهو « على بن عيسى » فزبره وجفا عليه فى الكلام .

فقال له ابن عطاء : ارفق يارجل ، فغضب عليه كما بلغنى . فأمر حتى نزعوا خفه وصفعوه به ؛ وكان ذلك سبب موته !.

فصل آخر

وكذلك الجنيد مع كثرة علمه وتبحره وفهمه ومواظبته على الأوراد والعبادات وفضله على أهل زمانه : بالفهم ، والعلم ، والدين ؛ حتى يقال له : « طاوس العلماء » فكم من مرة قد طلب وأخذ وشهدوا عليه بالكفر والزندقة

وذكر ذلك يطول ! وإنما أردنا أن نذكر ذلك حتى لا يتعجب من أهل عصرنا من يبسط لسانه بالوقيعة فى هذه العصابة فإن الشيء قديم : فأول من امتحن بذلك « عامر بن عبد قيس » من التابعين ، رفع إلى « عثمان بن عفان » أنه يقول : « إنه خير من إبراهيم » ، « وأنه يحرم ما أحلّ الله » حتى كتب « عثمان بن عفان » رضى الله عنه ، إلى « معاوية بن أبى سفيان » فى ذلك ، وأشخص « عامر بن قيس » إلى « معاوية » على ظهر قتب . فلما سُئِل عن حاله ؟ وَعَرف محله ومكانه أكرمه ورده إلى موضعه ، وكذلك مَنْ بعده فى كل وقت . مقصودون : بالأذى ، والطعن والوقيعة ، والإنكار ، والشنعة ، والسفاهة ؛ فليس هذا إلا كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « نحن معاشر الأنبياء أشد الناس بلاء ، ثم الأمثل فالأمثل ٢١١ ويُبتَلَى الرجل على حسب دينه ؛ فإن كان فى دينه صلابة فيكون بلاؤه أشد » أو كما قال ، والله أعلم .

فمن امتحن بشيء من ذلك فعليه بالصبر ؛ فإن الله مع الصابرين « والصبر مفتاح الفرج » وأنشد لعلى ابن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه فى الصبر :

ما أحسن الصبر فى مواطنه ! والصبر فى كل موطن حسن
حسبك من حسنه عواقبه ؛ عاقبة الصبر مالها ثمن !

باب فى ذكر « أبى بكر على بن الحسن بن يازدانيار »

سمعت « أبا سعيد بن عبد الوهاب » يقول : كنت ببغداد وقت الذى ورد ابن يازدانيار فهجره المشايخ من أجل أنه رماهم بالكفر والإنكار عليهم ، فأنكروا ذلك : فقال : « لم أقل شيئا من ذلك » حتى مشى الناس فيما بينهم ووقع بينهم الصلح .

قال أبو نصر : وكان « أبو بكر بن يازدانيار » ممن قد صحب المشايخ وسافر معهم وتكلم وأجاب عن المسائل الكبيرة فى علوم المعارف والأحوال والمقامات ، فمضى على ذلك برهة من الدهر ، فلما رجع إلى ناحيته وأسرته أهواؤه ومال إلى الرياسة وإلى جمع الناس عليه وانصراف الوجوه إليه واستحلى جمع الناس والسياسة ؛ فبسط لسانه فى مشايخه بالوقيعة ونسبهم إلى البدعة والضلالة وإلى الغلط والجهالة ونصب معهم العداوة والمنارأة : من التمرد ، والمباهاة فحل به البلاء ، ونزع منه الحيـــاء « وصار من المطرودين » وقد كان قبل ذلك من المعدودين فبعد المعرفة أنكرهم ، ومن بعد المواصلة هجرهم ، فضيع الأمانة ، وحالف الخيانة ، وترك الحجة ، وركب اللجة . فما ترك فى كنانته سهما إلا رماهم به ، ولا اهتدى إلى مكروه إلا قصدهم به ، حتى كتب إلى البلاد : يحذر منهم العباد ، وينسبهم إلى الكفر والبدع . كل ذلك لطلب الرياسة واتخاذ الجاه عند العامة . فلم يكتسب من جميع ذلك إلا فرحة قليلة أعقبها ترحة طويلة وبقى عليه التبعة والعار والشنار والنار والندامة والملامة إلى يوم القيامة .

وهؤلاء المشايخ السادة والأئمة القادة قد زاد الله بذلك فى مناقبهم ورفع فى مراتبهم ولم ينقصوا لمطعن الطاعنين وتعنت المتعنتين عند العقلاء والأدباء وعند

الفقهاء من العلماء ، بل زادوا بذلك عندهم محاسن وفضائل « فرفع الله بذلك أقدارهم وأخطارهم إلى الأبد » بلا زوال ولا أمد !

وهؤلاء المتعنتون مأثومون مذمومون خاسرون خاسئون موسومون بذلك إلى يوم الدين . لَقَدْ ضَلُّوا ضَلاَلاً بَعِيداً وَخَسِرُوا خُسْرَاناً مُبِيناً — أعاذنا الله وإياكم من مثل ذلك .

وفي مثل ذلك يقول علي عبد الرحيم القناد [رحمه الله] يصف « ابن يزدانيار » ويذكر المشايخ الذين طعن عليهم ويقول : —

تكلفت أمراً ضل عنك احتماله فكيف تسامى والمعاناة ماله ؟
سموت بأحوال البطالة شامخاً تزل بمن كنه البطالة حاله !
فمنهم جنيد [قدس الله] روحه وأضحى نسيم القدس وهو ظلاله !
فكيف منالا لست تعرف عينه ؟ فمالك أرض والجنيد هلاله !
وطعنك في النوري أعجب ما بدا لنا منك يا من يزدريه مقاله
تبغضت أشياخ التصوف عائباً فإنك لا . . . . . . رجاله
فكيف طمعت الآن في عيب مثلهم ؟
فأنت شنار الجيش وهو جماله ؟
وسمنون والمصري ذو النون بعده فراميهما بالنقص . ضل ضلاله
إذا جعفر الخلدي لم ترع حقه فكيف يُرَجَّى خير مَنْ ذي فعاله ؟
وكيف يرجى خير مَنْ سب سيدا أشاد لنا ذكراً بطيئا زواله !
فإن لسان الحق يبديه معشر إذا نطقوا عنه تجلى جلاله
أسرهم سراً فلا السر ظاهر على مستقر السر يخفى مجاله

قد استشعروا كتم السرائر وامتطوا لموعده جحراً فسات ابتذاله
إذا نطقوا أعجزك مرمى رموزهم وإن صمتوا هيهات منك اتصاله
بيانا لكشف اللبس من كل ماكر إذا طاح فى الدعوى وطاح انتحاله

وبلغنى أن ابن يزدانيار وقف على الشبلى فقال : « يا أبا بكر ، أريد أن أسألك مسأله ، وقد قصدتك لهذا » ؟

فقال الشبلى : لو كان بيننا وصلة ما أردت أن نتمنّى ، ولكننا اثنان غيران . قال : فلما بلغ الشبلى ما قد أعدّ من الطعن والإنكار عليهم والإطباق على المشايخ المتقدمين ، فكان يسمّيه ثور الأرمنى ، وكان إذا جاء من ناحيته إنسان يقول : أيش خبر ذاك ثور الأرمنى » .

وسمعت الوجيهى يقول : سمعت أبا على الروذبارى يقول : رأيت ابن يزدانيار ببغداد فسألته مسأله فى العلم فأحسن الجواب .

ثم سألته مسألة فى اليقين فتعسف فيها ولم يحسن جوابه . فقلت له : رد الجواب ؟ — رحمك الله — فقال : « لا أجيبك حتى تقضى دينك » وكان يعلم أن أبا على ربما يستدين .

قال أبو على : فقلت لأصحابنا : يا أصحابنا ، لا تظنوا أن هذا فراسة ؛ لأن هذا عادة .

قال : فخجل من الجماعة وانقطع .

وسمعت الحسين بن عبد الله الفارسى يقول : سمعت أبا بكر الفارسى يقول : دخلت على ابن يزدانيار فحضرت مجلسه ، فلما فرغ نادانى فقال : ما تقول فى هؤلاء العراقيين ؟ [يعنى الجنيد والنورى والشبلى] قال : فقلت أرباب التوحيد . قال : فغضب من كلامى ، وقام ، وقال لى بعض من كان يسمع كلامنا : يا رجل ،

اتق الله . قم واخرج من هاهنا ومن هـذا البلد أيضاً ، ولا تقم الليلة .. فإنك إن أقمت الليلة ها هنا نالك مكروه ، و يكون دمك فى عنقك وهذه أمانة بينى و بينك قال : فقمت وخرجت » . أو كما قال

وإنما ذكرت هذه الحكاية ؛ حتى يعلم الناظر فى هذا الكتاب أن هؤلاء الذين يطعنون على هـذه العصابة لا يكون منهم أحد يرجع الى دين وأمانة ، وكلهم يكونون مستحلين منسلخين من الدين . أعاذنا الله وإياكم من ذلك .

باب فى ذكر محمد بن موسى الفرغانى
وبيان ما ذكر عنه من الكلام الذى ظاهره مستشنع
وباطنه صحيح مستقيم

قد نظرت فى كلام الواسطى أكثره فوجدت كلاما فصيحا وأصولا صحيحة ؛ إلا أن عامة ما تكلم به استقاه من منابع العراقيين ، ووجدت كثيرا من كلامه مدونا فى دواوين العراقيين، وفى كلامه مدخل المتعنت[1] بالطعن والإنكار ؛ غير أنى وجدت مغزاه ومقصده مقصدا صحيحا ، ومراميه مرامى موجودة فى الأصول ونادرا فى الفصول ، مثل ما ذكرنا لغيره من المشايخ المتقدمين .

وبلغنى أنه سكن مَرْوَ ، وذكر أنه لم يجد بخراسان قوما أوسع فهما منهم لإدراك علمه والاستنباط لمعانى ألفاظه وفضوله ، وإشاراته تكثر إن ذكرنا ذلك ؛ غير أن الحكم من العلم يدل قليله على كثيره ، ويستنبط جليله من يسيره وبالله التوفيق .

ذكر عن محمد بن موسى المعروف بالواسطى أنه قال : « من ذكر افترى ، ومن صبر اجترى ، ومن شكر انبرى » .

وقد حكى هذا الكلام بعينه لابن عطاء ، إلا أن المشهور المستفاض المدون فى الكتب للواسطى .

وهذا الكلام ظاهره مستشنع ، ولأهل التعنت فيه مقال ، إلا أن إشارته فيما نطق به صحيحة .

أما قوله : « من ذكر افترى » يحتمل وجوها :

وجه منها : يحتمل أنه أراد بذلك : أن من ظن أنه قد ذكر الله باستحقاق ذكره فقد افترى ، وإن كان ذاكراً لله .

(١) الأولى : للمتعنت

والوجه الثاني : يحتمل أن يقول : من ذكر الله بلسانه ولم يذكره بقلبه فكأنه قد افترى ؛ لأن الافتراء : هو الكذب ، والكذب : هو النفاق ، وهو أن تقول بلسانك بخلاف ما يكون في قلبك ، فإذا قلت : الله أكبر فقد ذكرت الله بلسانك ، فإن كان في قلبك شيء أكبر وأعظم من الله ، فكان ذكرك لله افتراء على الله ، فهذا معناه والله أعلم .

والوجه الثالث : يحتمل أنه أراد بذلك : أن من ظن أنه قد ذكر الله ، وهو ذاكر لله بالحقيقة ، فقد افترى ؛ حتى يعلم أن ذكر الله له قبل ذكره لله ، قال الله تعالى : « وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ »(١).

قال أهل الفهم : ذكر الله لكم في الأزل بالإيمان به والمعرفة ، والذكر له أكبر من ذكركم .

وقوله : « من صبر اجترى » يحتمل أيضا وجوها :

الوجه الأول : أن طوارق محنة و بلواه لا يطيق ذلك أحد من خلقه ؛ فمن صبر في بلواه واحتمل ذلك ، فإنما يحمل بما حمل فيه ، قال الله عز وجل : « وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ »(٢) ، فمن صبر فليس له نسبة في صبره ، ومن ظن أنه صبر أو يقدر أن يصبر على ذرة من طوارق محنة فقد اجترى ، والاجتراء : الجسارة .

والوجه الثاني : أن الصبر على طوارق البلوى : داع يدعو صاحبه إلى الجسارة والدعوى ، وإلى استدعاء المحن والبلوى ، والعجز والجزع عن عمل المكاره : حادٍ يحدو صاحبه إلى الفاقة والالجأ ، وتوفيقه بين الخوف والرجاء .

كما قال يحيى بن معاذ الرازي : ذنب أتذلل به بين يديه أحب إليّ من طاعة أدل بها عليه .

---

(١) العنكبوت ٤٥ (٢) النحل : ١٢٧

فهذا معنى قوله « من صبر اجترى » ومن قوله « ومن شكر انبرى » ؛ لأن الشكر جزاء النعمة .

ومن خطر بباله أنه شكر لأقل نعمة من نعمه ، ولو بذل فى ذلك مهجته ، وتلف بذلك روحه : فقد انبرى ، يعنى قد انفصل من درجة المتوجهين .

ووجه آخر ، وهو : أن كل عمل ينقطع وله غاية ونهاية إلا الشكر ؛ لأن الشكر أيضا نعمة يجب عليها الشكر .

٢١٢ وفى الخبر : أن موسى عليه السلام قال : يا رب كيف أشكرك ، وشكرى لك نعمة منك علىّ ! يجب علىّ فيها الشكر ؟ قال : فأوحى الله إليه : يا موسى ، الآن قد شكرتنى — فكأنه يريد بقوله « انبرى » يعنى : انفصل عن جميع الأشغال بالشكر ؛ لأن الشكر نعمة ، والشكر على الشكر أيضا نعمة ، فلا ينقطع ذلك أبدا !!!

وهذا الذى ذكرت جوابا و بيانا : على معنى التفصيل . وأما جوابه على الجملة : فإن جميع ما أضيف إلى العبد : من حركاته ، وخطراته ، وأفعاله ، وأحواله فليس فاعله ـ فى الحقيقة ـ غير الله ، فمن لم ينظر إلى قيام الله له ، حتى يذهب عن مشاهدة قيامه بقيام الحق له فى جميع حركاته وخطراته . فإن ذكر فقد افترى ، وإن صبر فقد اجترى ، وإن شكر فقد انبرى ، وبالله التوفيق .

وإنما حملنى على الزيادة فى الشرح ، حتى يعلم القاص والمستبحث عن هذا العلم أن تحت كل كلة من كلام هؤلاء الحكماء كنوزا لا يظفر بها إلا بصدق الطلب ودوام النصب والكد والتعب ، ولا ينبغى لأحد أن يقيس ما يسمع من هذا العلم برأيه ويزين ذلك بعبارة ؛ فإنه يتيه ويزل، ويهلك ويضل : « وَأَنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الخَائِنِينَ »(١) .

---

(١) يوسف : ٥٢

ومما وجدوا فى مجموع كلام « الواسطى » وأضافوا إليه كلاما قد هلك به خلق من الناس ؛ لأنهم لم يفهموا معناه ولم يعرفوا ما قصد به فى مقاله ، وهو الذى ذكر عنه وعن غيره من العراقيين ، والله أعلم : أنه قال :

إياك أن تلاحظ حبيبا أو كليما أو خليلا وأنت تجد إلى ملاحظة الحق سبيلا » فقيل له : أفلا أصلى عليهم ؟ فقال : صلِّ عليهم بالأوتار ولا تجعل لها فى قلبك مقداراً وكل من قلل هذا الفضل فقد أخطأ ، ولا معنى لوصفه فى الكتب وإفشائه وبثه بين الناس ؛ لأن هذا كلام هلك به طائفتان من الناس : فطائفة ظنت بأن قصد القائل فيما قال : هذا أراد بذلك وَهْناً ونقصا فى اعتقاد القلب فى معنى تعظيم الأنبياء عليهم السلام وحرمتهم وما خصهم الله به من الشرف والفضيلة إذ يقول سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم : « والذى نفس محمد بيده لا يبلغ أحدكم حقيقة الإيمان ٢١٣ أكون أحب إليه من نفسه وما له » وفى خبر آخر « لا يؤمن عبد » أو كما قال .

وطائفة جهلت معناها وما فهمت فبسطت لسانها على الجمهور بأنهم لم يعطوا الأنبياء عليهم السلام ، حقهم من التعظيم والتفضيل ، الذى خصهم الله بذلك .

وبلغنى أن بناحية الجبل خلقا من العامة افتتنوا بذلك حتى يقولون : إن هؤلاء محمديون وهؤلاء ليس محمديين ، وذلك أن رجلا ممن كان يقص على الناس طمعا فى كثرة حطام الدنيا ممن قد أشهر نفسه بعداوة الصوفية كان يقال له : « أبو سعيد البسطامى » وقع إليهم فقال لهم فى قصصه الذى كان يقص عليهم : إن الصوفية لا يقولون : « محمد » صلى الله عليه وسلم ، وذكر لهم هذا الكلام الذى ذكرت من كلام « الواسطى » وغير ذلك حتى هجّمهم[1] بذلك على صوفية نواحيهم ومتنسكيها وصالحيها ، وظن من سمع منه ذلك من العامة أنه يريد بذلك نصحهم وكان قصده فى ذلك العداوة والبغضاء والتنفير من الصوفية ؛ لأنهم كانوا قد طردوه من بلاد كثيرة احتسابا منهم من كثرة ما كان يكذب على الله ،

(١) هجمهم : أى هيجهم وحرضهم

عز وجل ، وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، وكثرة استحلاله ، وقلة مبالاته . وكان يستر قبائحه وفضائحه بالتساتر وكثرة الروايات والحكايات ، ودقة البيان ، وفصاحة اللسان ، وادعائه مذهب أهل الحديث ، ومحبة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢١٤ وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أخوف ما أخاف عليكم منافق عليم اللسان »

وقد ذكرت بعض ما وقع بهذه العصابة من المعاندين والمتعنتين من وقت التابعين إلى يومنا هذا من أمثال هؤلاء فلا يضرهم ذلك .

« وَأَنَّ اللهَ لاَ يَهْدِى كَيْدَ الْخَائِنِينَ »(١) ، وهو يتولى الصالحين ولا يضيع أجر المحسنين .

---

(١) يوسف : ٥٢

باب في بيان ما قال الواسطى

أما قول القائل : إياك أن تلاحظ حبيبا ، أو كليما ، أو خليلا ، وأنت تجد إلى ملاحظة الحق سبيلا ، كأنه يشير بذلك إلى التفريد وتجريد التوحيد ، وأن تعطى الواحدانية حقها بترك المساكنة إلى ماسواه؛ لأن الخلق كلهم — وإن كانوا فى درجاتهم متفاوتين ، وفى دينهم متفاضلين — فإن الله قدساوى بينهم فى أشياء كثيرة ، وذلك أن الجميع مخلوقون ، مقدورون ، مأمورون ، ممنوعون ، محتاجون ، محكومون ، عاجزون ، فاترون ، مبتلون ، مقهورون ، بما أرادهم الحق كيف شاء ، وأنى شاء ، وحيث شاء ! ليس لأحدهم عنده يد ، وليس لأحدهم نفس منهم بهم وإليهم .

ألا ترى أن سيد الأنبياء ، وإمام الأصفياء ، وحبيبه المرتضى ، ورسوله المصطفى ، يقول له ، جل ذكره : « قُلْ لاَ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعاً وَلَا ضَرًّا »[1] . ويقول : « إنَّكَ لا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ، وَلَـكِنَّ اللهَ يَهْدِى مَنْ يَشَاء »[2] . ثم قال : « وَمَا مُحَمَّدٌ إلا رسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ؟ وَمَنْ يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِى اللهُ الشَّاكِرِينَ »[3] . وقال : « وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِى أَوْحَيْنَا إلَيْكَ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلا »[4] .

وأشباه ذلك كثيرة ، لأن الله عز وجل ، لم يكن له شريك فى الملك ، وخلق كل شىء فقدره تقديرا ! .

---

(١) الأعراف : ١٨٨
(٢) القصص : ٥٦
(٣) آل عمران : ١٤٤
(٤) الإسراء : ٨٦

ثم وصف الله الأصنام ، فقال : « واتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلاَ يَمْلِكُونَ لأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعاً ولَا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلَا حَيَوٰةً وَلا نُشُوراً »[1] وقال: « أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لاَ يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ ، أَفَلاَ تَعْقِلونَ ؟! »[2] .

والأنبياء، عليهم السلام ، وغير الأنبياء : كلهم فى مراتبهم ومواقفهم ومقاماتهم التى جعلت لهم ووصفوا بها .

فمن لاحظ الخلق فيرى تخصيصهم وتفضيلهم وتشريفهم . ومن لاحظ سطوات عظمة الوحدانية ، وبوادى سلطان الربوبية ، وقدم الأحدية والفردانية ، بغيبوبته عن الخلق ، وغيبوبة الخلق عنه ، فأين هو والخلق ، وكيف يجد السبيل إلى ملاحظة الخلق ؟

ذلك معنى قوله : إياك أن تلاحظ حبيبا ، أو كليما ، أو خليلا إن وجدت إلى ملاحظة الحق سبيلا ، يعنى المشاهدة ، والمحاضرة ، والرؤية أتم من الملاحظة .

٢١٥ وقال النبى ، صلى الله عليه وسلم : « اعبد الله كأنك تراه » .

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : « رأته القلوب بحقائق الإيمان » .

٢١٦ وقد روى عن النبى ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « ليس منا أحد ينجيه عمله . فقيل له : ولا أنت يارسول الله ؟ فقال : ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمة منه ! . »

وقد قال ذلك ، لأنه لم يلاحظ نفسه عند ملاحظة الحق ، وقال فى وقت آخر :

٢١٧ « أنا أول من تنشق عنه الأرض والأنبياء تحت لوائى . والجنة حرام على كل أحد حتى أدخلها » ؛ لأنه لاحظ نعم الله عليه ومننه لديه .

---

(١) الفرقان : ٣ (٢) الأنبياء : ٦٦ ، ٦٧

قال الله عز وجل : « وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ »(١) .

وكذلك أبو بكر الصديق رضى الله عنه لما مات النبي صلى الله عليه وسلم اضطرب قلوب المسلمين ، وخشوا على ذهاب الإسلام بموت النبي صلى الله عليه وسلم فصعد المنبر وقال : « ألا من كان منكم يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت ! » .

ألا ترى أنه لم يلاحظ موت النبي صلى الله عليه وسلم ، عند ملاحظته للحق فى نصرة الدين وتمسكين المسلمين .

وكذلك عائشة رضى الله عنها عند نزول براءتها من مقالة أهل الأفك ؟ ألا ترى كيف واجهت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت : بحمد الله لا بحمدك ، وكان شرفُها وفضلُها وفخرُها برسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا أنها لم تلاحظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عند ملاحظة الحق فى نزول القرآن ببراءتها ، ولم يزِدْها ذلك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا رفعةً ومحبّةً ودرجةً وفضيلةً .

فقسْ على هذا المعنى ، جميع ما تسمع من نحو ذلك فى هذا الباب .

وأما قوله : صلِّ عليهم بالأوتار ، ولا تجعلْ لها فى قلبك مقداراً : ليس كما ظن المتعنت : أنه لا تجعلْ للأنبياء عليهم السلام فى قلبك مقداراً ، ولكن يريد بذلك أى لا تجعل لكثرة صلاتك عليهم عندك مقداراً ، أى لا تستكثر ذلك ؛ فإنهم يستحقون أكثر من ذلك .

لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من صلى علىّ مرة واحدة صلى الله عليه عشراً » . ٢١٨

يقول : وإن كثرت الصلاة عليهم فلا تجعل لها فى قلبك مقداراً باستكثارك لها ؛ لأن صلوات الله عليك إذا صليتَ على رسوله ، صلى الله عليه وسلم ، أكثر من صلاتك عليه .

(١) الضحى : ١١

ومن قال : إنه أراد بقوله : لاتجعل لها فى قلبك مقداراً ، يعنى الأنبياء عليهم السلام يعنى به عند مقدار عظمة الله تعالى ، وكبريائه ؛ لأنه لايجوز أن يأخذ مقدار شىء ، من جميع ما خلق الله : من الملائكة ، والأنبياء ، والجنة ، والنار ، والعرش ، والكرسى ، موضعاً من قلوب المؤمنين ، عند موضع مقدار عظمة الله تعالى ، وكبريائه ، وقدرته ، وسلطانه ، ووحدانيته

فهذا فى معنى التوحيد وحقيقة التفريد .

وأما من حيث العلم والشرع ، وما ندب الله إليه الخلق ودعاهم إلى تعظيم الرُّسُل والإيمان بما جاءوا به ، وبما خص الله نبينا ، صلى الله عليه وسلم ، من جميع الرُّسُل فقد ذكرتُ فى هذا المعنى أبواباً فى باب : مستنبطات أهل الصفوة فى تخصيص النبى صلى الله عليه وسلم ، من كتاب الله ، تعالى ، وأخبار رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وما فتح من ذلك على قلوب أولياء الله .

وأقرَبُ ما يقول أهل الصفوة فى الرسول ، صلى الله عليه وسلم : أنه عبدٌ أوحدُ لا يجوز لأحد أن يدركه فى جميع ما خص به .

سئل أبو يزيد البسطامى ، رحمه الله : هل يزيد أحدٌ على النبى صلى الله عليه وسلم ؟ [فقال : وهل يدركه أحدٌ] !

ثم قال أبو يزيد ، رحمه الله ، جميع ما يفهم الخلق وأدركوه من شرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما لم يفهمه ولم يدركه ، مَثَلُ ذلك : مثل قرْبة زرقاء ملآى من الماء ، فما رُشح أدرك الخلقُ وفهموه من شرفه وفضله ؛ وما سوى ذلك فلم يفهمه أحدٌ ولم يدركه .

وأقرَبُ ما يصف به أهل الصفوة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : أنهم قالوا : لما وعد الله تعالى رسوله ، صلى الله عليه وسلم ، بأن يعطيه جميع ما يسأله بقوله : « يامحمد ، سلْ تعطهُ » فلا يجوز أن يسأله شيئاً إلا أن يعطيه .

وكان من دعائه ، صلى الله عليه وسلم : « اللهم اجعلْ من فوق نوراً ، ومن ٢١٩
تحتى نوراً ، وعن يمينى نوراً وعن شمالى نوراً ، ومن ورائى نوراً ، ومن قُدّامِى نوراً
ومن خلفى نوراً ، اللهم اجعل فى قلبى نوراً ، وفى بصرى نوراً ، وفى سمعى نوراً ،
وفى لحمى نوراً ، وفى عظمى نوراً » كما جاء فى الحديث .

قالوا : الدليل على أن الله تعالى ، أعطاه ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : والله ٢٢٠
إنى لأراكم خلف ظهرى كما أراكم قدامى .

وكل فضيلة وشرف خص بذلك أحد من أمة محمد ، صلى الله عليه وسلم ، فذلك شرف رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وفضله ، فلا ينبغى لأحد أن يقول ما لا يعلم .

قال بعض الحكماء : إذا ألفَ القلبُ الإعراض عن الله تعالى ، أورثه الوقيعةَ فى أولياء الله ، تعالى .

والمستبحث عن هذا العلم يجد فى كتب هؤلاء وفى كلامهم مثل ذلك كثيراً ؟

وإنما بينت هاتين الكلمتين ، وفسرت على الاختصار حتى يقاس بذلك على ما لم نذكره . وبالله التوفيق ؟

باب فى ذكر من غلط من المترسمين بالتصوف
ومن أين يقع الغلط ، وكيف وجوه ذلك

قال الشيخ ، رحمه الله : سمعت أحمد بن على الكرخى يقول : سمعت أبا على الروذبارى ، رحمه الله ، يقول : قد بلغنا فى هذا الأمر إلى مكان مثل حد السيف ؛ فإن قلنا : كذا ففى النار و إن قلنا : كذا ففى النار .

يعنى : إن غلطْنا فيما نحن فيه بدقيقة فنصير من أهل النار ، لأن الغلط فى كل شىء أهْوَنُ من الغلط فى التصوف وفى علمه ، لأنها : مقامات ، وأحوال ، و إرادات ومراتب ، و إشارات ؛ فمن تخطّى فى ذلك إلى ما ليس له فقد اجترأ على الله فيكون الله خصْمَهُ ، فإن شاء عفا عنه و إن شاء عاقبه بما شا كيف شاء .

وكل من ترسَّم برسوم هذه العصابة أو أشار إلى نفسه بأن له قَدَماً فى هذه القصة ، أو توهم أنه متمسك ببعض آداب هذه الطائفة ، ولم يُحْـكِمْ أساسه على ثلاثة أشياء فهو مخدوع ، ولو مشى فى الهواء ونطق بالحكمة ، أو وقع له قبول عند الخاصة أو العامة .

وهذه الثلاثة أشياء :

أولها : اجتناب جميع المحارم : كبيرها وصغيرها .

والثانى : أداء جميع الفرائض : عسيرها و يسيرها .

والثالث : ترك الدنيا على [أهل] الدنيا : قليلها وكثيرها إلا مالا بد للمؤمن منها .

وهو ما رُوى عن النبى ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : أربعة فى الدنيا ، ٢٢
وليست هى من الدنيا : كِسْرةٌ تسد بها جوعتك ، وثوب توارى عورتك ، و بيت تُسكَنُ فيها ، وزوجة صالحة تسكن إليها .

فأما سوى ذلك : من الجمع ، والمنع ، والإمساك ، وحب التكاثر ، والمباهاة ، فجميع ذلك : حجاب قاطع يقطع العبد عن الله عز وجل .

فكل من ادعى حالا من أحوال أهل الخصوص ، أو توهم أنه سلك منزلا منازل أهل الصفوة ، ولم يبن أساسه على هذه الثلاثة فإنه إلى الغلط أقربُ منه إلى الإصابة فى جميع ما يشير إليه أو يدعيه أو يترسم برسمه ، والعالم مُقرٌّ والجاهل مدّعٍ .

باب فى ذكر الفرقة الذين غلطوا

وطبقاتهم ، وتفاوتهم فى الغلط

قال الشيخ رحمه الله : ثمّ إنى نظرتُ إلى الفِرَق الذين غلطوا ، فوجدتهم على ثلاث طبقات :

فطبقة منهم : غلطوا فى الأصول من قلة إحكامهم لأصول الشريعة ، وضعف دعائمهم فى الصدق والإخلاص ، وقلة معرفتهم بذلك ، كما قال بعض المشايخ ، حيث يقول : إنما حُرموا الوصول لتضييع الأصول .

وطبقة ثانية : منهم غلطوا فى الفروع ، وهى : الآداب ، والأخلاق ، والمقامات ، والأحوال ، والأفعال ، والأقوال ؛ فكان ذلك من قلة معرفتهم بالأصول ، ومتابعتهم لحظوظ النفوس ومزاج الطبع ؛ لأنهم لم يدنوا ممن يروضهم ، ويجرعهم المرارات ، ويوقفهم على المنهج الذى يؤديهم إلى مطلوبهم .

فمثلهم فى ذلك : كمثل من يدخل بيتاً مُظلماً بلا سراج ، فالذى يفسده أكثر مما يصلحه ، وكلما ظن أنه قد ظفر بجوهر نفيس فلم يجد معه إلا خزفاً خسيساً ، لأنه لم يتبع أهل البصيرة الذين يميزون بين الأشباه ، والأشكال ، والأضداد ، والأجناس فعند ذلك يقع لهم الغلط ، ويكثر منهم الهفوة والشطط ، فهم متحيرون ، ومتفرقون بين منهزم ومفتون ، ومتجبر ومحزون ومغتر بالظنون ، ومحترف بالجنون ، ومتلبس بالمجون ، ومكمد بالشجون ، ومدّع ومفتون ومتمن للمنون ، فسبحان من قسم لهم بذلك وهو العالم بدائهم ودوائهم ، وسقمهم وشفائهم .

والطبقة الثالثة : كان غلطهم فيما غلطوا فيه : زلة وهفوة ، لا علة وجفوة ، فإذا تبين ذلك عادوا إلى مكارم الأخلاق ، ومعالى الأمور ، فَسَدُّوا الخلل ، ولمّوا الشعثَ ، وتركوا العناد ، وأذعنوا للحق ، وأقروا بالعجز فعادوا إلى الأحوال الرضية

والأفعال السنية ، والدرجات الرفيعة ، فلم تنقص مراتبهم هفوتهم ، ولم تظلم الوقتَ عليهم جفوتهم ، ولم تمتزج بالكدورة صفوتهم .

وكل طبقة من هذه الطبقات الثلاث على أحوال شتى : من التفاوت ، والإرادات ، والمقاصد ، والنيات .

وقد قال القائل :

مَنْ تحلى بغير ما هُوَ فيه فضحتهُ لسانُ ما يدَّعيهِ

وقد ذهب عليه ما روى عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : ليس الإيمان ٢٢٢
بالتحلي ولا بالتمني ، ولكن هو ما وقر في القلب وصدقته الأعمال » كما روى في الحديث » :

فمن غلط في الأصول فلا يسلم من الضلالة ، ولا يرجى لدائه دواء ، إلا أن يشاء الله ذلك ، والغلط في الفروع أقل آفة ، وإن كانت بعيدة من الإصابة .

باب فى ذكر من غلط فى الفروع التى لم تؤدهم إلى الضلالة

ونبتدئ فى ذكر الطائفات الذين غلطوا فى الفقر والغنى

قال الشيخ رحمه الله : ثم إن طائفة من المترسمين بالصوفية ، تكلموا فى تشريف الغنى على الفقر ، وكانت إشارتهم فى ذلك : إلى الغنى بالله ، لا إلى الغنى بالأعراض الدنية من الدنيا ، [فغلطت طائفة] ، فطلب التأويلات ؛ وتعلقت بالاحتجاجات والاختراعات : من الآيات والروايات ؛ أن تجعل الغنى بأعراض الدنيا حالا محمودة أو مقاماً من مقامات طلاب الآخرة ، فتاهت فى ذلك وغلطت ؛ لأن الذى تكلم فى الفقر والغنى ، وعد الغنى حالا من أحوال المنقطعين إلى الله تعالى : أشار إلى الغنى بالله ، لا إلى الغنى بأعراض الدنيا التى لا تزنُ عند الله جناحَ بعوضة .

وطبقة أخرى : تكلمت فى حقائق الفقر والافتقار إلى الله تعالى ، ما يقارنها : من الصبر ، والشكر ، والرضا ، والتفويض ، والسكون ، والطمأنينة ، عند العدم .

فضلت طائفة أخرى وتوهمت أن الفقير المحتاج الذى يعدم الصبر والرضا : لا فضيلة له ولا ثواب له على فقره ؛ والفقير المضطر المعدم الرضا والصبر : له فضلٌ على الغنى الذى يكون غناه بالدنيا .

وخلقت النفس محتاجة ، وليس من صفات البشرية : الطمأنينة والسكون عند عدم القوام والقرى ، والفقر تكرهه النفس ولا يلائمه الطبع والهوى ، لأنه من [الحقوق والغنى تحبه النفس ويلائمه الطبع والهوى ، لأنه من] الحظوظ .

وقد وعد الله تعالى الغنى على الحسنة الواحدة ، إذا عملها ، عشر أمثالها : لقوله عز وجل : « مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا »(١) ، والحسنة

---

(١) الأنعام : ١٦٠

من الفقير كائنة فى كل نفس ، لصبره على مرارة الفقر ؛ وليس لثواب الصبر نهاية معدودة .

لقوله عز وجل : « إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ »(١).

والفقر فى ذاته محمود ، فإن صحبته علة فالعلة فيه مذمومة .

لقول النبي صلى الله عليه وسلم : الفقر أزين على المؤمنين من العذار الجيد على خد الفرس . ٢٢٣

ولم يشترط مع الفقر غير الفقر شيئاً .

والغنى بالدنيا فى ذاته مذموم ، فإن صحبته خصلة محمودة من أعمال البر فهى المحمودة لا نفس الغنى .

لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « ليس الغنى عن كثرة العرض ، » ولم يشترط مع الغنى شيئاً غير الغنى . ٢٢٤

فشتـان بين خصلة محمودة فى ذاتهـا لا يقع اسم المذمة عليها إلا بعلة نادرة من أعمال الخير .

وطبقة أخرى : زعمت أن الفقر والغنى حالان ، ليس للعبد أن يتبعهما ، بل يجب عليه أن يعبرهما ولا يقف معهما ، وهذا عند أهل الحقائق والمعارف ، وأحكام الحقيقة عند النهايات ، فظنت طائفة أخرى أن الذى قال ذلك فقد ساوى بين الفقر والغنى وقالوا : لا فرق بين الفقر والغنى فى معنى الحال .

فيقال لهم : قد رأيناكم كارهين للفقر ، وما رأيناكم كارهين للغنى ؛ فإن كانا حالَيْن مستوِيَيْن ، فأين استواؤكم فى المساكنة ، إليهما ، والاحتراز منهما ، والمعانقة لهما ؟ فقد تبيَّنَ غلطهم فى ذلك .

(١) الزمر : ١٠

وغلطت طائفة أخرى فى الفقر فتوهمت أن المراد من حال الفقر العدم والفقر فقط ، فاشتغلتْ بذلك ولم تَسْمُ بهمّتها إلى آداب الفقر ، وخفى عليها أن رؤية الفقر فى الفقر حجاب الفقير عن حقيقة الفقر .

وليس للفقير الصادق فى حال الفقر خصلة أفْلُ من الإعـدام ، والفقر ، والصبر ، والرضا ، والتفويض ، فى معانيهـا : أتمّ من الفقر الذى لم يكن مقروناً بهذه الخصال ، ورؤية الفقر والمساكنة إلى الفقر والإعجاب به عـلّةٌ فى الحال وحجاب فى المكان .

والله أعلم بالصواب ، و بالله التوفيق .

باب فى ذكر من غلط فى التوسع ، وترك التوسع من الدنيا بالتقشف والتقلل ، ومن غلط فى الاكتساب وترك الاكتساب

قال الشيخ ، رحمه الله : لا يصح الدخول فى السعات إلا لنبىّ أو صدّيق ، معناه : لأنهم يكونون فى الأشيــاء لغيرهم ، ويقومون فى الأسباب بحقوقها لا بحظوظها ؛ لأنهم يعرفون الإذن : إذا أذن الله لهم بالإنفاق أنفقوا ، وإذا أذن لهم بالإمساك أمسكوا .

فمن لم يعرف الإذن ، ولم يكن من أهل الكمال والنهايات ، غلط عند دخوله فى السعات بالغرور والتأويلات .

ومن زعم أنه لا يسكن إلى ذلك فيقال له : من لا يسكن إلى ما فى يديه من أسباب الدنيا ينبغى أن لا يُمسك ولا يطلب ، ويكون القليل والكثير عند سواء ، فمن لم يكن القليل آثر عنده من الكثير ، ولا يكون الواحد آثر عنده من الاثنين ، ولا يخلو سِرُّه من الطلب لمفقودٍ من أسباب الدنيا والإمساك لموجودها : فهو من طلاب الدنيا والمرتبطين باكتسابها بحظها لا بحقها .

فمن توهم أن له حالاً غير ذلك فهو فى غلط .

وطبقة أخرى : تعلقوا بالتقشف والتقلل ، واعتادوا الدون من اللباس والقليل من القوت ، وظنوا أن كل من رفق بنفسه ، أو تناول شيئاً من المباحات ، أو أكل شيئاً من الطيبات : أن ذلك علة وسقوط من المنزلة ، وكل حال غير الحال الذى هم عليه عندهم زلة ؛ وقد غلطوا فى ذلك ، لأن العلة كائنة فى التقلل والتقشف ؛ كما أن العلة كائنة فى الترفع والترفه ، والتقلل والتقشف بالعادة ، والتكلف معلول ؛ إلا أن يكون العبد مراداً بذلك وقتاً من الأوقات ، أو يكون تأديباً له ، أو رياضةً لنفسه ، فإذا شاهد آفاتها ، واستحلى ملاحظة الخلق له بذلك ، ولم يعمل فى الانقلاع عنها بجهده يكون هالكا ولا يرجى خيرُهُ أبداً .

وطبقة أخرى من المتنسكين : تعلقوا بأخذ القوت من الكسب ، وركنوا إلى اكتسابهم ، وأنكروا على من لم يكتسب مثلهم وتوهموا وظنوا أن الحال لا يصح إلا بتصفية الغذاء ، وتصفية الغذاء والقوت ـ عندهم ـ لا تصح إلا بالاكتساب .

٢٢٥ واحتجوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم : أحل ما يأكل المؤمن كسب يده .

وقد غلطوا فى ذلك ؛ لأن الكسب رخصة وإباحة لمن لم يطق حال التوكل ، لأن التوكل حال الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم ، مأموراً بالتوكل والثقة بالمضمون من الرزق ؛ وكذلك الخلق كلهم مأمورون بالتوكل على الله ، عزّ وجلّ ،والثقة بما وعدهم الله تعالى ، والسكون عند عدم الرزق حتى يسوق الله ، عزّ وجلّ ، إليهم أرزاقهم ، فمن ضعف عن ذلك ولم يطق فقد سن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الكسب المباح بشروطه حتى لا يهلك .

وشروط الكسب : أن لا يركن إلى كسبه ، ولا يرى رزقه من كسبه ، ولا يكون فى كسبه مغتنماً ، بل ينوى بذلك معاونة المسلمين ، ولا يشغله كسبٌ عن أول أوقات الصلاة المفروضة ، ويتعلم العلم حتى لا يأكل الحرام ، فمتى ما ترك خصلة من هذه الخصال فقد صار كسبه معلولا بعاهة ، وإن كان له إخوان ممن لم يكتسبوا ويعلم أنهم محتاجون ، فيجب عليه أن يتفقدهم بما فضل من قوته .

فمن لم يقم بهذه الشروط فأخشى عليه الغلط فى إعجابه وتعلقه باكتسابه .

وطبقة أخرى : طعنوا على المكتسبين ، وجلسوا معتمدين على حالهم ، متشرفين إلى من يفتقدهم ؛ وعندهم أن هذا هو الحال ، وقد غلطوا فى ذلك ؛ لأن الجلوس عن المكاسب ينبغى أن يكون من قوة اليقين والصبر ، فمن ضعف يقينه وغلب عليه طبعه وطمعه يؤمر بالدخول فى الطلب ، والطلب مباح ، وترك الطلب بقوة الإيمان أتمّ وأفضل.

باب فى ذكر طبقات الذين فتروا فى الإرادات ، وغلطوا فى المجاهدات ، وسكنوا إلى الراحات

قال الشيخ ، رحمه الله : ثم إن طبقة من الصوفية غلطت فى العبادات ، والمجاهدات ، ورياضات النفوس ، والمكابدات ؛ فلم تحكم فى ذلك أساسها ، ولم تضع الأشياء فى مواضعها ؛ فانهزمت ونكصت على أعقابها القَهْقَرَى ؛ وذلك أنهم حين سمعوا بمجاهدات المتقدمين ، وما نشر الله بذلك أعلامهم فى خلقه ، بالثناء الجميل ، والقبول عند الناس ، وإظهار الكرامات ، فطمعت نفوسهم وتمنوا ، فتكلفوا شيئاً من ذلك ، فما طالت المدة ولم يصلوا إلى مرادهم كسلوا ، فإذا دعاهم داعى العلم إلى المجاهدة والعبادة ورياضة النفس ، فلا يقام لذلك عندهم وزن .

ولو جذبهم الحق جذبة إلى خدمته ، وأرادهم بالمداومة على طاعته ، وأدركهم بلطفه وعنايته ؛ لازدادت رغباتهم ، وقويت نياتهم ، ودامت على ما كانت عليه نياتهم ، فلما لم يكونوا مرادين بذلك ، لضعف دعائمهم ، وفساد قصدهم ؛ توهموا أن ذلك فتور .

وقد غلطوا فى ذلك ؛ لأن الفتور ما يتروح به قلوب المجتهدين وقتاً دون وقت ثم تعود إلى الحال .

فأما ما وقع فيه هؤلاء فهو الكَسَل والتوانى والأمانى الكاذبة .

قال : وسمعت أحمد بن على الكرخى يقول : سمعت أبا على الروذبارى ، رحمه الله يقول : البداية : هى كالنهاية ، والنهاية فهى كالبداية ، فمن ترك شيئاً فى نهايته مما كان يعمل فى بدايته ، فهو مخدوع .

وطبقة أخرى : ساحت ، وسافرت ، ولقيت المشايخ ، وجلست وتصدرت ، وتطاولت على أبناء جنسها ، بأنها قد لقيت ما لم يلق قرناؤها ، ونظرت إلى ما لم ينظر إليه جلساؤها ، وعدت نفسها من المستقلين.

وقد غلطت فى ذلك ؛ لأن السفر سمى سفراً لأنه يسفر عن أخلاق الرجال ، و إنما يسافرون حتى يشاهدوا من أنفسهم خُلقاً مذموماً فيعملوا فى تبديلها ، و يعرفوا أيضاً من أنفسهم من الخبيات ما لم يعرفوا ذلك فى حضرهم ومعارفهم .

ولقاء المشايخ يحتاج إلى الأدب ، والحرمة ، والإرادة ، وأن ينسى جميع ما يعلم ، و يقبل من الشيخ مايُوصيه به ويُشير عليه ، و يطالب نفسه بحق الشيخ ، ولا يقتضى لنفسه من الشيخ إقبالا عليه ولا رفقاً ، و يحفظ قلبه ، و يغتنم نظره إليه ، و يخاف أن تكون صحبته ولقياه للشيخ حُجّة عليه .

فمن ساح أو سافر ، أو لقى شيخاً من المشايخ على غير ما ذكرت ، وتوهم أنه من المسافرين ، أو ممن قد صحب المشايخ : فهو فى غلط عظيم .

وطبقة أخرى : أنفقوا الأموال والأملاك ، و بذلوا ، وتوهموا أن المراد البذلُ والإنفاق ، والتخلق بالسخاوة والبذل والسماحة .

وقد غلطوا فى ذلك ؛ لأن مراد القوم وقصودهم ، فيما أنفقوا و بذلوا : لم يكن إظهار السخاوة ، ولا الاشتهار بالسماحة ، ولكن رأوا أن التعلق بالأسباب مع المسبب : علة فى المكان ، وحجابٌ قاطع عن الحقيقة ؛ فكان إنفاقهم و بذلهم وخروجهم من الأملاك : فراراً من العلة وقطعاً للعلاقة ، فمن بذل شيئاً من طريق السماحة والسخاوة ، وظن أن طريقه طريق القوم فهو فى غلط .

وقوم آخرون انبسطوا فى المباحات ، ولم يتكلفوا المراعاة للأوقات ، وقالوا : ليس لنا معلوم أيشَ ، ما وجدنا أكلنا ونمنا ، فذلك وقتنا !

وقد غلطوا فى ذلك ، لأن الوقت إذا فات لا يدْرَكُ ، وليس الوقت ما يكون معموراً بالإرفق ، إنما الوقت ما يكون معموراً بدوام الذكر ، ومربوطاً بالإخلاص والشكر ، والرضا والصبر ؛ والنفس والهوى والشيطان : أعداء يطلبون فرصة الظفر بالعبد ، فإذا غفل العبد عنهم طرفة عين فلا يُرجَى خيرُهُ ولا يؤمَن هلاكه .

فمن توهم أنه وصل إلى حال قد أمِن من ذلك فهو فى غلط .

باب فى ذكر طبقات الذين غلطوا فى ترك الطعام

والعزلة والانفراد وغير ذلك

قال الشيخ ، رحمه الله : ثم إن جماعةً من المريدين والمبتدئين سمعوا علم مخالفة النفوس ، فتوهّموا : أن النفس إذا انكسرت بترك الطعام يُؤْمَنُ شرُّها وبوائقها وعوائقها، فتركوا عاداتهم من الطعام والشراب ، ولم يستعملوا الأدب فى ترك الطعام، ولم يستبحثوا عن الأستاذين آدابها ، فعمدوا إلى ترك الطعام ، وواصلوا الليالى والأيام وظنوا أن ذلك حالٌ

وقد غلطوا فى ذلك ؛ لأن المريد ينبغى أن يكون له مؤدّبٌ يوقفه على ما يحتاج إليه حتى لا يتولد من إرادته بلاء وفتنة لا يقدر أن يتلافاها ولا يتخلص من فسادها

والنفس لايؤمن شرها ، ولا يذهب عنها ما جُبِلتْ عليه من الشر ، وهى الأمّارة بالسوء ، فمن ظن أن النفس إذا انكسرت بالجوع بقلة المَطْعَم فقد زال عنها شرها وآفات بشريتها ، حتى يأمنها صاحبُها ، فقد غلط .

وسمعت ابن سالم يقول : كانوا إذا أرادوا أن يتقللوا ينقصون من طعامهم فى كل جمعة مثل أُذن السِنّور .

وسمعته يقول : كان سهل بن عبد الله — رحمه الله — يأمر أصحابه أن يأكلوا اللحم فى كل جمعة مرّةً حتى لا يضعفوا عن العبادة .

ولقد رأيتُ جماعةً حملوا على أنفسهم فى مثل هذه الأشياء : من التلقل ، وأكل الحشيش ، وترك شرب الماء ، حتى فاتتهم الفريضة ، لأنهم لم يأتوا بها على سيَتها ، ولم يتأدبو بآداب من سلك هذا المسلك من المتقدمين .

وطائفةٌ اعتزلت ودخلت كهوف الجبال ، وظنّوا أنهم بذلك يهربون من الخلق ، أو يأمنون فى الجبـــال والفلوات من شر نفوسهم ، أو يوصلهم الله ، تعالى ،

بالانفراد والخلوة إلى ماأوصل إليه أولياءه من الأحوال الشريفة ولا يوصلهم إلى ذلك بين الناس .

وقد غلطوا فى ذلك؛ لأن الأئمة من المشايخ الذين قلّ مطعمهم ، ودامت خلوتهم وانفرادهم ، واختاروا العزلة : إنما حداهم على ذلك ودعاهم إليه ، داعى العلم وقوة الحال ، فورد على قلوبهم ما أذهلهم وشغلهم عن المعارف والأوطان ، وأخذهم عن الطعام والشراب وجذبهم الحق إليه جذبة أغناهم بها عمن سواه[(١)]

فمن لم يكن مصحوبه قوة الحال وغلبة الوارد ، ثم يتكلف ويحمل على نفسه ما لا تطيقه ، يظلم نفسه : فيُدخل على نفسه الضررَ ، ولا يُدرك ما فاته ، ويفوته ما معه ، فمن فعل شيئاً من ذلك بتكلفه ، ويتوهم أنه قد وصل إلى شىء من مراتب المخصوصين : فهو فى غلط .

قال:ورأيتُ جماعةً من الأحداث كانوا يُقِلُّون الطعام، ويسهرون الليل ويذكرون الله ، تعالى ، على الدوام ، حتى كان أحدهم ربما يُغْشَى عليه ، وكان يحتاج بعد ذلك إلى أن يُدارَى ، ويُرْفَق به أياماً ، حتى يقدر أن يصلى الفريضة .

وجماعةٌ جبُّوا أنفسهم ، وظنّوا أنهم إذا قطعوا ذلك سلموا من آفات الشهوة النفسانية .

وقد غلطوا فى ذلك ؛ لأن الآفات تبدو من الباطن ، فإذا قُطعت الآلة ، والعلة موجودةٌ فى الباطن لم ينفع ذلك ، بل يضر وتزداد الآفة ، فمن ظن أن الآفة فى الآلة الظاهرة ويتخلص بقطع ذلك من شرها ، فهو فى غلط .

وقومٌ هامُوا على وجوههم ودخلوا البرارى والبوادى ، بلا زاد ولا ماء ، ولا آلة الطريق، وتوهموا أنهم إذا فعلوا ذلك نالوا ما نال الصادقون من حقيقة التوكل

---

(١) ومن ذلك قوله ، صلى الله عليه وسلم : « لست كأحدكم ؛ أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى » .

وقد غلطوا فى ذلك ؛ لأنَّ القوم الذين كان هذا دأبهم كانت لهم بدايات ،وتأدبوا بآداب ، وراضوا أنفسهم قبل ذلك بالمجاهدات ، وكانوا مستقلين بأحوالهم : لم يبالوا بالقلة ولم يستوحشوا من الوحدة ، فكم من مؤنةٍ مانوا وكم من مرارة ذاقوا ؟ حتى استوت أحوالهم فى الخراب والعمران ، والسهل والجبل ، والجماعة والوحدة ، والعزّ والذلّ ، والجوع والشبع ، والحياة والموت .

فمن فعل شيئاً من ذلك وتوهم أنه قد نطق بشىء من أحوال المتوكلين فهو فى غلط .

وجماعةٌ تكلفوا لبس الصوف ، واتخذوا المرقعات المعمولة ، وحملوا الركاء[1] ولبسوا المصبوغات ، وتعلموا الإشارات ، وظنّوا أنهم إذا فعلوا ذلك ، أنهم من الصوفية .

وقد غلطوا فى ذلك ، لأن التحلىَ والتلبُّس والتشبه، لايورث لصاحبه غير الحسرة والندامة ، والعتب والملامة ، والشنار والنار فى يوم القيامة .

فمن ظن أو توّهم أنه يصل إلى أحوال أهل الحقائق بالتلبس والتشبه بهم فهو فى غلط .

وجماعة أخرى جمعوا علوم القوم ، وعرفوا إشاراتهم ، وحفظوا حكاياتهم ، وتكلفوا ألفاظاً صحيحة وعبارات فصيحة ، وظنّوا أنهم ، إذا فعلوا ذلك فقد صاروا منهم ، ووصلوا إلى شىء من أحوالهم ، وقد غلطوا فى ذلك .

وجماعة أخرى أحرزوا قوتهم وسكنت نفوسهم بنفقة معلومة ، ودراهم موضوعة ثم عمدوا بعد ذلك إلى أورادهم : من الصوم ، والصلاة ، وقيام الليل ، وَالورع ، ولباس الخَشِنْ ، والبكاء ، والخشية ، وظنّوا أن هذا هُوَ الحال المقصود الذى لا يكون بعده حالٌ

---

(١) بكسر الراء : جمع ركوة ؛ ما يجعل تحت المعصرة فيجمع فيه عصير العنب ونحوه

وقد غلطوا فى ذلك ، وما أظنّ أن أحداً ممن أشار إلى علم التصوّف يُذْكر عنه أنه لم يخرج فى بدايته من المعلوم ، ولم يأمر أصحابه فى أول الأمر بقطع العلائق ، وأن يحملوا قوتهم فى الغيب ، فمن كان منهم : ورجع إلى سبب معلوم ، أو ادّخار قوت فإن ذلك لم يكن من أجل نفسه ، ولكن لمن حَوْلهُ من أصحابه وعياله ، ولمن يرِدُ عليه من إخوانه .

فمن أشار إلى التصوّف ، وادّعى حالهم ، وعدّ نفسه منهم ، ولم يكن أصله كذلك على ماذكرتُ : فهو فى غلط .

قال الشيخ رحمه الله : وجماعةٌ ظنّوا أن التصوف : هو السماع والرقص ، واتخاذ الدعوات ، وطلب الإرفاق[1] ، والتكلف للاجتماعات على الطعام ، وعند سماع القصائد والتواجد والرقص ، ومعرفة صياغة الألحان بالأصوات الطيبة ، والنغمات الشجية ، والاختراع من الأشعار الغزلية ، مما يُشْبِه أحْوَال القَوْم ، على نحو ما رأوا من بعض الصادقين ، أو بلغهم ذلك عن المتحققين .

وقد غلطوا فى ذلك ، لأن كل قلب ملوثٍ بحُبِّ الدنيا ، وكل نفس معتادةٍ بالبطالة والغفلة ، فسماعه ، ووجوده ، معلولٌ ، وحركته وقيامه تكلفٌ .

فمن ظن أنه يصير بتكلفه وحِيَله وتمنيه ، من المتحققين ، فى وقت السماع ، والحركة ، والوجود ، وغير ذلك : فقد غلط فى ذلك

(١) وفى نسخة : الأرفاق .

باب ذكر من غلط فى الأصول ، وأداه ذلك إلى الضـلالة

ونبتدئ بذكر القوم الذين غلطوا فى الحرية والعبودية

قال الشيخ رحمه الله : تكلم قوم من المتقدمين ، فى معنى الحرية والعبودية ، على معنى : أن العبد لا ينبغى له أن يكون فى الأحوال ، والمقامات التى بينه و بين الله ، تعالى ، كالأحرار ، لأن من عادة الأحرار : طلب الأجرة ، وانتظار العوَض على ما يعملون من الأعمال ، وليس عادة العبيد كذلك ؛ لأن العبد لا ينتظر من مولاه أجرةً ولا عوضاً على ما يأمره به مولاه ، فمتى طمع فى شىء من ذلك ، فقد ترك سِمة العبيد ؛ لأن العبيد إن أعطاهم موْلاهم [عطيّةً] ، على ما أمرهم به ، واستعملهم فيه : كان ذلك من تفضل مولاهم عليهم ، لا باستحقاقهم .

وليس عادة الأحرار كذلك .

وقد صنف شيخٌ من المشايخ كتاباً فى مقامات الأحرار والعبيد فى هذا المعنى .

فظنت الفِرْقة الضالة أن اسم الحرية أتمُّ من اسم العبودية ، للمتعارف بين الخلق : أن الأحرار أعْلَى مرتبةً ، وأسْنَى درجة فى أحوال الدنيا من العبيد ، فقاست على ذلك ، فضلّت ، وتوهّمت : أن العبد ، ما دام بينه و بين الله تعالى تعبُّدٌ : فهو مسمًّى باسم العبودية ، فإذا وصل إلى الله فقد صار حُرًّا ، و إذا صار حرًّا سقطت عنه العبودية .

و إنما ضلت هذه الفرقة ، لقلّة فهمها وعلمها ، وتضييعها لأصول الدين .

خَفِيَتْ على هذه الفرقة الضالة أن العبد لا يكون فى الحقيقة عبداً ، حتى يكون قلبه حُراً من جميع ما سوى الله ، عزّ وجلّ ، فعند ذلك يكون فى الحقيقة عبداً لله .

وما سمّى الله تعالى المؤمنين باسم أحسن مِنْ اسم العبد إذ يقول : « وَعِبَادُ

الرَّحْمٰنِ »(١) « نَبِّئْ عِبَادِي »(٢) ؛ لأنه اسم سَمّى به ملائكته ، فقال : « عِبَادٌ مُكْرَمُونَ »(٣) .

ثمّ سَمّى به أنبياءه ورُسُله عليهم السلام فقال : « وَاذْكُرْ عِبَادَنَا »(٤) ، « وَاذْكُرْ عَبْدَنَا »(٥) ، وقال : « نِعْمَ الْعَبْدُ »(٦) ، وقال لحبيبه وصفيّه صلى الله عليه وسلم : « وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ »(٧) .

٢٢٤ فكان صلى الله عليه وسلم يصلّي حتى ورمت قدماه ، فقيل له : يا رسول الله ، أليس قد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر ؟ قال : « أفلا أكون عبداً شكوراً » .

٢٢٥ ورُوِي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خُيِّرْتُ بين أن أكون نبيًّا مَلِكاً ونبيًّا عبداً ؛ فأشار إليّ جبريل عليه السلام : تواضعْ ، فقلت : بل نبيًّا عبداً » .

فلو كان بين الخالق والله تعالى درجةٌ أعْلَى من درجة العبودية لم يَفُتْ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله جلّ وعلا كان يعطيه ذلك .

وبالله التوفيق .

---

(١) الفرقان : ٦٣ (٢) الحجر : ٤٩ (٣) الأنبياء : ٢٦ (٤) ص : ٤٥
(٥) ص : ٤١ (٦) ص : ٣٠ (٧) الحجر : ٩٩

باب فى ذكر من غلط من أهل العراق فى الإخلاص

قال الشيخ رحمه الله : وزعمت الفرقةُ الضالّة من أهل العراق [وغيره] : أن الإخلاص لا يصحّ للعبد ، حتى يخرج عن رؤية الخلق ، ولا يوافقهم فى جميع ما يريد أن يعمله ، كان ذلك حقًّا أو باطلاً .

وإنما ضلّت هذه الفرقة لأن جماعةً من أهل الفهم والمعرفة تكلّموا فى حقيقة الإخلاص : أن لا يَصْفُو لهم ذلك حتى لا يبقى على العبد بقيّةٌ من رؤية الخلق والكون وكل شىء غير الله تعالى ، فظنّت هذه الفرقة وطمعت أن ذلك يصح لهم بالدعوى ، والتقليد ، والتكلف قَبْلَ سلوك مناهجها ، والتأدّب بآدابها ، والابتداء ببدايتها ، حتى يؤدّيه ذلك إلى نهاياتها حالا بعد حال ، ومقاماً بعد مقام ، فأدّاهم الدعوى ، والطمع الكاذب ، إلى قلّةِ المبالات ، وترك الأدب ، ومجاوزة الحدود ؛ فأسرهم الشيطان ، وغلبتهم النفس والهوى ، بما خُيّل إليهم : أنهم ، برسم المخلصين ، فى الإخلاص ، وهُمْ فى عين الضلالة والانتقاص ، وأنّى لهم من ذلك الخلاص ؟

وقد خفيت عليهم ـ لشقاوتهم ـ أن العبد المطلوب بدرجة الإخلاص هو : العبد المهذب المؤدّب ، الذى هجر السيئات ، وجرّد الطاعات ، وعمل فى الإرادات ، ونازل الأحوال والمقامات ، حتى أدّاه ذلك إلى صفاء الإخلاص !!!

فأمّا من هو أسيرُ هواه ، ورهينُ نفسه وشيطانه ، وهو فى « ظُلُمَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا »[١] .

---

(١) النور : ٤٠

فهو محجوب عن حال أهل البدايات ، فكيف يَصِلُ إلى ما بعد ذلك ؟

فمثل هؤلاء : كمثل من سمع بالجوهرة النفيسة : أنها تكون صافيةً مدوّرةً ، فوقع فى يده خرزةٌ من الزجاج فأعجبته تلك ؛ لأنها مدوّرة صافية ، فلما احتاج إليها حملها إلى من يعرف الجواهر ، فقال له : هى زجاجة لا قيمة لها ، فلم يَدَعْهُ الجهل والطمع [الكاذب] أن يرمى بها من قلة معرفته بالزجاج والجوهر .

فهؤلاء كل يوم فى ضلالتهم يخسرون ، وفى طغيانهم يعمهون .

أعاذنا الله وإياكم .

باب فى ذكر من غلط فى النبوة والولاية

قال الشيخ رحمه الله : ثمّ ضلّت فرقة أخرى فى تفضيل الولاية على النبوّة ، ووقع غلطهم فى قصة موسى والخضر عليهما السلام ، وتفكرهم فى ذلك برأيهم .

إذ يقول جلّ وعزّ : « عَبْداً مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً »[١] .

ثم قال لموسى عليه السلام ، مع تخصيصه بالكلام والرسالة وما كتب الله له : « فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ »[٢] ، يقول له الخضر عليه السلام : « إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً »[٣] .

فيقول له موسى عليه السلام : « لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ ، وَلاَ تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً »[٤] إلى آخر القصة .

فظنّت هذه الطائفة الضالة ، أن ذلك نقصٌ فى نبوّة موسى عليه السلام ، وزيادةٌ للخضر عليه السلام على موسى فى الفضيلة ، فأدّاهم ذلك إلى أن فضلوا الأولياء على الأنبياء عليهم السلام .

وقد ذهب عنهم أن الله ، جلّ وعزّ ، يخصّ من يشاء بما يشاء كيف يشاء ، كما خصّ آدمُ عليه السلام بسجود الملائكة له . وخصّ نوحٌ عليه السلام بالسفينة . وصالحٌ عليه السلام بالناقة . وإبراهيم عليه السلام بأن جُعلت عليه النار برداً وسلاماً . وخصّ موسى عليه السلام بالعصا . وخصّ عيسى عليه السلام

(١) الكهف : ٦٥
(٢) الأعراف : ١٤٥
(٣) الكهف : ٦٧
(٤) الكهف : ٧٣

بإحياء الموتى . وخُصَّ نبيّنا صلى الله عليه وسلم بانشقاق القمر ، ونبع الماء بين أصابعه .

فأما غير الأنبياء عليهم السلام :

فقد ذكر الله تعالى مَرْيَمَ حيث يقول : « وَهُزِّى إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيًّا »[1] ، ولم تكن مَرْيَمُ نبيّةً ، ولم يكن ذلك لغيرها من الأنبياء عليهم السلام ، ولا يجوز لقائل [أن يقول] : إنها تزيد بالفضل على الأنبياء عليهم السلام .

وآصَف بن بَرْخِياء : كان عنده علمٌ من الكتاب حتى أتى بعرش بِلْقيس قَبْلَ أن يرتدَّ [إليه] طَرْفُهُ ، فكيف يجوز أن تقول : إنه أتمُّ من سليمان عليه السلام مع ما آتاه الله تعالى من النبوّة والفهم والملك ؟

وقد سمعتَ بقصّة الهُدْهُد ، وكان قد خُصَّ بمعرفة المياه ، لم يخصّ بذلك غيره من الطيور وغيرها : من الجنّ والإنس .

٢٢٦ وقد رُوى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أفْرَضُكُمْ زَيْدٌ ، وأقْرَؤكم أُبَيٌّ ، وأعلَمُكم بالحلال والحرام مُعاذ بن جَبَل » رضى الله عنهم .

وقد شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعشرة من الصحابة بالجنّة ليس هؤلاء فيهم ، ونحن نعلم أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه أفضلُ منهم .

ومثل ذلك كثير !

وكل ولى من الأولياء ينال ما ينال من الكرامة بحسن اتباعه لنبيه صلى الله عليه ، فكيف يجوز أن يفضل التابع على المتبوع ، والمقتدى على المقتدى به ؟ وإنما يعطى الأولياء رشاشةً مما يعطى الأنبياء عليهم السلام .

---

(١) مريم : ٢٥

والذى قال : إن الأنبياء عليهم السلام يُوحَى إليهم بواسطة ، والأولياء يتلقّفون من الله بلا واسطة ، فيقال لهم : غلطتم فى ذلك ؛ لأن الأنبياء عليهم السلام ، هذا حالُهم على الدوام ، يعنى الإلهام ، والمناجاة ، والتلقّف من الله عز وجل ، بلا واسطة ، والأولياء وقتاً دون وقت .

وللأنبياء عليهم السلام الرسالة ، والنبوّة ، ووحىٌ بنزول جبريل عليه السلام ، وليس للأولياء ذلك .

ولو بَدَت ذرّة على الخضر عليه السلام من أنوار موسى عليه السلام ، وتخصيصه بالكلام ، لامْتَحَقَ الخضر عليه السلام ، ولكن حجبه الحقّ عن ذلك تهذيباً وزيادةً لموسى عليه السلام ، فافهمْ ذلك إن شاء الله تعالى .

والولاية والصدّيقية منوّرة بأنوار النبوّة ، فلا تلحق النبوّة أبداً ، فكيف تَفضُل عليها ؟

باب فى ذكر الفرقة التى غلطت فى الإباحة والحظر والردّ عليهم

قال الشيخ رحمه الله : ثمّ زعمت الفرقة الضالّة ، فى الحظر والإباحة ، أن الأشياء فى الأصل مُباحة ، و إنما وقع الحظر للتعدّى ، فإذا لم يقع التعدّى تكون الأشياء على أصلها من الإباحة ، وتأوّلوا قول الله عزّ وجلّ :

« فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا * وَفَاكِهَةً وَأَبًّا * مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ »[1] .

فقالوا : هذا على الجملة غير مفصّل ، فأدّاهم ذلك بجهلهم ، إلى أن طمعت نفوسهم بأن المحظور الممنوع منه المسلمون : مباحٌ لهم ، إذا لم يتعدّوا فى تناوله .

و إنما غلطوا فى ذلك بدقيقة خَفِيَت عليهم ، من جهلهم بالأصول ، وقلّة حظّهم من علم الشريعة ، ومتابعتهم شهوات النفوس فى ذلك ؛ لأنهم سمعوا بمكارم الأخلاق ، وحُسْن عِشرة ، ومؤاخاة ، كانت بين جماعة من المشايخ المتقدمين ، تجرى بينهم أحوال : من رفع الحشمة والبسط ، بعضهم مع بعض ، حتى كان أحدهم يمرّ إلى دار أخيه ، و يمدّ يده فيأكل من طعامه ، و يأخذ من كيسه حاجته ، و يفتقد أحوال أخيه وهو غائب كما يفتقد لنفسه .

وهذا ، كما حُكى عن فَتْح المَوْصِلى : أنه مرّ إلى دار بعض إخوانه ، فقال لجاريته : أخْرجى لى كيس أخى ، فأخرجته إليه ، فأخذ منه حاجته ، فلما رجع أخوه إلى البيت أخبرته الجارية ، فقال : إن كنتِ صادقةً فأنت حُـرّة لوجه الله تعالى .

---

(١) عبس : ٢٧ — ٣٢

وكما ذكر الحسن البصري رحمه الله ، أنه كان يأكل من رءوس زنابيل أخٍ من إخوانه وهو غائب ، فسئل عن ذلك قال : يا لُكَعُ ، وهل كان الناس قَبْلَنَا إلا مثل هذا ؟ كان أحدهم يمرُّ إلى بيت أخيه ، فيأخذ من طعامه ، ويأخذ من دراهمه ، يريد بذلك إدخال السرور على أخيه ، ويعلم أن ذلك أحبُّ إليه من حُمْر النَّعَم .

وكذلك جماعة ، كانوا يقولون ليس بين هذه الطائفة مؤاساة ، إنما استُنَّ مذهبهم على المؤاساة .

كما قال إبراهيم بن شَيْبَان : كنَّا لا نصحب من يقول : نَعْلِي ؛ ومثلُ ذلك كثيرٌ .

فظنَّت هذه الطائفة الضالَّة بالإباحة ، لأن ذلك كان منهم على حال ، جاز لهم تَرْكُ الحدود ، أو أن يجاوزوا حدَّ متابعة الأمر والنهي ؛ فوقعوا من جَهْلِهم في التِّيه ، وتاهوا ، وطلبوا ما مالت إليه نفوسهم : من اتِّبَاع الشهوات ، وتناول المحظورات ؛ تأويلاً ، وحِيَلاً ، وكذباً ، وتمويهاً .

والذى زعم أن الأشياء في الأصل مباحةٌ ، فهلاَّ قال : إن الأشياء في الأصل محظورة ، وإنما وقعت إباحتها بالأمر والنهي ، في التوسعة والرُّخص ، حتى لا يقع في الغلط ، مَعَما أن الحلال : ما حلله الله تعالى ، والحرام : ما حرَّمه الله تعالى .

وليس أحد من المؤمنين مستعبَداً باستعمال الشرائع المتقدمة ، ولا باستعمال ما كان عليه الأوائل ، بل المؤمنون : مستعبدون بالائتمار لما أمرهم الله تعالى به ، والانتهاء عما نهاهم الله عنه ، واجتناب ما اشتبه عليهم .

٢٢٧ لقول النبي ، صلى الله عليه وسلم : « الحلال بيِّنٌ والحرام بيِّن وبينهما أمورٌ مشتبهاتٌ ، وحرامُ الله حِمَى ، فمن وقع حول الحِمَى يوشك أن يقع فيه » .

وليس قول من زعم أن الأشياء فى الأصل على الإباحة ، بأولى من قول من يقول : إن الأشياء فى الأصل محظورة ، وإذا استملك لا يبيح ذلك لأحد إلا بحُجَّة .

وليس هذا من قياس النجاسة والطهارة ؛ لأن الأشياء عند الفقهاء وجماعة من أهل العلم فى الأصل طاهرة ، حتى يقوم الدليل على نجاستها .

والفرق بين هذا وبين ذاك : أن النجاسات والطهارات تدخل فى العبادات والحظر ، والإباحة تقع على الأملاك ، وما وقع عليه الملك لا يبيح ذلك لأحد إلا بدليل وحُجَّة .

وبالله التوفيق .

باب فى ذكر غلط الحلولية ، وأقاويلهم

على ما بلغنى ، فلم أعرف منهم أحداً

ولم يصح عندى شىء غير البلاغ

قال الشيخ ، رحمه الله : بلغنى أن جماعة من الحلولية ، زعموا أن الحق ، تعالى ذكره : اصطفى أجساماً حلّ فيها ، بمعانى الربوبية ، وأزال عنها معانى البشرية .

فإن صح عن أحد [أنه] قال هذه المقالة ، وظن أن التوحيد أبْدَى له صفحته بما أشار إليه ، فقد غلط فى ذلك ، وذهب عليه أن الشىء فى الشىء مجانس للشىء الذى حلّ فيه ، والله ، تعالى ، بائن من الأشياء ، والأشياء بائنة منه بصفاتها ، والذى أظهر فى الأشياء : فذلك آثار صنعته ودليل ربوبيته ؛ لأن المصنوع يدل على صانعه ، والمؤلف يدل على مؤلفه .

وإنما ضلت الحلولية ، إن صح عنهم ذلك ؛ لأنهم لم يميزوا بين القدرة التى هى صفة مقادر ، وبين الشواهد التى تدل على قدرة القادر وصنعة الصانع ، فتاهت عند ذلك .

فبلغنى أن منهم من قال بالأنوار :

ومنهم : من قال بالنظر إلى الشواهد المستحسنات نظراً يجهل .

ومنهم : من قال: حال فى المستحسنات وغير المستحسنات .

ومنهم : من قال : حال فى المستحسنات فقط .

ومنهم : من قال : على الدوام .

ومنهم : من قال : وقتاً دون وقت فيما بلغنى .

فمن صح عنه شىء من هذه المقالات : فهو ضال بإجماع الأمة ، كافر ، يلزمه الكفر فيما أشار إليه

والأجسام التي اصطفاها الله تعالى أجسام أوليائه وأصفيائه : اصطفاها بطاعته وخدمته ، وزينها بهدايته ، و بين فضلها على خلقه

والله ، تعالى ، موصوف بما وصف به نفسه ؛ كما وصف به نفسه « ليس كمثله شيء هو السميع البصير » .

والذى غلط فى الحلول ، غلط لأنه لم يحسن أن يميز بين أوصاف الحق و بين أوصاف الخلق ؛ لأن الله ، تعالى ، لا يحلُّ فى القلوب ، و إنما يحل فى القلوب الإيمان به ، والتصديق له ، والتوحيد والمعرفة ، وهذه أوصاف مصنوعاته ، من جهة صنع الله بهم ، لا هو بذاته أو بصفاته ، يحل فيهم .

تعالى الله عز وجل ، عن ذلك علوا كبيراً ؟ .

باب فى ذكر من غلط فى فناء البشرية

قال الشيخ ، رحمه الله : أما القوم الذين غلطوا فى فناء البشرية : سمعوا كلام المتحققين فى الفناء ، فظنوا أنه فناء البشرية ، فوقعوا فى الوسوسة : فمنهم من ترك الطعام والشراب ، وتوهم أن البشرية ، هى القالب ، والجثة إذا ضعفت زالت بشريتها فيجوز أن يكون موصوفا بصفات الإلهية .

ولم تحسن هذه الفرقة الجاهلة الضالة ، أن تفرق بين البشرية وبين أخلاق البشرية لأن البشرية لا تزول عن البشر ، كما أن لون السواد لا يزول عن الأسود ، ولا لون البياض عن الأبيض ؛ وأخلاق البشرية تبدل وتغير بما يرد عليها من سلطان أنوار الحقائق ، وصفات البشرية ليست هى عين البشرية .

والذى أشار إلى الفناء : أراد به فناء رؤيا الأعمال والطاعات ببقاء رؤيا العبد لقيام الحق للعبد بذلك .

وكذلك فناء الجهل بالعلم ، وفناء الغفلة بالذكر ، والذى طمع فى فناء البشرية : فناء البشرية طمع فى ذلك ، وفناء البشرية بالبشرية صفة من صفات البشرية .

والذى يتوهم أنه ذهاب النفس وزوال التلوين عن العبد وقتاً دون وقت ، وذهاب البشرية فقد غلط وجهل عن وصف البشرية ؛ لأن التغيير والتلوين من صفة البشرية ، فإذا زال عنها التغيير والتلوين : فقد تغير الآن عن صفتها وتلون عن معناها ؛ لأنها إذا لم تتغير ولم تتلون فقد تغير وتلون عن صفتها .

والله أعلم .

باب ذكر من غلط في الرؤية بالقلوب

قال الشيخ ، رحمه الله : بلغني عن جماعة من أهل الشام ، أنهم يدّعون الرؤية بالقلوب في دار الدنيا ، كالرؤية بالعيان في دار الآخرة ، ولم أر أحداً منهم ، ولا بلغني عن إنسان ، أنه رأى منهم رجلا له محصولٌ

ولكن رأيتُ لأبي سعيد الخراز ، رحمه الله ، كتاباً كتبه إلى أهل دمشق يقول فيه : بلغني أن بناحيتكم جماعة قالوا : كذا و كذا ، وذكر قولا قريباً من هذا القول، و يشبّه أن في زمانه قوم غلطوا في ذلك وضلوا وتاهوا

والذي قال أهل الحق والإصابة في هذا المعنى ، وأشاروا إلى رؤية القلوب : إنما أشاروا إلى التصديق والمشاهدة بالإيمان ، وحقيقة اليقين .

كما روى في حديث حارثة حيث يقول : « كأني أنظُرُ إلى عرش ربي بارزاً » ٢٢٨
كما جاء في الحديث بطوله ، حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم : « عبدٌ نوّر الله ، تعالى ، قَلْبَهُ » أو كما قال ، كما جاء في الرواية .

والذي تاه وتوسوس في هذا المعنى قوم من أصحاب الصُّبَيحي من أهل البصرة ، كما بلغني ، وقد رأيتُ جماعـــة منهم وذلك : أنهم حملوا على أنفسهم في المجاهدة والسهر ، وترك الطعام والشراب والانفراد والخلوة ، و كثرة التوكل ، وصحبهم الإعجاب مع ذلك بما هم فيه ، فاصطادهم إبليس لعنه الله ، فخُيِّل إليهم : كأنه على عرش أو سرير وله أنوارٌ تتشعشع : فمنهم من ألقى إلى بعض الأستاذين الذين يعرفون مكايد العدو ، فعرفوهم ذلك ودلوهم وردوهم إلى الاستقامة .

كما حُـكي عن سهل بن عبد الله ، رحمه الله : أن بعض تلامذته قال له يوماً : يا أستاذ ، أنا في كل ليلة أرى الله بعين رأسي ، فعلم سهلٌ رحمه الله ، أن ذلك من كيد العدو ، فقال له ياحبيبي : إذا رأيتَهُ الليلة فابزقْ عليه ، قال : فلما رآه من

ليلته يزق عليه ، قال : فطار عرشه . وأظلمت أنواره ، وتخلص من ذلك الرجل ، ولم ير شيئاً بعد ذلك .

ومن لم يقع إلى الأستاذين ، فيدفع ذلك ، ويتكلم بالهوس ، وينسلخ عن دينه بالظنون الكاذبة إلى آخر عمره .

وبلغنى أيضاً أن جماعة هربوا من عبد الواحد بن زيد ، حيث كان يأمرهم بالمجاهدة والعبادة وأكل الحلال والزهد فى الدنيا .

وبلغنى أن عبد الواحد ، رحمه الله ، رأى واحداً منهم بعد مدة ، فسأله عن خبره وخبر أصحابه ، فقال : يا أستاذ ، نحن كل ليلة ندخل الجنة ، ونأكل من ثمارها. قال : فقال له : خُذونى الليلة معكم . قال : فأخرجوه معهم إلى الصحراء ، فلما جنّهم الليل فإذا بقوم عليهم ثياب خُضْر ، وإذا بساتين وفواكه ، قال : فنظر عبد الواحد إلى أرْجُل هؤلاء الذين عليهم الثياب الخضر ، فإذا هو مثل حوافر الدواب ، فعلم أنهم شياطين ، فلما أرادوا أن يتفرقوا قال لهم : إلى أين تذهبون ؟ أليس إدريس النبى ، صلى الله عليه وسلم ، لما دخل الجنة لم يخرج منها ؟ قال : فلمّا أصبحوا فإذا هم على مزابل بين روث الدواب وبعر الحمار ، فتابوا ورجعوا إلى صحبة عبد الواحد بن زيد ، رحمه الله !

وينبغى أن يعلم العبد أن كل شىء رأته العيون ، فى دار الدنيا : من الأنوار ، أن ذلك مخلوقٌ ليس بينه وبين الله ، تعالى ، شبهٌ وليس ذلك صفة من صفاته ، بل جميع ذلك خَلقٌ مخلوقٌ .

ورؤية القلوب ، بمشاهدة الإيمان وحقيقة اليقين والتصديق حقٌ .

لقول النبى ، صلى الله عليه وسلم « أعبُد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

والذى قال من التابعين : لو كشف الغطاء ما ازددتُ يقيناً ، أشار إلى حقيقة يقينه وصفاء وقته ، وتكلم بذلك من غلبات وجده ، وليس الخبر كالمعاينة فى جميع المعانى فى الدنيا والآخرة .

وقد قيل فى قول الله ، تعالى ، : «مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى»(١) يعنى لم تكذب عينه ما رآه بقلبه ، ولم يكذب فؤاده مارآه بعينه .

وهذا خصوصٌ للنبى ، صلى الله عليه وسلم ، ليس لأحد غيره .

---

(١) النجم : ١١

باب ذكر من غلط فى الصفاء والطهارة

قال الشيخ رحمه الله : وطائفة ادّعت الصفا والطهارة على الكمال والدوام ، وأن ذلك لا يزول عنهم ، وزعموا أن العبد يصفو من جميع الكدورات والعِلَل ، بمعنى البينونة منها .

وقد غلطوا فى ذلك ؛ لأن العبد لا يصفو على الدوام من جميع العلل ، وإن وقعت له الطهارة وقتاً فلا يخلو من العلل ، وإنما تصفو له وقتاً دون وقت على مقدار أماكنهم ، فيذكر الله بنعت الصفاء ، ثم يبقى عليه الذكر مع جريان ادّكار الأشياء عليه .

والطهارة تكون لقلب العبد : من الغلّ والحسد ، والشرك والتّهم ، فأما الصفاء الذى لا يحتمل العلة ، والطهارة من جميع أوصاف البشرية ، على الدوام بلا تلوين ولا تغيير : ليس ذلك من صفات الخلق ؛ لأن الله تعالى هو الذى لا تلحقه العلل ، ولا تقع عليه الأغيار ، والخلق مُرادٌ بالابتلاء ، أى يخلون من العلل والأغيار وحُكمُ العبد ، إذا كان ذلك كذلك : أن يتوب إلى الله ، تعالى ، ويستغفر الله ، تعالى ، فى كل وقت .

لقول الله عزّ وجلّ : « وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ »(١) ، كما رُوى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إنه لَيُغَانُ على قلبى فأستغفرُ اللهَ فى اليوم مائة مرة) .

(١) النور : ٣١

باب ذكر من غلط فى الأنوار

قال الشيخ ، رحمه الله : وطائفة غلطت فى الأنوار ، وزعمت أنها ترى أنواراً ، و[بعضهم] يصف قلبه بأن فيه أنواراً ، و يظن [أن] ذلك من الأنوار التى وصف الله تعالى بها نفسه ، وهذه الطائفة تصف ذلك النور بصفة أنوار الشمس والقمر ، وتزعم : أن ذلك من أنوار المعرفة والتوحيد والعظمة ، وتزعم أنها ليست بمخلوقة .

وقد غلط هؤلاء فى ذلك غلطاً عظيما ؛ لأن الأنوار كلها مخلوقةٌ : نور العرش ، ونور الكرسى ، ونور الشمس ، والقمر والكواكب ، وليس لله نور موصوف محدود ، والذى وصف الله تعالى به نفسه فليس ذلك بمُدْرَك ولا محدود ، ولا يحيط به علم الخلق ؛ وكل نور تحيط به العلوم والفهوم : فهو مخلوق ، وأنوار الله ، تعالى ، كلها هدايات الخلق ، وأنوار المصنوعات دلائل وعبرة ؛ ليستدلوا بها على معرفة التوحيد ، يُهتَدَى بها فى ظلمات البر والبحر .

ومعنى أنوار القلوب : معرفة الفرقان والبيان من الله عزّ وجلّ ، وذلك قوله : « يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ».(1)

قالوا فى التفسير : نوراً يوضع فى القلب حتى يفرق به بين الحق والباطل .

هذا معرفة الأنوار كما ذكرتُهُ فى الوقت .

(1) الأنفال : ٢٩

باب ذكر من غلط فى عين الجمع

قال الشيخ ، رحمه الله : وجماعة غلطوا فى عين الجمع ، فلم يضيفوا إلى الخلق ما أضاف الله تعالى إليهم ، ولم يصفوا أنفسهم بالحركة فيما تحركوا فيه ، وظنوا أن ذلك منهم احترازاً ؛ حتى لا يكون مع الله شىء سوى الله ، عز وجل ا فأداهم ذلك إلى الخروج من الملة ، وترك حدود الشريعة ؛ لقولهم : إنهم مجبرون على حركاتهم ، حتى أسقطوا اللائمة عن أنفسهم عند مجاوزة الحدود ومخالفة الاتباع .

ومنهم من أخرجه ذلك إلى الجسارة على التعدى والبطالة وطمعته نفسه على أنه معذور فيما هو عليه مجبور .

وإنما غلط هؤلاء لقلة معرفتهم بالأصول والفروع ، فلم يفرقوا بين الأصل والفرع ، ولم يعرفوا الجمع والتفرقة ، فأضافوا إلى الأصل ما هو مضاف إلى الفرع ، وأضافوا إلى الجمع ما هو مضاف إلى التفرقة ، فلم يحسنوا وضع الأشياء فى مواضعها ، فهلكوا .

وقد سئل سهل بن عبد الله ، رحمه الله ، عن ذلك ، كما بلغنى ، فقيل له : ما تقول فى رجل يقول : أنا مثل الباب لا أتحرك إلا أن يحركونى ؟ فقال سهل بن عبد الله : هذا لا يقوله إلا أحد رَجُلين : إما رجل صديق ، أو رجل زنديق .

والمعنى فيما قال سهل ، رحمه الله : الصديق يرى قوام الأشياء بالله ، ويرى كل شىء من الله تعالى ، ويرجع فى كل شىء إلى الله ، عز وجل ، مع معرفة ما يحتاج إليه : من الأصول والفروع ، والحقوق والحظوظ ، والمعرفة بين الحق والباطل ،

ومتابعة الأمر والنهى ، وحسن الطاعات ، والقيام بشرط الأدب ، وسلوك المنهج على حد الاستقامة .

وأما معنى قول الزنديق بهذه المقالة ، فإنما يقول ذلك ، حتى لا يزجره شيء من من ركوب المعاصى ، أنه أداه جهله إلى الجسارة والاعتداء بإضافة أفعاله وجميع حركاته إلى الله تعالى ؛ حتى أزال اللائمة عن نفسه فى ركوب المآثم بغواية الشيطان وتسويله ، وتأويل الباطل .

أعاذنا الله وإياكم من ذلك !

باب فى ذكر من غلط فى الأنس والبسط وترك الحشية

قال الشيخ ، رحمه الله : وطبقة أشاروا إلى القرب والأنس ، وتوهموا أن بينهم وبين الله ، عز وجل ، حال من القرب والدنو ، فأحشمهم ، عند ذلك التوهم ، الرجوع والالتفات إلى الآداب التى كانوا يراعونها ، والحدود التى كانوا يحفظونها قبل ذلك ، فانبسطوا إلى ما كانوا محتشمين ، وأنسوا بأشياء كانوا عنها مستوحشين من قبل ذلك ، وتوهموا أن ذلك قربهم ودنوهم .

وقد غلطوا فى ذلك وهلكوا ، لأن الآداب والأحوال والمقامات : خِلَعٌ من الله تعالى : على عباده وكرامة لهم ، وهم مستوجبون الزيادة ، إذا صدقوا فى قصودهم ، فمتى ما تركهم وخلاهم عن توفيقه وعنايته بهم ، حتى جاوزوا الحدود ، وخالفوا ما أمروا به : قد نكصوا على أعقابهم ، وسلبوا الخلع التى أكرموا بها من الطاعات ، وقد طردوا من الباب ، وصارت سمتهم سمة المطرودين ، وهم عندهم أنهم من المقبولين ، وكلما توهموا أن الذى هم عليه قرب ودنو ، ازدادوا بذلك من الله سحقاً وبعداً .

وهذا كما حُكى [عن] ذى النون رحمه الله ، أنه قال : ينبغى للعارف أن لا يطفىء نور معرفته نور ورعه ، ولا يعتقد باطناً من العلم ينقض عليه ظاهراً من الحكم ، ولا تحمله كثرة الكرامة من الله تعالى على هتك أستار محارم الله تعالى .

كما كان يقول بعض الحكماء : اللهم لا تشغلنى بك عنك ، واشغلنى بطلبك ، بعد ما كنت لى من غير طلبى .

فهذا على المعنى ، والله أعلم بالصواب .

باب فى ذكر من غلط فى فنائهم عن أوصافهم

قال الشيخ ، رحمه الله : وقد غلطت جماعة من البغداديين فى قولهم : إنهم عند فنائهم عن أوصافهم ، دخلوا فى أوصاف الحق ، وقد أضافوا أنفسهم ، بجهلهم ، إلى معنى يؤديهم ذلك إلى الحلول ، أو إلى مقالة النصارى فى المسيح ، عليه السلام .

وقد زعم أنه سمع [عن] بعض المتقدمين ، أو وجد فى كلامه : أنه قال فى معنى الفناء عن الأوصاف والدخول فى أوصاف الحق .

فالمعنى الصحيح من ذلك : أن الإرادة للعبد ، وهى من عند الله : عطية ، ومعنى خروج العبد من أوصافه والدخول فى أوصاف الحق : خروجه من إرادته ودخوله فى إرادة الحق و بمعنى أن يعلم أن الإرادات : [هى عطية من الله تعالى ، و بمشيّته شاء و بفضله جعل له ما بعطية ذلك قطعه عن رؤية نفسه حتى ينقطع بكايته] إلى الله تعالى ؛ وذلك منزل من منازل أهل التوحيد .

وأما الذين غلطوا فى هذا المعنى ، إنما غلطوا بدقيقة خفيت عليهم ، حتى ظنوا : أن أوصاف الحق هى الحق ، وهذا كله كفر ، لأن الله تعالى ، لا يحل فى القلوب ، ولكن يحل فى القلوب الإيمانُ به ، والتوحيدُ له ، والتعظيم لذكره ، بمعانى التحقيق والتصديق .

ولا فرق فى ذلك بين الخاص والعام ، غير أن للخاصة معنى يتفردون به ، وهو مفارقتهم دواعى الهوى ، و إفناء حظوظهم من الدار وما فيها ، وخلوصُ أسرارهم بمن آمنوا به .

وسائر العوام محجوبون عن هذه الحقائق بانقيادهم للهوى ومطاوعتهم للنفوس .

فهذا هو الفرق بين الخاص والعام فى هذا المعنى .

و بالله التوفيق .

باب فى ذكر من غلط فى فقد الحسوس(١)

قال : وزعمت طائفة من أهل العراق أنهم يفقدون حسهم عند المواجيد ، حتى لا يحسوا بشىء ، ويخرجوا عن أوصاف المحسوسين ، وقد غلطوا فى ذلك ، لأن فقد الحس لا يعلمه صاحبه إلا بالحس ، لأن الحس صفة البشرية ، وإن غلب عليه بادٍ من الواردات التى ترد على الأسرار وتقهرها بسلطانها ، فيطمئن ويمتحق ، ويكون مثل ذلك كمثل الكواكب : إذا طلع عليها سلطان أنوار الشمس ، تطمس أنوار الكواكب ، وهى ممتحقة فى أماكنها .

فكذلك الحس لا يزول ولا يفقد على البشر الحى ، ولكن ربما يغيب العبد عن حسه بحسه عند المواجيد الحادة عن الأذكار القوية .

كما حكى جعفر الخلدى فيما قرأت عليه عن الجنيد ، رحمه الله : أنه قال : سألت سرىّ السقطى ، رحمه الله : عن المواجيد الحادة ، عند الأذكار القوية ، مما يقوى على العبد ، فقال : نعم يضرب وجهه بالسيف ولا يحس ، وإنما يعنى بقوله ، والله أعلم : لا يحس ، يعنى لا يجد ألماً ، وهو بالحس لا يجد ألماً كما أنه بالحس كان يجد ألماً .

وما دام فى العبد روح ، وهو حىٌّ : لا يزول عنه الحس ، لأن الحس مقرون بالحياة والروح .

وبالله التوفيق .

(١) الحسوس : الإحساس

باب فى ذكر من غلط فى الروح

قال الشيخ رحمه الله : ثمّ جماعة غلطوا فى الأرواح ، وهم طبقات شتى ، كلهم تاهوا وغلطوا ؛ لأنهم تفكّروا فى كيفية ما رفع الله عنه الكيفيّة ونزّهه عن إحاطة العلم فى أن يصفه أحدٌ إلا بما وصفه الله به .

فقومٌ قالوا : الروح نور من نور الله ، فتوهّموا أنه نورُ ذاته فهلكوا .

وقوم قالوا : حياة من حياة الله تعالى .

وقوم قالوا : الأرواح مخلوقة ، وروحُ القُدُس من ذات الله تعالى .

وقوم قالوا : أرواح العامّة مخلوقة ، وأرواح الخاصّة ليست بمخلوقة .

وقوم قالوا : الأرواح قديمة ، إنها لا تموت ، ولا تعذّب ، ولا تُبْلَى .

وقوم قالوا : الأرواح تتناسخ من جسم إلى جسم .

وقوم قالوا : للكافر روح واحد ، وللمؤمن ثلاثة أرواح ، وللأنبياء والصدّيقين خمسةُ أرواح .

وقوم قالوا : الروح خلقٌ من النور .

وقوم قالوا : الروح روحانية خُلقت من الملكوت ، فإذا صَفَتْ رجعت إلى الملكوت .

وقال قوم : الروح روحان : روح لاهوتية ، وروح ناسوتية .

وهؤلاء كلّهم قد غلطوا فيما ذهبوا إليه ، وضلّوا ضلالاً مُبيناً ، وجهلوا ما يلزمهم فى ذلك من الخطأ ، وذلك من تعمّقهم وتفكّرهم بآرائهم فيما منع الله تعالى قلوب العباد من التفكّر فيه بقوله تعالى :

« وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى »(١) .

والذى عليه أهل الحقّ والإصابة عندى ، والله أعلمُ : أن الأرواح كلها مخلوقة ، وهى أمرٌ من أمرِ الله تعالى ، ليس بينها و بين الله تعالى سببٌ ولا نِسْبَةٌ غير أنها من مُلْكه وطَوْعُه وفى قبضته ، غير متناسخة ، ولا تخرج من جسم فتدخل فى غيره ، وتذوق الموتَ كما يذوق البدنِ ، وتتنعّم بتنعّم البدن ، وتعذّب بعذاب البدن ، وتُحشر فى البدن الذى تخرج منه .

وخَلَقَ الله تعالى روحَ آدم عليه السلام من الملكوت ، وجسمَه من التُّراب .

ولكلّ فرقة من هؤلاء الذين ذكرتُ لهم فى غلطهم احتجاجاتٌ ، ولأهل الحق والإصابة ردٌ عليهم ، و بيان واضح لغلطهم .

وقد اختصرتُ ذِكْر ذلك لكراهية التطويل ، وفيما ذكرتُ كفاية وبُلْغَةٌ لمن عَقَل من المسترشدين والراغبين فى هذا العلم ، إن شاء الله تعالى .

---

(١) الإسراء : ٨٥

تمّ الـكتاب بحمد الله وعونه وتوفيقه ، وحَسْبُنَا الله ونِعْمَ الوكيل .

وصلى الله على سيّدنا محمـــد وآله ما زَهِر كوكبٌ ، وما أظلم غيهبٌ ، وما وضح فَجْر ، وما غـــبر دَهْر ، وما عرض فِـكْر ، وما ذكر ذاكر ، وما سار سائر ، وما هطل هاطل ، وما أفل آفل ، وما نطق قائل ، وما امتدّ الظلّ ، وما درّ الوَابل ، وما عُرِف الـكلام ، وما بقى الأنام ، وما حسن الإســـلام ، وما عسعس الدَّيجور ، وما اختلف الظلام والنُّـــور ، وما فُلق الإصباح ، وما هبّت الرياح ، وما سبحت الأملاك ، وما جرَتْ الأفلاك ، وما زال فَىْء ، وما بقى حىّ ، وما عُدّ عَـــدَد ، وما بقى الأبد ، وما نطق لســـان ، وصدق عيـــان ، وما درّ القطر ، وما امتدّ الدهر ، وما اضطربت الأمواج ، وما أضاء السراج ، وما تلألأت الأنواء ، وما اعلنكست الظلماء ، صلاةً دائمةً على الأبد ، مُتّصلةً بلا نهاية ولا أمد .

فرغتُهُ فى عاشر ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين وستمائة .

تخريج أحاديث
كتاب اللمع

بسم الله الرحمن الرحيم

رقم الصفحة | رقم مسلسل

٢٢ ١ العلماء ورثة الأنبياء :

قال الحافظ العراقى : أخرجه أبو داود والترمذى وابن ماجه ، وابن حبان فى صحيحه ، من حديث أبى الدرداء ، ورواه الإمام أحمد عنه ، والحاكم عن صفوان المرادى .

وقال الحافظ بن حجر : له طرق تشهد بأن له أصــلا ، وحسنه حمزة الــكنانى .

٢٢ ٢ حديث جبريل عليه السلام ، عن الإسلام والإيمان والإحسان ، فى الصحيحين ، وأبى داود ، وابن ماجه عن أبى هريرة . . وفى مسند الإمام أحمد ، والبزار عن ابن عباس ، ومسلم ، وأصحاب السنن عن عمر ، والبزار عن أنس .

٢٣ ٣ الناس سواء كأسنان المشط :

أخرجه الديلمى عن سهل بن سعد ، وله عن أنس : الناس مستوون كأسنان المشط ، ليس لأحد على أحد فضل إلا بتقوى الله .

٢٥ ٤ من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار :

رواه الشيخان عن على ، والبخارى عن مسلمة مرفوعا وهو من المتواتر ، ورواه عنه صلى الله عليه وسلم أكثر من تسعين صحابيا ، منهم العشرة المبشرة بالجنة .

رقم الصفحة | رقم مسلسل

٢٥ ٥ نضر الله وجه امرىء سمع منى حديثا فبلغه :

رواه أصحاب السنن من حديث ابن مسعود وغيره ، ورواه أحمد وابن ماجه ، من حديث أنس ، وابن حبان فى صحيحه عن ابن مسعود ، إلا أنه قال : رحم الله امرأ .

وقال الترمذى : حسن صحيح ، وبمعناه عن زيد بن ثابت ، رواه أصحاب السنن ، وابن جبير بن مطعم ، رواه الإمام أحمد ، وابن ماجه ، والطبرانى من الكبير ، ولأحمد طريق عن صالح ابن كيسان عن الزهرى بسند حسن ، وقد ذكره السيوطى فى الأحاديث المتواترة .

٢٧ ٦ من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين :

رواه الإمام أحمد ، والشيخان ، وابن ماجه من حديث معاوية ، والترمذى عن ابن عباس وصححه ، والبزار ، والطبرانى فى الكبير عن ابن مسعود بسند لا بأس به ، وفى الحلية عنه بسند حسن : من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين ، ويلهمه رشده .

٢٩ ٧ أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك :

« أعدى أعدائك نفسك التى بين جنبيك » :

رواه البيهقى فى الزهد عن ابن عباس بإسناد ضعيف ، وله شاهد من حديث أنس .

رقم الصفحة | رقم مسلسل

٣٠ ٨ حديث الحارث بن مالك : فما حقيقة إيمانك ؟ فقال : عزفت نفسي عن الدنيا .

رواه البزار بسند ضعيف عن أنس ، والطبراني في الكبير من حديث الحارث بن مالك ، وسنده ضعيف أيضا .

٣١ ٩ أدبني ربي فأحسن تأديبي .

رواه العسكري عن علي ، وابن السمعاني عن ابن مسعود ، وفي الدرر أن الفضل بن ناصر صححه ، وفي اللآلىء المنثورة للحافظ ابن حجر: معناه صحيح ، لكن لم يأت عن طريق صحيح .

٣٤ ١٠ رب أشعث أغبر ذي طمرين لو أقسم على الله لأبره وإن البراء منهم:

هكذا أورده المصنف ، لكن رواه مسلم وغيره بلفظ « رب أشعث أغبر مدفوع إلى الأبواب لو أقسم على الله لأبره » .

٣٤ ١١ استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك :

هكذا رواه الإمام أحمد في المسند ، ورواه البخاري في تاريخه ، والدارمي في سننه ، والطبراني وحسنه النووي في رياض الصالحين ، بلفظ « استفت نفسك وإن أفتاك المفتون » .

٣٤ ١٢ يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفا بغير حساب :

رواه البخاري ، ومسلم .

٣٨ ١٣ لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً :

عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني أرى ما لا ترون ، وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع قدم إلا وفيه ملك واضع جبهته

رقم الصفحة	رقم مسلسل	
		ساجد لله ، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ، ولما تلذذتم بالنساء على الفرش ، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله ، والله لوددت أنى شجرة تعضد ، والله لوددت أنى شجرة تعضد . مدرج فى الحديث من كلام أبى ذر ، ورواه البخارى باختصار ، والحاكم وصححه ، والترمذى إلا أنه قال : ما فيها موضع أربع أصابع ، وأوله عند أحمد ، والشيخان من حديث أنس ، وفى أفراد البخارى من حديث عائشة رضى الله عنها ، ورواه الحاكم ، والطبرانى من حديث أبى الدرداء ، وصححه الحاكم ، وأقره الذهبى .
٣٨	١٤	اختصاص حذيفة بعلم أسماء المنافقين
		فى الصحيحين عن أبى الدرداء ، ومسلم عن حذيفة ، وفى صحيح البخارى عن زيد بن وهب
٣٨	١٥	عن على بن أبى طالب رضى الله عنه ، علمنى رسول صلى الله عليه وسلم سبعين بابا من العلم لم يعلم ذلك أحداً غيرى
		فى الحلية لأبى نعيم وعن ابن عباس قال : كنا نتحدث أن النبى صلى الله عليه وسلم عهد إلى علىّ سبعين بابا من العلم لم يعلم ذلك أحدا غيره ، فى الحلية لأبى نعيم . عن ابن عباس قال : كنا نتحدث أن النبي صلى الله عليه وسلم . عهد إلى على سبعين عهدا لم يعهده إلى غيره
٤٠	١٦	لبس الصوف دأب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
		كانت الأنبياء يستحبون أن يلبسوا الصوف ، رواه الحاكم موقوفا على عبد الله بن مسعود وقال : صحيح على شرطهما

رقم الصفحة	رقم مسلسل	
٤٨	١٧	عن أبى بكر رضى الله عنه أنه كان يقول : أى أرض تقلنى وأى سماء تظلنى إذا قلت فى كتاب الله عز وجل برأيى ؟ رواه أبو عبيد القاسم بن سلام عن إبراهيم التيمى ولم يدرك إبراهيم التيمى الصديق رضى الله عنه وصح بمعناه عن عمر رضى الله عنه ، رواه ابن جرير عن أنس .
٥٧	١٨	من كلام الصديق رضى الله عنه . سبحان من لم يجعل للخلق طريقا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته ، تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله فإنكم لن تقدروا قدره . رواه أبو نعيم عن ابن عباس . وروى الطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى الشعب نحوه عن ابن عمر . وروى أحمد والطبرانى وأبو نعيم نحوه عن عبد الله بن سلام وأسانيدها ضعيفة لكن اجتماعها يكسب السند قوة والمعنى صحيح وفى صحيح مسلم . عن عائشة عنه صلى الله عليه وسلم لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك
٦٠	١٩	خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم و بيده كتابان . أخرجه الترمذى من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وقال : حسن صحيح غريب وأخرجه الطبرانى فى الكبير عن ابن عمر وفيه عبد الوهاب بن مجاهد ضعيف .
٦٣	٢٠	وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون

قال ابن عباس : ليعرفونى، نقله الحافظ بن كثير فى التفسير عن ابن جريج عنه . يراجع الطبرى

رقم الصفحة	رقم مسلسل	
٦٥	٢١	الأرواح جنود مجندة البخاري عن عائشة والإمام أحمد ومسلم وأبو ذر عن أبي هريرة والطبراني، عن ابن مسعود
٦٦	٢٢	خير الذكر، الخفي الإمام أحمد وابن حبان وأبو عوانة في صحيحيهما، والبيهقي في الشعب عن سعد ابن أبي وقاص وصححه السيوطي . وفيه محمد بن عبد الرحمن أبي لبينة، قال الحافظ الهيثمي : ابن عبد الرحمن وثقه ابن حبان وضعفه معين و بقية رجاله رجال الصحيح
٧٠	٢٣	ملاك دينكم الورع . خير دينكم الورع . أبو الشيخ في الثواب بسند حسن قاله السيوطي والبزار والطبراني في الأوسط عن حذيفة مرفوعا فضل العلم خير من فضل العبادة وخير دينكم الورع . وسنده حسن والطبراني عن ابن مرفوعا « أفضل العبادة الفقه وأفضل الدين الورع» وفي إسناده محمد بن أبي يعلى قاله المنذري
٧٠	٢٤	الإثم ما حاك في الصدر . البر حسن الخلق . والإثم ما حاك في صدرك، الإمام أحمد ومسلم والترمذي عن النواس بن سمعان والبخاري في الأدب المفرد، والإمام أحمد نحوه عن أبي ثعلبة والإمام أحمد عن وابصة بسند حسن .
٧١	٢٥	استفت قلبك مكرر
٧٣	٢٦	لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضه ما سقى الكافر منها شربة ماء، من حديث سهل بن سعد رواه الترمذي وقال : حسن صحيح وابن ماجه مثله . وعند أحمد في الزهد عن أبي الدرداء موقوفا

رقم الصفحة	رقم مسلسل	
٧٤	٢٧	الفقر أزين بالعبد المؤمن من العذار الجيد على خد الفرس ، الطبرانى عن شداد بن أوس: ولا يصح سنده ، والمعروف أنه من كلام عبد الرحمن ابن زياد بن أنعم كما رواه ابن عدى فى الكامل
٧٧	٢٨	زكريا كما وضع المنشار عليه إن أنت إلى آخره

عن وهب من أخبار بنى إسرائيل ولا تصح نسبته إلى النبى صلى الله عليه وسلم أعبد الله كأنك تراه حديث جبريل فى الصحيحين الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، عن عمر وأبى هريرة وأحمد عن ابن عباس والبزار عن أنس رضى الله عنهم

٨٢	٢٩	أعبد الله كأنك تراه وعد نفسك فى الموتى و إياك ودعوات المظلوم ، الطبرانى عن أبى الدرداء وحسن السيوطى سنده وضعفه المنذرى وقال الحافظ الهيثمى : الرجل الذى من النخع لا أعرفه «اعبد الله ولا تشرك به شيئا واعمل كأنك تراه واعدد نفسك فى الموتى» رواه الطبرانى والبيهقى عن معاذ . قال الحافظ العراقى: رجاله ثقات وفيه انقطاع «اعبد الله كأنك تراه . فإن لم تكن تراه فإنه يراك واحسب نفسك فى الموتى واتق دعوة المظلوم» فى الحلية عن زيد بن أرقم .
٨٨	٣٠	فإذا أحببته كنت سمعه إلى آخره ، وهو حديث قدسى رواه البخارى عن أبى هريرة وأحمد عن عائشة والطبرانى فى الكبير عن أبى أمامة وابن السنى عن ميمون ، وقد أخطأ من زعم أن البخارى انفرد بروايته
٩١		لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا

ليس بحديث ، وهو من كلام بعض السلف . قال السيوطى أخرجه عبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد عن ثابت البنانى من قوله وقال : كانا سواء

رقم الصفحة	رقم مسلسل	
٩٤	٣٢	ألا هل مشتاق إلى الجنة ؟ هى ورب الكعبة ريحانة تهتز ونهر مطرد وزوجة حسناء
٩٤	٣٣	أسألك لذة النظر إلى وجهك
		النسائى والحاكم عن عمارة وسنده صحيح وأوله ، اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحينى ما علمت الحياة خيرا لى
٩٤	٣٤	من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات
		ابن حبان بسند ضعيف ، عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه وفى معناه : من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ، ألا أن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الجنة . الحاكم ، عن أبى هريرة والترمذى وحسنه
٩٤	٣٥	اشتاقت الجنة إلى ثلاثة
		إن الجنة تشتاق إلى ثلاثة ، على ، وعمار ، وسلمان . الترمذى عن أنس،ورواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح غير أبى ربيعة الأيادى وقد حسن الترمذى حديثه ، قاله الحافظ الهيثمى
١٠٠	٣٦	اعبد الله كأنك تراه (تقدم)
١٠٢	٣٧	سلوا الله تعالى العفو والعافية واليقين فى الدنيا والآخرة
		الإمام أحمد والترمذى عن أبى بكر قال المنذرى: رواه الترمذى من رواية عبد الله بن محمد بن عبيد وقال : حسن غريب،ورواه النسائى من طرق أحد أسانيدها صحيح ، قال المناوى: ورمز السيوطى بحسنه

رقم الصفحة | رقم مسلسل

١٠٢ ٣٨ رحم الله أخى عيسى عليه السلام لو ازداد يقينا لمشى فى الهواء :

قال الحافظ العراق : هذا حديث منكر لا يعرف هكذا . والمعروف ما رواه ابن أبى الدنيا فى كتابه اليقين من قول بكر بن عبد الله المزنى : قال : فقد الحواريون نبيهم ، فقيل لهم : توجه نحو البحر ، فانطلقوا يطلبونه ، فلما انتهوا إلى البحر إذا هو أقبل يمشى على الماء ، فذكرا حديثا على الماء . وروى أبو منصور الديلمى فى مسند الفروس بسند ضعيف من حديث معاذ بن جبل : لو عرفتم الله حق معرفته لمشيتم على البحور ، ولزالت بدعائكم الجبال .

١٠٢ ٣٩ الخلق يبعثون على ما يموتون عليه :

مسلم ، وابن ماجه عن جابر .

١٠٢ ٤٠ ليس الخبر كالمعاينة :

أحمد ، والطبرانى ، والحاكم ، وابن حبان عن ابن عباس ، وأورده الضياء فى المختارة ، والطبرانى فى الأوسط عن أنس .

وقال الحافظ بن حجر فى اللآلىء المنثورة : فإن قيل هو معلول بما قاله ابن عدى فى الكامل من أن هشيما لم يسمع هذا الحديث من أبى بشر فدلسه ، قلت : قال ابن حبان فى صحيحه : لم ينفرد به هشيم ، فقد رواه أبو عوانه عن أبى بشر أيضاً : إذبح ولا تجزىء عن أحد بعدك ، قاله صلى الله عليه وسلم لأبى برده ، رواه الشيخان ، وله طرق أخرى ذكرتها فى المعتبر فى تخريج أحاديث

رقم الصفحة | رقم مسلسل

المنهاج والمختصر ، ورمز السيوطى لحسنه ، وهو كما قال أعلى ، فقد قال الهيثمى: رجاله ثقات ، رواه الخطيب عن أبى هريرة .

١٠٥ ٤١ القرآن حبل الله المتين :

الترمذى عن الحارث الأعور عن على عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١٠٥ ٤٢ قول عبد الله بن مسعود : من أراد العلم فليثور القرآن :

الطبرانى بأسانيد ورجال أحدها رجال الصحيح ، قاله الحافظ الهيثمى .

١١٧ ٤٣ الشرك أخفى من دبيب النمل على الصفا فى الليلة الظلماء وأدناه أن تحب على شىء من الجور أو تبغض على شىء من العدل :

الحاكم عن عائشة رضى الله عنها ، وتعقبه الذهبى بأن فيه عبد الأعلى بن أعين ، وفى مسند الإمام أحمد : اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل ، رواه أبى على رجل من بنى كاهل عن أبى موسى .

وقال الحافظ المنذرى : ورواته إلى أبى على محتج فى الصحيح ، وأبو على وثقه ابن حبان ، ولم أر أحداً جرحه ، ورواه أبو يعلى بنحوه من حديث حذيفة ، ورواه أبو يعلى ، وابن عدى ، وابن حبان عن أبى بكر ، ورواه الحكيم عن ابن عباس بسند ضعيف .

رقم الصفحة	رقم مسلسل	
١١٨	٤٤	الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة :

الإمام أحمد عن عائشة رضى الله عنها ، ورواه الترمذى وابن أبى حاتم من حديث مالك بن مغول بنحوه ، وابن ماجه ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد ، وقال الحافظ العراقى : منقطع بين عائشة رضى الله عنها وعبد الرحمن بن سعد بن وهب ، والترمذى ، عن عبد الرحمن بن سعد عن أبى حازم عن أبى هريرة .

١٢٢	٤٥	قول الملائكة : سبحانك ربنا ما عبدناك حق عبادتك :

عن سلمان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يوضع الميزان يوم القيامة ، فلو وزن فيه السموات والأرض لوسعه ، فتقول الملائكة : يا رب لمن يزن هذا ؟ فيقول الله : لمن شئت من خلقى ، فيقولون : سبحانك ما عبدناك حق عبادتك » رواه الحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم (يراجع فى المستدرك) .

١٣٢	٤٦	قوله صلى الله عليه وسلم فى الوصال : (لست كأحدكم) إنى لست كهيئتكم :

رواه مالك ، والشيخان ، والترمذى عن أنس .

١٣٢	٤٧	إذبح ولا تجزىء عن أحد بعدك :

قاله صلى الله عليه وسلم لأبى بردة بن نيار ، رواه الشيخان من حديث البراء بن عازب .

رقم الصفحة | رقم مسلسل

١٣٣ ٤٨ كان صلى الله عليه وسلم خلقه القرآن :

الإمام أحمد ، ومسلم ، وأبو داود عن عائشة رضى الله عنها .

١٣٣ ٤٩ إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق :

رواه مالك فى الموطإ بلاغا عن النبى صلى الله عليه وسلم ، ورواه أحمد عن أبى هريرة بسند رجاله رجال الصحيح ، كما ذكره الحافظ الهيثمى بلفظ (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق) ورواه البخارى فى الأدب المفرد ، والحاكم ، والبيهقى ، وروى الطبرانى فى الأوسط عن جابر نحوه ، وفى سنده عمر بن إبراهيم القرشى ، وهو ضعيف .

١٣٤ ٥٠ أدبنى ربى فأحسن تأديبى :

تقدم بـ ٩ .

١٣٤ ٥١ أنا أعلمكم بالله وأخشاكم لله :

البخارى عن أنس (والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له) .
والشيخان عن عائشة (والله إنى لأعلمكم بالله وأشدكم له خشية)

١٣٤ ٥٢ خُير صلى الله عليه وسلم بين أن يكون ملكا نبيًا أو عبداً نبيًا ، فاختار أن يكون عبداً نبيًا :

الطبرانى عن ابن عباس بسند حسن ، والبيهقى فى الزهد ، وابن حبان فى صحيحه عن أبى هريرة .

رقم رقم
الصفحة مسلسل

١٣٤ ٥٣ عرضت على الدنيا فأبيتها

كتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز عرضت « أى الدنيا » على نبيك صلى الله عليه وسلم بمفاتيحها وخزائنها ، الحديث رواه ابن أبى الدنيا هكذا مرسلا ، ورواه أحمد والطبرانى متصلا عن أبى بويهة فى أثناء حديث فيه

١٣٤ ٥٤ إنى قد أعطيت خزائن الدنيا والخلد ثم الجنة . الحديث وسنده صحيح

ولأحمد والترمذى من حديث أبى أمامة (عرض على ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا) وقال : حديث حسن

١٣٤ ٥٥ لو كان لى أحد ذهباً لأنفقته فى سبيل الله

رواه الشيخان عن أبى ذر ، عنه صلى الله عليه وسلم ، ورواه ابن ماجه (مختصر)

١٣٤ ٥٦ إنه صلى الله عليه وسلم لم يدخر شيئا لغد

عن أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا لغد ألا و إنى لا أكنز ديناراً ولا درهما ولا أخبأ رزقا لغد، رواه أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب الثواب ، وأنه صلى الله عليه وسلم ، إنما ادخر مرة قوت سنة لعياله ولمن يرد عليه من الوفود

ادخاره صلى الله عليه وسلم قوت السنة ، أخرجه الشيخان من حديث عمر : كان يعزل نفقة أهله سنة

رقم الصفحة | رقم مسلسل

١٣٤ ٥٧ أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن له قيصان ولم ينخل له طعام وأنه خرج صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يشبع من خبز بُرّ قط اختياراً لا اضطراراً لأنه لو سأل الله تعالى أن يجعل له الجبال ذهباً ولم يحاسب عليها لفعل .

لم يكن له قميصان ، روى الطبراني فى الصغير والأوسط عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال لم ينخل لرسول الله صلى الله عليه وسلم الدقيق ولم يكن له إلا قيص واحد ، ورواه البزار وروى الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه، وعن عبد الرحمن بن عوف خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يشبع هو ولا أهله من خبز الشعير ، رواه البزار بإسناد حسن ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، خرج رسول الله ، صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير ، رواه البخارى والترمذى ، وعن سهل بن سعد رضى الله عنه قال : ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم منخلا من حين ابتعثه الله حتى قبضه الله فقيل كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول قال كنا نطحنه وننفخه فيطير ما طار وما بقى ثرّيناه ، رواه البخارى ، وعن الحسن قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يواسى الناس بنفسه حتى جعل يرقع إزاره بالأدم ، وما جمع بين غداء وعشاء ثلاثة أيام حتى لحق بالله رواه ابن أبى الدنيا فى « كتاب الجوع » مرسلا

١٣٥ ٥٨ عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لبلال :

(أنفق بلال ولا تخش من ذى العرش إقلالا)

رقم الصفحة | رقم مسلسل

١٣٥ عن بلال المؤذن قال : دخل النبى صلى الله عليه وسلم وعندى صبرة من تمر فقال : ما هذا ؟ فقلت : ادخرناه لشتائنا ، قال عليه الصلاة والسلام : أما تخاف أن ترى له بخاراً فى جهنم ؟ (أنفق بلال ولا تخش من ذى العرش إقلالا) .

قال الهيثمى : إسناده حسن ، ورواه البزار عن بلال

ورواه الطبرانى فى الكبير والقضاعى فى سنده عن ابن مسعود

قال الهيثمى : رواه بإسنادين أحدهما حسن ، وفى الآخر معاذ بن الربيع وفيه كلام ، وبقية رجاله ثقات

ورواه أيضا عن أبى هريرة ، وفيه مبارك بن فضالة وبقية رجاله رجال الصحيح اه ، وذكره النجم عن أبى هريرة والبزار عن عائشة

وأطلق الحافظ العراقى أن الحديث ضعيف فى جميع طرقه لكن قال تلميذه الحافظ ابن حجر من رواية البزار إسناد حديث حسن وضعت بريرة بين يديه صلى الله عليه وسلم طعاما فأكل منه فردته إليه الليلة الثانية

١٣٥ ٥٩ وعن أنس بن مالك قال : أهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثلاثة طوائر ، فأطعم خادمه طائراً فلما كان من الغد أتت أتت به فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألم أنهك أن ترفعى شيئاً لغد ؟ فإن الله يأتى برزق كل غد .

رقم الصفحة	رقم مسلسل	
١٣٥		قال الحافظ الهيثمى : ورواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير هلال ابن المعلى ، وهو ثقة .
١٣٥	٦٠	أنه صلى الله عليه وسلم لم يعب طعاماً قط ، ولا خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ، إنه لم يعب طعاماً قط ، متفق عليه من حديث أبى هريرة ، ولا خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ، مالك والشيخان وأبو داود عن عائشة .
١٣٥	٦١	وكان من تواضعه صلى الله عليه وسلم يلبس الصوف ، وينتعل المخصوف ، ويركب الحمار ، ويحلب الشاة ، ويخصف نعله ، ويرقع ثوبه ، وكان لا يأنف أن يركب الحمار ، ويردف خلفه .

وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل خشناً ، ولبس خشناً ، لبس الصوف ، واحتذى المخصوف ، رواه ابن ماجه ، والحاكم *

وعن أبى موسى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ، ويلبس الصوف ، ويعتقل الشاة ، ويأتى مراعاة الضيف ، رواه الطبرانى ، ورجاله رجال الصحيح . قاله الحافظ الهيثمى .

قيل لعائشة ماذا كان يعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته ؟ قالت : كان بشراً من البشر . يفلى ثوبه ، ويحلب شاته ،

رقم الصفحة | رقم مسلسل

ويخدم نفسه ، رواه أبو نعيم فى الحلية . كان يعمل عمل البيت ، وأكثر ما يعمل الخياطة ـ الجامع .

وروى أبو الشيخ عن عائشة : يخصف النعل ، ويرقع الثوب .

كان يركب الحمار موكفاً عليه قطيفة ، وكان مع ذلك يستردف متفق عليه من حديث أسامة بن زيد .

١٣٥ ٦٢ وكان يكره الغنى ، ولا يخشى من الفقر ، وكان يمر به و بأزواجه الشهر والشهران فلا يوقد فى بيته نار للخبز ،وأنه كان طعامهم الأسودين التمر والماء .

وعن أبى أمامة رضى الله عنه : عرض على ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهباً قلت : لا يارب ، ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً أو قال ثلاثاً أو نحو هذا ؛ فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك ، وإذا شبعت شكرتك وحمدتك . ثم قال : الترمذى هذا حديث حسن .

وكان يمر به الشهر والشهران لا يوقد فى بيته نار . الشيخان عن عائشة ، وأبو يعلى ، عن أبى هريرة .

١٣٥ ٦٣ اللهم أحينى مسكيناً .

الترمذى ، وابن ماجه ، عن أبى سعيد الخدرى والحاكم وقال: صحيح الإسناد ، ورواه الطبرانى بسند رجاله ثقات عن عبادة بن الصامت ، وقال الحافظ بن حجر : وادعى ابن الجوزى ، وابن تيمية أنه موضوع

رقم الصفحة رقم مسلسل

وليس كما قالا اهـ ومعنى الحديث دلالة الأمة على طلب التواضع، وأن لا يكون من الجبابرة.

١٣٦ ٦٤ اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا، يوماً بيوم.
رواه الشيخان، والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة.

١٣٦ ٦٥ وكان أبو سعيد الخدري رضي الله عنه يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم. كما روى عنه. كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعقل البعير، ويعلف الناضح، ويقم البيت، ويخصف النعل، ويرقع الثوب، ويحلب الشاة، ويأكل مع الخادم، ويطحن معها إذا أعيت وكان لا يمنعه الحياء أن يحمل بضاعته من السوق إلى أهله؛ فكان يصافح الغنى والفقير ويسلم مبتدئاً، وكان لا يرد من دعاه، ولا يحقر ما دعى إليه ولو إلى حشف التمر، وكان لين الخلق. كريم الطبع. جميل المعاشرة. طلق الوجه. بساماً من غير ضحك. محزوناً من غير عبوس. متواضعاً من غير مذلة. جواداً من غير سرف. رقيق القلب. دائم الإطراق. رحيما بكل مسلم. لم يتجشأ قط من شبع. ولا مد يده إلى طمع. قال الحافظ العراقي: أخرج أبو الحسن الضحاك في الشمائل حديث أبي سعيد الطويل الذي قال فيه: متواضع من غير مذلة وإسناده ضعيف.

وهذا الحديث جمع فيه محاسن من محاسنه صلى الله عليه وسلم التي لا تحصى وهي من ضمن أوصافه وسجاياه المشهورة منثورة في كتب السنة الصحيحة:

رقم الصفحة | رقم مسلسل

١٣٦ ٦٦ يلبس الصوف ويعقل البعير :

البزار من حديث أبى موسى .

١٣٦ ٦٧ يعلف الناضح ويقم البيت :

للبخارى من حديث عائشة : كان يكون فى مهنة أهله ، وفى مسند الإمام أحمد : ويعمل فى بيته كما يعمل أحدكم فى بيته ، ورجاله رجال الصحيح .

١٣٦ ٦٨ ويأكل مع الخادم ويطحن معها إذا أعيت :

أبو بكر بن الضحاك فى الشمائل من حديث أبى سعيد ، وروى مسلم من حديث أبى اليسر : أطعموهم مما تأكلون ، وألبسوهم مما تلبسون .

وحديث أبى هريرة : إذا أتى أحدكم خادمه بطعام فليجلسه وليأكل معه ، فإن لم يفعل فليناوله لقمة ، متفق عليه .

١٣٦ ٦٩ وكان لا يمنعه الحياء أن يحمل بضاعته من السوق إلى أهله :

الطبرانى فى الأوسط .

١٣٦ ٧٠ وكان يصافح الغنى والفقير :

أبو داود من حديث أبى ذر : وكان إذا لقى أحداً من أصحابه بدأه بالمصافحة ، ثم أخذ بيده فشابكه ، ثم قبض عليه .

١٣٦ ٧١ وكان يسلم مبتدئاً :

فى الشمائل عن هند بن أبى هالة : كان من خلقه أن يبدأ من لقيه بالسلام .

رقم الصفحة | رقم مسلسل

١٣٦ ٧٢ وكان لا يرد من دعاه ولا يحقرما دعى إليه :
روى الإمام أحمد وابن حبان والترمذى عن أنس لو أهدى إلى كراع لقبلت ولو رغبت إليه لأجبت

١٣٦ ٧٣ وكان لين الخلق كريم الطبع جميل المعاشرة طلق الوجه :
الترمذى فى الشمائل من حديث على بن أبى طالب كان دائم البشر كامل الخلق لين الجانب .

١٣٦ ٧٤ وكان بساماً من غير ضحك :
الترمذى من حديث عبد الله بن الحارث : ما كان ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا مبتسماً ، وقال : صحيح غريب ، وله فى الشمائل من حديث هند بن أبى هالة .

١٣٦ ٧٥ محزونا من غير عبوس :
الشيخان عن عائشة (إنما ضحكه التبسم) أبوالحسن فى الضحك فى الشمائل من حديث أبى سعيد الخدرى فى صفته صلى الله عليه وسلم

١٣٦ ٧٦ وكان متواضعا من غير مذلة :
كان يجلس مع أصحابه مختلطا بهم كان أحدهم يعانى الغريب فلا يدرى أيهم هو أبو داود والنسائى من حديث أبى هريرة وأبى ذر

١٣٦ ٧٧ وكان جواداً من غير سرف :
لأنه لا ينفق إلا فى طاعة الله عز وجل .

١٣٦ ٧٨ وكان رقيق القلب :
لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم .

رقم الصفحة | رقم مسلسل

١٣٦ ٧٩ وكان دائم الإطراق :

أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه كأنما على رءوسهم الطير : لأصحاب السنن من حديث أسامة بن شريك .

١٣٦ ٨٠ وكان رحيما بكل مسلم : حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم :

١٣٦ ٨١ لم يتجشأ قط من شبع :

عن ابن عمر رضى الله عنهما ، فقال : كف عنا جشاءك فإن فإن أكثرهم شبعا فى الدنيا أطولهم جوعا يوم القيامة .

رواه الترمذى وابن ماجه والبيهقى من رواية يحيى البكاء عنه ، وقال الترمذى : حديث حسن ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أهل الشبع فى الدنيا هم أهل الجوع غدا فى الآخرة ، رواه الطبرانى بإسناد حسن ، ورواه البزار عن أبى جحفة رضى الله عنه بإسنادين رواة أحدهما ثقات .

١٣٦ ٨٢ ولا مد يده إلى طمع ، بل كان يعطى عطاء من لا يخشى الفقر :

وقالت عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود من الريح المرسل فى الصحيحين عن ابن عباس كان أجود الناس بالخير ، وكان أجود ما يكون فى شهر رمضان ، وفيه : فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة .

ووهب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين جبلين من الغنم لرجل واحد ، فرجع ذلك الرجل إلى قبيلته فقال : إن محمداً صلى الله

رقم الصفحة | رقم مسلسل

عليه وسلم يحلى عطاءه من لا يخشى الفقر : الإمام أحمد ، ومسلم عن أنس .

١٣٦ ٨٣ ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا بالأسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح :

رواه الترمذى عن عائشة وصححه .

١٣٧ ٨٤ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل على الأرض :

عن ابن عباس رضى الله عنهما .

١٣٧ ٨٥ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس على الأرض ، ويجيب دعوة المملوك على خبز الشعير :

رواه الطبرانى .

١٣٧ ٨٦ ويلبس الصوف :

رواه الحاكم وصححه عن أنس وابن ماجه .

١٣٧ ٨٧ وأكل خشناً ولبس خشناً :

وفيه يوسف بن أبى كثير عن نوح بن ذكوان .

١٣٧ ٨٨ ويجالس المساكين ، ومجالسته صلى الله عليه وسلم للفقراء ثابتة ، كما أمره ربه تبارك وتعالى .

وروى أبو داود من حديث أبى سعيد : مجالسته للفقراء ليعدل بنفسه فيهم : وابن ماجه من حديث خباب : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس معنا .

رقم الصفحة | رقم مسلسل

١٣٧ ٨٩ ويمشى فى الأسواق وهذا ثابت فى الكتاب ، وحديث أبى هريرة فى دخوله السوق وحمله السراويل :

رواه الطبرانى فى الأوسط وأبو يعلى .

١٣٧ ٩٠ وكان صلى الله عليه وسلم إذا دخل السوق قال : « اللهم إنى أسألك من خير هذه السوق وخير ما فيها » الحديث :

الطبرانى والحاكم عن بريدة ، وسنده صحيح .

١٣٧ ٩١ ويتوسد يده :

وكان إذا عرس وعليه ليل توسد يمينه ، وإذا عرس وعليه ليل وضع رأسه على كفه اليمنى وأقام ساعده :

الإمام أحمد وابن حبان والحاكم من أبى قتادة ـ صحيح .

١٣٧ ٩٢ ويقاص من نفسه :

وحديث عكاشة بن محصن ثابت فى الصحاح .

١٣٧ ٩٣ ولم يُرَ ضاحكا ملء فيه :

وقد تقدم أن ضحكه صلى الله عليه وسلم كان التبسم ، وفيه حديث عائشة رضى الله عنها : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا ضاحكا حتى أرى لهواته إنما كان يتبسم .

١٣٧ ٩٤ ولم يأكل وحده قط :

حديث أنس : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأكل وحده الخرائطى فى مكارم الأخلاق بسند ضعيف .

رقم الصفحة | رقم مسلسل

١٣٧ ٩٥ ولا ضرب عبده قط :

متفق عليه من حديث عائشة .

ماضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خادما ولا امرأة قط ، أبو داود عن عائشة

١٣٧ ٩٦ ولا ضرب أحداً بيده إلا فى سبيل الله عز وجل :

متفق عليه من حديث عائشة .

ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط بيده ، ولا امرأة ، ولا خادما إلا أن يجاهد فى الله عز وجل وما نيل منه شىء قط فينتقم من صاحبه إلا إن انتهك شىء من محارم الله فينتقم لله عزّ وجلّ .

١٣٧ ٩٧ وكان لا يجلس متربعاً ولا يأكل متكئاً ويقول : آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد .

كان لا يأكل متكئا ، الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو

آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد .

ابن سعد وأبو يعلى ، وابن حبان والحاكم فى التاريخ عن عائشة رضى الله عنها .

١٣٧ ٩٨ وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه شد الحجر على بطنه من الجوع ولو سأل ربه أن يجعل له أبا قبيس ذهبا لأجابه :

رقم الصفحة | رقم مسلسل

متفق عليه من حديث جابر ، وروى الترمذى من حديث أبى طلحة شكونا إلى النبى صلى الله عليه وسلم الجوع ورفعنا ثيابنا عن حجر حجر إلى بطوننا فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حجرين

١٣٧ ٩٩ وحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه إلى أبى الهيثم بن التيهان

مالك والترمذى ومسلم عن أبى هريرة

١٣٧ ١٠٠ ودعاه رجل وخمسة معه فلم يدخل السادس إلا بإذنه :

عن أبى مسعود رضى الله عنه ، أخرجه الشيخان والترمذى

١٣٧ ١٠١ لبس صلى الله عليه وسلم منديلا له علم ثم رمى به :

متفق عليه ، فى حديث عائشة .

١٣٧ ١٠٢ وسئل عن الصلاة فى ثوب واحد فقال : أو كلكم يجد ثوبين ؟

مالك ، والشيخان ، والترمذى ، وأبو داود عن أبى هريرة .

١٣٧ ١٠٣ أنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد :

الحاكم ، من حديث جرير ، وقال : صحيح على شرط الشيخين.

١٣٧ ١٠٤ لا تفضلونى على يونس بن متى :

لا ينبغى لعبد أن يقول : أنا خير من يونس بن متى ، للشيخين ، وأبى داود عن ابن عباس ، ونقله الشيخان عن أبى هريرة ، وهو فى الصحيح عن عبد الله بن جعفر عن عبد الله بن مسعود وذلك قبل أن يعلم أنه أفضل الخلق وقد ثبت ذلك عنه .

رقم الصفحة | رقم مسلسل

١٣٧ ١٠٥ أنا سيد ولد آدم يوم القيامة :

مسلم ، وأبو داود عن أبي هريرة ، وأحمد ، والترمذي وابن ماجه ، عن أبي سعيد ، سيادة ولا فخر .

١٣٧ ١٠٦ أني لأعطي أقواماً إلخ .. :

الشيخان ، والإمام أحمد ، والنسائي عن سعد .

١٣٨ ١٠٧ أول من يدخل الجنة فقراء الأنصار ، الشعثة رؤوسهم الدنسة ثيابهم:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم ، رواه أحمد والبزار ، ورواتهما ثقاة ، وابن حبان في صحيحه وفيه الفقراء المهاجرون ، عن ثوبان ، رواه الطبراني في الصحيح ، وفي الترمذي وابن ماجه نحوه ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

١٣٨ ١٠٨ مالي وللدنيا :

رواه أحمد وابن حبان في صحيحه ، والبيهقي عن عباس ، والترمذي عن عبد الله بن مسعود ، وقال: حسن صحيح وابن ماجه .

١٣٨ ١٠٩ ليكن بلغة أحدكم كزاد الراكب :

رواه أبو يعلى والطبراني عن حباب بإسناد جيد ، والبيهقي في الشعب عنه ، وروى الحاكم وابن حبان في صحيحه نحوه من حديث سلمان ، ورواه ابن ماجه ورواته ثقات احتج بهم الشيخان إلا جعفر

رقم الصفحة | رقم مسلسل

ابن سليمان احتج به مسلم وحده ، وعن عائشة رضى الله عنها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أردت اللحوق بى فليكفك من الدنيا كزاد الراكب ، رواه الترمذى والحاكم .

١٣٨ ١١٠ يدخل فقراء أمتى الجنة قبل أغنيائهم بنصف وخمسمائة عام :

الترمذى ، وابن حبان فى صحيحه ، وقال الترمذى : حديث حسن صحيح .

١٣٨ ١١١ أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل :

رواه الترمذى ، وقال : حسن صحيح ، وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن سعد بن أبى وقاص ، والإمام أحمد والنسائى ،وابن ماجه والدارمى من حديث عاصم ومالك وآخرين ؟ وابن حبان والحاكم وصححاه ، والطبرانى من حديث فاطمة والحاكم عن أبى سعيد .

١٣٨ ١١٢ قال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم : إنى أحبك :

رواه الطبرانى عن كعب بن عجرة ، وقال الحافظ المنذرى : قال شيخنا الحافظ أبو الحسن : إسناده جيد وعن عبد الله بن مغفل رضى الله عنه قال : جاء رجل فقال : يارسول الله إنى أحبك ، قال : والله إنى لأحبك ، ثلاث مرات فقال : إن كنت تحبنى فأعد للفقر تجفافاً فإن الفقر أسرع إلى من يحبنى من السيل إلى منتهاه ، أخرجه الترمذى وقال : حديث حسن غريب.

رقم الصفحة | رقم مسلسل

١٣٨ ١١٣ حبب إلىّ من دنياكم ثلاث :

رواه الإمام أحمد والنسائى والحاكم والبيهقى عن أنس من غير لفظ «ثلاث» ، وسنده حسن ، قال الحافظ العراق : بسند جيد وضعفه العقيلى .

١٣٨ ١١٤ أنتم أعلم بدنياكم :

مسلم عن أنس وعائشة .

١٣٨ ١١٥ لم يضع رسول الله صلى الله عليه وسلم لبنة على لبنة إلى أن خرج من الدنيا وكان يقول : عريشاً كعريش أخى موسى :

ابن حبان فى الثقات عن الحسن مرسلا ، مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يضع لبنة على لبنة ، وأبو نعيم فى الحلية ، والطبرانى فى الأوسط عن عائشة بعض حديث و إسناده ضعيف، وأخرج المخلص فى فوائده ، وابن النجار عن أبى الدرداء : عريشا كعريش موسى ثمام ، وخشيبات والأمر أعجل من ذلك ، وأخرج الدارقطنى فى الأفراد من حديث أبى الدرداء ، وقال : غريب أن سئل أن يكحل المسجد فقال : لاعريش كعريش أخى موسى .

١٣٨ ١١٦ وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من الدنيا ودرعه مرهونة على صاع من شعير :

البخارى ،ومسلم ،والترمذى ،عن عائشة

توفى ودرعه مرهونة عند يهودى بثلاثين ، وعن البيهقى بثلاثين

رقم الصفحة | رقم مسلسل

صاعا من الشعير ، والترمذى والنسائى والبيهقى عن ابن عباس بعشرين صاعا من طعام أخذه لأهله ، وسنده حسن ، ولم يترك ولا درهما ، مسلم عن عائشة .

١٣٨ ١١٧ ولم يقم له ميزان :

١٣٨ ١١٨ ما ترك ديناراً ولا درهما ولا شاة ولا أجيراً :

مسلم ، عن عائشة .

١٣٨ ١١٩ لم يوجد فى بيته أثاث :

الشيخان عن عائشة رضى الله عنها ، كان فراشه أدما حشوه ليف ، والشيخان عن عمر ، أنه كان ينام على سرير مرمول بشريط حتى يؤثر فى جنبه .

وقال : نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركنا صدقة ، لمالك والشيخان والترمذى وأبى داود عن ابن بكر ، وعمر ، وعثمان ، وطلحة والزبير ، وسعد ، وأبى هريرة ، وعائشة .

١٣٨ ١٢٠ وكان يقبل الهدية ، ولا يأكل الصدقة :

متفق عليه من حديث أبى هريرة ، والإمام أحمد ، والطبرانى عن عائشة ، وأبى هريرة .

١٣٨ ١٢١ ما أوحى الله تعالى إلىّ أن أجمع المال وأكون تاجراً :

ابن عدى من حديث ابن مسعود ، ولأبى نعيم ، والخطيب فى

تخريج

الطبراني ، والبيهقي في الزهد من حديث الحارث بن سويد في أثناء الحديث : لا تجمعوا ما لا تأكلون .

١٣٨ حديث عائشة رضي الله عنها ذبحنا شاة فتصدقنا بها حتى لم يبق إلا كتفها :

الترمذي : عن عائشة ، وقال : حسن صحيح .

١٣٩ إن الله يحب مكارم الأخلاق ، ويكره سفسافها ، إن الله يحب معالي الأمور ، ويبغض سفسافها :

الحاكم من حديث سهل بن سعد ، وابن ماجه ، وأبو نعيم ، والطبراني عن سهل ، إن الله كريم يحب الكريم ، ويحب معالي الأخلاق ، ويكره سفسافها ، وبمعناه الطبراني عن الحسن ابن علي رضي الله عنهما ، والبيهقي من حديث سهل متصلا ، ومن رواية طلحة بن عبيد الله ابن كريز مرسلا ، ورجالهما ثقات ذكره الحافظ العراقي .

١٣٩ ١٢٤ بعثت لأتمم مكارم الأخلاق : مكرر عن ٤٩

١٣٩ ١٢٥ كان متواصل الأحزان دائم الفكرة :

الطبراني في الكبير عن الحسن بن علي سألت خالي هند بن هالة ، وكان لصدره أزيز كأزيز المرجل : عن مطرف عن أبيه أبو داود ، والنسائي ، وابن خزيمة ، وابن حبان ، ولصدره أزيز كأزيز الرحى ، ولبعضهم : ولجوفه أزيز كأزيز المرجل ، عن عبد الله ابن الشخير أبو داود ، والترمذي في الشمائل ، والنسائي .

رقم رقم
الصفحة مسلسل

١٣٩ ١٢٦ صلى حتى تورمت قدماه :

الشيخان ، والنسائى ، والترمذى عن المغيرة بن شعبة ، والشيخان عن عائشة ، حتى تنفطر قدماه : والبزار عن أبى هريرة .

١٤٠ ١٢٧ كان يعطى من حرمه ، ويصل من قطعه ، ويعفو عن من ظلمه :

البخارى عن عبد الله بن عمرو بن العاص : ليس بفظ ، ولا غليظ ، ولا صخاب فى الأسواق ، ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح .

١٤٠ ١٢٨ أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم من ترك مالا لورثته الخ :

الإمام أحمد ، والشيخان ، والنسائى ، وابن ماجه عن أبى هريرة .

١٤٠ ١٢٩ اللهم إنى بشر أغضب كما يغضب البشر :

الشيخان عن أبى هريرة ، وأحمد ، ومسلم عن جابر .

١٤٠ ١٣٠ حديث أنس خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ :

الشيخان ، وأبو داود ، والترمذى .

١٤٠ ١٣١ عفوه عن أهل مكة حين فتحها :

النسائى عن أبى هريرة رضى الله عنه لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة . الحديث وفيه : فجاء فأخذ بعضادتى الباب ثم قال : يا معشر قريش ما تقولون ؟ قالوا : نقول ابن أخ وابن عم

رقم الصفحة | رقم مسلسل

رحيم كريم ثم أعاد عليهم القول فقالوا مثل ذلك ، فقال : إنى أقول كما قال أخى يوسف : لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لى ولكم وهو أرحم الراحمين : ولابن سعد من طريق الزهرى عن بعض آل عمر بن الخطاب ، وأخرج نحوه حميد بن زنجويه فى كتاب الأموال عن طريق ابن أبى حسين ، وأخرجه عبد الرازق فى الجامع عن ابن عمر يا معشر قريش : ما ترون أنى فاعل بكم ؟ قالوا : خيراً أخ كريم وابن أخ كريم . قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

١٤١ ١٣٢ إنى بعثت بالحنيفية السمحاء :

رواه أحمد بإسناد حسن عن عائشة ، وترجم البخارى « أحب الدين إلى الله الحنفية السمحة » والخطيب عن جابر : بعثت بالحنفية السمحة .

١٤١ ١٣٣ وكان يحب الحلو البارد :

كان أحب الشراب إليه الحلو البارد . الإمام أحمد ، والترمذى ، والحاكم عن عائشة .

١٤١ ١٣٤ إنما أنسى لأسن :

مالك بلاغاً ، وهو من الأحاديث الأربعة فى الموطأ التى لم يجدها ابن عبد البر موصولة ، ووصلها ابن الصلاح .

١٤٣ ١٣٥ حديث حارثة: لكل حق حقيقة ، تقدم فى حديث ٨

رقم الصفحة	رقم مسلسل	
١٤٣	١٣٦	احفظ الله يحفظك . الترمذى عن ابن عباس :
		والإثم ما حاك فى الصدر ، تقدم فى ٢٦
١٤٣	١٣٧	الحلال بين والحرام :
		الشيخان وأصحاب السنة عن النعمان بن بشير : الحلال بين ، والحرام بين ، و بينهما أمور مشتبهات :
		الحلال بين ، والحرام بين ، فدع ما يريبك إلى مالا يريبك . الطبرانى فى الأوسط عن عمر .
١٤٣	١٣٨	لا ضرر ولا ضرار فى الإسلام .
		لا ضرر ولا ضرار . رواه مالك مرسلا عن يحيى المازنى والإمام أحمد ، وعبد الرزاق ، وابن ماجه عن ابن عباس .
١٤٧	١٣٩	من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم :
		أبو نعيم فى الحلية من حديث أنس وضعفه .
١٤٨	١٤٠	قال رجل : علمنى من غرائب العلم :
		ابن السنى وأبو نعيم فى كتاب الرياضة لهما ، وابن عبد البر من حديث عبد الله بن مسعود مرسلا وهو ضعيف جداً : أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : علمنى من غرائب العلم ، فقال له : ما صنعت من رأس العلم . قال : وما رأس العلم . قال : هل عرفت الرب تبارك وتعالى ؟ قال : نعم . قال : ما صنعت فى حقه ؟ قال : ما شاء الله . قال صلى الله عليه وسلم : اذهب فأحكم ما هنالك ثم تعال أعلمك من غرائب العلم

رقم الصفحة | رقم مسلسل

١٤٩ ١٤١ إنما الأعمال بالنيات :

الشيخان عن عمر ومالك فى الموطأ برواية محمد بن الحسن .

١٥٤ ١٤٢ أعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك :

مسلم ، ومالك ، وأبو داود ، والنسائى ، والترمذى .

١٥٨ ١٤٣ أصدق كلمة قالتها العرب :

الشيخان عن أبى هريرة وابن ماجه

أعوذ برضاك من سخطك ، انظر ٩٩ .

١٥٩ ١٤٤ لو تعلمون ما أعلم ، مكرر ١٦ .

أنا أعلمكم بالله ، مكرر ٥١ .

١٦٠ ١٤٥ اللهم اكفلنى كفالة الوليد ؟

وجهت وجهى إليك علمها النبى صلى الله عليه وسلم لبعض أصحابه للشيخين من حديث البراء .

اللهم امتعنى بسمعى وبصرى : الترمذى ، والحاكم عن أبى هريرة .

١٦٠ ١٤٦ لا تكلنى إلى نفسى طرفة عين :

الحاكم من حديث أنس قال صحيح على شرط الشيخين . وهو فى اليوم والليل ، وعلمه صلى الله عليه وسلم لابنته الزهراء رضى الله عنها .

١٦٠ ١٤٧ واكرباه عند موت النبى صلى الله عليه وسلم :

عن أنس أن فاطمة رضى الله عنها قالت : واكرب أباه فقال صلى

رقم الصفحة | رقم مسلسل

الله عليه وسلم : ليس على أبيك كرب بعد اليوم ، فى الصحيح .

١٦١ ١٤٨ أنا سيد ولد آدم . تقدم فى حديث ٧٣ .

١٦١ ١٤٩ أستغفروا الله وتوبوا إليه فإنى أستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم مائة مرة .

وقال حذيفة : كنت ورب اللسان على أهلى فقلت يارسول الله لقد خشيت أن يدخلنى لسانى النار ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : فأين أنت من الاستغفار ؟ فإنى لأستغفر الله فى اليوم مائة مرة وعزاه الحافظ العراق للنسائى فى اليوم والليلة والبيهقى .

ورواه الحاكم ، وقال صحيح على شرط الشيخين : ما أصبحت غداة قط إلا استغفرت الله فيها مائة مرة .

للطبرانى عن أبى موسى . ما أصبحت غداة قط إلا استغفرت الله تعالى مائة مرة ؟ .

وعن أغر مزينة رضى الله عنه قال: قال رسول الله : إنه ليغان على قلبى حتى أستغفر الله تعالى فى اليوم والليل مائة مرة ، أخرجه مسلم وأبو داود.

وفى رواية لمسلم : قولوا إلى ربكم ، فوالله إنى لأتوب إلى الله ربى تبارك وتعالى فى اليوم مائة مرة .

١٦١ ١٥٠ رحم الله أخى عيسى عليه السلام تقدم فى حديث ٣٩

١٦١ ١٥١ لى مع الله وقت لا يسعنى فيه معه شىء :

من رسالة القشيرى لى وقت لا يسعنى فيه غيرربى ، معناه صحيح ولكن السند لا يعرف .

رقم الصفحة	رقم مسلسل	
١٦١	١٥٢	ما وسعنى أرضى ولا سمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن :
		قال الحافظ العراقى : لم أر له أصلا .
١٦١	١٥٣	إن لله أوانى فى أرض وهى القلوب :
		إسناده جيد .
١٦١	١٥٤	حديث عائشة : انتبهت ليلة فلم أجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فراشه :
		البيهقى من طريق العلا عن عائشة ، وقال : هذا مرسل جيد العلا ، لم يسمع من عائشة .
١٦٢	١٥٥	أطيب ما أكل الرجل من كسب يده :
		أطيب الكسب عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور :
		رواه أحمد والطبرانى والحاكم عن رافع بن جريج والطبرانى عن ابن عمر .
١٦٢	١٥٦	جعل رزقى تحت ظل رمحى :
		أحمد من حديث ابن عمر وسنده صحيح .
١٦٢	١٥٧	لو توكلتم على الله حق توكله :
		الإمام أحمد والترمذى والحاكم وصححه من حديث عمر وابن ماجه : لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله .
١٦٣	١٥٨	اعبد الله كأنك تراه :
		تقدم ٣١ و ٣٧ .

رقم الصفحة	رقم مسلسل	
١٦٣	١٥٩	جبل ولى الله :

ما جبل ولى الله إلا على السخاء .

الذهبي عن عائشة مرفوعا بسند صحيح .

١٦٤ ١٦٠ إن النفس إذا أحرزت قوتها اطمأنت ؟

١٦٤ ١٦١ حبك الشيء يعمى ويصم :

قال الحافظ ابن حجر تبعاً للعراقى وبكعب سكوت أبو داود عنه فليس بموضوع ولا بشديد الضعف فهو حسن رواه أبو داود عن أبى الدرداء مرفوعاً ، ورواه الإمام أحمد موقوفاً عنه والخرائطى فى إعلال المكوب عن ابن رزه وابن عساكر عن عبد الله ابن أنيس وحسن السيوطى سنده: إذا رأيتم أهل السماء فسلو الله العافية .

١٦٤ ١٦٢ حرام على قلب عليه زبانية من الدنيا أن يجد حلاوة الآخرة ؟ لولا الشاطين .

١٦٤ ١٦٣ سائل العلماء ، وخالط الحكماء ، وجالس الكبراء :

جالسوا الكبراء ، وسائلوا العلماء ، وخالطوا الحكماء .

الطبرانى عن أبى جحيفة صحيح .

١٦٤ ١٦٤ المؤمن تسره حسنة وتسوؤه سيئة :

من سرته حسنة وساءته سيئة فهو مؤمن .

١٦٤ ١٦٥ الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله :

عن أبى هريرة : إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلم. ابن ماجه والبيهقى والترمذى وقال: حديث حسن

رقم الصفحة	رقم مسلسل	
١٦٥	١٦٦	سأل النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه عن شجرة لا تسقط ورقها : في الصحيح عن ابن عمر .
١٦٦	١٦٧	أصحابي كالنجوم : رواه البيهقي ، وأسنده الديلمي عن ابن عباس وأخرجه رزين عن عمر .
١٦٧	١٦٨	أرحم أمتي بأمتي أبو بكر : رواه أحمد والترمذي عن أنس والطبراني عن جابر وابن عدي عن ابن عمر بلفظ أرأف أمتي الخ ، والعقيلي عن أبي سعيد .
١٦٧	١٦٩	اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر : الترمذي عن حذيفة وحسن سنده الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه وابن عبد عن أنس .
١٦٨	١٧٠	لو نادى مناد من السماء أنه لن يلج الجنة إلا رجل واحد :
١٦٨	١٧١	خطبة أبي بكر عن وفاة النبي صلى الله عليه وسلم : من المسند للإمام أحمد وعبد الرازق ، وفي الصحيح عن عائشة وفيه عن ابن عباس وابن أبي شيبة من حديث ابن عمر .
١٦٩	١٧٢	ما تركت لأهلك يا أبا بكر : الترمذي عن عمر ، وقال : حسن صحيح ، وأبو داود ، والترمذي والحاكم ، وصححه من حديث ابن عمر .
١٦٩	١٧٣	قوله صلى الله عليه وسلم يوم بدر : اللهم إن تهلك هذه العصابة ، وقول أبي بكر : دع مناشدتك ربك مسلم والترمذي عن ابن عباس عن عمر .

رقم الصفحة	رقم مسلسل	
١٧٠	١٧٤	لو تعلمون ما أعلم : مكرر
١٧٠	١٧٥	رأى أبى بكر فى مقاتلة مانعى الزكاة : مالك والشيخان وأصحاب السنن عن أبى هريرة
١٧٠	١٧٦	جيش أسامة : البيهقى وابن عساكر عن أبى هريرة
١٧٠	١٧٧	معروف ما فى بطن زوجته : مالك عن عائشة
١٧١	١٧٨	اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله : الترمذى والطبرانى من حديث أبى أمامة والترمذى من حديث أبى سعد والطبرانى وأبو نعيم والبزار بسند حسن عن أنس : إن لله عباداً يعرفون الناس بالفرسم
١٧١	١٧٩	مافاق أبو بكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بكثرة صلاة ولا صوم . ما فضلكم : قال الحافظ العراق : لم أجده مرفوعاً وهو عند الحكيم الترمذى وأبى يعلى عن عائشة ، وقال فى النوادر إنه من قول بكر بن عبد الله المزنى ما فاق أبو بكر أصحاب . . الخ
١٧١	١٨٠	يا بنى آدم قوموا إلى ناركم التى أوقدتموها فأطفئوها : عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم : إن لله ملكا ينادى عند كل صلاة : يا بنى آدم قوموا إلى نيرانكم التى أوقدتموها على أنفسكم فأطفئوها . الطبرانى فى الأوسط والصغير وقال ثور بن يحيى بن أزهر القرشى

رقم الصفحة | رقم مسلسل

قال الحافظ الهيثمي : ولم أجـــد من ذكره إلا أن روى عن أزهر بن سعد السمان وروى عن يعقوب بن إسحاق الحضرمي وبقية رجاله رجال الصحيح .

١٧١ ١٨١ تقايؤه طعام الشبهة :

البخاري عن عائشة ، وأحمد عن ابن سيرين ، في الزهد

١٧١ ١٨٢ النار أولى بما نبت من حرام :

الترمذي وابن حبان من حديث كعب بن عجرة : كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به . البيهقي وأبو نعيم عن أبي بكر .

١٧١ ١٨٣ وددت أن أكون خضراء تأكلني الدواب :

وأخرج أحمد عن قتادة قال : بلغني أن أبا بكر قال : وددت أني خضرة تأكلني الدواب .

١٧١ ١٨٤ ثلاثة آيات من كتاب الله اشتغلت بهن :

١٧٣ ١٨٥ يا سارية الجبل الجبل :

البيهقي في الدلائل واللالكائي في شرح السنن والزين القعولي في فوائده وابن الأعرابي في كرامات الأولياء عن ابن عمر وهكذا وذكره حرملة في جمعه حديث ابن وهب قال الحافظ ابن حجر : وهو إسناد حسن والخطيب في رواة مالك وأبو نعيم في الدلائل عن عمرو ابن الحارث .

١٧٣ ١٨٦ رأيت على عمر اثنتي عشرة رقعة :

عن أنس رضي الله عنه : رأيت عمر رضي الله عنه وهو يومئذ أمير المؤمنين وقد رقع بين كتفيه برقاع ثلاث لبد بعضها على بعض . رواه مالك

رقم الصفحة رقم مسلسل

١٨٣ ١٨٧ قول عمر : رحم الله امرأ أهدى إلى عيوبى :

١٧٣ ١٨٨ الشيطان يفرق من ظل عمر :

الشيخان عن سعد بن أبى وقاص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا ابن الخطاب والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجاً قط إلا سلك فجاً غير فجك ، وأخرج الترمذى عن عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى لأنظر إلى شياطين الجن والإنس قد فروا من عمر ، وأخرج أحمد عن طريق بريدة قال صلى الله عليه وسلم : إن الشيطان ليفرق منك يا عمر ، وابن عساكر عن عائشة مرفوعاً إن الشيطان يفرق من عمر .

١٧٣ ١٨٩ قوله رضى الله تعالى عنه : من خاف الله تعالى لم يشف غيظه :

١٧٤ ١٩٠ ما ابتليت ببلية إلا كان لله علىّ فيها أربع نعم :

١٧٤ ١٩١ شكا إليه رجل الفقر فقال عندك بما شاء ليلتك :

روى مسلم عن عبد الله بن عمر بن العاص نحوه من قول عبد الله بن عمر .

١٧٤ ١٩٢ عن على : ما أحد أحب إلىّ أن ألقاه بصحيفته مثل هذا المسجى :

عن البخارى عن ابن عباس والحاكم عن جابر رضى الله عنه .

١٧٤ ١٩٣ رآه علىّ وهو يعدو خلف بعير فقال : لقد أتعبت الخلفاء بعدك يا أمير المؤمنين :

١٧٤ ١٩٤ رأى جماعة جلوساً فى المسجد فأمرهم بالكسب وقال لأخيه زيد بن الخطاب يوم أحد: إن شئت نزعت درعى هذه حتى تلبسه .

١٧٥ ١٩٥ وجدت العبادة فى أربعة أشياء :

رقم الصفحة	رقم مسلسل	
١٧٦	١٩٦	عن عثمان : لولا أنى خشيت أن يكون فى الإسلام ثلمة أسدها بهذا المال ما جمعته :
١٧٦	١٩٧	جهز جيش العسرة واشترى بئر رومة للمسلمين ، وقال صلى الله عليه وسلم ماضر عثمان ما فعل بعد . الترمذى عن عبد الرحمن بن ضباب والبخارى عن أبى عبد الرحمن السلمى .
١٧٦	١٩٨	بعث إلى أبى ذر كيساً فيه ألف درهم ودفعها إلى عبد الله وقال له : أنت حر إن قبلها منك .
١٧٨	١٩٩	ما تمنيت ولا تعنيت وما مسست ذكرى بيمينى منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم . ابن ماجه عن عثمان .
١٧٨	٢٠٠	قتل والمصحف فى حجره ـ عبد الله بن الإمام أحمد وأبو يعلى عن مسلم ابن سعيد مولى عثمان ورجاله ثقات . قتل والمصحف بين يديه .
١٧٨	٢٠١	قال : وجدت الخير مجموعاً فى أربع :
١٧٨	٢٠٢	قيل لعلى بما عرفت ربك ؟ قال : بما عرفنى نفسه لا تشبهه صورة ولا يدرك بالحواس .
١٧٨	٢٠٣	خلق الأشـــياء لا من شىء كان معه ولا عن شىء احتذاه ولا عن شىء امتثله .
١٨١	٢٠٤	أحبب حبيبك هونا ما : أبو داود والترمذى وابن ماجه عن أبى هريرة موقوفاً .
١٨١	٢٠٥	يا صفراء ويا بيضاء غرى غيرى : الإمام أحمد عن أبى صالح السمان عن على رضى الله عنه : فرق جميع ما فى بيت المال وهو يقول : ياصفراء ويا بيضاء غُرِّى غيرى ثم

رقم الصفحة رقم مسلسل

أمر بنضحه وصلى فيه ركعتين . روى أحمد عن علي ورجاله وثقوا إلا أن مجاهداً لم يسمع من علي خرجت فأتيت حائطاً فقال دلوا بثمره قال فدليت حتى ملأت كفي ثم أتيت الماء فاستعذبت يعني شربت ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأطعمته نصفه وأكلت نصفه وصدره عند الترمذي أنه عمل ليهودي دلو بتمرة .

١٨١ ٢٠٦ إن أردت أن تلقى صاحبك فرقع قميصك واخصف نعلك :

١٨١ ٢٠٧ لولا عليٌّ لهلك عمر : أخرج ابن سعد عن سعيد بن المسيب قال : كان عمر يتعوذ من معضلة ليس فيها أبو حسن .

١٨١ ٢٠٨ خطبة الحسن بعد قتل أمير المؤمنين :

٧٥٠ درهم فضلت من عطائه أراد أن يشترى بها خادماً لأم كلثوم الطبراني في الأوسط عن أبي الطفيل .

١٨١ ٢٠٩ كان يتغير لونه وقت الصلاة رضي الله عنه:

١٨١ ٢١٠ مجالسته صلى الله عليه وسلم ومؤاكلته للمساكين :

البخاري من حديث أبي هريرة حديث مؤاكلته للمساكين .

البخاري من حديث أبي هريرة قال وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون إلى أهل ولا مال ولا على أحد إذا أهدى صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها .

١٨٣ ٢١١ يا من عاتبني فيه ربي :

١٨٣ ٢١٢ كان يجلس مع أهل الصفة . . الخ

في الحلية عن محمد بن سيرين قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمسى قسم ناساً من أهل الصفة على ناس من أصحابه فكان

رقم الصفحة | رقم مسلسل

الرجل يذهب بالرجل والرجل يذهب بالرجلين والرجل يذهب بالثلاثة حتى ذكر عشرة فكان سعد بن عبادة يرجع كل ليلة إلى أهله بثمانين منهم يعيشهم .

١٨٣ ٢١٣ لقد رأيت سبعين من أهل الصفة ما منهم رجل عليه رداء إما إزار وإما كساء قد ربطوا فى أعناقهم منها ما يبلغ نصف الساق ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته .

رواه البخارى عن أبى هريرة

١٨٤ ٢١٤ عن ابن بريدة قال : قال لى أبى : لو رأيتنا ونحن مع نبينا وقد أصابتنا السماء حسب ريحنا بريح الضأن :

رواه أبو داود وابن ماجه والترمذى وقال : حديث صحيح وذلك لأنه لباسهم كان الصوف وجاء نحوه عن سلمان .

١٨٤ ٢١٥ أحرق بطوننا التمر :

الحاكم عن طلحة البصرى وسنده صحيح وهو فى مسند أحمد .

١٨٤ ٢١٦ وقف على جماعة من أهل الصفة وقد استتر بعضهم ببعض :

رواه الترمذى وأبو داود والبزار عن أبى سعيد الخدرى .

١٨٥ ٢١٧ طلحة يخيط طرف إزاره ، وهو أمير :

١٨٥ ٢١٨ أخنق خنقك فوعزتك إنى لأحبك :

أبو نعيم فى الحلية

١٨٥ ٢١٩ عمران بن حصين :

أحب ذلك إلىّ أحب إلى الله .

الحارث بن أبى أسامة عن طريق هشام عن الحسن عن عمر أن

رقم الصفحة | رقم مسلسل

١٨٥ ٢٢٠ سلمان الفارسي لما نزلت هذه الآية «و إن جهنم لموعدهم أجمعين» صاح ثم خرج هاربا قال الحافظ العراقي : بحثت عنه فلم أجده .

١٨٥ ٢٢١ زار سلمان أبا الدرداء من الشام إلى العراق راحلا وعليه كساء غليظ .

١٨٦ ٢٢٢ أبو الدرداء أردت أجمع بين العبادة والتجارة :

عن خيثمة عن أبي الدرداء رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح قال الحافظ الهيثمي : ورواه أبو نعيم في الحلية عنه .

١٨٦ ٢٢٣ أبو ذر :

وعن أبي شعبة قال : جاء رجل إلى أبي ذر فعرض عليه نفقة فقال أبو ذر : عندنا أعنز نحلبها وحمر تنقلنا ومحررة تخدمنا وفضل عباءة عن كسوتنا إني لأخاف أن أحاسب على الفضل : رواه الطبراني أبو شعبة البكري لم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح . قاله الحافظ الهيثمي ورواه أبو نعيم في الحلية .

١٨٦ ٢٢٤ دعى إلى وليمة فرجع :

١٨٦ ٢٢٥ أبو عبيدة الجراح :

١٨٧ ٢٢٦ عبد الله بن مسعود :

أبو نعيم في الحلية .

١٨٧ ٢٢٧ البراء بن مالك :

ترنم البراء بالشعر، رواه الطبراني عنه أنس، ورجاله رجال الصحيح والحاكم عن أنس على شرط الشيخين وأقره الذهبي فإنما كان يوم شهدك الملك بسند أخرجه الحاكم وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

رقم الصفحة	رقم مسلسل	
١٨٧	٢٢٨	عبد الله بن عباس :
١٨٨	٢٢٩	حديث الحارث بن مالك : تقدم عدد ٨ .
١٨٨	٢٣٠	عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه رأى رجلا يجر إزارا وجعل يضرب الأرض برجله وهو أمير على البحرين فقال له : قال النبى صلى الله عليه وسلم : إن الله لا ينظر يوم القيامة إلى من جر إزاره بطرا قال : وكان أبو هريرة يستخلف على المدينة فيأتى بحزمة الحطب على وظهره فيشق السوق ويقول : طرقو للأمير، حتى ينظر الناس إليه . لمالك والشيخين بلفظ مسلم .
١٨٨	٢٣١	قول أنس : إن أول من يرد الحوض يوم القيامة الذابلون الناحلون ، أول الناس ورودا عليه فقراء المهاجرين الشعث رؤوسا الدنس ثيابا . الترمذى وابن ماجه والحاكم وقال : صحيح الإسناد البخارى عنه من ثوبان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم .
١٨٨	٢٣٢	عن عبد الله بن عمر كنت شابا عزبا أنام فى المسجد وعن أبى سعيد الخدرى عنه صلى الله عليه وسلم : لا تصحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقى . رواه أبو داود والترمذى .
١٨٨	٢٣٣	حذيفة بن اليمانى : أبو نعيم فى الحلية .

رقم الصفحة	رقم مسلسل	
١٨٩	٢٣٤	عبد الله بن جحش الطبرانى فى الكبير عن سعد بن أبى وقاص
١٨٩	٢٣٥	صفوان بن محرز المازنى
١٨٩	٢٣٦	أبو فروة
١٨٩	٢٣٧	أبو بكرة
١٨٩	٢٣٨	عبد الله بن رواحة
١٨٩	٢٣٩	تميم الدارى
١٩٠	٢٤٠	عدى بن حاتم
١٩٠	٢٤١	كل مخموم القلب صدوق اللسان ، قلنا : يارسول الله أى الناس خير ؟ قال : كل مؤمن مخموم القلب صدوق اللسان ، قلنا : يا رسول الله فمن على أثره؟ قال : الذى يشنأ الدنيا ويحب الآخرة . قال الحافظ العراقى : قلنا يا رسول الله وما مخموم القلب ؟ قال : النقى التقى إلخ ، أخرجه ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر بسند صحيح دون قوله يا رسول الله فمن على أثره ، ورواه بهذه الزيادة الخرائطى فى مكارم الأخلاق
١٩٠	٢٤٢	محمد بن كعب
١٩٠	٢٤٣	زرارة بن أوفى

عن بهز بن حكيم قال : قال زرارة بن أوفى رضى الله عنه ، فى مسجد بنى بشير فقرأ المدثر فلما بلغ «فإذا نقر فى الناقور» خرّ ميتاً ، رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد

رقم الصفحة | رقم مسائل

١٩٠ ٢٤٤ حديث حنظلة

مسلم والترمذى من حديث حنظلة بن الربيع كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم

١٩١ ٢٤٥ اللجلاج

الطبرانى بإسناده لابأس به

١٩١ ٢٤٦ أبو جحيفة

١٩١ ٢٤٧ حكيم بن حزام

١٩١ ٢٤٧ اشترى أسامة فرساً إلى شهرين . . .

رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب قصر الأمل ، وأبو نعيم فى الحلية ، والبيهقى فى الشعب، والطبرانى فى سند الشاميين عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : اشترى أسامة بن زيد وليدة بمائة دينار إلى شهر فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ألا تعجبون ؟ أسامة المشترى إلى شهر ؟ إن أسامة لطويل الأمل

١٩١ ٢٤٩ بلال وصهيب (أنظر إلى هذا الذى نور الله قلبه)

١٩١ ٢٥٠ عبد الله بن ربيعة ومصعب بن عمر

ما كان فيه مصعب بن عمر من الرفاهية بمكة ، الترمذى وأبو يعلى عن على رضى الله عنه .

١٩٢ ٢٥١ مؤاخاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع ، فى الصحيح عن أنس

رقم الصفحة	رقم مسلسل	
١٩٢	٢٥٢	ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم : ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة البخارى عن أبى هريرة والبخارى ومسلم والنسائى من طرق عن فضل بن غزوان وفى رواية لمسلم تسميه الأنصارى بأبى طلحة رضى الله عنه
١٩٣	٢٥٣	أهدى لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة فقال : إن أخى كان أحوج إليه منى ابن كثير ذكر فى غزوة اليرموك أن عكرمة آثر أصحابه بالماء وهو جريح
١٩٤	٢٥٤	ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن الترمذى والحاكم عن عمرو بن سعيد بن العاص ، قال الترمذى : حسن غريب مرسل ورواه الطبرانى عن ابن عمر بسند ضعيف
١٩٤	٢٥٥	إن الله أدبنى فأحسن تأديبى مكرر
٢٠١	٢٥٦	إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يتوضئون وضوءاً لا يبلت التراب ، أخرج أبو داود فى سننه عن ذى مخبر الحبشى فى حديث نومهم عن صلاة الصبح فى الوادى ، قال فتوضأ النبى صلى الله عليه وسلم وضوءاً لم يلت منه التراب ثم أمر بلالا فأذن ، قال الحافظ بن حجر إسناده صحيح .
٢٠٥	٢٥٧	ليس للمرء من صلاته إلا ما عقل منها قال الحافظ العراقى : لم أجده مرفوعا،وروى محمد بن نصر المروزى

رقم الصفحة | رقم مسلسل

فى كتاب الصلاة من رواية عثمان بن دهرش مرسلا « لا يقبل الله من عبد عملا حتى يشهد قلبه مع بدنه » ورواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى بن كعب ولابن المبارك فى الزهد مرفوعا على عمار « لا يكتب للعبد من صلاته ماسها عنه » وعن عبدالله بن عمرو ابن العاص رضى الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : القلوب أوعية و بعضها أوعى من بعض فإذا سألتم الله عز وجل يا أيها الناس فاسألوه وأنتم موقنون بالإجابة فإن الله لا يستجيب لعبد دعاه عن ظهر قلب ، قال الحافظ المنذرى : رواه أحمد بإسناد حسن ونحوه للحاكم عن أبى هريرة :

٢٠٨ ٢٥٩ لا يزال العبد فى صلاة ما كانت الصلاة تحبسه :

البخارى ومسلم عن أبى هريرة وعن أنس عنه صلى الله عليه وسلم: صلى الناس ورقدوا ولم تزالوا فى صلاة منذ انتظرتموها . رواه البخارى

٢٠٨ ٢٦٠ الإمام ضامن :

الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن

رواه ابن حبان فى صحيحه عن عائشة ، وأبو داود والترمذى ، وابن خزيمة ، عن أبى هريرة، ورواه ابن حبان فى صحيحه عن عائشة رواه أحمد من حديث أبى أمامة بإسناد حسن ، وابن ماجه والحاكم عن سهل بن سعد ، الإمام ضامن فإن أحسن فله ولهم وإن أساء فعليه ولا عليهم.

رقم الصفحة رقم مسلسل

٢٠٨ ٢٦١ الصف الأول :

أخرج أحمد عن أبى أمامة : إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول ، رواه أحمد بإسناد لا بأس به ، وأحمد وابن خزيمة عن البزار ابن عازب بسند جيد ، والشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو علم الناس .

٢٠٨ ٢٦٢ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخف الناس صلاة فى تمام . مالك والشيخان وأبو داود والترمذى والنسائى

٢١٠ ٢٦٣ ما تركت لأهلك يا أبا بكر مكرر ١١٧

٢١٢ ٢٦٤ ما أتاك من غير مسألة فخذه (مالك والشيخان عن عمر)

٢١٣ ٢٦٥ لا تحل الصدقة لغنى ولا لذى مِرّة سوى (الترمذى عن جبر بن جبارة)

٢١٣ ٢٦٦ ليس الغنى عن كثرة العرض ، ولكن الغنى غنى النفس

الإمام أحمد والشيخان والترمذى عن أبى هريرة

٢١٤ ٢٦٧ عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : — قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل معروف صدقة و إن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق وأن تفرغ من دلوك فى إناء أخيك :

رواه أحمد والترمذى وقال : حديث حسن صحيح ، وأخرجه ابن أبى عاصم لسند أحسن منه .

٢١٦ ٢٦٨ الصوم لى وأنا أجزى به : حديث قدسى

الشيخان ، عن أبى هريرة ومالك وأبو داود والترمذى والنسائى

٢١٦ ٢٦٩ إذا صمت فليصم سمعك و بصرك ولسانك و يدك : معناه من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه :

رواه البخارى وأصحاب السنن عن أبى هريرة .

رقم الصفحة	رقم مسلسل	
٢١٧	٢٧٠	إذا صام أحدكم فلا يرفث ولا يفسق فإن شتمه إنسان فليقل: إنى صائم الشيخان وأصحاب السنن عن أبى هريرة رضى الله عنه .
٢١٧	٢٧١	الصوم جنة : النسائى عن معاذ أبى عبيدة والبيهقى عن جابر ، الصيام جنة ، أحمد والبخارى والنسائى عن أبى هريرة
٢١٨	٢٧٢	أفضل الصيام صيام أخى داود : أحب الصيام إلى الله صيام داود ، الشيخان وأصحاب السنن
٢٢٢	٢٧٣	من مات ولم يحج : الترمذى والبيهقى من رواية الحارث عن على كرم الله وجهه ، ورضى الله عنه ، والبيهقى عن ابن أمامة ، رضى الله عنه
٢٢٦	٢٧٤	لا تشد الرحال إلخ .. للامام أحمد وللشيخين ، وأبى داود والنسائى وابن ماجه عن أبى هريرة والترمذى وابن ماجه عن أبى سعيد
٢٤٤	٢٧٥	اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه . أبو داود والترمذى وحسنه ، وابن ماجه من حديث ابن عباس رضى الله عنهما .
٢٥٥	٢٧٦	لو صدق السائل ما أفلح من رده رواه الطبرانى بسند ضعيف عن ابن ماجه مرفوعا .
٢٦٥	٢٧٧	تقبيل أحد أولاده صلى الله عليه وسلم والأقرع ابن حابس موجود فى من لا يرحم لا يرحم : الإمام أحمد والشيخان وأبو دواد والترمذى عن أبى هريرة ، والشيخان عن حرز بن عبد الله ، وقال السيوطى : هذا حديث متواتر .

رقم الصفحة | رقم مسلسل

٢٧٤ ٢٧٨ كان صلى الله عليه وسلم إذا عمل عملا أتقنه :

٢٧٩ ٢٧٩ زر غبا تزدد حبا :

٢٩٢ ٢٨٠ يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام : مكرر ٧٨

٢٩٤ ٢٨١ تنام عيناى ولا ينام قلبي :

إن عينى تنامان ولا ينام قلبي : الشيخان عن عائشة رضى الله عنها

٢٩٤ ٢٨٢ إنما أنسى لأسن : مكرر ١٨

مالك فى الحرثى وهو أحد الأحاديث الأربعة التى لم يجدها ابن عبد العزيز موصولة ووصلها ابن الصلاح .

٢٩٤ ٢٨٣ إنى أظل عند ربى يطعمنى و يسقينى: مكر ٤٦

٢٩٨ ٢٨٤ اتقوا فراسة المؤمن : مكرر ١٢٣

٢٩٨ ٢٨٥ إنما الناس كالإبل المائة لاتكاد تجد فيها راحلة :

الشيخان والترمذى ، وله فى رواية : لاتجد فيها إلا راحلة

٣٣٨ ٢٨٦ مابعث الله نبيا إلا حسن الصوت

الترمذى فى الشمائل عن قتادة ، وزاد قوله : وكان نبيكم حسن الصوت ، قال الحافظ العراقى : ورويناه متصلا فى الغيلانيات من رواية قتادة عن أنس والصواب الأول، ورواه ابن مروويه فى التفسير من حديث على بن أبى طالب وطرقه كلها ضعيفة .

٣٣٨ ٢٨٧ ما أذن الله بشىء كإذنه لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به :

الشيخان وأبو داود والنسائى عن أبى هريرة

رقم الصفحة	رقم مسلسل	
٣٣٨	٢٨٨	لله أشد إذنا للرجل حسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته: أحمد وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه عن حديث فضالة ابن عبيد والبيهقى .
٣٣٨	٢٨٩	حسن صوت داود عليه السلام : قال الحافظ العراقى: لم أجد له أصلا .
٣٣٨	٢٩٠	لقد أعطى أبو موسى مزماراً من مزامير آل داود : متفق عليه من حديث أبى موسى .
٣٣٨	٢٩١	قرأ صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فد مدًّا : للشيخين وأبى داود عن أنس وعبيد الله بن مغفل .
٣٣٩	٢٩٢	لو علمت أنك هو لحبرته لك تحبيراً مسلم والنسائى عن ابن موسى .
٣٣٩	٢٩٣	زينوا القرآن بأصواتكم : أبو دواد والنسائى وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه من حديث البزار .
٣٤٥	٢٩٤	نحن الخالدات فلانموت أبدا : الترمذى عن على قال : حديث غريب والبيهقى وأبو نعيم عن أبى أوفى فى صفة الجنة .
٣٤٥	٢٩٥	من شرب الخمر فى الدنيا : عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

رقم الصفحة | رقم مسلسل

من مات من أمتى وهو يشرب الخمر حرم الله عليه شربها فى الجنة ، ومن مات من أمتى وهو يتحلى بالذهب حرم الله عليه لباسه فى الجنة : رواه أحمد والطبرانى ورجاله ثقات .

وعن ابن عمر : كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب الخمر فى الدنيا ومات وهو يدمنها لم يتب منها ، لم يشربها فى الآخرة : مالك وأحمد والشيخان والنسائى والترمذى وأبى دواد وابن ماجة عن أبى هريرة .

٣٤٥ ٢٩٦ غناء الجاريتين فى بيت عائشة رضى الله عنها

فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها

٣٤٦ ٢٩٧ قول أبى بكر :

كل امرىء مصبح فى أهله ، و بلال : ألاليت شعرى الخ وعائشة ذهب الذين يعاش فى أكنافهم : أخرجه الحافظ بن ناصر الدمشقى فى نفحات الأحبار فى مسلسلات الأخبار .

٣٤٦ ٢٩٨ أنشد كعب بين يديه صلى الله عليه وسلم : بانت سعاد .

رراه الطبرانى ورجاله إلى ابن اسحاق ثقات قاله الحافظ الهيثمى.

٣٤٧ ٢٩٩ إن من الشعر لحكمة :

البخارى وأبى داود عن أبى وأبو داود عن ابن عباس .

٣٤٧ ٣٠٠ الحكمة ضالة المؤمن :

الترمذى عن أبى هريرة بسند فيه ابراهيم بن الفضل ضعيف ، ورواه القضاعى فى سننه عن زيد بن أسلم مرسلا .

٣٤٧ ٣٠١ عبد الله بن جعفر وعبد الله بن عمر فى تجويزهما السماع :

رقم الصفحة	رقم مسلسل	
		عبد الله بن جعفر ، ابن عبد البر فى الاستيعاب وعبد العزيز بن عمر ابن طاهر وابن حزم .
٣٤٨	٣٠٢	نهى صلى الله عليه وسلم عن سماع الأوتار والمزامير والمعازف .
		فى صحيح البخارى سيتلونى من أمتى أقوام يستحلون الخز والحرير والخمر والمعازف : رواه من حديث أبى مالك الأشعرى .
٣٥٢	٣٠٣	أأقرأ وعليك أنزل ؟
		للشيخين والترمذى وأبى داود عن ابن مسعود .
٣٥٢	٣٠٤	سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ «والتين والزيتون» فما رأيت أحسن من قراءته .
٣٥٢	٣٠٥	لقد أوتى مزماراً من مزامير آل داود : مكرر ٢٩٠
٣٥٢	٣٠٦	إذا قرأ رأيت أنه يخشى الله مكرر ١٤
٣٥٢	٣٠٧	مر على عصابة يستر بعضهم بعضاً من العرى وقارىء يقرأ لهم .
		أبو داود والترمذى والبزار عن أبى سعيد ، وزاد البزار : حتى إن التى يود أنه كان كان سائلك
		وأن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ «فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد» فصعق ، فى الصحيحين عن ابن مسعود أنه قرأ صلى الله عليه وسلم فلما انتهى إلى (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد . وجئنا بك على هؤلاء شهيداً) قال حسبك فإذا عيناه تذرفان بالدموع وروى ابن عدى فى الكامل والبيهقى فى الشعب عن طريق من حديث أبى حرب ابن أبى الأسود مرسلا : أنه قرىء عنده (إن لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليماً) فصعق . وأنه قرأ (إن تعذبهم فإنهم عبادك) فبكى

رقم رقم
الصفحة مسلسل

عن عبد الله ابن عمرو رواه مسلم .

٣٥٣ ٣٠٨ وأنه كان إذا مر بآية رحمة دعا واستبشر وإذا مر بآية عذاب دعا واستغفر واستعاذ ، حديث حذيفة رضى الله عنه كان لا يمر بآية عذاب إلا تعوذ ولا بآية رحمة إلا سأل ولا بآية تنزيه إلا سبح :

مسلم وليس فى الحديث واستبشر .

٣٥٣ ٣٠٩ لاخير فى قراءة ليس فيها تدبر :

روى رزين من قول سيدنا على رضى الله عنه :

ألا لاخير فى قراءة ليس فيها تدبر ولا عبادة ليس فيها تفقه .

٣٥٤ ٣١٠ زرارة بن أوفى رضى الله عنه : أم بالناس فقرأ آية من القرآن فصعق ومات : الحاكم عن بهز بن حكيم وصححه .

٣٥٦ ٣١١ وإن من الشعر لحكمة : مكرر ٢٩٩

٣٥٦ ٣١٢ القرآن كلام الله منه بدا وإليه يعود :

قال الحافظ السيوطى فى اللآلىء المصنوعة : أخرج البخارى فى خلق أفعال العباد قال حدثنا الحاكم بن محمد الطبرى كتبت عنه بمكة قال حدثنا شعبان بن عتبة قال أدركت أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فمن دونهم منذ سبعين سنة يقولون: الله الخالق وما سواه مخلوق ، والقرآن كلام الله منه خرج وإليه يعود . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنكم لاترجعون إلى الله بشىء أفضل مما خرج منه . يعنى القرآن . رواه الحاكم وصححه ورواه أبو داود .

٣٦٥ ٣١٣ هكذا كنا حتى قست القلوب :

رقم الصفحة | رقم مسلسل

٣٧٣ ٣١٤ من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه .

أحمد وأبو يعلى والترمذى وابن ماجه عن أبى هريرة وأحمد عن الحسين بن على والعسكرى عن على و بعده وأوضحه الشيخان فى تخريج الأربعين .

٣٧٧ ٣١٥ وفى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً) فصعق

٣٧٨ ٣١٦ إذا دخلتم على هؤلاء المعذبين .

أخرج البخارى فى الصحيح عن ابن عمر رضى الله عنهما : لاتدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم ما أصابهم ثم قنع رأسه حتى أجاز الوادى . وفى رواية للإمام أحمد ، إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونو باكين فتباكوا خشية أن يصيبكم ماأصابهم .

٣٩٥ ٣١٧ أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم ماأعطى الأنبياء فى المعجزات .

٣٩٥ ٣١٨ انشقاق القمر .

الشيخان والترمذى عن ابن مسعود وأنس والترمذى عن جبير بن مطعم . والمراج عن مالك بن صعصعة وأبى هريرة وأنس و بريدة وشداد بن أوس وغيرهم ، وأخرجه أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد وهو متواتر ونبع الماء من بين أصابعه الموطأ والشيخان والنسائى والترمذى عن أنس، والشيخان عن جابر يوم الحديبية .

٣٩٦ ٣١٩ حديث جريج :

الشيخان عن أبى هريرة .

رقم الصفحة | رقم مسلسل

٣٩٦ ٣٢٠ حديث الغار :

الشيخان وأبو داود عن ابن عمر .

٣٩٦ ٣٢١ وكلام البقرة والذئب :

الشيخان والترمذى عن أبى هريرة .

٣٩٦ ٣٢٢ إن فى أمتى مكلمين :. مكرر ١٠

٣٩٦ ٣٢٣ ياسارية الجبل .

البيهقى فى الدلائل واللالكائى فى شرح السنة وابن الأعرابى من كرامات الأولياء عن ابن عمر وهكذا رواه حرملة فى جمعه لحديث ابن وهب وإسناده حسن قاله الحافظ ابن حجر وقد أفرد الحافظ الحلبى لطرقه ووثق رجال هذا الطريق وقال ذكره ابن عساكر وابن ماكولا وغيرهم .

٣٩٦ ٣٢٤ كرامات سيدنا على والسيدة فاطمة رضى الله عنهما .

٣٩٧ ٣٢٥ أسيد بن حضير وعباد بن بشر :

فى الصحيح عن أنس وأخرجه الحاكم عنه .

٣٩٧ ٣٢٦ تسبيح الحصا لأبى الدرداء وسلمان :

أورده البيهقى فى الدلائل عن طريق قيس بن أبى حازم قال : كان أبو الدرداء وسلمان إذا كتب أحدهما إلى الآخر قال له مابه .

٣٩٧ ٣٢٧ العلاء بن الحضرمى وقطعه البحر :

عن أبى هريرة رضى الله عنه لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم العلاء بن الحضرمى إلى البحرين بنفسه فرأيت منه ثلاث خصال لاأدرى أيتهن أعجب انتهينا إلى ساحل البحر فقال سموا الله تقحموا فسمينا وتقحمنا فما بل الماء أقدامنا .

رقم رقم
الصفحة مسلسل

٣٩٧ ٣٢٨ عبد الله بن عمر والسبع :

ذكر السبكي في الطبقات أنه قال للأسد الذي منع الناس الطريق تنح فبصبص بذنبه وذهب .

٣٩٧ ٣٢٩ رب أشعث أغبر مكرر (١١)

٤١٣ ٣٣٠ حديث حارثة : مكرر (٨)

٤٢٠ ٣٣١ يظن الناس أنهم قد خولطوا وما خولطوا ولكن خالط قلوبهم من عظمة الله تعالى ما رهب لعقولهم .

٤٢١ ٣٣٢ لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يظن الناس أنه مجنون . في معناه ، أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون : رواه أحمد وأبو يعلى وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

٤٢٢ ٣٣٣ أعوذ بك من شر طوارىء الليل والنهار :

رواه أحمد وأبو يعلى ولكن واحد منهما إسناده جيد يحتج به ، ورواه مالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد مرسلا ، ورواه النسائي من حديث ابن مسعود .

٤٢٣ ٣٣٤ اللهم بك أصول و بك أحول :

كان إذ أراد سفراً قال : اللهم بك أصول و بك أحول وبك أسير . الإمام أحمد والبزار عن على كرم الله وجهه — وقال الحافظ البيهقي : رجاله ثقات .

٤٢٥ ٣٣٥ المحـــدثون مكرر (٣٠)

٤٢٦ ٣٣٦ قول سيدنا على : وكيف نعبد من لم نر ؟ :

٤٢٦ ٣٣٧ أعبد الله كأنك تراه : مكرر (٣٠)

رقم الصفحة | رقم مسلسل

٤٢٩ ٣٣٨ أخبر تقله :

عن عبد الرازق والطبرانى وابن عدى ، وأبو نعيم فى الحلية عن أبى الدرداء .

٤٢٩ ٣٣٩ أشد الناس بلاء الأنبياء : مكرر (٧٩)

٤٣٩ ٣٤٠ ليس الإيمان بالتحلى ولا بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب :

ابن النجار ، والديلمى فى مسند الفردوس ، وسنده ضعيف .

٤٥١ ٣٤١ إنه ليغان على قلبي :

عن أغر مزينه رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله فى اليوم والليلة مائة مرة ، أخرجه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائى ، وفى رواية لمسلم : توبوا إلى ربكم فوالله إنى لأتوب إلى ربى تبارك وتعالى فى اليوم مائة مرة .

٤٥٥ ٣٤٢ لو تعلمون ما أعلم : مكرر (١٦)

٤٥٦ ٣٤٣ علمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين بابامن العلم : مكرر (١٨)

٤٦٢ ٣٤٤ كان صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يدخل فى الصلاة قال : وقفت بين يدى الملك الجبار :

٤٦٣ ٣٤٥ سبق المفردون :

الترمذى ، والحاكم عن أبى هريرة ، وقال الحاكم : على شرطهما وأقره الذهبى والطبرانى عن أبى الدرداء وسنده صحيح سيروا هذا جمدان سبق المفردون ، قالوا : وما المفردون ، قال : الذاكرون الله والذاكرات رواه مسلم عن أبى هريرة .

رقم الصفحة	رقم مسلسل	
٤٦٣	٣٤٦	ما يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل : مكرر (٣٢)
٤٦٧	٣٤٧	أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد ألا كل شىء ما خلا الله باطل : رواه الشيخان عن أبى هريرة ، وعن أحمد والترمذى عن أشعر كلمة تكلمت ؟ العرب كلمة لبيد .
٤٧٥	٣٤٨	ليس منا أحد ينجيه عمله ، قالوا ولا أنت يارسول الله الخ .. الشيخان عن عائشة مرفوعا : سددوا وقاربوا وأبشروا واعلموا انه لن يُدخل أحدكم الجنة عمله ، قالوا ولا أنت يا رسول الله قال : ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته .
٤٧٨	٣٤٩	لى وقت لا يسعنى شىء غير الله برحمته مكرر (٩٨)
٤٧٨	٣٥٠	أنا سيد ولد آدم ولا فخر : مكرر (٧٣)
٤٧٩	٣٥١	ولا تفضلونى : مكرر (٣٢)
٤٧٩	٣٥٢	وأنا ابن امرأة تأكل القديد : مكرر (٧١)
٤٨١	٣٥٣	رأيت جبريل عليه السلام مثل الحلس البالى : مررت ليلة أسرى بىّ بالملأ الأعلى وجبريل كالحلس البالى من خشية الله تعالى .
٤٨٢	٣٥٤	رأى النبى صلى الله عليه وسلم جبريل على صورته قد سد الأفق : رأى جبريل فى حلة من زخرف قد ملأ ما بين السماء والأرض للشيخين ، والترمذى عن عبد الله بن مسعود .
٤٨٣	٣٥٥	نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن إضاعة المال : الإمام أحمد، وخرج أبو بكر من جميع ماله ، أما الله تعالى : رضى لكم ثلاثا وكره لكم

رقم الصفحة | رقم مسلسل

ثلاثا ، قيل وقال : و كثرة السؤال و إضاعة المال ، الإمام أحمد ومسلم عن أبى هريرة .

٤٨٤ ٣٥٦ رد الشمس لسليمان عليه السلام وردها لرسول الله صلى الله عليه وسلم

رد الشمس لعلى بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال السيوطى: أخرجه ابن منده وابن شاهين عن أسماء بنت عميس وابن مردويه عن أبى هريرة و إسنادهما حسن . قال العجلونى : وكذا ردت لسليمان ابن داود عليهما السلام على قول بعضهم و إن حبسها عن المغيب فقد وقع ليوشع بن نون وقبله لموسى بن عمران .

٤٨٤ ٣٥٧ شغلونا عن الصلاة الوسطى :

عن علىّ رضى الله عنه ، رواه الشيخان ، والترمذى ، والنسائى ، وأبو داود .

٤٨٤ ٣٥٨ اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون :

ابن حبان والبيهقى فى دلائل النبوة من حديث سهل بن سعد ، وفى الصحيحين من حديث ابن مسعود : إن كان صلى الله عليه وسلم عن بنى إذا قومه

٤٨٥ ٣٥٩ الدنيا ملعونة ملعون ما فيها : مكرر (١١٠)

٤٨٥ ٣٦٠ لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة : مكرر (٢٨)

٤٩٠ ٣٦١ « لو بقيتم » حديث حنظلة مكرر (١٩٧)

٤٩١ ٣٦٢ تقول جهنم يوم القيامة : جُزْ يامؤمن فقد أطفأ نورك لهبى :

الطبرانى وأبو نعيم فى الحلية عن يعلى بن منبه وعن جابر بن الله :

رقم الصفحة | رقم مسلسل

لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين برداً وسلاما كما كانت على إبراهيم حتى إن للنار ، أو قال: لجهنم ضجيجا من بردهم ثم ينجي الذين اتقوا ويذر الظالمين ، رواه أحمد ورواته ثقات ، والبيهقي بإسناد حسن .

٥١٣ ٣٦٣ بحمد الله لا بحمدك :

في الصحيح عن عائشة .

٥١٣ ٣٦٤ من صلى على الله واحدة صلى الله عليه عشرا :

رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن أبي هريرة ، ورواه أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي والنسائي والحاكم عن أنس: من صلى عليّ صلاةواحدة صلى الله عليه بها عشر صلوات ، ورواه أحمد عن ابن عمر بلفظ : من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه وملائكته بها سبعين صلاة فليقل عندذلك أو ليكثر ، ورواه النسائي بمعناه عن أبي طلحة.

٥١٤ ٣٦٥ سل تعط ، حديث الشفاعة :

في الصحيحين والسنن والمسانيد عن أنس وأبي بكر وأبي هريرة وغيرهم ، وهو حديث متواتر .

٥١٥ ٣٦٦ اللهم اجعل من فوقي نورا :

الإمام أحمد والشيخان والنسائي عن ابن عباس والترمذي ومحمد ابن نصر في الصلاة ، والطبراني والبيهقي في الدعوات عنه .

٥١٥ ٣٦٧ والله إني لأراكم خلف ظهري كما أراكم قدامي :

الشيخان عن أنس ، وعن أبي هريرة في صحيح البخاري ، والله ما يخفى على ركوعكم ولا خشوعكم وإني لأراكم وراء ظهري .

رقم الصفحة | رقم مسلسل

٥١٦ ٣٦٩ أربعة فى الدنيا وليست هى من الدنيا كسرة تسد بها جوعك وثوب توارى عورتك و بيت تسكن فيه ؟ وزوجة صالحة تسكن إليها :

عن أبى عبيد قال عمر : يا رسول الله إنا لمسئولون عن هذا يوم القيامة ؟ قال : نعم إلا من ثلاث خرقة كست بها عورته أو كسرة سد بها جوعته أو جحر يدخل فيه من الحر والقر ، رواه الإمام أحمد ورواته ثقات ، وروى الترمذى والحاكم وصححاه والبيهقى عن عثمان ابن عفان نحوه .

٥١٩ ٣٧٠ ليس الإيمان بالتحلى ولا بالتمنى (والفقر أزين بالمؤمن من العذار الجيد) مكرر (٢٩) .

٥٢٤ ٣٧١ أحل ما يأكل المؤمن من كسب يده :

٥٣٢ ٣٧٢ أفلا أكون عبداً شكورا : مكرر (٩١) .

٥٣٢ ٣٧٤ اختار أن يكون عبدا نبياً : مكرر (٥٢) .

٥٣٦ ٣٧٥ أفرضكم زيد وأقرؤكم أبى وأعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، رضى الله عنهم : مكرر (١١٣)

وقد شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعشرة من الصحابة بالجنة ليس هؤلاء منهم ، عن سعيد بن زيد رضى الله عنه سمع من يسب عليا رضى الله عنه بحضرة بعض الأمراء فقال : ألا أرى أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يسبون عندكم ثم لا تنكروا ولا تغيروا ؟ سمعته صلى الله عليه وسلم يقول : و إنى لغنى أن أقول عنه مالم يقل فيسألنى عنه غداً إذا لقيته ، أبو بكر فى الجنة وعمر فى الجنة ، وعثمان فى الجنة ، وطلحة فى الجنة وزيد فى الجنة والزبير فى الجنة ،

رقم الصفحة | رقم مسلسل

وأبو عبده بن الجراح فى الجنة ، وسكت عن العاشر ، قالوا : ومن هو العاشر ؟ فقال : سعيد بن زيد ـ يعنى نفسه ـ ثم قال : والله لمشهد رجل منهم مع النبى صلى الله عليه وسلم يغبر فيه وجهه خير من عمل أحدكم ولو عمر عُمر نوح :

رواه أبو داود ، والترمذى .

٥٣٩ ٣٧٦ الحلال بيّن والحرام بيّن :

الشيخان وأصحاب السند عن النعمان بن بشير .

٥٤٦ ٣٧٧ ليس الخبر كالمعاينة : مكرر (٤١) .

٥٤٥ اعبد الله كأنك تراه : مكرر (٣١) .

٥٤٧ إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله : مكرر (٣٩٣) .

فهارس الكتاب

فهرس الأعلام

(ب)

(ت)

(ث)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(ن)

(هـ)

(و)

فهرس الموضوعات

الموضوع — الصحيفة

كتاب الأحوال والمقامات

كتاب المستنبطات

كتاب الصحابة رضوان الله عليهم

كتاب المكاتبات والصدور والأشعار والدعوات والرسائل

كتاب السماع

كتاب الوجد

كتاب إثبات الآيات والكرامات

الموضوع	الصحيفة
باب فى ذكر أبى الحسين النورى رحمه الله	٤٩٢
« فى ذكر أبى حمزة الصوفى	٤٩٥
« ذكر جماعة المشايخ الذين رموهم بالكفر	٤٩٧
« فى ذكر أبى بكر على بن الحسن	٥٠٢
« فى ذكر محمد بن موسى الفرغانى	٥٠٦
« فى بيان ما قال الواسطى	٥١١
« فى ذكر من غلط من المترسمين بالتصوف ومن أين يقع الغلط وكيفية وجوه ذلك	٥١٦
« فى ذكر الفرقة الذين غلطوا وطبقاتهم وتفاوتهم فى الغلط	٥١٨
« فى ذكر من غلط فى الفروع التى لم تؤدهم إلى الضلالة ونبتدىء فى ذكر الطوائف الذين غلطوا فى الفقر والغنى	٥٢٠
« فى ذكر من غلط فى التوسع وترك التوسع من الدنيا بالتقشف والتقلل ومن غلط فى الاكتساب وترك الاكتساب	٥٢٣
« فى ذكر طبقات الذين فتروا فى الإرادات وغلطوا فى المجاهدات وسكنوا إلى الراحات	٥٢٥
« فى ذكر طبقات الذين غلطوا فى ترك الطعام والعزلة والانفراد وغير ذلك	٥٢٧
« ذكر من من غلط فى الأصول وأداه ذلك إلى الضلالة ونبتدىء بذكر القوم الذين غلطوا فى الحرية والعبودية	٥٣١
« فى ذكر من غلط من أهل العراق فى الإخلاص	٥٣٣
« فى ذكر من غلط فى النبوة والولاية	٥٣٥
« فى ذكر الفرقة التى غلطت فى الإباحة والحظر والرد عليهم	٥٣٨
« فى ذكر غلط الحلولية وأقاويلهم على ما بلغنى فلم أعرف منهم أحداً ولم يصح عندى شىء غير البلاغ	٥٤١
« فى ذكر من غلط فى فناء البشرية	٥٤٣
« ذكر من غلط فى الرؤية بالقلوب	٥٤٤

مطبعة السعادة